

التغيير العميق
لماذا ؟
وكيف ؟

د. نيكولاس ترانشيني

التغيير العميق
لماذا ؟ وكيف ؟

كثيرون يَرون إن التغيير هو بمثابة تحول في السلوك الخارجي . بالنسبة لهؤلاء الاشخاص التغيير هو التوقف عن فعل شيء مضر والبدء في عمل شيء صالح ؛ إنه "التوقف عن السقوط المستمر". ماذا لو كان التغيير الحقيقي والعميق أكثر من ذلك؟ ماذا لو كان في الواقع ما أحتاج إلى تغييره هو طريقتي في فهم التغيير؟

* هل يجب أن أغير طريقتي في التغيير؟
* ما هو التغيير الحقيقي؟
* كيف يتم؟
* ما هو الدور الذي يلعبه روح الله القدوس ؟
* ما هو دوري؟

يأخذك الكاتب عبر هذا الكتاب للإجابة على هذه الأسئلة معا والعديد من الأسئلة الأخرى.

التغيير العميق

لماذا؟ وكيف؟

بقلم

نيكولاس ترانشيني

ترجمة من الأسبانية:

كارولين ساهر صموئيل

٢٠٢٠

التغيير العميق : لماذا؟ وكيف؟

المؤلف: نيكولاس ترانشيني

الناشر في أسبانيا: **editorial Clie**

ترجمة من الأسبانية : كارولين ساهر صموئيل

مراجعة : الأخ/ إيميل رمزي

تصميم الغلاف : كورنر ستون للدعاية – ت: ٠١٢٧٤٤٣٢٨١١

المطبعة : رؤية للطباعة – ت: ٠١٢٢٦٩٩٠٧٦٠

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي ISBN :

جميع حقوق الطبع محفوظة

صفحة

المقدمة ٥

الفصل الأول ١١

الفصل الثاني ٢٩

الفصل الثالث ٥٣

الفصل الرابع ٧٥

الفصل الخامس ٩٥

الفصل السادس ١٢٣

الفصل السابع ١٥١

الفصل الثامن ١٧٣

الفصل التاسع ٢٠٣

الفصل العاشر ٢٣١

الفصل الحادي عشر ٢٦٣

الفصل الثاني عشر ٢٩٣

الفصل الثالث عشر ٣٢٩

الخاتمة..... ٣٦١

ملحق ١ ..... ٣٦٥

ملحق ٢ ..... ٣٧٥

ملحق ٣ ..... ٣٨٥

إلى زوجتي الغالية ..

لكونها صورة تعكس محبة الله المزهلة وغير المشروطة عن طريق حبها لي

على الرغم من حاجاتي العميقة للتغيير ،،،

شكر وتقدير

هناك ثلاثة أشخاص أتاحوا لك قراءة هذا الكتاب.

أولاً: زوجتي أناليا. كان صبرها الدائم، ودعمها المستمر، ومساعدتها؛ هم الركائز الثلاث الكبرى وراء صمودي طوال كل هذه الأشهر.

"يا حبيبتي، لن أنسى أبدًا كل ما قُمتِ به من أجلي.

لستُ أجد كلمات لِأُعبِّر بها عن امتناني .. شكرًا لكِ".

ثانيًا: هو صديقي العظيم "ديفيد غونزاليس جارا". "لم تقرأ فقط كل كلمة كُتِبَت في هذا الكتاب، لكنك شجعتَني بشيء لا ثمن له؛ صداقتك الأمينة والغالية عليَّ . على الرغم من أنك تعرف ذلك، أُريد أن أكتبها لكَ هنا؛ أنت بمثابة أخ لي".

والثالث: هو "ديفيد بيريز غارسيا". "شكرًا لمنحك ساعات طويلة، ومجهود عظيم لهذا المشروع. لقد كنت مجتهدًا ودقيقًا للغاية، وقد رأى الرب خدمتك في الخفاء".

وأخيرًا، إلى الله الواحد والحكيم، الذي قرَّر أن يستخدمني في النعمة، وعزَّزني دون أن أستحق، وأعطاني كلمات وإبداعًا لست أستحقه. ظل مُخلِصًا إلى النهاية. فقد أحبني عندما ابتعدت عنه، وملأني بروحهِ عندما كنت أستحق أن أكون فارغًا. **إليه وحده، وليس لغيره، كل المجد إلى الأبد. آمين.**

المقدمة

تغيير طريقتك في التغيير

ما هو التغيير؟

إذا طلبت منك الإجابة على هذا السؤال، فماذا سيكون ردَّك؟ ما هي تجربتك في اختبار تغيير حقيقي وعميق؟ اسمحوا لي أن أُشارك ببعض الإجابات الأكثر شيوعًا التي سمعتها:

"التغيير بالنسبة لي، سيكون عدم مشاهدة المزيد من المواد الإباحية على الإنترنت. بصراحة، أشعر إني قد أصبحت مُدمن".

"بالنسبة لي، التغيير، هو التوقف عن شراء الملابس بشكل مُفرَط. فأنا أقارن باستمرار وزني مع وزن الفتيات الأُخريات، والشيء الوحيد الذي يساعدني، هو إخفاء الوزن الزائد بملابس فضفاضة أكثر".

"التغيير في حالتي، هو أن أتوقف عن الصراخ عندما أكون غاضبًا؛ أن أتوقف عن الصراع والجدال مع زوجتي بشكل مستمر. فنحن نؤذي بعضنا البعض في كل مرة يحدث بيننا خلاف ما".

"بالنسبة لي، التغيير، هو أن أشارك رسالة الإنجيل مع الآخرين. أُريد أن أفعل ذلك، لكنني في كل مرة أشعر بالخوف".

"التغيير في حالتي، هو أن أتوقف عن مشاهدة التلفزيون طوال الوقت، وأستيقظ مُبكرًا لِأقرأ الكتاب المقدس، وأُصلّي".

ما هو مفهوم التغيير بالنسبة لي؟

التغيير، هو أن أُعطي أكثر للآخرين. هذا هو بالفعل التغيير!

هل لاحظت شيئًا ما؟ يوجد شيء مشترك في جميع هذه الإجابات. فهؤلاء الأشخاص يَرون أن التغيير، هو بمثابة تحوُّل في السلوك. بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، التغيير، هو التوقف عن فعل شيء مُضرّ، والبدء في عمل شيء صالح؛ إنه "التوقف عن السقوط المستمر".

ماذا لو كان التغيير الحقيقي والعميق أكثر من ذلك؟

ماذا لو كان في الواقع ما أحتاج إلى تغييره، هو طريقتي في فهم التغيير؟

ماذا لو كان ما يجب تغييره، هو طريقتي في التغيير؟

من الممكن أن تُفكِّر في هذه اللحظة: "أنت لا تفهمني. هذا الصراع بالذات يُدمر حياتي الروحية. في كل مرة أسقط فيها، أشعر أنني فارغ وبعيدًا عن الله، ومهزومًا". أنا أفهم تمامًا هذه المشاعر. لقد شعرت بهم أيضًا من وقتٍ لآخر، وما زلت أشعر بهم.

ولكن ماذا لو كانت المشكلة من نوعٍ أخر؟

ماذا لو لم تكن أكبر مشاكل الحياة هي الجنس أو المال أو الغضب أو الحصول على الوزن المثالي الذي تتوق إليه؟

تأمل في ما سأقوله: هل تحتاج أن تكون مسيحيًا لتغيير أي من الأشياء التي ذكرتها أعلاه؟ فكِّر في الأمر. **هل يمكن لشخص مُتدين اِسميًا أو حتى مُلحد، أن يختبر بعض التغييرات التي ذكرتها من قبل؟**

الجواب واضح: بالطبع يمكنهم! ليس من الضروري أن يسكن فيهم الروح القدس ليختبروا التغيير بهذه الطريقة. هناك الكثير من غير المؤمنين الذين يُعاملون شريك حياتهم بشكلٍ جيد، ولا يتجادلون طوال الوقت. المورمون هم خبراء في مشاركة إيمانهم. في الواقع، يُرسَلون إلى العالم أجمع، مُبشرون أكثر من المسيحيين أنفسهم! يقرأ شهود يهوه الكتاب المقدس بانتظام، حتى إنه من الممكن أن يعيش حياة طاهرة جنسيًا.

المُتدين يُمارس طقوس ديانته بانتظام. اللا أدري يعطي ماله إلى منظمات غير حكومية مختلفة. إذا كان بإمكان كل واحد منهم القيام بهذا النوع من "التغيير" بدون المسيح، فهل مفهوم التغيير عندي خاطئ؟

هل يجب أن أغيِّر طريقتي في التغيير؟ ما هو التغيير الحقيقي؟ كيف يتم؟

ما هو الدور الذي يقوم به روح الله القدوس؟ و ما هو دوري؟ رافقني في الصفحات التالية، وسنحاول الإجابة على هذه الأسئلة معًا، والعديد من الأسئلة الأخرى.

* * *

الجزء الأول

ما هو

التغيير السطحي؟

الفصل الأول

ما هي الطاعة السطحية؟

ما هي أعمق رغباتي؟

لماذا؟

ربما هذا هو أهم سؤال يحتاج كل شخص أن يسأله لنفسه حتى يتمتع بالتقدُّم في حياته الروحية:

لماذا أقرأ الكتاب المقدس؟

لماذا لا أقرأه؟ **لماذا** أحاول أن أُخبر أصدقائي عن يسوع؟

لماذا لا أُبشر أكثر؟

لماذا أخدم الآخرين؟

لماذا أشعر أن الخدمة مُكلِّفة؟

أريدك أن تفكِّر للحظة عن إمرأة تقود سيارتها إلى الكنيسة. تخيَّل أنه لسببٍ ما، قرَّرت هذه المرأة في ذلك اليوم أنها لن تُشارك بمالها عند مرور صندوق العطاء في اجتماع يوم الأحد. تصل السيدة إلى الكنيسة، ويبدأ الاجتماع وهي سعيدة للغاية لحضورها الاجتماع. وحين جاءت الساعة لجمع العطاء، أعلن الخادم أن تَقدمة هذا الأسبوع ستكون مُخصَّصة للفقراء، وأنه في ذلك اليوم بالذات، سوف يقوم القادة بأنفسهم بجمع العطاء من الحاضرين. لم تهتم السيدة كثيرًا بهذا الإعلان، فهي قد فكَّرت في الأمر وقرَّرت أن لديها

أسبابًا خاصة لعدم مُشاركتها هذا الأسبوع. وإذ فجأةً تكتشف أن الشخص الذي يُمرِّر صندوق العطاء، هو واحد من قادة الكنيسة الذين تحترمهم وتُقدِّرهم أكثر من غيرهم، بل في الحقيقة هو قائد المجموعة الصغيرة التي تحضرها بانتظام.

وممَّا صعَّب الأمر أكثر، أنه في ذلك الأسبوع بالأخص، كانوا يتناقشون في موضوع السخاء والعشور. تقوم السيدة يائسة بفتح حقيبتها لتُشارك بمالها في صندوق العطاء لكي تنال الراحة النفسية.

المرأة التي في قصتنا تفعل شيئًا جيدًا، أليس كذلك؟ فهي أعطت مالها للفقراء، وهو عمل حميد. ولكن لماذا تفعل ذلك؟ ما هو أحَّب شيء لقلبها؟ إنها تهتم بصورتها أمام قائد مجموعتها الصغيرة! هي تُحب نفسها! فهي قامت بدفع العشور حتى تنقذ صورتها أمام قائدها.

إن فحص دوافعنا وأعمق رغباتنا، يساعدنا على إدراك أنه في بعض الأحيان، ما يبدو جيدًا في العديد من المواقف، ليس كذلك. وما يبدو سيئًا ليس كما يبدو! فكِّر للحظة، كيف سيكون شكل هذه المرأة إذا أحبَّت الله وليس نفسها في مثل هذا الموقف؟ فإن الجواب سيبدو غريبًا. ربما كان الشيء الأصح هو عدم المشاركة في صندوق العطاء المُخصَّص لهذا الأسبوع للفقراء! عدم إعطاء العشور في هذا اليوم من شأنه أن يضع هذه المرأة في موقف حساس حيث سيفكِّر قائدها والأشخاص الآخرون أنها ليست سخية، أو أنها ليست تشعر بالمسؤولية تجاه المحتاجين، أو أنها لا تحب الله بما فيه الكفاية. ولكن في الحقيقة، في هذه الحالة بالذات، كانت الأولوية عندها طاعة الله بكل قلبها، وبكل قوتها، لَمَا شاركت بمالها في صندوق العشور. لماذا؟ لأن طاعة الله هو اهتمامها، وليس صورتها أمام قائد المجموعة والباقين.

كانت ستقول في قلبها:

"الله: أنت تُحبني، وحبك هو كفايتي.

إذا ظن الآخرون أنني لستُ كريمة،

فإن رأيهم لا يهمَّني، وهو أقل قيمة من رأيك.

رأيك فيَّ هو الراحة التي تملأ قلبي، وليس رأي قائد مجموعتي".

دعني أُعطيك مثالاً آخر: تخيَّل شابًا جامعيًا كل همّهُ في الحياة هو أن يخرج كل يوم جمعة في عطلة الأسبوع، بهدف أن يقضي وقتًا مع فتاة جديدة. لماذا يفعل هذا؟ ربما لا يكون هدفه هو أن يقضي ليلة جامحة، بل يفعل ذلك لأنه يريد أن يكون أكثر شاب مشهور وناجح بين أصدقائه، ومن وجهة نظره البسيطة، فهذا هو ما سيجعلَهُ مشهورًا. إنه يريد أن يحصل على وسام "خاطف قلوب الفتيات" حتى يتباهى بأعماله أمام الجميع.

تخيَّل أن هذا الشاب في يومٍ ما جاء إلى المسيح وابتدأت حياته تمُّر بسلسلة من التغيُّرات الجذرية. فقد ترك حياة اللهو، وابتدأ يذهب إلى الكنيسة، وانغمس في العمل الكرازي، وأصبح يخدم المسيح بكل حماسة.

وتَمُّر السنون ويتحوَّل هذا الشاب إلى خادم مُرسَلي ناجح. فقد جاء الكثير إلى المسيح من خلال خدمته، وكان ناجحًا جدًا لدرجة أنه أصبح يجول العالم كله ليُشارك اختباره في مؤتمرات متنوعة عن كيف قَبِلَ المسيح كمُخلِّص شخصي لحياته. لم يشك فيه أحدٌ أبدًا، فالجميع كانوا مقتنعين بأنه شخص مختلف الآن.

ومع ذلك، هل تغيَّر عن حق؟ الإجابة تبدو واضحة. بالطبع لقد تغيَّر! ولكن دعني أستوقفك بسؤالٍ هام هو: لماذا اِنطلَق في الخدمة بهذه الصورة؟ فإن الطريقة الوحيدة لمعرفة إذا كان قد تغيَّر بالفعل، هي طرح السؤال: "لماذا؟". لماذا ترك هذا الشاب كل شيء (بما في ذلك الجنس ومغامراته الأسبوعية) حتى يصبح خادمًا للكلمة؟

عزيزي القارئ .. كما سترى في الصفحات التالية، فإن **الكتاب المقدس يتحدَّانا أن لا ننخدع بالتغيير المُزيَّف والسطحي، بل أن نختبر عن حق تجديد القلب**. «أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (١صموئيل ١٦: ٧؛ لوقا ١٦: ١٥). فأبسط طريقة نفحص بها قلوبنا هي أن نسأل أنفسنا هذا السؤال: "لماذا"؟ لماذا هذا الشاب يريد أن يصبح خادمًا للرب؟

إذا تكلَّمنا بالمَنطق، فيوجد إجابات ليست لها نهاية، ولكن دعني أختار واحدة منها: قبل أن يصبح هذا الشاب مسيحيًا، كان كل همُّه أن يتعرَّف على فتيات جديدة. "**لماذا؟!**". كما ذكرنا من قبل، فهو ربما يريد أن يصبح مشهورًا بين أصدقائه، وناجحًا في ما يعمل. ولكن حينما تقابل هذا الشاب مع المسيح، أصبح كل انشغاله هو أن يُبشر العالم أجمع بما

فعلـه المـسيح في حياتـه. فهـو ربمـا يريـد أن يكـون خادمًـا مـشهورًا وناجحًـا فيمـا يعمـل. أ تلاحظ قصد هذا الشاب؟

قبل أن يتقابل مع المسيح كان يرغب هذا الشاب أن يحظى بشعبية عن طريق "قهر" الفتيات. أما الآن فربما يريد أن يحظى بشعبية من خلال "قهر" الناس، وربح النفوس إلى الله. لقد تغيَّر سلوكه، لكن السؤال الهام: هل تغيَّرت رغباته؟ هل تغيَّر قلبه؟

مـن الأمثلـة الـتي أُحـب أن اسـتخدمها لتوضـيح ديناميكيـة التغيـير، هي صـورة الجبـل الجليدي. فجبل الجليد يتكوَّن من جزئين؛ واحد خارجي يمكن رؤيته (يُحدِّد أفعالنا)، والآخر داخلي تحت الماء ولا يمكن رؤيته (يُحدِّد دوافعنا وأعمق رغباتنا).

كما رأينا في صموئيل الأول، **عندما ينظر الله إلى البشر، فهو لا ينظر إلى الأفعال والسلوك، بل يفحص "دوافعنا".**

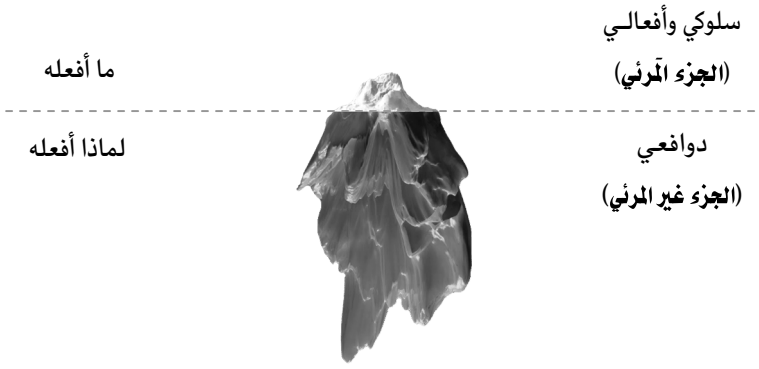

"**لماذا؟**". هذا هو السؤال المحوري. لماذا أدفع عشوري؟ لماذا أقرأ الكتاب المقدس؟ لماذا أخدم في الكنيسة؟ لماذا أتشاجر مع زوجتي؟ لماذا أُريد أن أُغير مجال عملي؟ لماذا أريد أن أتغيَّر؟

في الموعظة على الجبل يتحدَّى الرب يسوع تلاميذه، ويأمرهم بالتأمل في هذه الحقيقة:

إذا تأملـت بدقـة إنجيـل مـتى ٦: ١- ١٨، وسـنتأمل أكـثر سـويًا في نهايـة هـذا الفـصل، سـتلاحظ أن الموضـوع الأسـاسي لهـذا الجـزء، لـيس "العطـاء" كما يبـدو في ٦: ٢- ٤، ولا هـو الصلاة (٦: ٥- ١٥)، ولا هو الصوم (٦: ١٥- ١٨)، ولكن الموضوع الأساسي في الثلاث فقرات،

يتلخص في الآية الأولى من بداية الأصحاح «احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدَّام الناس لكي ينظروكم، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات».

لا يتكلَّم الرب يسوع عن أهمية العطاء، بل يناشد الرب سامعيه أن يفحصوا دوافعهم التي تجعلهم يعطون. الرب لا يركز على تحدِّيهم للصلاة، بل يدعوهم إلى فحص رغباتهم التي تدفعهم إلى الصلاة. الرب لا يُمحور حديثه حول أهمية الصوم، بل يدعوهم إلى التأمل في سؤال أهم: "**لماذا أصوم؟**". أدعوك أن تقرأ النص مرة أخرى، وسترى القصد من وراء هذه الفقرة.

"**لماذا؟**". هذا هو السؤال المحوري الذي يدفعنا إلى الكشف عن واقعنا الداخلي، وهو على وجه التحديد، الموضوع الرئيسي الذي يُناقشه المسيح في هذا الجزء من إنجيل متى. نكتشف من خلال هذا الجزء أن الإنسان يمكن أن يفعل أشياء "روحية" كثيرة دون أن يكون حقًا مملوءًا بالروح، كما حدث مع المرأة عند مرور صندوق العطاء، أو المبشر الناجح - في الأمثلة أعلاه. فإن الآب يرى ويُقَيِّم، ليس ما نفعله خارجيًا، ولكن دوافعنا وراء ما نفعله. وهذا هو ما يُحفزنا داخليًا على القيام بالأشياء الجيدة التي نقوم بها - كما كتب "مارتن لويد جونز":

> "أكبر مُغالَطة نقع فيها، هي التفكير في الخطية بأنها أفعالنا فقط. وإذا استمر تفكيرنا أن الخطية تقتصر على أفعالنا فقط، فلن نفهم معناها أبدًا. **محور تعليم الكتاب المقدس عن الخطية، هو أنها في الأساس تصرُّف نابع من القلب**".

في أغلب الأحيان نميل إلى التفكير في الخطية في أدنى مظاهر الحياة. نرى سكيرًا ونقول: هذه خطية. ولكن هذا ليس جوهر الخطية.

لنُشكِّل فكرة صحيحة ودقيقة عن ذلك:

تخيَّل معي قديسًا عظيمًا، رجلاً مُكرَّسًا في إخلاصه وتفانيه لله. تخيَّلهُ راكعًا على ركبتيهِ ويُصلِّي في محضر الله. كما ذكر يسوع في متى ٦: ٥ أنه حتى في هذه الظروف قد تُحاوطه "الأنا"، ويميل إلى التفكير في نفسه، وعبادة نفسه بدلاً من الله. هذه – وليس فقط، صديقنا السكران - هي الصورة الحقيقية للخطية.

فحص دوافعنا هو أمر أساسي
لأنه يساعدنا على كشف ما يُحبه القلب حقًا.

إذا فكَّرت في الأمر للحظة، في هذه الفقرة من إنجيل متى، نجد أنه من الممكن إطاعة الوصايا مثل: العطاء، والصلاة، والصوم، دون طاعة الوصية العُظمى: أن «تحب الرب إلهك من كل قلبك». إذا قرَّر أحد أن يصوم حتى يراه الآخرون، فما يُحبه حقًا هو أن ينال المدح من الآخرين، فهو يحب نفسه لأنه ينتظر المدح.

من الناحية الأخرى؛ أمَّا إذا صام أحد ليتمكَّن من تخصيص وقت مُعيَّن ومقدَّس ليكون في محضر الله، فإن ما يُحبه حقًا هو الاستمتاع بمحضر الله. وبهذه الطريقة، يمكن طرح سؤال بديل أو إضافي بالإضافة إلى "**لماذا؟**". "**مَنْ أو ما الذي أحبه وراء أفعالي؟**".

كما سنرى لاحقًا في سياق متى ٦ أن **القيام بعملٍ ما بملء الروح القدس؛ هو الاستمتاع بالآب عن حق**. وعلى العكس، إذا كان الهدف الأساسي هو الاستمتاع بالتظاهر أمام الناس، فالدافع الحقيقي هو أني مليء بالخطية.

من خلال هذا الجزء، يسمح لنا يسوع بالدخول إلى واحدة من أعظم مُعضلات البشر، وهي البحث عن الهوية من خلال الشعور بالقبول من الآخرين. كما ذكر بول تريب:

> "يقضي الإنسان عمره في رحلة بحث عن هَويَّته. ولكن في الحقيقة يوجد مكانان فقط يمكن البحث بهما:
>
> **إما** أن تبحث عن هويَّتك بشكل عمودي، فتستمد قيمتك الحقيقية من عمل المسيح الكفاري لأجلك على الصليب،
>
> **أو** تذهب تبحث عنها بشكل أفقي في مواقف أو تجارب أو علاقات حياتك اليومية.
>
> **لا يوجد مكان آخر** للبحث عن الهويَّة. لكنني مقتنع بأن البحث على الهَويَّة أفقيًا، هو إغراء وفخ خاص لأولئك الذين هم في مجال الخدمة".

هل تتذكَّر الشاب المُرسَل الذي ذكرنا قصته في بداية الفصل؟

يا تُرى هل تُفكِّر أني أُبالغ في القصة، أم أنه مجرَّد مثال للتوضيح؟

حسنًا، فكِّر معي جيدًا في أحد عشر شخصًا من أكثر الناس تكريسًا في تاريخ الأرض؛ تلاميذ يسوع، لقد تركوا كل شيء ليتبعوه! بالتأكيد كانوا مختلفين عن الباقين، ولكن هل قدَّمتهم الأناجيل الأربعة هكذا؟

منذ دعوة كل واحد منهم من البداية، حتى ساعات الرب يسوع الأخيرة قبل أن يموت، يُظهِر لنا الكتاب أن التلاميذ أنفسهم لم يُستَثنوا من هذا الاتجاه، بل بالعكس. بعد أن أعلن يسوع أنه مُزمع أن يموت، بدأ التلاميذ يتشاجرون لمعرفة مَنْ هو الأعظم (لوقا ٢٢: ٢٤- ٢٧؛ مرقس ١٠: ٣٥- ٤٥).

تأمل معي للحظة في مشهد تشاجُرهم (شيء خارجي) حيث يكشف عن حقيقة قلوبهم ودوافعهم (شيء داخلي) لأنهم يبحثون عن التقدير والسلطة والمجد والمكانة، لكن لا يبحثون عن المعنى الحقيقي الموجود في القيمة والهوية بالطريقة الصحيحة. "نجحت أن أكون الأول بينهم، لذا أنا لديَّ قيمة".

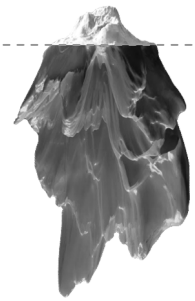

حينما أفحص قلبي، أجد أنني لست مختلفًا عن التلاميذ. بما أن "عملي" يتمركز في مجال الخدمة لأني خادم متفرغ، أستطيع أن أشعر بحجم المُعاناة - كما كتب "تيم كيلر" ببراعة:

لماذا يُكرِّس البعض أنفسهم للخدمة؟ هل لأهداف صالحة ونبيلة؟ كلا. قد قرأت منذ عدة سنوات هذه المَقولة لتشارلس سبرجن في كتاب لتلاميذ كانوا يحضرون

للخدمة: "**لا تكرز بالإنجيل بهدف تخليص روحك**". كنت في العشرين من عمري في ذلك الوقت وأتذكَّر أنني كنت أُفكِّر: "مَنْ هو الشخص الساذج الذي يدَّعي أنه سيُخلِّص نفسه من خلال الكرازة بإنجيل المسيح"؟

ولكن في الحقيقة أقول لكم بعد قضاء عدة سنوات في الخدمة، بدأت في التفكير: إذا كانت أحوال الكنيسة تسير على ما يرام، وإذا كانت الكنيسة تنمو، وإذا كانوا يحبون الاستماع لعظاتك - حينها ستشعر بالرضا. وإذا كانت الكنيسة لا تسير على ما يرام، والناس لا يُحبونك، ستشعر بالضيق والاضطراب. وهذا لأنك تعمل من الخارج للداخل. فكل التفكير يتمركز إذا قال لي أحد: "شكرًا لأن كلامك فرَق معي" حينها ستشعر أن الله يحبك، وأنك تحب نفسك. وسيختفي هذا الشعور بعدم الأهمية، ولكن اللا معنى لا يختفي.

هناك احتياج إلى النور

العمى.

ربما كانت هذه كلمة جيدة لوصف مدى معرفتنا لأنفسنا (متى ١٥: ١٤؛ أفسس ٤: ١٨) - لكن نحن نعتقد أن الأمر ليس كذلك. نحن نعتقد مثل التلاميذ، أننا نفهم بعضنا البعض، وأننا نعرف لماذا نتصرَّف كما نتصرَّف، وأننا نعرف قلبنا، وأننا نفعل ما نفعله بدافع الحب، لكن الكتاب المقدس يواجهنا باستمرار بالعكس.

أسهل شيء على الإنسان هو أن يعيش مخدوعًا (اقرأ: إرميا ١٧: ٩؛ ١يوحنا ١: ٨- ١٠)، لهذا نجد أن **الدور الرئيسي لعمل الروح القدس هو تسليط الضوء على حياتنا!** (يوحنا ١٦: ٧- ١٤؛ أفسس ١: ١٨، ١٩). لا أحد، ولا حتى الرجال والنساء الأتقياء مَعفيون من هذه المشكلة.

تأمل، على سبيل المثال، نجد أن أكبر لحظة رعب في حياة النبي إشعياء هي عندما تمكَّن من استيعاب المسافة بين واقع وجوده الداخلي المكسور، والقداسة المُذهلة لشخص الله، وعندها أعلن: «**ويلٌ لي!** إني هلكت ..» (إشعياء ٦: ٥). والشيء نفسه حدث مع بطرس في لوقا ٥: ٨ عندما قال: «أُخرج من سفينتي يا رب لأني رجلٌ خاطئ». وأيضًا بولس في رومية ٧: ٢٤ عندما قال: «**وَيحي أنا الإنسان الشقي!** من يُنقذني من جسد هذا الموت»؟ التجربة التي اجتازوا فيها جميعًا مُماثلة لتلك التي أطلَق عليها يسوع لمَن يعيش بعيدًا عنه: "الفقراء في الروح" (متى ٥: ٣).

هذا شخص قادر على رؤية نفسه كما هو. إنه شخص، من خلال فحص نفسه، يأتي لرؤية أعماق قلبه ولا يجد شيئًا يمكن أن يكون ذا قيمة معنوية أو روحية أمام الله، ولا حتى أعماله الجيدة!

في كلمات أخرى كما ذكر في إنجيل متى ٦، هو شخص يُدرك أنه لا في لحظاته الأعظم تكريسًا (الصوم)؛ ولا في أوقاته الأعظم قربًا من الله (الصلاة)، ولا في أفعاله الأكبر قيمة (إعطاء الفقراء)؛ هو مَعفي من هذا الميل الداخلي للعيش من أجل نفسه.

إن فحص دوافعنا ورغباتنا العميقة أمر ضروري لأنه يسمح لنا أن نراجع أنفسنا وأفكارنا - ربما الناتجة عن اللاوعي – والتي يفكر بها العديد من المسيحيين: "نحن أشخاص صالحون. يوجد الكثير من غير المؤمنين الحقيقيين يرتكبون خطايا عظيمة مثل الغش أو السرقة، لكن نحن لا نرتكبها. إنهم يحتاجون إلى الإنجيل، نحن لسنا كذلك".

ففحص قلوبنا المستمر يُتيح لنا النظر إلى الدوافع، حيث إن الأعمال الخارجية يمكن أن تختلف، ولكن الجوهر هو أن الدافع الداخلي الذي يقودنا إلى السرقة "خطيئة كبيرة" أو المُبالغة "خطيئة صغيرة" هو نفسه؛ التمركز وحب الذات.

إذن، ما هو التغيير السطحي؟

باختصار

التغيير السطحي هو تغيير يتغيَّر فيه سلوكي الخارجي دون تغيير أعمق رغبات قلبي.
إنه تغيير حيث أتوقف عن فعل أشياء سيئة، وأبدأ في فعل أشياء جيدة، لكني ما زلت (بوعي أو بغير وعي) أتمركز حول نفسي. مثل المرأة التي تدفع عشورها، مثل الشاب المُبشر الذي يتحدَّث مع الآخرين عن يسوع، أو مثل التلاميذ أنفسهم الذين تركوا كل شيء ليتبعوا يسوع.

يُلخص بولس ذلك ببراعة في أفسس ٢: ٣ «الذين نحن أيضًا جميعًا تصرَّفنا قبلا بينهم في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار». هل تلاحظ معي الفرق؟ بالنسبة للرسول؛ التغيُّر الحقيقي هو تغيير للرغبات. إنها مسألة تقييم ما إذا كانت أعمق عواطف ورغبات قلبنا قد تغيَّرت أم لا.

أهمية النظر إلى كل ما هو "تحت السطحي"

قبل أن ننتهي من هذا الفصل، أوَّد أن أعرض سببين لضرورة فحص قلوبنا:

أولاً: هناك احتمال كبير أننا لم نختبر المعنى الحقيقي للتغيير. في نهاية الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، يأمر بولس المؤمنين: «جرِّبوا أنفسكم: هل أنتم في الايمان؟ امتحنوا أنفسكم. أم لستم تعرفون أنفسكم، أن يسوع المسيح هو فيكم، إن لم تكونوا مرفوضين؟» (٢كورنثوس ١٣: ٥). أعلم أنها ليست حقيقة يتم تدريسها كثيرًا، أو أنها تحظى بشعبية كبيرة، ولكن إذا كان أمر قضاء الأبدية مع المسيح في سماه مشكوكًا فيه، فذلك يستحق التوقف والتفكير.

في ظل ما قاله يسوع عن أواخر الأيام ، قد ذكر حقيقة حزينة للغاية: في إنجيل متى ٧: ٢٢، ٢٣ يقول: «كثيرون [لاحظوا أنه لم يَقُل قليلون، ولكن كثيرون] سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب! أليس باسمك تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذٍ أُصرِّح لهم أني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم».

من المهم أن نلاحظ أنه في سياق هذه الآية، يتحدَّث يسوع عن الأنبياء - أي في وقتنا الحالي هم القادة المشهورون، أو القساوسة المشهورون، أو المُتحدثون المشهورون الذين نسمعهم عادةً في مؤتمرات كبيرة. في هذا الحديث الخيالي، يُخبر يسوع هؤلاء الرجال أن أولئك الذين يقومون بإرادة الآب فقط، هم الذين سيدخلون ملكوت السماوات.

إنه لأمر مُدهش للغاية أن نلاحظ أن استجابة هؤلاء القادة هي الاستجابة التي سبق ذكرها. يزعَمون أنهم قد فعلوا إرادة الآب من خلال الاستشهاد بالخدمات والعظات التي قاموا بها باسمهِ. يقولون إنهم تنبأوا باسمه، وطردوا شياطين باسمه، ومع ذلك، فإن إجابة يسوع كانت: «لم أعرفكم قط».

في الحقيقة، هو لا يُخبرهم بذلك فقط، ولكن يحكم أيضًا على تلك الأعمال التي تمت باسمهِ أنها "إثم".

اقرأ النص مرة أخرى، لأنه من المُحتمل أن يفاجئك ما جاء بعد ذلك. **يقول يسوع**، إنه من خلال خدمة الله كانوا يمارسون الإثم! ليس بفعلهم لخطايا أخرى أثناء قيامهم

بالخدمة، لكن قيامهم بالخدمة كفعل في حد ذاته بدوافع غير صحيحة، كان بمثابة الإثم! كان هناك شيء، ليس فيما فعلوه، لكن في الطريقة التي فعلوه بها (في قلوبهم) التي تسبَّبت في حكم يسوع، ووصْفهم بأنهم غير مؤمنين.

حدث شيء مُشابه لِما حدث للمبشر الشاب في بداية الفصل. ماذا كان هذا الشيء؟ النص واضح: لم يعرفوا يسوع! كانوا مقتنعين بأنهم مؤمنون، ولكن في الواقع لم يكونوا كذلك.

قال يسوع بوضوح: إن "الكثيرين" سيواجهون هذه المشكلة. هذه الكلمة "كثيرين" تكسر قلبي، وتولّد عبئًا كبيرًا. خاصةً لأنه لا يتحدَّث عن المُلحدين أو أتباع ديانة أخرى؛ ولكن يُشير يسوع إلى الأشخاص الذين يَدَّعون أنهم مسيحيون، والذين يقتنعون بأنهم مؤمنون حقيقيون، لكنهم في الواقع ليسوا كذلك. أُناس قد كرَّسوا أنفسهم بالفعل للعمل المُرسَلي!

علينا أن ندرك حجم التحذير: يمكنني أن أكون واحدًا من هؤلاء الناس! إذا لاحظت سياق ما ذكره يسوع، ستلاحظ أن هناك الكثير من عناصر المفاجأة! فإن ردّ هؤلاء الرجال كان: "يا رب، كنا نظن أننا نفعل إرادتك. كيف يمكن أن تتركنا الآن؟" "مَن هم هؤلاء الكثيرون؟" على حد تعبير الرب، إنهم أُناس "يتظاهرون كالخراف، لكن بداخلهم ذئاب مفترسة" (متى ٧: ١٥). دعونا نفهم مرةً أخرى سياق المقطع.

لا يتحدَّث يسوع عن الأنبياء الكذبة الذين تتمثل مشكلتهم الرئيسية في مشكلة عقائدية (كما يتحدَّث بولس، على سبيل المثال، في غلاطية ١: ٦- ٩)، بل يتحدَّث يسوع عن أنبياء كذبة بمعنى أنهم من الخارج يَبدون مقدَّسين للغاية، ولديهم خدمة محترمة للغاية، لكن من الداخل لا يعيشون تعاليم الموعظة على الجبل (أي أنهم واعين بفقرهم الروحي، وحاجتهم إلى المسيح ليُغنيها).

إن "الكثيرين" الذين يُشير إليهم يسوع قد يكونوا قادة مسيحيون محترمون، ناجحون في خدمتهم، لكنهم لا يُدركون أن ليس لديهم معرفة حقيقية بيسوع كمُخلِّص شخصي لحياتهم. من المنطقي أنهم يعرفون مَن هو، فهم يفهمون اللاهوت، وقد علَّموا الآخرين، وفعلوا المعجزات باسمهِ. المسألة ليست عقائدية، بل إنهم لا يعرفونه بالمعنى الحميم للكلمة. إذا كانوا يرغبون في الخدمة في حد ذاتها، فهم لا يعرفون كيف يستمتعون بيسوع،

بـل يـستمتعون بمزايـا الخدمـة؛ لا توجـد شركـة حيـة وحقيقيـة وثيقـة مـع المـسيح. لهـذا السبب يقول: «لم أعرفكم قط». كما قال هنري نووين: "هذا يجعلني أُدرك أن أساس كل خدمة صحيحة لا يعتمد على الحياة الأخلاقية، ولكن على الحياة الروحية.

المسألة ليست أن نعيش بأفضل ما نستطيع،

بل أن ندَع حياتنا تجد مصدرها في الإله (أي في شخص المسيح).

كما سـنرى في جميـع أجـزاء هـذا الكتـاب، المـؤمن الحقـيقي لـيس هـو الـشخص الـذي يتوقـف عـن الخطية، ويسعى إلى الطاعـة (حتى لـو كان المؤمن الحقـيقي يطيـع بالفعـل)، في الواقع، إنه العكس تمامًا!

المؤمن الحقيقي هـو الشخص الذي أصبح يدرك أكثر فأكثر عمق خطيته، لكنه أصبح يدرك أكثر فأكثر صلاح يسوع الذي لا يُصدَّق، والذي يُحبه رغم خطيته.

المؤمن الحقيقي هـو الشخص الذي ينظر إلى رغبات قلبه، ويشعر - كما شعر التلاميذ، مشاعر مليئة بدوافع مختلطة - ولكن في الوقت نفسه، يجد يقينًا أن يسوع كان على استعداد للموت من أجله.

المؤمن الحقيقي هـو الشخص الذي - على النقيض من قلة المعرفة الذاتية التي أظهرها الأنبيـاء الكذبـة (إنجيـل متى ٧) - يـدرك جيـدًا أشـواقه الخفيـة، ولكـن فـوق كل شيء، يدرك أيضًا أنه «حيثُ كثرت الخطية، ازدادت النعمة جدًا».

المؤمن الحقيقي هـو الشخص الذي لا يجد الأمان والراحة في أعماله (أو في خدمته) ليكون مقبـولاً مـن الله؛ لكنه يقـع في حـب المسيح المُذهِل، والـذي يقبله رغـم سـقوطه في أعمال أو خدمة سيئة.

هذه الحقيقة المزدوجة، من ناحية، تجعل المؤمن الحقيقي شخصًا متواضعًا،
ومن ناحية أخرى، تسمح له بتقدير المسيح، وإدراك نعمته وعمله بشكل أكبر.

أخيرًا: تُشكِّل دوافع القلب ورغباته أهمية قصوى، لأنه وفقًا للكتاب المقدس، سيُحاسَب كل مؤمن أمام كرسي المسيح حسب ما نفهم من ١كورنثوس ٣: ١٠- ١٥. يذكر بولس أنه يجب على الجميع أن يكونوا حريصين كيف يُساهموا في الكنيسة؛ بمعنى كيف يخدمون الله.

لاحظ مرةً أخرى، أنه **لا يُشير إلى الخدمة نفسها، ولكن إلى الطريقة التي تتم بها هذه الخدمة**. في العدد ١٣، يؤكد الرسول أن ما يُحدِّد قبول أعمالنا أمام كرسي المسيح هو "جودة العمل"، وليس العمل نفسه. (إذا لاحظت ما ذكره، فهو يقصد الحكم لتحديد مكافأة كل مؤمن، وليس لتحديد خلاصه، حيث يقول المقطَع نفسه إنه من خلال المسيح فقط)، وهذا يعني أن **الله لن يحكم على العمل الذي قام به الشخص، ولكن الدافع الذي كان وراء الفعل.**

يقول النص: "عمل كل واحد سوف يصبح واضحًا" - حيث سوف يعلن أي نوع من العمل كان. ستُصنَّف الأعمال تحت: "الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة" (أي، إذا كانت مصنوعة بدافع صحيح)، أو ستُصنَّف الأعمال تحت "الخشب والقش" التي، عندما يتم اختبارها بالنار، تختفي ويظهر أنها لم تكن حقيقية (أي، بدافع متمركز حول الذات، مثل الشاب المبشر).

لماذا أُفسر المقطع بهذه الطريقة؟ لأن بولس نفسه فعل ذلك! بعد بضع آيات في ١كورنثوس ٤: ٥، يوضح الرسول نفسه هذا : «إذًا لا تحكموا في شيء قبل الوقت، حتى يأتي الرب الذي سيُنير خفايا الظلام، ويُظهِر آراء القلوب، وحينئذٍ يكون المدح لكل واحدٍ من الله». هل تُدرك أهمية هذه الحقيقة؟

في نهاية الوقت،
سوف يفعل الرب الشيء نفسه الذي كان يفعله منذ بداية الوقت،
فهو لا ينظر إلى المظهَر الخارجي،
ولكن إلى "التغييرات العميقة للقلب" –
«لأنه ليس كما ينظر الإنسان.
لأن الإنسان ينظر إلى العينين،
وأمَّا الرب فإنه ينظر إلى القلب» (١صموئيل ١٦: ٧).

ꕥ ꕥ ꕥ

ملخص موجز



مفتاح التغيير:

لتجنُّب التغيير السطحي، أحتاج إلى التفكير: ما هي أعمق رغبات قلبي؟ (متى ٦: ١).

- سؤال يمكن أن يساعدني: لماذا أفعل ما أفعله؟
- سؤال آخر يمكن أن يساعدني: ما الذي أحب فعله حقًا؟

الطاعة السطحية: يحدث التغيير السطحي عندما أُغير (بوعي أو بغير وعي) سلوكي من أجل أن أجد قيمة لنفسي - أي أُغير أفعالي الخارجية، لكن لا أُغير أعمق رغبات قلبي (متى ١٥: ٨).

التغيُّر الحقيقي: المؤمن الحقيقي هو الشخص الذي يعترف بعُمق خطيته، ولكنه يُدرك أيضًا صلاح الله الذي لا يُصدَّق، ومحبة المسيح وغفرانه على الرغم من طبيعته الساقطة. بالنسبة له، حقيقة الإنجيل ليست مجرَّد اعتقاد، ولكنها حقيقة تأسره. وهذا الشيء يُغيره شيئًا فشيئًا (١يوحنا ٤: ٩، ١٠).

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

قد تشعر أنه من الطبيعي أن تتجاوز هذا القسم الأخير دون أن تقرأه. أرجوك ألاَّ تفعل ذلك! لا تتجاهل ما قد يقودك إليه الروح القدس من خلال هذا الفصل، تمهَّل. خُذ بعض الوقت للتفكير في هذه الأسئلة، ومناقشتها مع أشخاص آخرين.

- كيف غيَّر هذا الفصل مفهومك عن التغيير، أو أكد كيف تفهم حدوث التغيير؟
- لخص في جملة أو جملتين أكثر المفاهيم التي أثَّرت على تفكيرك من خلال هذا الفصل.
- اِقرأ إنجيل متى ٦: ١- ١٨ بعناية. لاحظ أن الآية ١ هي مُلخص لهذا الجزء بالكامل، وأن المقطع يتبع نمطًا واضحًا يمكن تلخيصه على النحو التالي:

عدد ٢، ٥، ١٦	«فمتى صنعت صدقة (الصوم والصلاة ...)»	**الفعل**
عدد ٢، ٥، ١٦	«فلا تُصوِّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون ..»	**تشبيه**
عدد ٢، ٥، ١٦	«لكي يُمجدوا من الناس...»	**دافع**
عدد ٢، ٥، ١٦	«إنهم قد استوفوا أجرهم...»	**مكافأة**
٣، ٥، ١٧	"لكن أنت ... "	**على العكس**
عدد ٣، ٧، ١٧	«وأما أنت فمتى صنعت صدقة ...»	**الفعل**
عدد ٣، ٧، ١٧	«فلا تُعرِّف شمالك ما تفعل يمينك ...»	**تشبيه**
عدد ٤، ٦، ١٨	«فأبوك الذي يرى في الخفاء...»	**دافع**
عدد ٤، ٦، ١٨	«هو يُجازيك علانيةً»	**مكافأة**

اقرأ إنجيل متى ٦: ١- ١٨ بالتفصيل، **ثم أجب**: ما هو أهم شيء بالنسبة لله في هذه الفقرة؟ ولماذا؟

- اشرح بكلماتك ما هو التغيير السطحي؟ وما هو التغيير الحقيقي؟
- في دراسة لإنجيل متى ٧، رأينا أن هناك أشخاصًا يعتقدون أنهم مؤمنون، لكنهم ليسوا كذلك. كيف يحدث هذا؟ صِف كيف يكون المؤمن الحقيقي؟

الفصل الثاني

كيف يعمل القلب؟

ما هو القلب؟

لماذا يتصرَّف الإنسان كما يتصرَّف؟ لماذا يُزوِّر الرجل عند تقديمه لإقراره الضريبي؟ لماذا تختار المرأة أن ترتدي فستانًا مُثيرًا بعض الشيء في وظيفتها، مع العلم أنها ليس لديها أية نيَّة أن تخون زوجها؟ لماذا يبتدئ الشاب شرب الخمر أو التدخين، مع أنه في الحقيقة لا يجد متعة في ذلك؟ لماذا يخدع الموظف مديره بتقديم معلومات مُشوَّهة عن زملائه في الشغل؟ لماذا يتصرَّف الإنسان كما يتصرَّف؟

إن الإجابة على جميع هذه الأسئلة هي واحدة: لأن تصرفاتنا الخارجية نابعة من أعمق رغباتنا الداخلية. هذا المكان الذي تخرج منه دوافعنا، هو "القلب".

حتى نفهم بوضوح ما هو القلب، من الضروري أن نتأمل في كيف يَصف الكتاب المقدس طبيعة الإنسان. فالكتاب المقدس يَقسم الانسان حين يوصفه إلى جزئين:

الجزء الخارجي، وهو كل ما يتعلَّق بالجسد البشري، وجزء داخلي وهو القلب (أفسس ٣: ١٦). وبينما يَصف الكتاب المقدس "الجزء الداخلي" للإنسان مُستخدِمًا كلمات عديدة مثل: الروح، والنفس، والكائن الداخلي، والعقل، والأحشاء، نجد أن المُصطلح الذي يستخدمه الكتاب في كثير من الأحيان لوصف ذلك هو: القلب. لهذا السبب، منذ الآن، حين تقرأ كلمة "نجد أن القلب" في هذا الكتاب أو في الكتاب المقدس، أدعوك ألاَّ تربطه بالمشاعر والعواطف فقط.

يُحدِّثنا الكتاب المقدس عند استخدامه لكلمة "القلب" بجوانب أكثر بكثير ممَّا نظن: فالقلب لا يشعر ويعيش تجارب فقط أعمال ٢: ٣٧، بل القلب يُفكِّر متى ٩: ٤؛ مرقس ٢: ٨؛ رومية ١: ٢١.

القلب هو الكائن الداخلي الذي لديه القدرة على تمييز وتقدير الحقائق الروحية (متى ١٣: ١٥؛ أفسس ١: ١٨، ١٩). القلب يحفظ في داخله الكنوز – الأشياء التي نُحبها ونبتغيها (متى ١٢: ٣٤). القلب لديه المقدرة أن يزني (متى ٥: ٢٨)، وأن يتخذ قرارات (أمثال ١٦: ١). القلب يعرف كيف يضع ثقته في الله، أو في فطنة الإنسان لاختيار ما هو صالح (أمثال ٣: ٥؛ متى ٢٤: ٤٨).

يقول الرب: «تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ». هل تستطيع أن ترى أن القلب هو أكثر بكثير من مكان يحفظ المشاعر؟

يقول الكتاب المقدس: إن في القلب لا تَكمُن فقط المشاعر، بل أيضًا الأفكار والقرارات. **القلب هو مركز القيادة،** منه نُحدِّد أهدافنا وأولوياتنا (كما رأينا، يدفعني للقول: سأُشارك بالمال عندما يمر صندوق العطاء حتى لا يُفكِّر الناس إني لا أحب الله).

القلب يُحدِّد أهدافنا في الحياة (كما رأينا يدفعني للقول: سأُشارك الإنجيل حتى يراني الناس مبشرًا ناجحًا).

القلب هو المكان الذي تكتمل فيه كلمة: "أريد". أُريد أن أحظى بسُمعة لطيفة، لهذا سأُعطي العشور وأُبشر. أُريد ان أشعر بالحب، لهذا لديَّ الاستعداد أن أرتبط بشريك حياة ليس مؤمنًا حقيقيًا. أُريد أن أستريح قليلاً، لهذا أغضب عندما يبكي الأطفال في وقت مشاهدتي للتلفاز. أُريد أن أجد المعنى لحياتي، لهذا أشتغل عدد ساعات كثيرة. أُريد أن أجد المُتعة، لهذا أتشاجر مع زوجتي حينما تكون مشغولة عني. أُريد الحرية، لهذا لا أبحث عن أي التزام عاطفي. أُريد حياة هادئة لهذا لا أشارك في أية مسؤولية في الكنيسة. أُريد حياة مريحة ماديًا لهذا أدخر مالي ولا أُريد أن أكون كريمًا. أُريد أن أحظى بالاحترام والإعجاب، لهذا أشتري ملابس غالية وماركات معروفة. أُريد النجاح، لهذا أُحب الكمال والشعور بالسيطرة. أُريد علاقات حقيقية، لهذا أُصاب بالاكتئاب عندما لا يستمع لي أحد. في القلب نجد الإجابة الحقيقية لهذا السؤال: ما هو الذي أُريده حقًا؟

في كلمة قصيرة: القلب هو المكان الذي يوجد فيه ما أُحبه حقًا.

فكّر معي في المَثل الآتي: تخيَّل رجلاً يعشق لعبة كرة القدم. لنفترض أن هذا الرجل يعمل في شركة، وعليه أن يبدأ عمله في صباح يوم الاثنين الباكر، مع العِلم أن كأس العالم قد ابتداء، ومع ذلك، لأن كأس العالم يُقَام في قارة أخرى فيوجد فرق توقيت لميعاد مُباراة فريقه المُفضَّل حيث سيُذاع يوم الأحد في تمام الساعة الثانية عشر مساءً.

الرجل ليس فقط مُصمِّمًا على مشاهدة المباراة في ساعة متأخرة، لكنه قضى عدة أيام قبل المباراة في ترقُّب وقلق للحظة الحاسمة، على رغم من أن هذا الشاب لا يسهر أبدًا يوم الأحد، لكنه لا يقدر أن يُفوِّت المباراة التي ستجعله يسهر حتى الساعة الثانية صباحًا. فهو قد قرأ جميع المجلات الرياضية التي تتحدَّث عن فريقه المُفضَّل، وقضى وقتًا كثيرًا لتحليل الإحصائيات، وتكلَّم مع أصدقائه عن المباراة، وحلم كثيرًا عن نتيجة المباراة، وأوقف أي نشاط في حياته قبل ميعاد إذاعة المباراة حتى يجلس أمام شاشة التليفزيون الباهظة الثمن.

في بداية هذا الكتاب طرحت سؤالاً في غاية الأهمية، يجب على كل شخص أن يسأله لنفسه إذا أراد أن ينمو في حياته الروحية: "**لماذا؟**" لنسأل عن هذا الرجل: لماذا يفعل هذا الرجل ما يفعل؟ الإجابة بسيطة وواضحة: لأنه يستمتع بمشاهدة كرة القدم. لأنه يحب أن يشاهد فريقه المُفضَّل، لأن هذا يجلب له السعادة.

دعونا نفكر الآن أن هذا الرجل مسيحي. لنفترض أن راعي الكنيسة قرَّر أن يُقيم حلقة صلاة في يوم الأحد ذاته ليلاً، وعلى الأخص في الوقت ذاته الذي سيُذاع فيه المباراة. وقد دُعيَ هذا الرجل ليحضر حلقة الصلاة، ولكنه اعتذر بحجة أن لديه عمل في صباح اليوم التالي. ما الذي تكشفه لنا هذه القصة؟ تكشف لنا ما الذي يُحبه أكثر هذا الرجل. فهي ليست مسألة أنه يقدر أن يحضر أم لا، ولكنها مسألة إذا كان يريد أن يحضر عن حق أم لا، وإذا كان يحب شيئًا آخر أكثر من الصلاة.

لكن دعونا نفترض أن بعد إعلان راعي الكنيسة عن حلقة الصلاة، ذهب هذا القسيس إلى الشاب وهمَس في أُذنيهِ: "أُريدك أن تكون معي في هذه الأُمسية لأنك ذراعي اليمين، فالآخرون سيشاهدون المباراة، أما أنت فأُريدك معي".

وفي هذه المرة، وبسبب هذه الكلمات، قرَّر الشاب أن يحضر. ما الذي تكشفه هذه القصة؟! هل يحب هذا الرجل الصلاة؟ فمن الخارج يتضح نعم. بعد كل شيء قد ضحى بحلمه لمشاهدة المبارة حتى يحضر حلقة الصلاة، ولكن ما هو الذي يُحبه هذا الشاب عن حق؟ فحص هذا السؤال ليس أمرًا سهلاً، لأن ما يتضح لنا كتضحية من الخارج، ليس دائمًا كما يبدو من الداخل.

إذا تأملنا للحظة واحدة، سنلاحظ أن قبلاً كان هذا الرجل يُحب نفسه حيث قرَّر ألاَّ يحضر حلقة الصلاة، ولكن الآن فهو ما زال يحب نفسه، لهذا قرَّر أن يحضر الصلاة حتى ينال إعجاب راعي الكنيسة. **تصرفاته من الخارج قد تغيَّرت، ولكن قلبه ظل كما هو**. ظل يحب نفسه فقط. وهذا هو ما يحذرنا يسوع منه باستمرار : «يقترب إليَّ هذا الشعب بفمهِ، ويكرمني بشفتيه، وأمَّا قلبه فمُبتعد عني بعيدًا» (متى ١٥: ٨).

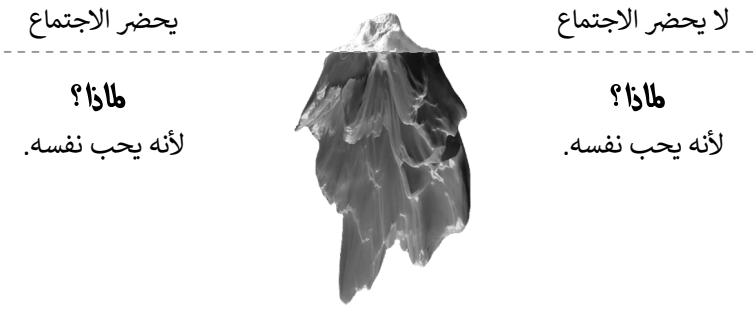

يُحدثنا الرب يسوع في إنجيل متى ٦: ٢١ «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا». ما الذي يقصده يسوع من هذه الآية؟ دعني أعيد صياغتها بشكل مختلف: أكبر مصدر لسعادتي (كنزي العظيم سيُحدِّد قراراتي وأحلامي وشغَفي في الحياة، ومشاعري ومسؤولياتي ومستوى تسليمي لهذا الشيء "سأُسلِّم قلبي لِما أُحبه عن حق"). بداخل القلب نجد ما نتطلَّع إليه عن حق - كنزنا الأكبر. فالقلب هو الجزء الخفي للجبل الثلجي.

لنتخيَّل أن القلب مثل الخزنة. عندما تفتح أية خزنة تجد فيها أغلى وأثمن الأشياء التي يمتلكها صاحبها. مثل الذهب والألماظ والمال. الشيء نفسه يحدث عندما نفحص قلوبنا. هناك فقط سنجد كل ما نعتقد أن له قيمة ونُحبه. يشجعنا الرب يسوع في متى ٦: ١ أن "نفحص" قلوبنا حتى نجد ما يكنزه القلب عن حق.

في حالة هذا الشاب، ما يكنزه حقًا هو كرة القدم. لكن بعد ما تكلَّم القسيس مع الشاب، نلاحظ أن كنزه قد تم استبداله بكنز أكبر وهو رغبته في إرضاء الآخرين حتى ينال إعجابهم. في هذه الحالة كبرياؤه (أن يراه راعي الكنيسة شخصًا روحيًا) أقوى من رغبته لمشاهدة مباراة كرة القدم، ولكن لا تغفل نقطة في غاية الأهمية. لاحظ أنه بوعي أو بغير وعي، كبرياؤه هو الذي يُحرّكهُ أن يحضر حلقة الصلاة، ورغبته في فعل شيئًا صالحًا. الدافع وراء عمل شيء صالح، ليس حُبه للمسيح، بل كبرياؤه وحُبه لنفسه.

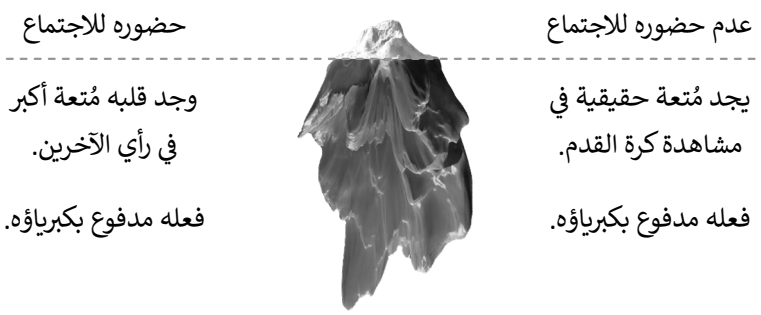

لماذا يهتم الله بالقلب؟

كما تلاحظ في المَثل الذي ناقشناه الآن، وفقًا للكتاب المقدس، **فإن القلب يُحدِّد كل ما يُحبه الإنسان**، ويجد مُتعةً فيه، وما يُسبِّب له كل فرحة وسرور حقيقيين. فيه تسكن جميع دوافعنا ورغباتنا التي تُحرِّكنا وتوجِّهنا. يولد فيه كل شيء، ويتدفق منه كل شيء. (أمثال ٤: ٢٣) يقول: «فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاة». وفقًا لِما يقوله الكتاب المقدس من خلال هذه الآية: **إن أكبر مُهمَّة كلفنا بها الله، هي أن نراقب ونحافظ على دوافع قلوبنا**.

السبب وراء هذا التحذير والتشجيع، هو حقيقة: أن ما يرغب فيه القلب، سيُحدِّد كل ما سيحدث في حياتنا فيما بعد. الآية واضحة: من القلب تتولَّد وتتدفق وتنشأ جميع قرارات وأفعال الحياة.

إذا كان القلب هو مصدر المشكلة، فإن وجود تغيير حقيقي ودائم يجب أن يتم في القلب باستمرار. لا يكفي تعديل سلوكي أو تغيير وضعي أو ظروف حياتي. المسيح يُغيِّر الناس من خلال تغيير جذري للقلب. إذا لم يتغيَّر القلب عن حق، فقد يتغيَّر أسلوب

الكلام أو السلوك بشكل مؤقت بسبب ضغط ما أو مؤثر خارج، لكن عند زوال هذا المؤثر الخارجي تختفي جميع هذه التغيرات السطحية. مثلما حدث مع الشاب الذي حضر حلقة الصلاة، لأن سلوكه لم يكن مدفوعًا بعمل الروح القدس الذي يُغيِّره إلى شخص شغوف بحضور الله.

نعم، ذهب ليُصلّي، ولكن هل هو الآن رجل صلاة؟ هل تَغيَّر قلبه حيث لا يذهب فقط إلى الكنيسة، بل أصبح لديه قناعة جديدة بمدى جمال التشفع للآخرين؟ هل هذا سيستمر لبقية الأسبوع؟ والشهر القادم؟ عندما لا يراه أحد؟ تلك الحقيقة هي التي لم يرَها الفريسيون، وقد أشار إليها يسوع في إنجيل متى ٢٣: ٢٥، ٢٦ «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً. أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّ الأَعْمَى! نَقِّ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا».

كما يُحدِّثنا الرسول بولس في ١كورنثوس ١٣: ١- ٣ أستطيع أن أتكلم بألسنة الناس والملائكة دون أن يكون لي محبة، أستطيع أن أتنبأ بدافع الحب الذاتي. أستطيع أن أعلَم جميع الأسرار، وكل تعليم، وأحظى بكل الإيمان الكافي حتى أنقل الجبال، ولكن دون الدوافع الصحيحة. أستطيع حتى أن أتبرع بالمال دون أن أكون كريمًا. أستطيع أن أُضحي بحياتي وأموت مدفوعًا بإيماني، ومع ذلك أفعل هذا حبًا لنفسي.

كما رأينا في متى ٦: ١ على الرغم من القيام بجميع الأشياء الصالحة مثل العطاء والصلاة والصوم، من السهل جدًا أن ننخدع في دوافع تلك الأفعال.

لهذا السبب يدعونا المسيح أن نركز على قلوبنا، لأن هذا هو ما سيُحدِّد إذا كنا قد اختبرنا بالفعل تغييرًا حقيقيًا من خلال حُبه، أم إذا كنا نَدَّعي بخلاصنا من الخارج.

في إنجيل لوقا ١٨: ١٨ – ٣٠ قام الرب يسوع بلقاء مُدهش مع شاب ثري. هذا الشاب كان مُعجَبًا جدًا بشخص المسيح، ومشدودًا له بقوة كما ذكر إنجيل مرقس ١٠: ١٧ «وجثا له ..». عندما اقترب الشاب إلى يسوع، سألَهُ الشاب عن ما يجب أن يفعله حتى ينال الحياة الأبدية. فجاوبه يسوع بما يبدو مُربِكًا بعض الشيء حيث قال له: "أنت تعرف الوصايا، اتبعها". قد تبدو إجابة يسوع مُناقضة لكل ما يُعلّمهُ لنا الكتاب إذا لم نفهم

قصده وراء تلك الإجابة. ولكن إجابة الشاب أيضًا مُثيرة للاهتمام، حيث اعترف أنه يطيع جميع الوصايا منذ حداثته.

من المُدهش أنه لم يَقُل أحد من الحاضرين إن هذا ليس صحيحًا. في الواقع حدث العكس. في نهاية القصة أجمع الحاضرون في عبارة تعني: "إذا لم يستطع هو أن يُخلِّصهُ، فمَن سيُخلِّصهُ إذًا ؟!". نصل إلى هدف هذه القصة ونقطة القمة عندما استمع يسوع إلى إجابة هذا الشاب، وكشف لنا عن دافعه الحقيقي: «يُعْوِزُكَ أَيْضًا شَيْءٌ: بعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي».

يقول لنا الكتاب إنه عندما استمع الشاب جواب يسوع اغتَّم كثيرًا لأنه لم يقدر على فعل ما طلبَهُ يسوع فتركَهُ ورَحَل. ما الذي حدث هنا؟ قد كشف لنا يسوع عن ما يُحبه هذا الشاب عن حق. قد اخترق يسوع أعماق قلبه. قد تعرَّى أمامنا الكنز الحقيقي الذي يُخبئه الشاب الغني: حُبه للمال.

ما هو التعليم الذي يريد يسوع أن يتركه معنا من خلال هذا المَثل؟

إن القلب لديهِ المقدرة على حب عدة أشياء في الوقت نفسه، ولكنه لديه مكان واحد فقط لكي يحب ويخبئ كنزه الأعظم. نعم قد أحب هذا الشاب الرب يسوع عن جد، ولكن عندما جاء الوقت ليتنافس يسوع والمال على مكانة الكنز الأعظم، نرى بكل وضوح ما أحبَّه الشاب أكثر من أي شيء. **قال لنا السيد** في انجيل متى ٦: ٢٤ «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ».

حدث مع الشاب الذي يحب كرة القدم شيء مُماثل للقصة التي ناقشناها الآن. في قلبه مقدرة أن يحب عدة أشياء في وقتٍ واحد: أن يشتري شاشة تليفزيون باهظة الثمن، ويتحدَّث مع أصدقائه عن كأس العالم، وأن يجهز بيته ليستضيف أصدقاءه لمشاهدة المباراة، حتى لديه المقدرة أن يذهب إلى حلقة الصلاة المُقامَة في الكنيسة إذا كانت في وقتٍ آخر غير ميعاد المباراة. لكن شيئًا واحدًا فقط يقدر أن يأخذ مكان حُبه لكرة القدم. والذي يؤكد أنه **من المستحيل أن نحب سيدين في الوقت نفسه**. يكشف لنا حديثه مع راعي الكنيسة أنه يحب سُمعته الحسنة أكثر من حبه لكرة القدم. لأنه لا يقدر أن يحب شيئين في الوقت نفسه، لذلك اختار ما يُحبه أكثر، وهو كبرياءَهُ.

ما هي أكبر مشكلة؟

في تحليل حياتنا الشخصية، والنظر فيما يتعيَّن علينا تغييره، من السهل جدًا أن نقع في تغيير كل ما هو سطحي: أُواجه صعوبة في السيطرة على غضبي. يُكلِّفني كثيرًا أن أُسامح مَن انتهك حقوقي. لا أقدر أن أدفع العشور بشكل منتظم. الذهاب إلى الكنيسة أمر ليس سهلاً عليَّ. أُفكِّر في الارتباط بشخص غير مؤمن حقيقي. جميع هذه الأشياء ذات أهمية قصوى، مع ذلك، في حرصنا على طاعة الله، وعدم ارتكاب أية خطية نقع دائمًا في خطر الطاعة الفورية، ولا نعطي أنفسنا الفرصة أن نفحص دوافع قلبنا السطحية التي تؤدي إلى هذا السلوك المندفع.

ما المقصود "بالطاعة الفورية"؟

المقصود منها هو اندفاعنا إلى تغيير سلوكنا الذي لا نريد أن نُغيِّرهُ دون أن نتوقف للتأمل في أهم سؤال ممكن أن يساعدنا على التغيير الحقيقي والدائم. "**لماذا**"؟ لماذا أُريد أن أُغيِّر سلوكي؟ لماذا أشعر بالإغراء للقيام بتلك الأشياء؟ ما الذي يستمتع به قلبي حتى يدفعني إلى التصرُّف بهذا الشكل؟

تزوج ناتاليا وروبرتو لعدة سنوات. منذ وقت مبكر من زواجهما، كان لديهما مناقشات وخلافات حادة حول كيفية استخدام المال. كانت ناتاليا شغوفة بشراء ملابس جديدة طوال الوقت حيث لا تُفوِّت أبدًا أية خصومات في محلاتها المُفضلة. وأكثر شيء تستمتع بعمله في وقت فراغها هو الذهاب إلى المحلات لدرجة أنها توقفت عن عدّ أحذيتها في الدولاب من كثرة عددها.

أما روبرتو فهو نقيضها. ليس أنه لا يحب أن يشتري ملابس جديدة، لكنه لا يحب أن ينفق أموالاً كثيرة. بالنسبة له أهم شيء هو الاستثمار وادخار الأموال. شغفه الوحيد هو مراقبة أسعار البورصة وشراء أسهم جديدة. أي مال يمتلكه، يستثمره على الفور في الأسهم في البورصة. فهو لا يقدر أن يستوعب كيف يمكن لناتاليا أن تكون مُبذرة على هذا النحو؟ أمَّا هي فتجد صعوبة في فهم كيف يمكن أن يكون هو بهذا البُخل؟ تقول دائمًا ناتاليا إنها تحب أن تكون جميلة من أجله. وهو يؤكد أن كل ما يفعله هو لصالح العائلة في المستقبل.

هل تريد أن تعرف ما هو الحل السطحي لهذه المشكلة؟ أن تنفق ناتاليا مالاً أقَل على ملابسها، ويُقلّل روبرتو من نسبة استثماره في البورصة. هكذا يكون الجميع سعداء ونضع حلاً للمشكلة. إذا حدث هذا، فلن يتغيَّر أحد فيهم.

لو كان يسوع هو المستشار الزوجي لهذه العائلة، لفعل ما فعله مع الشاب الغني. لم ينظر إلى ما هو على السطح، لكنه أشار إلى القلب. على عكس الشاب الثري. مشكلة ناتاليا وروبرتو، ليس المال. فالمال هو عَرَض لشيء أعمق. ناتاليا دائمًا تتفحص جميع مجلات الموضة، وروبرتو في حالة ترقب دائم لتطوُّر سوق البورصة. تشتري ناتاليا كريمات البشرة المضادة للشيخوخة، أما روبرتو يُعيِّن مستشارًا ماليًا جديدًا له. تُنفق ناتاليا أموال باهظة لتصفيف شعرها، أمَّا روبرتو فيبحث عن تأمين على الحياة أعلى.

ما هو يا ترى الدافع وراء كل هذا؟

جميع قرارت ناتاليا تأتي بوعي أو من عقلها الباطن؛ من مصدر واحد وهو رغبتها أن تكون جميلة. والشي نفسه يحدث مع روبرتو، ولكن شغفه هو أن يحظى على أكبر قيمة من المدخرات.

السؤال الذي كلاهما يجب أن يُجيب عليه هو: لماذا؟ لماذا ترغب ناتاليا أن تكون في غاية الجمال؟ لماذا يرغب روبرتو أن يحظي على جميع هذه المدخرات؟ إذا نظر كلاهما إلى قلبه، لاستطاع أن يكتشف أعمق رغبات قلبيهما. هذه الرغبة هي التي تُحرّك ناتاليا وروبرتو لاستخدام المال بالشكل الذي يقومان به. هي تريد أن تُنفق بتبذير، وهو يريد أن يدَّخر بشكل مُبَالغ فيه.

إذا نظرنا إلى المشكلة بشكل سطحي سنجد أنها مسألة إنفاق المال ضد إدخار المال. لكن إذا نظرنا إلى ما هو تحت السطح، سنكتشف أن كليهما يحب المال. نعم، كلاهما: ناتاليا تحب أن تُنفقه، وروبرتو يحب أن يَدَّخرهُ. لكن إذا نظرنا بتمعُّن أكثر، وبنظرة أعمق من هذه، سنجد المشكلة الحقيقية.

لماذا تُحب ناتاليا المال؟ لأنها تريد أن يراها الآخرون جميلة. فهي تحب رأي الآخرين.

لماذا يحب روبرتو المال؟ لأنه يريد أن يحظى بمصادر مالية في المستقبل. فهو يبحث عن الأمان والاستقرار المادي.

هل تستطيع أن ترى ماذا يحدث؟ تأسر ناتاليا الأوهام والأفكار والعواطف التي تدفعها إلى البحث عن القبول من الآخرين أنها جميلة. أما روبرتو فتأسره الأفكار والأحلام أنه سيحظى باستقرار مادي إذا كان لديه مدخرات كثيرة الآن.

يقول لنا الكتاب المقدس في أمثال ٤: ٢٣ ما يُحبهُ قلبك سيُحدِّد مسار بقية حياتك. سيُحدِّد جميع قراراتك، وأهدافك، ورغباتك. سيُحدِّد الطريقة التي تُنفق بها المال. الطريقة التي تقضي بها أوقات فراغك، والطريقة التي تستثمر فيها طاقتك ومواهبك. بما في ذلك ما سيتشاجر عليه الزوجان.



فعل خفي يأخذ مكان اللّه

في ضوء المثال الذي قمنا بتحليله للتوّ، ستلاحظ أنه من الضروري فحص كل ما هو "تحت السطح"، والنظر إلى السبب وراء المُسبِّب. لماذا تحت لماذا. دعونا نفصل بين نوعين من الرغبات[1].

سنَصِف **المجموعة الأولى من الرغبات**: رغبات سطحية. الرغبة السطحية هي التي تُحرِّك أفعالنا، ولكنها في الحقيقة عبارة عن وسائل للحصول على الرغبات الأعمق منها.

[1] هذا التصنيف هو مجرَّد وسيلة للتوضيح. ليس الغرض منه أن نُحلّل كيف يرى الكتاب المقدس الدوافع، لكنه مجرَّد مثال أستخدمه حتى أوضح كيف يمكن للدوافع أن تختلط. لكن، كما حاولت القيام بذلك من خلال مثال ناتاليا وروبرتو، لإظهار كيف تتفاعل الرغبات مع بعضها البعض. بما أن الكتاب المقدس يؤكد أن قلبنا يخدع (إرميا ١٧: ٩)، وأننا نميل إلى "خداع أنفسنا" (عبرانيين ٣: ١٣)، فإن هدفي في هذا، هو التمييز ببساطة، أن أعطيك توضيحًا بيانيًا يساعدك على كشف دوافعك بسهولة أكبر.

قد يتبيَّن أنها كنزنا الأعظم، ولكن هذا ليس صحيحًا. مثل ما رأينا في قصة ناتاليا وروبرتو. تحليل سريع لحالتهما قد يُبيِّن لنا أن كليهما يُحبان المال، والحقيقة هي أنهم بالفعل يُحبونه. ولكن المسألة هي وجود مشكلة أكبر تحت هذه المشكلة السطحية.

المال هو وسيلة للحصول على شيء أعمق من هذا[٢]. فهي تستَخدم المال كوسيلة للحصول على القبول من الآخرين. وهو يستخدم المال كوسيلة للحصول على الاستقرار المادي. كما نرى الرغبة السطحية قريبة جدًا من السطح. من السهل أن نراقبهما ونحدِّدهما بسرعة، ولكن في الحقيقة هما وسيلة للحصول على شيء آخر. لهذا من السهل والطبيعي نسبيًا أن نجد أن الرغبات السطحية والخارجية تتغيَّر بسرعة، أوَّد أن أقول إنها لا تحتاج إلى عمل الروح القدس حتى تتغيَّر.

هل تتذكَّر قصة الشاب الذي أصبح مُرسَلاً في الفصل الأول؟ هل تتذكَّر المرأة التي شاركت في صندوق العطاء؟ يبدو أن الاثنين قد تغيَّرا بالفعل، وأفعالهما الخارجية قد تغيَّرت، حتى رغبتهما السطحية قد تحوَّلت (بدل الجنس، أحب الشاب العمل المُرسَلي .. السخاء في المشاركة بالمال في عمل الرب، بدل الطمع والبُخْل). ولكن إذا فكَّرت للحظة، ستكتشف أن هذه الأمور لا تحتاج إلى شخص مسيحي مؤمن حتى يتغيَّر هذا التغيير. نجد المُلحِد الذي لا يؤمن بوجود الله يدفع الكثير من المال للهيئات الدولية مثل UNICEF. أتباع شهود يهوه يعرفون كيف يمكن أن يظلوا أنقياء جنسيًا. يقدر المرمون أن يُكرَّس بالكامل من أجل خدمة الآخرين.

بعض الأمثلة على هذا النوع من الرغبات هي: المال أو الجنس أو الترفيه أو الجمال الجسدي أو البحث عن شريك حياة أو تكوين أسرة أو الأصدقاء أو حتى الخدمة أو البحث عن المعرفة أو الراحة أو الأهداف الشخصية، إلخ. ولا تنتهي القائمة من رغبات تُولَد كل يوم بداخلنا .

---

[٢] هذا صحيح. يقول الكتاب المقدس «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ»، لكنها ليست مجرَّد حب لقطعة من الورق. إنه حب لِما يمكن أن تعطيك قطعة الورق تلك؛ وهذا هوالأمان، وإشباع رغباتك، والسلطة، وما إلى ذلك.

فكِّر في الأمر، إذا كنت بمفردك في جزيرة نائية، فماذا تُفضِّل أن تجد: صندوقًا مليئًا بالمال أم صندوقًا به قارب قابل للنفخ يطفو على شاطئ المحيط؟ ومع ذلك، إذا كنت ترغب في ذلك، يمكنك إدراج الأموال في فئة الرغبات العميقة. كما قلت، إنه ليس تصنيفًا صارمًا لا يقبل جدال فيه.

أمَّا المجموعة الثانية من الرغبات يمكن أن تُسمَّى: "الرغبات العميقة". الرغبات العميقة هي أعظم رغبة لدينا: الكنز الخَفي لقلبنا. ماذا نعيش له، ونسعى أن نُحققه. هي المُحرِّك الحقيقي لِأفعالنا. هي السبب الخَفي لِما يظهر على السطح.

كما رأينا مع ناتاليا وروبرتو، فإن أعمق الرغبات هي التي تُحدِّد قراراتنا، وتُحدِّد حالتنا العقلية، وتشرح سبب تخيُّلاتنا وأحلامنا. الرغبات العميقة لها خاصية تُحدِّدها: فهي ثابتة.

إذا نظرت بعناية إلى قلبك، فسترى أنها أنماط ثابتة تنتقل إلى كل مرحلة في مراحل حياتك. سوف تُدرك أنها تتكرَّر، وهي التي تُعبِّر عن نفسها في علاقات مختلفة، من خلال سياقات مختلفة تتحرَّك فيها يوميًا - سواء في العمل أو في المنزل أو في الخدمة. تجدها في علاقتك بشريك حياتك أو مع مديرك في العمل أو مع أطفالك في المنزل، ستلاحظ أنها تتحكَّم في قرارات وتصرُّفاتك اليومية. حتى هذه الأنواع من الرغبات عادةً نجدها في قراراتنا "للتغيير"، كما قد رأينا في قصة الشاب المبشِّر في الفصل الأول، فإن رغبته للنجاح ثابتة، تظل رغبته العميقة كما هي على الرغم من أن سلوكه قد تغيَّر من الخارج، تخلَّى عن الخطيئة الجنسية وبالفعل غيَّر حياته تمامًا.

بعض الأمثلة على هذا النوع من الرغبات هي: الشعور بالأمن، البحث عن المعنى، الحاجة إلى الشعور بالقبول، الاشتياق إلى العلاقات العميقة، العلاقة الحميمة، النجاح، المتعة، القوة، الراحة، التحكُّم، الحنين إلى الشعور بالحب، وما إلى ذلك.

من الخصائص الأساسية لهذا النوع من الرغبات، كما سنرى بالتفصيل لاحقًا، فإن أعمق الرغبات لا يمكن تغييرها بأنفسنا، أو بالأحرى، من المستحيل تجاهلها. نحن جميعًا نتوق لهذه الأشياء، ومن خلال التصميم الإلهي لنا، لا يمكننا التوقف عن السعي وراءها. أعرف أن هذا إعلان صادم جدًا، وأعرف أنه يستحق الدعم الكتابي وشرحًا مُفصلاً. ليتك تتحلَّى بالصبر معي، وسوف نعود إلى هذه الفكرة في الفصول التالية.

الآن، اسمحوا لي أن أُقدِّم لكم فكرة جديدة: **ما هو التغيير؟**

كما يُعلمنا الكتاب في إرميا ٢: ١٣، **التغيير لا يعني القضاء على هذه الرغبات، بل إشباعها بالله. التغيير هو التوقف عن محاولة الحصول على هذه الأشياء بطرقي الخاصة** (وبالتالي

أصبح أنا منقذي الخاص)، والبدء في تقدير محبة الله الذي يريد أن يعطيني ما أحاول جاهدًا السعي إليه. «لأن شعبي عمل شرّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحيَّة، لينقروا لأنفسهم أبآرًا، أبآرًا مُشققة لا تضبط ماءً» (إرميا ٢: ١٣).

الرغبات العميقة	الرغبات السطحية
هي اشتياق القلب الحقيقي.	هي وسائل للحصول على أشياء أخرى.
من الصعب أن نراه.	من السهل أن نراها.
ثابتة في جميع مراحل الحياة.	تتغيَّر مع السن، مراحل الحياة المختلفة، والحالة العامة.
لا نقدر أن نُغيرها، ولا أحد يقدر أن يُشبعها سوى الله[٣].	من السهل تغييرها.

[٣] **ملحوظة مهمة**: ماذا أعني عندما أقول: إن الرغبات العميقة لا يمكن تغييرها أو التخلُّص منها؟ ببساطة لا يمكنك التوقف عن الرغبة في أن تجد القبول. لا يمكنك التخلُّص من الرغبة في الشعور بالحب، وأنه من المستحيل أن تتوقف عن الرغبة في الشعور بالأمان. أنت وأنا نتوق دائمًا إلى ذلك، سواء كنا غير مؤمنين أو مؤمنين بالمسيح. النقطة المهمة، كما سنرى في جميع أنحاء الكتاب، هي أن هذه الرغبات لا يمكن أن تتحقق بالكامل الا في المسيح. هل تغيَّرت بشكلٍ ما ؟ نعم، لأنك تحققت الآن؛ ليس المال الذي يمنحك الأمان الآن، بل المسيح. ولكن هذه الرغبات لم تتغيَّر لأن الرغبة في الشعور بالأمان تبقى كما هي.

في هذا الصدَد، **من المهم توضيح نقطة محورية** سوف نعززها أكثر في بقية هذا الكتاب. في حين أننا في البداية نقترب من الله من أجل احتياجنا (أن نكون محبوبين، وأن ننال الغفران، وأن نَحوز علي الأبدية، إلخ). هناك نقطة في حياتنا الروحية عندما نأتي لنُقدِّر يسوع لشخصه، وليس من أجل ما يمنحنا إيَّاه. عندما يحدث هذا، يتم "نسيان" رغباتنا العميقة وتصبح شيئًا ثانويًا أو "نتجاوزها"، ونقوم بتقدير المسيح أكثر. نتوقف عن التفكير فيها لأن تركيزنا قد تحوَّل ليتمحور حول مجد الله في المسيح.

دعني أوضح: واحدة من الأشياء التي أستمتع بها هي الأشجار: طولها، وصلابة جذعها، و ظلالها المختلفة، ولونها الأخضر .. تبدو جذابة للغاية في نظري. يمكنني أن أتأمل فيها لعدة ساعات. تخيَّل للحظة أنني في كشك في وسط غابة خضراء وأذهب في نزهة بعد تناول طبق لذيذ من اللحم المشوي مع البطاطا. كأن كل شيء يبدو مثالي. معدتي ممتلئة، ودرجة الحرارة مثالية، والمكان رائع. ثم أجد شجرة تفاح جميلة في وسط الغابة، وأفكر في كيف أستمتع بهذه الشجرة؟ أتأمل بها! أنظر إليها وأقول: يا له من جمال في هذه الشجرة! "شكلها، ولونها، وثمارها". ببساطة؛ أستمتع بها وأحبها كما هي.

الآن دعنا نُغيِّر السيناريو. تخيَّل أنني ضائع في الغابة، ولم آكل لمدة ثلاثة أيام، وأجد شجرة التفاح. كيف سأستمتع بالشجرة نفسها؟ سأُدمرها! سوف آكل حتى آخر تفاحة فيها. الآن لا أُقدِّر الشجرة لجمالها، ولكن أُقدِّرها بسبب ما تعطيني إيَّاه. =

الشعور بالقبول، الأمن، البحث عن المعنى للحياة، العلاقات العميقة، الشعور بالحميمية، النجاح، اللهو، القوة، السيطرة، الحاجة إلى الشعور بالحب، الخ.	المال، الجنس، الخدمة، الجمال الخارجي، شريك حياة، العائلة، حب المعرفة، أهداف الحياة، الترفيه عن النفس، الخ.

قبل النظر في نقطة أخيرة، أوَّد منك التوقف للتفكير في هذه الفكرة:

إذا ألقيت نظرة سريعة على قائمة الرغبات التي قُمت بإدراجها في الجدول، سطحية أو عميقة، هل ستلاحظ أن أيًّا من هذه الرغبات سيئ أو خاطئ؟ على العكس! كل هذه الرغبات هي أشياء جيدة، وتُعَدّ وعود من الله لنا. هل هذا يعني أن كل رغبات قلوبنا صالحة؟ بالطبع لا! يتحدَّث الكتاب المقدس أيضًا عن الرغبات الخاطئة. البعض منها: الحسد والكراهية والغيرة والشهوة، الخ، ومع ذلك، قرَّرت عدم التحدُّث عنها كثيرًا في هذا الفصل لسببين:

أولاً: لأنه من السهل جدًا اكتشافها. الرغبة الخاطئة مثل (الحسد) تُنتج فعلاً خاطئًا (التحدُّث بشكل سيء عن الشخص). لا يتطلَّب الأمر الكثير من المعرفة والحكمة للتعرُّف على هويتها، والاعتراف أنها سيئة. ضميرنا يستطيع أن يُحدِّد هذا بكل سهولة.

= وفقا لبرناردو دي كلارافال: هناك أربعة مستويات من الحب:

المستوى الأول من الحب، حيث أحب نفسي لمصلحتي الخاصة. هذا يعني أن كل ما أفعله من شراء سيارة جديدة، الذهاب في إجازة، الخدمة في الكنيسة، أفعل ذلك لأنني أُحب نفسي.

المستوى الثاني من الحب، حيث أحب الله من أجل مصلحتي الشخصية - أي، أنا أحب الله لِما يعطيني إيَّاه. كما وجدت شجرة التفاح في وسط الغابة. أنا جائع ولديَّ احتياج (حب أو غفران وما شابه)، والله قد سدَّد وأشبع هذا الاحتياج.

المستوى الثالث من الحب، حيث أحب الله لشخص الله - أي أنا أحب الله لصفاته وشخصه. أفكّر في ما قام به، وأشعر بالفرح والسعادة. أُفكّر في كيف صُلِبَ، وقَبِلَ الإهانة من أجل خطيتي، ولا أستطيع فعل أي شيء سوى الوقوع في حبه. في تلك اللحظة، لا أجد أية أهمية لحاجاتي ورغباتي السطحية والعميقة، ويتلاشى كل شيء أمام الصليب. أحبه لِما هو عليه. أجد الفرح عندما أُمجِّدهُ.

أخيرًا، يقول برناردو: هناك مستوى رابع من الحب، حيث أحب نفسي لأجل ما فعله الله - أي الآن كل حياتي تتمحوَر حول الله الذي قام بثلاثة أشياء: لقد حرَّرني من الأنانية (المستوى الأول)، وأشبع رغباتي العميقة (المستوى الثاني)، وكشف لي كل جماله وحبه (المستوى الثالث). وبهذه الطريقة، يمكنني الآن استخدام كل ما خلقه الله "لأحب نفسي" (شراء سيارة، الذهاب في إجازة، الخدمة في الكنيسة، إلخ). فالخليقة ليست وسيلة لأحب بها نفسي، لكنها أدوات أستخدمها لأحب الله والآخرين. ليس هذا فقط، ولكن بركاته (السيارة، والإجازات، والخدمة) هي وسيلة أواصل من خلالها تقدير حبه المُذهِل لي - أي أحب إله النِعَم، وإله البركات، وليس عطاياه في حد ذاتها. إذا لم يكن الأمر واضحًا لك، فلا تقلق. استمر في قراءة الكتاب حتى النهاية، وستكتشف أن هذا هو الاتجاه الذي سنوضحه أكثر.

وثانيًا: لأن الرغبات الخاطئة هي أيضا سبب وراء أعمق رغباتنا، نشعر بالغيرة (رغبة شريرة)، لأننا نبحث عن القبول (رغبة عميقة). نكرَه شخصًا ما (رغبة شريرة)، لأننا لا نشعر بالحب (رغبة عميقة). نشعر بالقلق (رغبة شريرة)، لأن هناك شيئًا يُهدِّد أمننا (رغبة عميقة). نشعر بالحسَد (رغبة خاطئة) لأننا نرى حاجتنا للنجاح مُهدَّدة (رغبة عميقة). نكافح مع الشهوة (رغبة سطحية)، لأننا نتوق لإيجاد السرور (رغبة عميقة). هل تُدرك حجم المسألة؟ حتى الرغبات الخاطئة (التي قد ندرجها أيضًا في فئة الرغبات السطحية) مغروسة في رغبة عميقة نحاول إرضاءها لأنفسنا.

هذا يقودنا إلى النظر في مفهوم أخير. فكِّر مرةً أخرى في روبرتو وناتاليا. إذا تأملنا في القصة بعناية، على مستوى أعمق ممَّا ننظر إليه حتى الآن، فإن كليهما يواجه المشكلة نفسها. كليهما يحاول أن يأخذ مكان الله. كليهما يريد أن يعطي لنفسه شيئًا لا يمكن إلا لله وحده أن يعطيه. يقوم كليهما "بفعل غير مرئي"، يُقرِّران فيه تولِّي مسؤولية إشباع رغباتهما العميقة.

تستخدم ناتاليا المال كوسيلة لتشعر بالقبول؛ القبول الذي يريد الله، ويستطيع أن يُقدمه. أما روبرتو فيستخدم المال كوسيلة للحصول على الأمن؛ الأمن الذي يتوق أن يمنحه الله، وهو قادر على ذلك. هل تلاحظ خطورة الأمر؟ لقد عُدنا إلى جنة عدن! إغراء الحية حقيقي اليوم بالنسبة لروبرتو وناتاليا كما كان بالأمس لآدم وحواء. "اِفعلا هذا، وستكونان مثل الله"؛ كلام الشيطان في سفر التكوين ٣: ٤.

هذا هو جوهر المشكلة التي نواجهها جميعًا؛ محاولة لإنقاذ أنفسنا. هما حاولا إنقاذ نفسيهما وتحسين حياتهما من خلال تناول الثمرة؛ ونحن نحاول القيام بذلك من خلال السعي وراء الجمال، أو وضع خطة استثمار استراتيجي ناجحة.

يتركنا إشعياء ٥٥: ١- ٣ أمام تحدٍ يدعونا للتفكير في: "مَن الذي سيُرضي عطَشي؟" (عطشي للشعور بالأمان والحب والنجاح والقبول). «أيها العطاش جميعا هلُّموا إلى المياه، والذي ليس له فضة: تعالوا اشتروا وكُلوا. هلُّموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا. لماذا تَزنون فضة لغير خبز، وتعبكم لغير شبع. استمعوا لي استماعًا، وكُلوا الطَّيِّب ولتتلذَّذ بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم وهلُّموا إليَّ، اسمعوا فتحيا أنفسكم. وأقطع لكم عهدًا أبديًا مراحم داود الصادقة».

الله ليس ضد سعيي لإرضاء أعمق رغباتي، ولكن الله ضد محاولاتي لإرضائها بمفردي، بعيدًا عنه. إنه ضد فكرة أن أصبح أنا مُخلِّص نفسي، ورفضي لعرضه العظيم بأن يصير هو السيد على حياتي!

دعونا ننظر مرةً أخرى في قصة روبرتو. إذا تأملنا القضية بدقة، سنجد أنه ليس من الصعب عليه أن يتوقف عن اِدخار المال بشكلٍ مُبَالَغ فيه. كل ما يجب فعله هو شراء تأمين يغطي التكاليف اللازمة في حالة حدوث أية حادثة، والذي يغطي أيضًا احتياجات الأسرة المادية لبقية العمر. إذا قام بذلك، فمِن المُحتمل أنه كان سيشعر بالحرية والأمان في إنفاق المال. لماذا؟ لأنه قد اهتم بإشباع أعمق رغباته، وهي ضمان استقرار العائلة المادي.

هل تلاحظ ما قد فعله روبرتو؟ فهو قد وضع نفسه مكان الله، وصار مُخلِّص نفسه. قد استبدل روبرتو دور الله في حياته بمجرَّد شرائه لتأمين على الحياة[٤]. ما الذي سيحبه روبرتو أكثر: المال أم الله؟ مَن الذي سيُعطيه ما يبحث عنه؟ قد أصبح المال "الإله" الذي يساعد روبرتو في الحصول على أعمق رغباته. فمِن المنطقي أن يحب المال أكثر.

مفتاح تغيير القلب هو التوبة عن "الخطأ الذي يقع تحت الخطية الأصلية". هو إدراك محاولاتنا أن نكون "أسياد" في حياتنا الخاصة، و"صُناع" لقراراتنا، و"مسؤولون" عن خلاصنا باستخدام الهِبات التي منحها الله لنا مثل: (المال، والجمال، والجنس، إلخ) كوسيلة للحصول على شيء يتوق إليه قلبنا بشدة مثل: (الأمان، القبول، الشعور بالحب، إلخ).

يقول مارتن لوثر: "إن سوء رغباتنا لا يَكمُن في ما نريده، ولكن في حاجتنا القصوى للحصول عليه". هذا ما يُسميه (يعقوب ٤: ١) "رغبة مُفرَطة"، الرغبة المُفرَطة، الرغبة الجامحة، العاطفة، هو شيء نريده بشدة لدرجة أننا على استعداد لوضعه جانب الله، وارتكاب الخطية في حق الله للحصول عليه.

---

[٤] هل تعني أن الحصول على تغطية تأمينية خطية؟ بالطبع لا! لديَّ واحدة. النقطة المهمة هي ما يدفعني للقيام بذلك. قد أفعل ذلك برغبة سليمة في توفير الرعاية لأولئك الذين أوكلني الله عليهم (١تيموثاوس ٥: ٨)، أو قد يكون الدافع، هو انعدام الأمن المُتمثل في رغبتي ومحاولتي لإنقاذ نفسي وعائلتي. إن رغبة القلب "تُحوِّل" شيئًا مُحايدًا إلى "مُخلِّص زائف". **تذكَّر أن الله ينظر إلى القلب.**

المشكلة هي تحويل الرغبة المشروعة إلى احتياج لا بد من إشباعه بأي شكل، وتحت أية ظروف. هذا هو ما يُسميه الكتاب المقدس "الوثنية". إنه أخذ شيء صالح، وعطية من الله مثل: الجمال أو المال أو الجنس أو الخدمة أو أهداف الحياة وأحلامي، وأحوِّلها إلى ما يمكن أن ينقذني ويعطيني حياة.

يقول تيموثي كيلر في أحد كتبه: **الأصنام التي توجد في حياتنا، هي تلك الأشياء التي نعتمد عليها، ونضع ثقتنا في أنها ستعطينا معنىً للحياة.** هي تلك الأشياء التي نقول عليها: "أريد هذا الشيء حتى أكون سعيدًا وراضيًا. أو إذا لم يكن لديَّ هذا، فإن حياتي ستفتقر إلى القيمة والمعنى". لماذا نفعل هذا؟ كما رأينا، نحن نحاول دائما إشباع رغبة عميقة؛ الشعور بالحب، الاحساس بالامان، الشعور بالأهمية، وهكذا.

اِسمحوا لي أن أُقدِّم لكم مثالاً شخصيًا حتى تتمكَّنوا من رؤية كيف تعمل هذه الديناميكية في حياتنا يوميًا. أحد الأشياء التي أستمتع بها عندما أستيقظ كل صباح هي قراءة الأخبار من هاتفي المحمول أثناء تناول الإفطار. هذه الخمس عشرة دقيقة الأولى من اليوم بالنسبة لي تُعد مقدسة تقريبًا، هي جنتي على الأرض - لحظات الإلهاء. الأطفال نائمون، ولا يوجد ضوضاء أو أي تشتيت. أُحب أن أتابع ما يحدث في العالم، وخاصةً قراءة القسم الرياضي.

منذ بعض الوقت، جلسَت زوجتي بجواري، بينما كنت أتناول وجبة الإفطار. وبدأت تفتح قلبها وتُخبرني ببعض أعمق صراعاتها بكل انكسار وشفافية. بينما كانت تتحدَّث معي، كنت أتصفح في صفحات الأخبار في هاتفي وآكل الخبز المحمص محاولاً الاستماع إليها (أعتقد أنه مشهد مأسوي). حاولت أن أبذل جهدًا للاستماع إليها، لكن عندما حان الوقت لِأَرُد على ما كانت تقوله، كنت بارد المشاعر وغير حساس لمشاعرها.

كان يبدو عليَّ أني أُريد أن أنهي الحديث معها، وأعود إلى وقتي المقدس لتصفُّح الأخبار. (كنت أُفكِّر: ألا تستطيع هي أن ترى أنني مشغول؟). كان ردَّها على كلامي: "حبيبي، أنتَ لم تسمع ما قلته لكَ للتو. لقد تحدَّثت إليَّ بدون تعاطف وبطريقة إدانة". بصراحة، لم أكن أُريد أن أفعل ذلك؛ لكن الأمر لم يتطلَّب الكثير من التأمل لِأُدرك أنها على حق. اعتذرت، وعانقتها، وأخبرتها أنها على حق، وأنني لم أكن حساسًا لمشاعرها.

ولكن مع ذلك، أضاءت فكرة في عقلي لم أكن على دراية لها من قبل: حين كنت أُصلّي شعرت أن الله يسألني: "لماذا تُعاملها هكذا؟". ليست هذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها بذلك. مع بقية الناس أنت حساس وصبور، ولكن لماذا لا تفعل ذلك معها؟

الإجابة على هذا السؤال كانت مؤلمة للغاية. "لست حساسًا وصبورًا معها لأنها تزعجني". نعم، رغم أنه من الصعب قبولها، إلاَّ أنها الحقيقة. زوجتي تزعجني .. هذا يزعجني لأنه يقطع شيئًا أُحبه. أنا أُحب الخمس عشرة دقيقة التي أقضيها في انفصال عن العالم مع نفسي. أنا أحب إلهاء ذهني. أنا أحب راحة البال. أنا أحب وقتي للعثور على المتعة في العالم. أكره التعرُّض للإزعاج عندما أُركز عندما أستمتع بنفسي، عندما أقضي وقتًا ممتعًا وأفعل شيئًا أُحبه.

رؤية هذه الحقيقة أنتجت فيَّ قناعة عميقة، وشعرت بالخطية. ومع ذلك، في نعمته، أعطاني الله مستوى أعلى من الفهم. لقد سمح لي برؤية "الخطأ الذي يقع تحت الخطية الأصلية". بينما واصلت التحدُّث إلى الله في الصلاة، شعرت أنه يسألني: "ولماذا تحب قراءة الأخبار كثيرًا؟". ثم كانت هناك "ضربة" جديدة أنارَت فكرة أخرى. "يا رب: أفعل ذلك لأنني أُحب راحتي .. لكن الأمر أسوأ .. يا رب: أفعل ذلك، لأنك أنت لست راحتي!". رؤية هذه الحقيقة كانت أكثر "ألمًا".

هل يمكنك رؤية المشكلة التي تقع تحت المشكلة؟ كنت أبحث عن شيء من خلال هاتفي يستطيع الله فقط أن يعطيني إيَّاه. ليس عبثًا ما يقوله إرميا ٢: ١٣ إننا في كل مرة نخطئ فيها، نرتكب شرّين: «أَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ (الشر الأول)، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا (الشر الثاني)، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً».

المشكلة لدينا هي ذات شقين: هناك مشكلة في ظل المشكلة. قبل ارتكاب أي عمل شرير (مثل التحدُّث باستخفاف إلى زوجتي)، لقد كان هناك "شرَّان داخليان". لقد تركت الله باعتباره "مصدر المياه الحية"، وبحثت عن شيء آخر يُرضي عطشي (من أجل الإلهاء والراحة)؛ في حالتي، قراءة الأخبار من خلال هاتفي المحمول.

هل من الخطأ قراءة الأخبار كل صباح؟ بالطبع لا! ما هو الخطأ؟ هو أنني قد جعلت هذه العادة الصباحية تسيطر على قلبي (فقد أصبحَت إلهي الخاص)، ووضعت الله جانبًا.

جعلت من هاتفي المحمول مصدر راحتي، والسبب وراء استمتاعي بالخمس عشرة دقيقة يوميًا، «أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً».

إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فهناك طريقتان للتعامل مع هذه المشكلة؛ أن أتعامل مع خطيتي بشكل سطحي، أو أنظر وأفحص جذور خطيتي.

أستطيع أن أُصلّي: "يا رب ساعدني على التوقف عن النظر إلى الهاتف كل صباح. ساعدني على التحلّي بالصبر والتعاطف. ساعدني على التعامل مع زوجتي بحُب. ساعدني ألاَّ أستخدم كلمات سطحية ومليئة بالإدانة". ومع ذلك، أقول لكَ: لا هاتفي، ولا أسلوبي في الكلام هما مشكلتي الحقيقية، بل هي أعراض لمشكلة أعمق.

المشكلة الحقيقية هي أنه خلال تلك الدقائق الخمس عشرة، ليس المسيح هو مصدر راحتي! لكني وضعت السيد المسيح جانبًا، وأخمَدت الروح القدس. المشكلة هي أنني أُحب أن أكون مُشتتًا عن طريق الهاتف، لدرجة أنني من خلاله أسعى إلى السلام والبهجة والراحة. مشكلتي هي أنني مخدوع، أُفكّر في أن هاتفي المحمول يمكنه أن يعطيني ما يريد المسيح أن يعطيني.

مشكلتي هي أنني أحاول كل صباح أن أُنقذ نفسي. أنا أبحث عن الحياة الحقيقية في الأخبار.

سأترك لكم ما قاله باسكال:

"أحاول أن أملأ قلبي بالمخلوقات، بينما لا يمكن ملؤه إلا بالخالق". ما هو الحل؟ أن أرمي الهاتف في سلة المهملات؟ أن أقفله حتى أصل إلى مكتبي؟ بالطبع لا! هذا لن يعطي نفسي "الراحة". سوف يتركني فارغًا، وسيستغرق الأمر وقتًا، حتى أجد شيئًا آخر يحل محل هاتفي. **الحل**، كما يقول إرميا، هو أن: تشرب مرة أخرى من "مصدر الماء الحي".

الحل، هو أن يعود المسيح كنزي الأعظم مرةً أخرى. أن أُدرك أنه جاء ليعطيني حياة مليئة بالبركة والراحة أكثر من الربع ساعة التي أقضيها على هاتفي المحمول (يوحنا ١٠: ١٠).

الحل بسيط، ولكنه عميق. يجب أن أُعيد المسيح ليكون مصدر لراحتي مرةً أخرى (أي الذي يُرضي أعمق رغباتي). فقط عندما يحدث هذا؛ عندما يعود المسيح مصدر سعادتي وراحتي، سأستطيع أن أمسك الهاتف "بأيدي مفتوحة" - أي أنه يمكنني استخدامه

دون أن يسيطر عليَّ ويكون إلهي، ويمكن لزوجتي أن تقطع وقتي المقدس الذي أقضيه على الهاتف المحمول دون أن أشعر بالإحباط، ويمكنني إعطاء زوجتي الاهتمام والمودَّة التي تحتاجها. لماذا؟ لأنه، حينئذ فقط، سيتم ملء قلبي "بالمياه الحية" التي تُشبع احتياجاتي.

تحدٍ أخير

بينما تعيش يومك، وتواجه مواقف لا حصر لها، تؤدي إلى أنواع مختلفة من الأفعال (الجيدة والسيئة)، حاول أن تبني عادة، وهي أن تطرح على نفسك هذين السؤالين:

لماذا فعلت هذا؟ أو لماذا أجبت بهذه الطريقة؟

ما هو الذي أبحث عنه في حياتي، والذي يجب أن أبحث عنه في الله؟

ملخص موجز



ما هو القلب؟

القلب هو "المكان" الذي تعيش فيه رغباتي، ويحتوي على كل ما أُحبه حقًا، وأتمتع به وأكنزه.

- لماذا القلب مهم جدًا؟

لأن ما يُحبه قلبي يُحدِّد السبب وراء جميع أفعالي. إذا كنت أرغب التغيير حقًا، فعَليَّ تغيير ما يكنزه قلبي بصِدق.

- ما هي مشكلة القلب؟

لدينا رغبات عميقة نحاول إرضاؤها عن طريق "تأليه" الأشياء الجيدة التي وهبها لنا الله.

فقط عندما يعود المسيح

ليكون أعظم كنز لدينا،

سيوجد تغيير حقيقي في قلوبنا،

ونتيجةً لذلك،

سينتج تغيير حقيقي في طريقة تصرُّفنا.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

قد تشعر أنه من المُغري أن تتجاوز هذا القسم الأخير دون أن تقرأه. أرجوك ألاَّ تفعل ذلك! لا تتجاهل ما قد يقودك اليه الروح القدس من خلال هذا الفصل، تمهَّل .. خُذ بعض الدقائق للتفكير في هذه الأسئلة و / أو مناقشتها مع أشخاص آخرين.

- كيف يتحدَّى هذا الفصل فهمك للتغيير، أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوثه؟
- لخِّص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- بكلماتك البسيطة صِف مفهومك عن ما هو القلب؟ (للإجابة على هذا السؤال، يمكنك أن تقرأ في كتابك المقدس المقاطع التي نقلتها في بداية هذا الفصل).
- لماذا نحن المسيحيين المؤمنين يجب علينا التركيز أكثر على القلب، من التركيز على الأعمال الخارجية؟
- لا تُحدِّد رغباتي العميقة أفعالي فقط، بل تُحدِّد أيضًا رغباتي السطحية. في الواقع، يتفاعلون معًا من خلال توليد مقياس من القِيَم داخل قلبي لِما هو مهم بالنسبة لي، وما ليس مُهمًا. كيف يتم تحديد هذا المقياس؟

  كما ترون في الرسم البياني أدناه، فإن ذلك يعتمد على مدى مُلاءمتها لإشباع أعمق أشواقي. اِسمحوا لي أن أُقدِّم لكم مثالين للتوضيح:

السيناريو رقم ١: لنفترض أن لديَّ رغبة عميقة للشعور بالقبول من الآخرين. هل الجمال الجسدي مهم لي؟ نعم، إذا كان يساعدني أن أنال هذا القبول. إذا كان الأمر كذلك، فسوف أتبع نظامًا غذائيًا، وأذهب إلى صالة الألعاب الرياضية، وأقضي الكثير من الوقت أمام المرآة.

كيف يمكنني استخدام المال على سبيل المثال؟ ربما سوف أنفقه على الملابس، ومستحضرات التجميل.

السيناريو رقم ٢: لنفترض مرة أخرى أن رغبتي العميقة هي أن أشعر بالقبول من الآخرين، ومع ذلك، دعنا نفترض أنني لست شخصًا جذابًا للغاية. هل سيصبح الجمال الجسدي مُهمًّا في مقياس القِيَم الخاصة بي؟ ربما لا. لكن ما زلت أتوق إلى هذا الشعور!

إذن ما الذي يمكنني فعله؟ من الممكن جدًا، دون إدراك، أن يولَد نطاق جديد من الرغبات. بما أنني ذكي جدًا، سأستخدم ذهني للعثور على ما يمكن لشخص جذاب أن يُحققه من خلال جماله. هل أنا أتبع نظامًا غذائيًا مُعيَّن؟ هل سأذهب إلى صالة الألعاب الرياضية؟ لا، ولكن سيكون لديَّ شوق كبير لزيادة معرفتي. سأكون طالبًا مسؤولاً، وسأسعى إلى الالتحاق بجامعة مرموقة، ومحاولة الحصول على درجات علمية عديدة. كيف يمكنني استخدام المال؟ ربما سوف أُنفقه على الكتب والدورات التدريبية.

الآن حان دورك. أكمل الفراغات في هذا الجدول، ولكن حاول أن تكون أمينًا قدر الإمكان. ما هي أعمق رغباتك؟ كيف تسعى لإشباعها؟

أخيرًا، ما هي الأشياء المَرئية التي تفعلها للحصول عليها؟

	الأفعال المرئية	رغبة سطحية	رغبة عميقة
	ما الذي أفعله حتى أُحققه؟	أبحث عنه من خلال ..؟	ما الذي أبحث عنه داخليًا؟
سيناريو ١	أتبع نظامًا غذائيًا. أذهب لصالة الألعاب الرياضية. آكل قليلاً. أُخبئ ما لا أُحبه في جسمي. أُغني في فريق التسبيح في كنيستي.	صورتي الخارجية.	أن أشعر بالقبول.
سيناريو ٢	أُذاكر كثيرًا. ألتحق بجامعة مرموقة. أشترك في دورات تدريبية عديدة. أقرأ الكتاب المقدس وكتب اللاهوت. أُعلّم في مدارس الأحد.	حُب المعرفة والذكاء الوجداني.	أن أشعر بالقبول.
أنا			

- إذا كان عليك أن تنصح هذين الشخصين، كيف يمكنك مساعدتهما على التغيير؟ أعلم أننا لم نتحدَّث كثيرًا حول هذا الموضوع حتى الآن، ولكن محاولة الإجابة على هذا السؤال، يمكن أن تكون مصدر تفكير جيد لِما سيأتي.

الفصل الثالث

كيف يعمل الحب؟

طبيعة الحب

ما هو الحب؟ ماذا يعني حب شيءٌ ما؟ لا أقصد ما هو شكل الحب المسيحي، ولكن ما الأشياء التي يجب أن تَحدُث داخل قلب الإنسان حتى يتمكَّن أي شخص أن يقول: "أُحب هذه المرأة، أُحب السفر، أُحب عملي". إنني أدرك تمامًا أن تحديد جوهر الحب ليس مهمة بسيطة. لا يُعطينا الكتاب المقدس تعريفًا من المعاجم لحسم الأمر، لكنه يعطينا أدلة واضحة لتحديد معنى الحب[1]. بما أن محبة الله هي الوصية الأولى والأكبر، فمِن الأهمية أن يكون لدينا فهم كتابي وصحيح لِما يعنيه حب شيء ما.

كما رأينا في الفصل السابق ، يُخبرنا يسوع في إنجيل متى ٦: ٢١ أن القلب يُحب عندما يجد شيئًا ذا قيمة. «أَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ، هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا». بمعنى آخر: الحب هو استجابة القلب لِما هو جذاب له. السبب في أنني أستخدم كلمة "استجابة" هو أنها

---

[1] أتصوَّر أن شخصًا ما قد يُفكِّر: لحظة واحدة. الكتاب المقدس يعطينا تعريفًا للحب. في ١كورنثوس ١٣: ٤ يقول: «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ». أليس هذا تعريفًا لجوهر الحب؟ أعتقد لا. أعتقد أن **هذه هي مظاهر الحب**، أو إذا كنت تريد أن تعرف كيف تعيش عندما تحب حقًا.

في الواقع، إنها من خصائص الحب المسيحي (والتي ستكون بالتأكيد مختلفة عن الخصائص التي سيقترحها الحب الإلحادي، حيث "الخدمة"، على سبيل المثال، غير مقبولة؛ حيث يتم رفض "المُعاناة"؛ حيث "المُساندة" تعتبر جنون وفعل جُبن، حيث "الابتهاج بالحقيقة" غير موجود لأنه لا يوجد حقيقة سوى أفكار ذاتية وأنانية؛ إلخ). هل تستطيع رؤيته؟ بولس يعطي خصائص الحب المسيحي، ولكنه لا يُحدِّد معنى حب شيء ما.

الكلمة التي تنقل الفكرة التي يُعلّمها يسوع في إنجيل متى ٦: ٢١. **يوضح الرب يسوع** أن القلب يستجيب، يتبع، يترك كل شيء ويتبع كنزه الأعظم.

بمعنى آخر، بالنسبة إلى يسوع، المحبة هي نتيجة العثور على شيء ثمين. إنها نتيجة العثور على الكنز. إنه ردّ فعل تقديري، كما سنرى لاحقًا، يتجاوز الأمر قراراتي أو مشاعري.

بالنسبة إلى يسوع، عندما يجد القلب كنزًا، لا يقدر القلب إلا أن يُقدّرهُ. إنه أمر لا مَفرّ منه. وبهذه الطريقة، يمكننا إكمال تعريفنا بالقول: إن الحب هو الجواب (ليس إلزاميًا، ولكن في الوقت نفسه لا يمكن التحكُّم فيه) الذي يتضمَّن تقدير من كل قلبي (الفكر، والعواطف، والإرادة) لجمال كائن أو شخص.

أعلم أن التعريف الذي قدَّمتهُ للتو تعريف فلسفي مُفتعَل إلى حدٍ ما، لذلك اسمحوا لي بتفصيل وشرح أجزائه المختلفة تدريجيًا.

١ - الحب هو استجابة تتضمَّن تقدير "جمال" شيء ما.

٢ - الحب هو الإجابة التي لا يمكن الإجبار عليها.

٣ - الحب هو الإجابة التي تشمَل قلبي؛ كل (الفكر، والمشاعر، والإرادة).

٤ - الحب هو الإجابة التي تتطلَّب مستوى من التسليم.

(١) الحب هو

استجابة تتضمَّن تقدير "جمال" شيء ما:

كما رأينا، **يقول يسوع**: إن القلب دائمًا يتبع "الكنز". الكنز شيء ذو قيمة، إنه شيء جذاب، ثمين، إنه شيء لا يُقدَّر بثمن. لكن تعريف الجمال شيء مقياسي. نحن لا نرى الأشياء نفسها "جميلة" أو "جذابة" بالدرجة نفسها. ما قد يكون كنزًا لأحد، قد يكون شيئًا أقَل قيمة لشخصٍ آخر.

على سبيل المثال، أنا شخصيًا لا أستمتع بالتسوُّق، والتسوُّق لا يجلب لي السعادة، ولا أتحمَّس له البتة. فالذهاب إلى مركز تجاري ليس شيئًا "جميلاً" أو جذابًا بالنسبة لي. ومع ذلك، يجد أشخاص آخرون مُتعة كبيرة في التسوُّق.

بالنسبة لهم هو حقًا مثل "الكنز". يجدون أنه شيء جميل وجذاب. من ناحية أخرى، أنا أُحب تجميع وتصميم ألبومات الصور لعائلتنا. (لاحظ أنه باستخدام عبارة "أنا أُحب"، أنا أنسب الفعل لجمال عملية تصميم الألبومات). هذا شيء طبيعي. لا نجد كلنا مُتعة في الشيء نفسه، لكننا جميعًا نجد مُتعتنا في شيءٍ ما. نحن جميعًا "نكنز" شيئًا. كلنا نحب فعل شيء ما. يشرح جوناثان إدواردز هذه الديناميكية على النحو التالي:

"لقد أعطى الله للروح البشرية قدرتان أساسيتان:

الأولى: هي الفهم الذي من خلاله نفحص الأشياء ونحكم عليها.

أما القدرة **الثانية**: تسمح لنا بمراقبة الأشياء، ليس كمُشاهدين غير مُبالين، ولكن كأشخاص يُحبون أو يكرهون، يُقدِّرون أو يحتقرون، يوافقون أو يرفضون. في بعض الأحيان نُسمِّي هذه القدرة بالإنجذاب".

عندما يرى الإنسان شيئًا يعتبره جذابًا، لا يستطيع أن لا يُعجَب به. شاب يرى فتاة جميلة تسير في الشارع، يستدير ليتأمل فيها. يذهب رجل الى سوق سيارات قديمة، ويستمتع بالسيارات في المعرض، ولا يمكنه التوقف عن الإعجاب بكل سيارة. فتاة مراهقة تمشي في المركز التجاري ولا تتوقف عن التخيُّل حول كيف ستبدو في الفستان الذي تراقبه في مَتجَر الملابس.

أن تحب شيئًا ما، هو أن تُقدِّر قيمة هذا الشيء. بالطبع، هناك مستويات من الحب. التقدير الذي يمكن للمرء أن يشعر به لسيارة، ليس هو نفس التقدير الذي يمكن أن يشعر به تجاه شخص يحبه.

بما أننا سننظر في هذا لاحقًا، فإن النقطة التي أوَّد التأكيد عليها الآن، هي أن **حب شيء ما هو إلا نتيجة لاعتبار هذا الشيء ثمينًا وجذابًا**. سأعيد صياغة ما قاله بولس الرسول، إنها نتيجة فتح "عيون قلبي" على "جمال" شيء ما، على سبيل المثال، سيارة قديمة؛ أو على جمال الله.

لذلك نجد أيضًا أن العكس صحيح. إذا لم أكن أُقدِّر "جمال" شيء ما، فلن أجد مُتعة فيه، وبالتالي لن أُحبه. أنا شخصيًا أُعاني من هذا النوع من اللا مبالاة بالفن التصويري. أرى أعمال ليوناردو دافنشي ولا أشعر بشيء يتحرَّك داخلي، ولا يولَد بداخلي أي نوع من التقدير.

العالم أجمع يتحدَّث عن جمال ابتسامة "الموناليز"، وأنا بصراحة لا أراها حتى تبتسم. هذه مشكلتي أنا، وليست مشكلة الصورة! لم أتمكَّن من تقدير جاذبيتها والتعرُّف على قيمتها، واكتشاف سحرها. أنظر إليها، لكنني لا أرى. ألاحظ، لكنني لا أُقدِّر جمالها. أُدرك، لكنني لا أكنز لوحة الموناليزا.

تأمل مرةً أخرى في كلمات جوناثان إدواردز، ولكن في هذه المرة تأمل كيف يمكن أن ينطبق هذا المفهوم على شخص الله:

"الله قد أعطى العقل البشري فهمًا مزدوجًا أو معرفة جيدة".

الأول هو الذي لا يتعدَّى كونه مُجرَّد تخمين أو فكر عقلاني.

والآخر هو الذي يتكوَّن من أحاسيس القلب: مثل عندما تشعر بجمال أو عاطفة أو حلاوة شيء .. لذلك، معرفتك اليقينية أن الله قدوس ورحيم، ليست بمثابة اختبارك الشخصي بحبه وجماله وقداسته ونعمته. معرفة أن العسل حلو ليس مثل تذوقك لحلاوة العسل..عندما يُدرك القلب، ويثق بجمال شيء ما ومصداقيته، فإنه يشعر بالضرورة بالسرور في تصوُّرِهِ .. والذي يختلف تمامًا عن وجود رأي منطقي بأنه ممتاز دون اختباره بشكل شخصي.

كما سنرى في جميع فصول هذا الكتاب، أن نُقدِّر ونحب "جمال" شخص الله، ونكنزه في قلوبنا، وما قام به من أجلنا، هو ما سينتج عنه بالفعل تغييرات حقيقية وعميقة. كما قال بولس: «مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ ... [الأشياء الاستثنائية التي فعلها الله لنا في المسيح]» (أفسس ١: ١٨ ، ١٩). ومع ذلك، كما أوضَحت، أن نفهم هذا المبدأ، وأن نستمتع بالله وبغنى محبته، هما شيئان مختلفان للغاية.

(٢) الحب هو

الإجابة التي لا يمكن الإجبار عليها:

لا أستطيع إجبار نفسي أو الآخرين على حب شيء. هل تتذكَّر الرجل الذي يُحدِّق في مباراة كرة القدم لفريقه المُفضَّل؟ لا أحد يضع مسدسًا في رأسه حتى يُجبره أن يجد متعة في النظر إلى المباراة.

العكس تمامًا! لأنه يجد مُتعة في كرة القدم، فهو يحبها. ولأنه يحبها، فإنه يقوم بأعمال خارجية تعكس هذا الحب (يسهر ليلة الأحد، ويشتري جهاز تليفزيون بشاشة مسطحة باهظة الثمن، إلخ). **الحب لا يمكن أن يُجبَر، إنه الجواب!** لا أحد يجبرني على الحب، أُحب لأنني أجد "كنزًا" في ما أحب.

أحد كتبي المُفضلة هو "Tortured for Christ". في هذا الكتاب، يَصف مؤلفه؛ .Richard Wurmbrand، التعذيب الفظيع الذي تعرَّض له هو وغيره من المسيحيين في معسكرات الاعتقال الشيوعية خلال الحرب.

"لقد كسروا لي أربع فقرات والعديد من العظام الأخرى. كانوا يقطعون في جسدي، وتسبَّبوا في الكثير من الحروق والجروح العميقة في أجزاء مختلفة من جسدي، ممَّا تركني مع ثمانية عشر عاهة". كما قال ريتشارد وورمبراند نفسه ذات مرة: في معسكر الاعتقال، يمكن للحراس أن يُجبروك على فعل كل ما يشاء لهم .. ما عدا شيء واحد. يمكن أن يجبروك على أكل مخلفاتك الخاصة بك. يمكن أن يجبروك على حفر قبرك الخاص. يمكن أن يجبروك على قتل ابنك حيث يعطيك بندقية برصاصة واحدة ويُهدِّدك بأنه سوف يقتل جميع أطفالك وزوجتك إذا لم تفعل ذلك أو تقتل نفسك. يمكن أن يجبرك على القيام بذلك، وأشياء أخرى لا نهاية لها.

ولكن هناك شيئًا لا يمكنهم فعله؛ لا يمكنهم إجبارك على حبهم .. لماذا؟
لأن الحب هو استجابة. لا يمكن أن يُجبَر عليه!

إدراك هذا المفهوم، ضروري للغاية لفهم كيف يمكن حدوث تغييرات عميقة. لا أستطيع إجبار شخص ما على حب شيء ما، ولا حتى نفسي! الحب هو استجابة تتضمَّن قرارًا غير

مُلزِم، لكن لا يمكنني التحكُّم فيه! كما قلنا، وسنستمر في التحليل. أُحب عندما أستمتع وأُقدِّر شيئًا لأسباب لا نهاية لها[٢].

من فترةٍ ما، قُمنا بجمع أموال في كنيستنا لإرسالها إلى مبشر سوداني كان على وشك الزواج. هذا الشاب هو صديقي. أعرف قلبه. كان في مجموعة درس الكتاب التي كنت أقودها، وعلَّمته الكثير من مبادئ اللاهوت. أنا أعرف حبه ليسوع، وأعلم أيضًا عن فقره المادي الشديد.

بالطبع، عندما أعلنا في الكنيسة عن احتياجه لجمع الأموال حتى يقدر أن يتزوج (في السودان، يجب على العريس أن يدفع مهرًا لوالد العروس ليكون قادرًا على الزواج بابنتهِ). شعرت بالسعادة والفخر لأكون قادرًا على المشاركة ماليًا. شعر عدد كبير من الناس في كنيستنا أيضًا برغبتهم لمساعدته، وبالفعل جمعنا المال وأرسلناه له. لقد فعلنا ذلك بسرور، وكانت لحظة مُبهِجة .

ولكن فكِّر معي، ماذا سيحدث إذا قلت لي: "نيكو، يجب أن تشعر تجاه هذا الفرح بما ستشعر به كما لو كانت ابنتك ميكايلا تتزوج. يجب أن تحب هذا الرجل كما تحب ابنتك". بدون شك، سأجيبك: "لا أستطيع!". لا أستطيع أن أحب هذا الشاب المبشر بالمستوى نفسه من الحب الذي أحب به ابنتي. لا يمكن أن أشعر بالمستوى نفسه من العاطفة والتفاني والمسؤولية، كما لو كانت ابنتي تتزوج (إذا كنت صادقًا مع نفسي، وربما أنت لشعرت كذلك أيضًا). لو كانت ابنتي، لادخرت لأشهر كثيرة لمساعدتها على دفع ثمن حفل الزفاف. كنت سأذهب معها بنفسي لاختيار فستان الزفاف. سأبذل قصارى جهدي حتى تستطيع أن تذهب إلى شهر عسل في المكان الذي تريده. كنت لأفكر ليلاً ونهارًا في كيفية منحها كل ما تحتاجه لقضاء أفضل يوم في حياتها (بالتأكيد أنت أيضًا).

---

[٢] إذا فكرت للحظة، فإن الكراهية، التي هي عكس الحب، هي أيضًا إجابة. في هذه الحالة، هي ردّ فعل مليء بالرفض، وعدم تقدير لشيء نجده دنيء ودون أية قيمة.

على سبيل المثال، لا يمكن لأحد أن يُجبرني على أن أجد متعة في تعذيب أحد أطفالي. يمكنك أن تُكتفني وأنت تفعل ذلك حتى لا أُدافع عنهم. يمكنك بالتالي إجباري على مشاهدتك أثناء قيامك بذلك، حتى إذا هدَّدتني بالموت، لن تتمكن من إجباري على إيجاد المتعة في تعذيب أولادي. لا أحد (ولا حتى نفسي) لديه القدرة على إجباري على حب هذا العمل. لماذا؟ لأنه كما قلنا عن الحب، فإن الكراهية هي استجابة نقوم بها (بشكل لا يمكن السيطرة عليه) برفض شيء ما.

يمكنك أن تسألني، تُطالبني، حتى تُجبرني على تقديم المزيد من المال لمهر المبشر، وربما يمكنني القيام بذلك، لكن لا يمكنك أن تسألني أو تطلب مني أو تجبرني على حب صديقي المبشر كما أحب ابنتي الصغيرة (فهو شيء نابع من القلب). لا يمكنك فعل هذا. أنا لا أملك حتى القوة لإجبار نفسي على أن أحبه بالمقدار نفسه .

لا يمكن فرض الحب الحقيقي أو السيطرة عليه أو التلاعب به. فَهم هذا المبدأ ضروري لأنه من بين أشياء أخرى كثيرة، يُظهِر لنا أن ما نقوم به خارجيًا يتحدَّد بما نستمتع به داخليًا.

فكِّر مرةً أخرى في الرجل الذي يستمتع بمشاهدة فريق كرة القدم وهو يلعب في كأس العالم. يمكنك إجبار هذا الشخص على عدم مشاهدة كرة القدم (من خلال تقديم المال له أو وضع السلاح على رأسه)، لكن لا يمكنك إجباره على التوقف عن حب كرة القدم، أو إجباره على حب فن التزلج على الجليد.

حتى يحدث هذا، شيء جذري يجب أن يتغيَّر من الداخل. إذا كان هذا صحيحًا، فيجب أن نسأل: كيف يمكننا أن نساعد الرجل لإحداث مثل هذا التغيير الجذري؟ الطريقة الوحيدة التي يتوقف بها هذا الرجل عن حب كرة القدم هي أن يجد قلبه شيئًا ما، أكثر متعة من كرة القدم. شيئًا يأسر جوهر كيانه. شيئًا يُشبع وجدانه. وبهذه الطريقة، استجابةً لذلك الشغف الجديد، سيتوقف طوعًا عن مشاهدة لعبة كرة القدم.

على سبيل المثال، إذا كنت أمام التليفزيون، وتلقيت اتصالاً على الهاتف لإخبارك أن ابنتك تعرَّضت لحادث مروري فادح، فستتوقف حتمًا عن مشاهدة لعبة كرة القدم، وستأسرك هذه الأخبار بكاملك. من المؤكد أنك ستغادر الغرفة، وتترك كرسيك، وتذهب دون أن تفكِّر للحظة كم كلَّفتك شاشة التلفاز، ولن تزعج نفسك بضربة الجزاء التي تلقاها فريقك، وستغادر بيأس إلى مكان الحادث.

ماذا حدث؟ كيف تم هزيمة حبه لكرة القدم؟ لقد انهزم حبه أمام حب أعظم. لشغف جديد - كما سنرى لاحقًا، لا يمكن التغلُّب على إدمان شيء ما، إلا بإدمان جديد له متعة أعلى. لماذا؟ لأن القلب يتخذ قراراته استجابة لِما يُحبه. يُعبِّر توماس تشامبرز عن ذلك بالقول: "هناك طريقتان يحاول بهما الشخص الأخلاقي العملي، التغلُّب على حبه

للعالم: إما من خلال إظهار تلاشي العالم، بحيث يضطر القلب إلى تراجع حبه أمام شيء لا يستحق التعلُّق به. أو وضع أمامه شيء آخر أكثر جدارة من تعلُّقه الأول، وهذا الشيء الجديد: هو الله بنفسه، حتى لا يضطر القلب إلى التخلّي عن حب قديم دون أن يحل محله شيء آخر، ولكنه يُغيِّر محبته القديمة بشخص جديد.

الفكرة هي تأكيد أنه نظرًا لطبيعتنا البشرية، فإن الطريقة الأولى ليست مُثمرة وغير فعَّالة أبدًا، أما الثانية هي الطريقة الوحيدة القادرة على إنقاذ النفس، واستعادة القلب من تلك المشاعر الخاطئة التي تُهيمن عليه".

اِسمحوا لي أن أُقدِّم لكم توضيحًا يوضح الاقتباس الذي قرأته للتو. تخيَّل طفلاً مُدمنًا للحلوى. لا أقصد الطفل الذي يأكل الحلوى من حين إلى آخر، ولكن أتحدَّث عن طفل يأكل العديد من الحلوى يوميًا.

إذا كنت والده، كيف يمكنك مساعدته على وقف إدمانه؟ يمكنك أن تأمره: "لا تأكل الحلوى!"، لكنني أشك في أنه سوف يستمع إليك. يمكنك أن تُحدِّثهُ عن جميع فوائد تناول طعام صحي. لكنني لا أعتقد أن هذا الأسلوب سينجح أيضًا. يمكنك أن تصرخ بوجهه أو تُهدِّدهُ. يمكنك أن تترجَّاه، وأن تشرح له مدى سوء شعورك كأب تجاه ابنه الذي يأكل الكثير من الحلوى. يمكنك، في نهاية المطاف، تأديبه بإخباره أنك لن تشتري له الحلوى بعد الآن، وبعد ذلك تُلقي كل الحلوى التي في منزلك. يمكنك أن تحبسه في غرفته حتى يُقرِّر التغيير.

ولكن، هل سيتوقف هذا الطفل عن تناول الحلوى؟ بالطبع. بعد كل شيء، لم يَعُد بإمكانه الوصول إليها. ولكن، فيما يُفكِّر هو عندما يذهب للنوم؟ (أُريدك أن تفكِّر فيما يخطر ببالك قبل أن تذهب إلى النوم، وستكتشف الذي تدمنهُ).

كيف نغيِّر عادةً ما؟ كيف نساعد الآخرين على التغيير؟ نستخدم الأوامر، والشعور بالذنب، والتلاعب، والتهديدات، والانضباط، .. الخ.

ولكن السؤال هو: هل توقف الطفل عن تناول الحلوى؟ نعم، ولكن السؤال الأعمق هو: هل توقف عن حبها؟ هل توقف عن إيجاد المُتعة بها؟ هل توقف عن الحلم بها

طول اليوم؟ لمساعدة طفل مدمن للحلوى، هناك شيء بسيط للغاية يمكنك القيام به، وهو أن تُقدِّم له الشوكولاته! عندما يتذوَّق الطفل الشوكولاتة، سيتوقف عن إدمانه للحلوى، ويصبح مُدمنًا للشوكولاتة. سيتكوَّن عنده كنز جديد، شغف جديد.

كيف تحدث التغييرات العميقة؟ يحدث تغيير القلب عندما تكون عيني منفتحة على حقيقة أن المسيح أغلى من أي شيء آخر يمكن أن يُقدِّمهُ لي العالم (أفسس ١: ١٨، ١٩). عندما، كما يقول الكتاب، أستعيد "حبي الأول" له.

(٣) الحب هو

الإجابة التي تشمل قلبي كله (الفكر، والمشاعر، والإرادة):

الحب يستَحوذ على كل القلب. كياني الداخلي كله، وليس مُجرَّد جزء منه. عادةً هناك طريقتان مُتعارضتان لتعريف الحب. البعض يقول: "آه، الحب هو شعور! الحب هو شعور عاطفي". بينما "آخرون" يقولون: لا، الحب هو قرار. إنه قرار واعٍ أقوم به وأُحدِّد إذا كنت سأُعطي كل ما عندي لهذا الشيء أم لا.

عادةً ما تقوم الثقافات الأكثر ليبرالية بتعريف الحب بالطريقة الأولى، بينما الثقافات التقليدية تُعرِّف الحب باستخدام الطريقة الثانية.

في الإطار المسيحي، عادةً ما تتماشى معظم الكنائس الكاريزماتية مع التعريف الأول. وعادةً في وقت العبادة يتعاملون مع الله المُحب بما يشعرون به. بينما تميل الكنائس الأكثر محافظة إلى تفضيل التعريف الثاني. وعادةً ما يتعرَّفون على محبة الله بما يسمعونه عن الله عند التبشير بالكلمة. في رأيي الشخصي أعتقد أنه وِفقًا للكتاب المقدس، كِلا الوصفين غير مُكتمل.

عندما نحب شيئًا لا نعطيه جزءًا من القلب، بل نحب بكل ما في قلبنا! نحن لا نتوقف عن استخدام عقولنا، ولا نعتمد بشكل حصري على ما نشعر به. عندما نحب شيئًا ما، كياننا كله يعمل. نقوم بالتحليل، والتفكير، والتأمل، والتقييم. لكن أيضًا نشعر ونُجرِّب، ونحكم، ولا نزال نتذوَّق. كشخص يُجرِّب كعكة الشوكولاتة. في القيام بذلك يستخدم كل ما يملك من حواس. ينظر إليها، ويشمها، ويلمسها، ثم تنال إعجابه، ويُصدِر حكمًا برأيه. كيانه كله يعمل.

من وجهة نظر الكتاب المقدس، عندما أُحب شيئًا ، تَحدُث ثلاثة أشياء بداخل قلبي:

- **فكري يُقرِّر** : "هذا شيء ثمين".
- **مشاعري تؤكد**: "هذا شيء ثمين".
- **إرادتي تختار** : "هذا شيء ثمين".

كما سنرى بالتفصيل في الفصل التالي، وفقًا لرسالة يعقوب ١: ١٢- ١٨، فإن كل إغراء يتبع هذا النهج نفسه. بحُكم التعريف؛ الإغراء شيء جذاب، شيء ثمين، شيء "جميل". مثل كعكة الشوكولاته عندما أحاول اتباع نظام غذائي. أو عطلة في المالديف عندما أكون متوترًا من العمل. لا توجد أية اغراءات في الحياة ليست جذابة وجميلة. إن لم يكن الأمر هكذا، فلن يُغريني! أنت وأنا نحكم باستمرار في قلوبنا على الأشياء "الجميلة"، والأشياء التي ليست "جذابة". نحن نُقرِّر دائمًا ما يستحق، وما لا يستحق حُبنا. من المستحيل تجنُّبه. إنه جزء من تصميم الله لنا. في بعض الأحيان تكون هذه العملية الداخلية أكثر وعيًا من أوقات أخرى، لكنها شيء نحمله معنا أينما ذهبنا.

قبل أن ننتقل إلى النقطة الأخيرة، أوَّد منك أن تُحلّل بعناية، الجملة التي سوف تقرأها الآن. "أنا أفعل ما أريد أكثر". أطلب منك قراءتها مرة أخرى. الآثار المترتبة على هذه العبارة هائلة. ماذا تفكّر؟ هل هذا صحيح؟ قد يعترض شخص ما: "لحظة واحدة". هناك الآلاف من الحالات التي أفعل فيها أشياء لا أُريدها. على سبيل المثال، في عملي، مديري يجعلني دائمًا أفعل أشياء لا أُريدها. "إذا كنت تتأمل بعمق، فسوف تُدرك أنها ليست كذلك". أنت تفعل ما يريده مديرك لأنه - حتى لو كنت على عِلم بذلك أم لا - فأنت تبحث عن ما تريده أكثر.

إذا طلب منك مديرك أن تُزوِّر في بيانات الوثائق، فلديك خياران: يمكنك أن تُقرِّر أن تفعل ما يطلبه منك وتكذب، أو يمكنك أن تُقرِّر عدم القيام بذلك. لديك دائمًا إمكانية الاختيار. إذا قرَّرت أن تكذب، حتى لو لم يُسرَّك هذا، فسوف تكون قد فعلت ما أردت القيام به في ذلك الوقت. لماذا؟ لأن ما تُحبه أكثر، وما تهتم به أكثر، وما تريده أكثر هو عدم فقدان وظيفتك. (ربما بسبب حبك للمال، ربما بسبب رغبتك في عدم مُضايقة مديرك، ربما بسبب انعدام الأمن الذي من شأنه أن يؤدي إلى فقدان عملك، وما إلى ذلك). قد لا "ترغب" في القيام بذلك، ولكن بقيامك به، فأنت تفعل ما تريده أكثر.

يُعبِّر عنها جوناثان إدواردز على هذا النحو: "ستختار الإرادة دائمًا وِفق أقوى ميل لها في الوقت الحالي". نرى هذه الحقيقة عند تحليل قصة الشاب الغني ولقائه مع يسوع. اختار ثروته فوق يسوع. ليس بالضرورة لأنه يكره يسوع، ولكن بسبب ما كان عليه اختياره. كيف تتخذ قراراتك؟ بناء على ما تُحبه أكثر. بناء على ما تم تقديمه في ذلك الوقت على أنه أكثر جاذبية: ثروته.

دائمًا، في كل موقف وفي جميع الأوقات، (بوعي أو بغير وعي) نختار ما نراه (سواء كان صوابًا أو خطأ) ما يُسبِّب لي أكبر قدر ممكن من الخير.

ما هو التغيير؟

> **التغيير، هو أن يصبح الله ما أُحبه أكثر. هو أن نرى ونُميز ونُقدِّر أن الله هو أعظم خير ممكن.** هو أن قلبي (فكري، ومشاعري، وإرادتي) يُدرك قيمة الله. **أن تنفتح عينيَّ من خلال الروح القدس لأدرك مجد المسيح المُذهِل، حتى أُفضِّلهُ على أي عرض آخر يُقدِّمهُ العالم.** أن يصبح أكثر ما أشتهي.

أليس هذا ما يطلبهُ المسيح؟ أن نُحبه كما يقول الكتاب: «تُحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك». حسنًا، كيف يمكنني أن أفعل ذلك؟ هيا بنا لنكتشف معًا في الصفحات التالية.

(٤) الحب هو

الإجابة التي تتطلب مستوى من التسليم:

هناك مَقولة شهيرة تقول: "الحب هو فعل".

هذه العبارة، على الرغم من عدم اكتمالها، إذا لم تؤخَذ النقاط التي رأيناها سابقًا في الاعتبار، فهي تحتوي على جزء مهم من الحقيقة. الحب ينطوي دائمًا على نوع من الفعل أو الاستسلام.

كل صباح، بمجرَّد أن نفتح أعيننا، نبدأ في تقييم كل شخص أو فكرة أو كائن أو موقف نواجهه للحكم عليه. بوعي أو بغير وعي، نبدأ في توجيه قدر من الاهتمام والحب لجميع

الأشياء. ربما، أول شيء تفعله عندما تستيقظ كل صباح هو تنظيف أسنانك. لماذا؟ حسنًا، لعدة أسباب: أنت تتجنب تسوس الأسنان، ولا تريد أن تتغيَّر أسنانك إلى اللون الأصفر، ولا تريدها أن تسقط، إلخ.

بمعنى آخر، أنت تحب وتُقدِّر أسنانك. إذا قُمت بتحليل هذه الرغبة العميقة، ستكتشف أنك تهتم وتُقدِّر صورتك الخارجية، أو ربما لأنك لا ترغب في المُعاناة عند طبيب الأسنان، إلخ. النقطة المهمة هي أن حُبك لأسنانك قد دفعك لاتخاذ بعض الإجراءات. وفي هذه الحالة تُقدِّس خمس دقائق كل صباح لتغسل أسنانك.

درجة الاستسلام أو التضحية أو حتى التكريس الذي نحن مستعدون أن نقوم به (سواء كان غسيل الأسنان كل صباح، مشاهده مباراة كرة قدم، الذهاب إلى المول للتسوُّق أو الله نفسه) دائمًا يتحدَّد بمقدار وعمق تقديرنا لهذا الشيء أو إدراك قيمته.

بمعنى؛ مستوى تقديرنا لهذا الشيء هو نفسه مستوى استسلامنا له. كلَّما أدركنا جمال هذا الشيء، كلَّما كرَّسنا أنفسنا له أكثر، بكامل إرادتنا، وبالتالي استجابة قلبنا له تتعمَّق أكثر. مشاعرك تجاه مشاهدة المبارة النهائية لكأس العالم، ليست هي المشاعر نفسها تجاه مشاهدة مباراة كرة القدم لفريق النادي المحلي الذي تشجعه. فرحَتك بخروج زوجتك من غرفة العمليات، ليست هي نفس الفرحة بوصول دورك في طابور البنك.

هذه المقارنة تدفعنا إلى التمييز بين مستويين من الحب. من المنطقي أن كل واحد منهما يُولِّد بداخلنا مستوى مختلفًا من الإستجابة للاستسلام. من جانب، **هناك مشاعر**. ومن ناحية أخرى، يوجد ما أسمَاه جوناثان إدواردز: عواطف القلب.

المشاعر تقتصر على مستوى سطحي من الحب لشيءٍ ما.

أما العواطف تُقدِّر كمال وجمال الشيء (سواء كان ذلك كرة القدم أو الفن أو الله، إلخ)، وبالتالي تتمتع بمستوى أعمق بكثير من الحب أو التفاني. البكاء لفقدان طفل لا يُماثل البكاء لأنني فقدت مفاتيح سيارتي. على الرغم من أنني أحب كليهما (لأنني حزين في كِلتا الحالتين)، فإن مستوى الحب الذي أشعره تجاه سيارتي، لن يقترب أبدًا من مستوى الحب الذي أشعره تجاه ابني.

وفي هذا الصدَد، من المهم عدم الخلط بين المشاعر، وردود الفعل العاطفية للغاية، على الرغم من أنها تبدو متشابهة، إلا إنها ليست كذلك.

لنفترض أنك تقرأ الصحيفة على الإنترنت. أثناء التصفح بين العناوين الرئيسية، تجد قصة تقول: "مذبحة أطفال في أفريقيا"، ورأيت شريط فيديو يعرضون فيه ما حدث. الفيديو يحتوي على مناظر صعبة ومؤثرة. النتيجة؟ إنه يُحرِّك شيئًا ما بداخلك. في الواقع، قد تبكي بعد مشاهدته، لأن الأخبار قد حرَّكت شيئًا ما بداخلك. ولكن هل لمَسَت عواطفك؟ إذا كنت مثلي، فمن الممكن جدًا بعد ثوانٍ قليلة مواصلة قراءة الصحيفة، ثم التوقف لمشاهدة مقطع فيديو رياضي أو التحقق من الفيسبوك.

من ناحية أخرى، إذا كنت حساسًا للغاية، ستشعر أن الفيديو أثَّرَ عليك بشدة بحيث دفعك لمشاركتك مع الآخرين. ومع ذلك، لن تستقل طائرة وتسافر إلى أفريقيا، لن تبدأ دراسة حقوق الإنسان، لن تنضم إلى منظمة غير حكومية لتكريس حياتك لفعل شيء حيال ذلك.

بكل بساطة هذا الخبر قد لمَس مشاعرك، لكنه لم يصل إلى عواطفك. لم يصل إلى مستوى حيث أثَّر وغيَّر أكثر ما تعتز به. عندما أُحب حقًا شيئًا ما، أستجيب، ألتزم، أستسلم، أكرِّس نفسي بالكامل. لا أستطيع تجنُّبه أو مقاومته!

العواطف	المشاعر
حب عميق.	تقتصر على الحب السطحي.
تستوجب التقدير الكامل لجمال الشيء.	تحتوي على تقدير محدود لجمال الشيء.
تقدير كامل لقيمة الشيء.	تقدير مقتصر لقيمة الشيء.
ثابتة.	مؤقتة.
لا تتغيَّر بسهولة.	تتغيَّر بسهولة.
خسارة شيء يستوجب كل عواطفك، ويزعزع كل حياتك.	خسارة شيء يستوجب كل مشاعرك، ويولّد شعورًا بالضيق.

واحدة من الخصائص الأكثر تمييزًا للعواطف، هي أنها **ثابتة**، ولذلك فإنها لا تتغيَّر بسهولة. العكس يحدث مع المشاعر. مثلما يحدث عند قراءة جزء من الأخبار الصادمة أو السعيدة

أو عند الاستماع إلى ترنيمة تعجبك كثيرًا، فإن المشاعر تختلف باستمرار. في لحظة يمكنك الاستماع إلى ترنيمة لها موسيقى مُبهِجة، فتشعر بالفرح والبهجة. وفي غضون ثوانٍ قليلة، يمكنك الاستماع إلى ترنيمة ذات لحنٍ حزين، وتشعر بالحزن والرغبة في البكاء (والتي يجب أن تقودنا إلى التفكير بجدية، فيما إذا كانت أوقات العبادة لدينا هي مُجرَّد لحظات عاطفية، أم إنها حقًا تعبيرات عن أعمق عواطفنا لله).

دعني أُعطيك مثالاً آخر: هل تتذكَّر روبرتو وناتاليا؟ الزوجين اللذين جادلا حول استخدام المال؟ استخدم روبرتو الأموال للاستثمار، واستخدمت ناتاليا المال لشراء الملابس. كيف تشعر ناتاليا عندما تشتري ملابس جديدة؟ شعور جميل ومليء بالسعادة! ما هي المشاعر التي تشعر بها؟ الفرح! الغبطة! لماذا؟ لأنه من خلال الملابس يمكن أن تُرضي أحد أعمق رغباتها: أن تشعر بالقبول من الآخرين من خلال صورتها. كيف تشعر ناتاليا إذا لم تتمكَّن من شراء ملابس جديدة؟ حزن وضيق، بل إنه قد يصل حتى إلى الاكتئاب. هل ترى الفرق؟

تشعر بكل ما هو يتنافى مع مشاعرها الأولى التي تستلزم وجود الملابس الجديدة. ومع ذلك، على الرغم من شعورها بالضيق، لكن هل تغيَّرت عواطفها؟ بالطبع لا! ما تُحبه أكثر، لا يزال أن ترى نفسها جميلة في أعين الآخرين! في الواقع شعورها بالحزن والإحباط يؤكد أعمق رغباتها.

> الحب لا يقتصر فقط على المشاعر، بل
> يشملها بالتأكيد، لكنه شيء أعمق من ذلك
> بكثير. حب شيء بعُمق له علاقة بإحساس
> العواطف الشديدة لشيء يَعِدَك بإعطاء الحياة.

فَهْم هذا الأمر ضروري لفَهْم ما هو التغيير الحقيقي. محبة الله ليست تقتصر على لحظة عاطفية معه (على الرغم من أنه من المنطقي، وغالبًا ما ينبغي الشعور بذلك). كما أن محبة الله لا تنطوي على طاعته عن اضطرار (على الرغم من أنه من المنطقي أيضًا، أن تكون هناك أوقات يجب القيام بذلك). **التغيير العميق والحقيقي يتطلَّب تغيير الجوهر** – المركز – ما يكنزهُ الإنسان عن حق! هو توجيه عواطفي.

في إنجيل متى ١٣: ٤٤ يروي يسوع قصة عن رجل يسير عبر حقل، ويجد كنزًا مَخفيًا. بفرح وبدون تردُّد واضح، يبيع كل ما لديه للحصول على هذه الأرض. فكِّر في مدى غرابة هذا الموقف. في الواقع أُريدك أن تضع نفسك مكانه.

تخيَّل أنك تبيع منزلك، وسيارتك، وجميع ممتلكاتك، لشراء قطعة أرض بدون أية قيمة واضحة. إذا قمت بذلك، عائلتك، وأصدقاؤك، وجيرانك سيفكرون: "ما الذي يفعله هذا الرجل المجنون؟". كيف سيترك كل شيء، ويذهب ليبتاع تلك القطعة من الأرض المتدهورة للغاية؟ هدف هذا المَثَل القصير واضح للغاية. هناك كنز غير مَرئي، ومَخفي عن العيون! هناك شيء لا تُقدَّر قيمته! الرجل الذي يشتري الحقل يُفكِّر: "لقد وجدت شيئًا يستحق خسارة كل شيء آخر".

يمكن تطبيق ذلك علينا من الوجهة العملية، أن المسيح هو هذا الكنز! بكلمات أخرى "سأترك ممتلكاتي، وأموالي، وثروتي جانبًا، فقط عندما أرى المسيح كالكنز الأغلى من كل ما قد أمتلك".

هذا هو التغيير: أن يجد المسيح في أعماق قلبي قيمة أكبر من أي عرض آخر قد يُقدِّمهُ لي العالم بما في ذلك العثور على: النجاح ، الأمان ، القوة ، تقدير الآخرين، إلخ. هذا هو بالضبط ما يقوله بولس في فيلبي ٣: ٧، ٨ «لكن مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ».

التغيير لا يعني التوقف عن عمل أشياء سيئة، والبدء في عمل أشياء جيدة.

التغيير لا يعني التوقف عن العصيان، والبدء في الطاعة - على الرغم من أن نتيجة التغيير تتضمَّن هذه الأشياء –

إلا أن التغيير شيء أعمق من ذلك بكثير.

التغيير هو **العثور على شيء أغلى في شخص المسيح، من كل ما جرَّبته في الحياة حتى الآن. التغيير، هو أن عواطف قلبك ترى المسيح ككنز خَفي.**

التغيير هو **أن يصبح المسيح هو اللؤلؤة الأغلى ثمنًا.**

في كتابه "God is the Gospel" يطرح John Piper هذا السؤال: "هل يمكن أن تكون سعيدًا في السماء، إذا لم يكن المسيح هناك؟".

"إذا تمكَّنت من الوصول إلى السماء الخالية من الأمراض، إلى جانب جميع الأصدقاء الذين كنت تمتلكهم على الأرض، مع كل الطعام الذي كنت تحبه دائمًا، والأنشطة الترفيهية التي استمتعت بها دائمًا، وكل الجمال الطبيعي الذي رأيته في حياتك، وكل الملَّذات الجسدية الموجودة، دون حروب بين البشر أو الكوارث الطبيعية، **هل ستكون راضيًا عن السماء، لو لم يكن المسيح هناك؟**".

يمكنني أن أسأل نفسي اليوم السؤال نفسه: هل يمكن أن أكون سعيدًا، إذا كان لديَّ كل شيء، وليس لي المسيح؟ فكِّر في الأمر للحظة. تخيَّل أنك تمتلك كل ما تريد وأكثر. حصولك على الاعتذار من كل مَن قد تسبَّب لك بالأذى في الماضي، تأثير الخدمة الذي طالما حلمت به، حتى درجة عالية من التعليم أو السكن أو الوظيفة المرموقة أو الزواج المثالي أو السيارة الأحدث تكنولوجية أو أماكن العطلات التي نراها في الصور أو الوزن المثالي الذي كنت تتوق إليه كثيرًا. **هل يمكن أن تكون سعيدًا بوجود أي شيء تريده، دون وجود المسيح في حياتك؟**

في ٢كورنثوس ٤: ٤ يقوم بولس بتشخيص دقيق للغاية، لمشكلة القلب. يؤكد بولس في هذه الفقرة أن «الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ». هل تُدرك ما هي أكبر مشكلة لدينا؟ عدم القدرة على رؤية وتقدير جمال الإنجيل. العمى الروحي يَعوقنا عن رؤية مجده وطبيعته، وبالتالي لا نتغيَّر لأننا لا نستجيب له.

اذًا كيف نتغيَّر؟

نتغيَّر عندما يفتح الروح القدس أعيننا، ويصبح عمل الله على الصليب أعمق عاطفة تُحرِّك قلوبنا.

بمعنى آخر، نحن نتغيَّر عندما نحبه. أو كما سنكتشف شيئًا فشيئًا، قد يكون من الأصح القول: إننا نتغيَّر عندما نحب، وعندما نُقدِّر الحب الذي يُحبه لنا الله نحن البشر.

تأمُّل أخير..

لا أوَّد إنهاء هذا الفصل دون توضيح مفهوم، سأسترسل فيه أكثر في الفصول المتتالية: في تعريف الحب كاستجابة، شدَّدت على المفهوم القائل: بأن لا أحد يستطيع إجبارك على الحب. على الرغم من صِدق هذه الحقيقة، أعتقد أنه من الضروري القيام بتحذير مهم. لا يمكن فرض الحب، ومع ذلك، يمكن تعلُّم الحب[٣].

في الواقع، كلنا نتعلَّم أن نحب. ما أقصده أنه في لحظةٍ من الحياة أستطيع أن أشعر بعدم مُبالاة تجاه شيء ما، ومع مرور الوقت، يمكنني أن أبدأ في الشعور باحترام وتقدير عميق تجاه الشيء نفسه.

لديَّ تجربة شخصية تجاه هذا الأمر مع الجعة. لم تعجبني أبدًا عندما كنت شابًا. لقد وجدتها دائمًا مريرة وغير لذيذة، حتى عندما كنت مراهقًا، شربت الجعة مع أصدقائي غير المؤمنين، لكنني لم أستمتع بها حقًا (لقد فعلت ذلك لأنني أردت أن أشعر بالقبول منهم). لسنوات، حتى كشخص بالغ، شربت الماء فقط أو الكوكا كولا. ومع ذلك، حدث شيء ما عندما انتقلت من الأرجنتين إلى أسبانيا. لدى وصولي إلى هنا، جرَّبت الجعة مرةً أخرى، وتغيَّر شيءٌ ما. لقد وجدت أنها لذيذة! فجأةً، الشراب نفسه الذي كان غير مقبول بالنسبة لي، أصبح لذيذًا. اليوم لا أحد يجبرني على احتساء الجعة مع الزيتون والجبن. لا أفعل ذلك حتى أقضي وقتًا لطيفًا مع أصدقائي غير المؤمنين، لكنني أشربها لأنني أستمتع بها!

ماذا حدث؟ لقد أحببت شيئًا جديدًا. غيَّرت تقديري ومفهومي لهذا المشروب. لقد تعلَّمتُ أن أُحب شيئًا كرهته من قبل. لا يمكن فرض الحب، ومع ذلك، يمكن تعلُّم الحب.

نحن جميعًا نتعلم أن نُحب أشياء جديدة. في الواقع، إذا فكَّرت في الأمر، ستجد أننا نتعلَّم حُب أشياء جديدة من مَنْ حولنا. هذا ما يفعله التسويق! أن يجعلك تُحب

---

[٣] كما سنرى بالتفصيل في الفصل ١٢، بما أنه يمكن تعلُّم الحب، فقد منحنا الله مسؤولية تعريض قلوبنا لتلك الأشياء التي تؤثر على رغباتنا، وتُعلّمنا أن نُحبه أكثر. مثل الصلاة، قراءة الكتاب المقدس، الصوم. هذه هي بعض الوسائل التي يمكننا، ويجب أن نستخدمها "لتعلُّم" كيف نجد المُتعة في شخص الله.

وتستهلك أشياء لم تَرها "جميلة" من قبل. إذ يكشف لك "مزَايا" و"جمال" المنتج حتى تتعلَّم أن تُحب وتبتغي هذا المُنتَج.

الروح القدس هو الذي يقوم بهذا العمل فيك، حيث مهمته هي إظهار "الفضائل" و"جمال" المسيح. إن **عملهُ هو أن يجعلنا نرى غلو وجمال وحلاوة المسيح، ونُقدِّرهُ على ما هو عليه حقًا**. أن نراه كأفضل شيء من أي شيء يمكن أن يُقدِّمهُ لنا العالم.

يقول لنا الكتاب في متى ١٣: ٤٥:

«أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ
إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً،
فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ،
مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا».

ملخص موجز



ما هو الحب؟

الحب هو استجابة من قلبي لِما يبدو له جذابًا.

ما هي الجوانب التي يتطَّلبها الحب؟

١- أن تحب شيئًا، يعني أن ترى جماله.

٢- حُب شيء ما، يشمل استجابة لا يمكن فرضها أو اصطناعها.

٣- حُب شيء ما، يُشرِك قلبي كله (وليس مشاعري فقط).

٤- حُب شيء ما، يتطلَّب التسليم.

- أستجيب بمستوى ضعيف وبسيط من التسليم مع المشاعر.
- أستجيب بمستوى قوي وفعَّال من التسليم مع العواطف.

كيف أُغير ما أحب؟

قلبي دائمًا يختار أعظم كنز له.

لهذا السبب سوف أُغيِّر ما أُحبهُ، فقط عندما أجد شيئًا أكثر قيمة ممَّا يمتلكهُ قلبي.

لهذا، فنحن في حاجة إلى رؤية وتقدير "جمال" الإنجيل الذي يقدر أن يعمل فينا تغييرًا حقيقيًا.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

قد تشعر أنه من المُغري أن تتجاوز هذا القسم الأخير دون أن تقرأه. أرجوك ألاَّ تفعل ذلك! لا تتجاهل ما قد يقودك إليه الروح القدس من خلال هذا الفصل، تمهَّل .. خُذ بعض الدقائق للتفكير في هذه الأسئلة و / أو مناقشتها مع أشخاص آخرين.

كيف يتحدَّى هذا الفصل مفهومك عن التغيير، أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوثه؟ لخِّص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.

هل توافق أن "الحب هو استجابة من قلبي لِما يبدو له جذابًا؟". لماذا؟ ما هي الخطوات المُترتبة على هذه الحقيقة؟

حاول أن تتأمل فيما تُحب حقًا. كُن صادقًا على قدر الإمكان. تذكَّر أن الله يُحبك كثيرًا، لدرجة أن صليب المسيح قد خلَّصك بالفعل من "أسوأ" رغباتك، وبالتالي ليس من الضروري أن تخفي أي شيء عنه.

فيما يلي قائمة بالأسئلة التي يمكن أن تساعدك:

- **ما الذي يُحبطك؟**
- **ما الذي يُغضِبك؟**
- **ما الأشياء التي تولِّد الشعور بعدم التشجيع؟**
- **ما الذي يقلقك؟**
- **متى تشعر بالخوف؟**
- **ما هي الأشياء التي تجعلك سعيدًا؟**
- **ما هي الأشياء التي تحلم بها؟**
- **ما هي أكبر أحلامك؟**

قال جوناثان إدواردز:

"إن الحب هو رؤية "امتياز" الشيء.

هو أن نُقدِّر "جماله".

هو تقدير قيمته".

انظر إلى الجدول الذي يحتوي على رغبات مختلفة، وحاول أن تُحلّل الأشياء بمدى امتيازها من وجهة نظرك.

أي من هذه الرغبات تحوَّلَت إلى رغبات تملك عواطف قوية؟

ماذا تعتقد أنها ذات قيمة عالية؟

الرغبات العميقة	الرغبات السطحية
الشعور بالقبول، الأمن، المعنى، العلاقات الحميمية والعميقة، النجاح، المُتعة، القوة، الراحة، التحكُّم، الحاجة إلى الشعور بالحب.	المال، الجنس، الخدمة، الجمال الخارجي، شريك حياة، عائلة، حب المعرفة، الراحة، أوقات الترفيه، أهداف الحياة ..

ما هي الطريقة التي يستخدمها الله في حياتك، حتى يعود ويأسر قلبك من جديد لتُحبه أكثر من أي شيء؟

* * *

الفصل الرابع

الإغواء وكيف يعمل

كما هو الحال في مجال الطب، فإن تشخيص المرض بشكل صحيح هو الطريقة الوحيدة للقضاء على المشكلة الحقيقية. ومع ذلك، يمكن اللجوء إلى العديد من خطط العلاج، ولكن كلها ستفشل إذا لم يتم مُعالجة ما يُسبِّب المشكلة بالفعل. من أجل فهم جوهر مُعضلة القلب، من الضروري التركيز لبضع لحظات على تكوين الإنسان. على الرغم من كونه جزءًا معروفًا من الكتاب المقدس، إلا أن سفر التكوين من ١ إلى ٣ يسهم كثيرًا في تشخيص أعمق مشكلة للرجل والمرأة.

دعونا نتأمل في مبدأين في غاية العظمة من خلال هذه القصة.

التصميم الإلهي لقلب الإنسان

هناك تعاليم واضحة، متناقضة، ولكنها ليست مُتضادة، والتي نجدها في أول آيات من الكتاب المقدس. من ناحية، بعد أن خلق الله آدم وحواء، شعر الله بالرضا عن عمله، وأعلن أنه "حسنٌ جدًا" (تكوين ١: ٣١).

بمعنى آخر، ليس هناك عيب في تكوينهم. إنهم ليسوا أشخاصًا يُعانون من أمراض خلقية أو أخطاء أو أضرار، لكن من ناحية أخرى، هم أشخاص لديهم احتياجات. نرى أنهم أشخاص لديهم احتياجات فسيولوجية من الطعام، والهواء، والماء، وأشعة الشمس .. إلخ.

ولكننا نرى أيضًا أنهم أشخاص لديهم احتياجات يمكننا أن نسميها علاقات، أو الأفضل "روحية". **قال الله علانية**: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ» (تكوين ٢: ١٨) ممَّا يوضح لنا حاجة الإنسان إلى أقرانه للحصول على "المساعدة المثالية".

وكذلك يَصف النص تواصلاً مستمرًا وحوارًا بين الله وخليقته، مع التشديد على حاجة الإنسان إلى علاقة حميمة مع خالقه. وهذا يعني أن فهم التصميم الأصلي للقلب بشكل صحيح يعني فهم أن الكائن البشري تم خلقه دون عيب، ولكنه لديه احتياجات.

يقول بول تريب: "تميل ثقافتنا إلى الاعتقاد بأننا بحاجة إلى المساعدة بسبب شيء قد فعلناه في الماضي، أو نتيجة لعلم الوراثة السيئ أو الكيمياء والتركيبة الشخصية السيئة. لكن سفر التكوين ١ يواجهنا بحقيقة تبلور فكرة أن حاجتنا إلى المساعدة تسبق وقوع الإنسان في الخطية. لقد خلقنا الله برغبة أن نكون اعتماديين. **محاولة العيش دون استقبال مساعدة من الله، بمثابة الحكم على النفس للقبول بمستوى للعيش غير آدمي** .. رؤيتنا الشخصية لأنفسنا تبدأ عندما نقرّ في اتضاع بالطبيعة التي لا مفرّ منها. إذا لم يكن هناك سقوط. **إذا لم نخطئ أبدًا، فسنظل بحاجة إلى المساعدة لأننا بشر**. هذا هو أساس الفهم الصحيح للنفس والعمل الذي دعانا إليه الله".

هذه الحاجة، وهذا الاعتماد، إنها ليست عيبًا في الخلق. الله لم يرتكب أي خطأ أثناء تكوين الإنسان. العكس تمامًا. إنه جزء من خطة وتصميم الله للبشرية قبل السقوط، وإلى يومنا هذا، وسنظل هكذا إلى الأبد. كما هو مكتوب في سفر الرؤيا ٢١: ٢٢- ٢٤: «وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا. وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا. وَتَمْشِي شُعُوبُ الْمُخَلَّصِينَ بِنُورِهَا، وَمُلُوكُ الأَرْضِ يَجِيئُونَ بِمَجْدِهِمْ وَكَرَامَتِهِمْ إِلَيْهَا»[1].

---

[1] أوَّد أن أوضح أنه عندما أتحدَّث عن "الاحتياجات"، لا أقصد أن كل رغبة أو حاجة نشعر بها يتم خلقها أو تصميمها من قِبَل الله، وبالتالي، ليس من اللازم إشباعها. هناك عدد لا يُحصى له من الرغبات الداخلية التي تنشأ من أنانيتنا، ولا تتوافق مع خطة الله الأصلية وتصميمه.

ماذا أقصد، إذن، عندما أتحدَّث عن "الاحتياجات الروحية للقلب"؟ لإعادة صياغة ما قاله باسكال، أنا أتحدَّث عن "فراغ" في قلبنا بنفس حجم الله. أوَّد أن أُشير إلى حالة القلب غير المُكتمَلة دون وجود صِلَة حيوية مع "الخالق"، وأنه نتيجة للسقوط، نحاول باستمرار ملء هذا الفراغ "بالخليقة" (الإجازات، وظيفة أفضل، سيارة جديدة، صديق أو صديقة، النجاح، وبدائل لا نهاية لها).

وبعبارة أخرى، عندما أتحدَّث عن الاحتياجات، أعني "الرغبات العميقة" التي درسناها في الفصل الثاني.

لاستيعاب هذا المبدأ الكتابي بشكل أكثر وضوحًا، تخيَّل للحظة؛ رحلة مع ابنك إلى مَتجر الألعاب لشراء عربة أطفال يتم التحكُّم فيها عن بُعد. العربة لونها أحمر، وهي في حالة ممتازة وجديدة تضيء بأنوار خلاَّبة، ولا يوجد بها أي عيوب. ومع ذلك، لكي تعمل هذه العربة، فإنها تحتاج إلى بطاريات. بدون بطاريات، لن تعمل كما يجب.

نعم، يمكن لابنك أن يدفعها بيده، كما يمكنه ربط حبل وسحبها، لكن لكي تعمل هذه السيارة بشكل صحيح، فإنها تحتاج إلى بطاريات. هذا ليس عيبًا في تصنيعها. هذا هو التصميم الخاص بها.

تم إنشاؤها بهذه الطريقة عن قصد ولن تكتمل بدون بطاريات. أنت وأنا بحاجة إلى الله. أنت وأنا بحاجة إلى كل ما هو الله عليه حتى نكون مُكتملين.

لقد صمَّمنا أنا وأنت
ونحن نمتلك رغبة لا يمكن إشباعها
بأي شكل
غير أن نمتلئ به.

كما قلنا في الفصل الثاني، لدينا احتياجات ورغبات عميقة، وبعيدًا عن كوننا خطاة، فهي جزء من تصميم الله لكي نعتمد عليه. دعنا نتفحَّص أربع نقاط وثيقة الصِلَة، ناتجة عن هذا المبدأ.

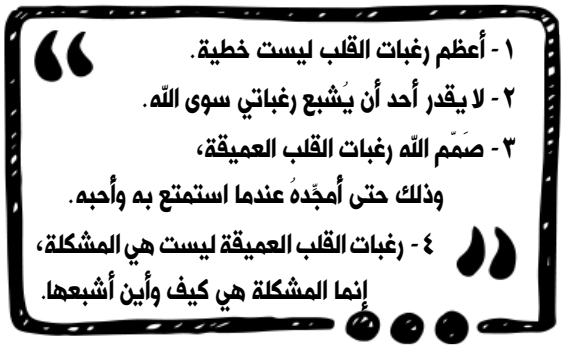

(١) أعظم رغبات القلب ليست خطية:

لا أُريد أن نقع في سوء فهم هذا المبدأ، لكن أوَّد أن أتحدَّاك في فهم أن الرغبة والشوق إلى السعادة أو محاولة ملء قلبك، ليس في حد ذاته خطية، لكنه شيء مخلوق ومُصمَّم من قِبَلْ الله، ولا ينبغي لنا أن نشعر بالذنب تجاهه.

لقد

صمَّم الله كل احتياجاتنا، الفسيولوجية والروحية، ليملأها (بشكل مباشر أو غير مباشر).

إن البحث عن فرحتنا وراحتنا، ليس فقط شيئًا يمكننا القيام به، ولكنه شيء لا يمكننا ألاَّ نبحث عنه. **إنها** مُتأصلة في طبيعتنا، ولا تُشكِّل مشكلة في حد ذاتها.

قال بلاس باسكال: "كل الرجال يبحثون عن السعادة دون استثناء، مهما تفاوتت الطرق التي يستخدمونها. الغاية في آخر المطاف تظل كما هي .. لن تتخذ الإرادة خطوة واحدة لا تتضمَّن هذا الهدف. هذا هو السبب وراء كل عمل يقوم به الإنسان، حتى أولئك الذين يشنقون أنفسهم".

عبَّر عنها سي. اس. لويس في جواب لأحد أصدقائه بهذه الكلمات: "أنت تعلم أنه واجب مسيحي أن تظل فَرِحًا بقدر الإمكان".

وكتب توماس واتسون أيضًا: "ليس لدى الله أي مشروع آخر سوى أن يجعلنا فَرِحين".

وقال جون بيبر: "البحث عن السعادة هو دافع جوهري وراء أي عمل صالح. إذا كنت تفكِّر في أنه من الممكن التخلّي عن رحلة البحث عن المُتعة الدائمة والكاملة، فلن يمكنك حب الناس أو إرضاء الله".

كما سنرى في الصفحات القادمة، البحث عن أعظم خير لنا قد يتحوَّل إلى خطية، وبالأخص بعد السقوط. ومع ذلك، فإنه من الضروري التأكد بثقة واقتناع بأنه لا يوجد خطأ جوهري في تمنياتنا لتلبية احتياجاتنا الروحية العميقة. إنه جزء من التصميم الإلهي لنا. تركيبتنا تعمل مثل عربات التحكُّم عن بُعد.

نحتاج إلى الله حتى نعمل بشكلٍ صحيح.

في الواقع، إذا تأملت للحظة، ستُدرك أن الله هو الكائن الوحيد الذي ليس له احتياجات، فهو مُكتفٍ ذاتيًا تمامًا، ولايعتمد على الآخرين (ولكن فقط على نفسه) ليكون سعيدًا وكاملًا.

التفكير في الإنسان ككائن مُكتفٍ بذاته بلا احتياجات، هو بمثابة الوقوع في فخ الحيَّة، والتظاهر بأننا مثله![٢]".

أُريدك أن تفكّر للحظات في ما قاله يسوع في إنجيل متى ١٦: ٢٥ «فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا». ما هي الرسالة التي يريد يسوع أن يتركها لنا من خلال هذه الأعداد؟

يُفسِّر تيم كيللر هذا المقطع في إحدى كتبه على النحو التالي:

"إذا كنت تبحث عن السعادة، قبل أن تبحث عني أنا ينبوع الماء الحي، فلن تحصل على أي منهما. **أما** إذا كنت تسعى لخدمتي أولاً، قبل أن تبحث عن سعادتك، **فستحصل على الاثنين**".

أعتقد أن المفهوم الذي يعنيه كيلر من خلال هذه العبارة، لديه جزء من الحقيقة. ومع ذلك، على الرغم من أنه أحد المؤلفين الذين أحترمهم بشدة، وأحب كتاباتهم كثيرًا. وفي الواقع، فهو المؤلف الذي أُشير إليه أكثر في هذا الكتاب، لكنني في هذه الحالة بالذات أختلف معه.

أعتقد أن المفهوم الذي يريد يسوع مُشاركته، يمكن أن يُعَاد صياغته على النحو التالي: "إذا كنت تبحث عن السعادة في هذا العالم فلن تجدها، ولكن إذا توقفت عن البحث عن السعادة في العالم، وبحثت عنها فيَّ؛ فستجدها". ما الفرق؟ أُريدك أن تُعيد قراءة العبارتين مرة أخرى بعناية، والفرق كبير!

يفترض تفسير كيلر أنه يمكنني البحث عن يسوع دون السعي لتحقيق السعادة، دون السعي لتحقيق أعظم خير، دون "البحث عن الحياة". ولكن هذا مستحيل. كما قال

---

[٢] كما سنرى في النقاط التالية، فإن البحث عن السعادة ليس خطية بالمرة، بل هو أعظم واجب على الإنسان، لأن مجد الله على الميزان. كما يقول جون بايبر: "إذا كان صحيحًا أن الله يتمَجَّد أكثر فينا عندما نجد الشبع والسرور فيه، فتأمل ما هو على الميزان في رحلة بحثنا عن الفرح. مجد الله على الميزان! عندما أقول: إن السعي وراء الفرح ليس ضروريًا، أقول إن تمجيد الله ليس ضروريًا. ومع ذلك، إذا كان تمجيد الله هو ما يهم في النهاية، فإن إيجاد الشبع والسرور الذي يُظهِر مجده، هو في النهاية ما يهم. مبدأ المُتعة المسيحية ليس لعبة. الكون كله يدور حوله. هذا يعني ضمنيًا أن **السعي وراء السرور بالله هو أسمى درجات دعوتنا**". جون بايبر، The Dangerous Duty of Delight، صفحة ٢٢،٢٣.

باسكال: نحن لا نتخذ خطوة واحدة دون السعي لتحقيق هذه الغاية. العكس تمامًا. في البحث عن يسوع، نبحث عن السعادة! (بالطريقة نفسها التي نسعى فيها لتحقيق السعادة عند البحث عنها في أي عرض يُقدمه هذا العالم).

نبحث عن يسوع لأنه أصبح أكثر جاذبية من ما يُقدمه العالم لنا. فجأةً استنارت عيوننا لنرى يسوع أكثر قيمة من المال ومن الجنس ومن أية هيبة أو أي شيء آخر يُقدمه هذا العالم. أولاً أرى أن الحياة فيه، وعلى عكس ما تَعِد به الخطية، يكتمل فرحي فيه. فَهم هذا الاختلاف ضروري لفهم كيف يعمل القلب. **في البحث عن يسوع، أنا أبحث بالفعل عن سعادتي.** إذا لم يكن كذلك، فلن أبحث عنه! كما رأينا في الفصل السابق، فإن القلب دائمًا يصنع لنفسه كنوزًا تتبعها رغباتي، سواء كان ذلك المسيح أو العالم.

(٢) لا يقدر أحد أن يُشبع رغباتي سوى الله:

سفر إشعياء ٥٥: ١، ٢ يدعونا دعوة خاصة مليئة بالتفاصيل: «أَيُّهَا الْعِطَاشُ جَمِيعًا هَلُمُّوا إِلَى الْمِيَاهِ، وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ فِضَّةٌ تَعَالَوْا اشْتَرُوا وَكُلُوا. هَلُمُّوا اشْتَرُوا بِلاَ فِضَّةٍ وَبِلاَ ثَمَنٍ خَمْرًا وَلَبَنًا. لماذَا تَزِنُونَ فِضَّةً لِغَيْرِ خُبْزٍ، وَتَعَبَكُمْ لِغَيْرِ شَبَعٍ؟ اسْتَمِعُوا لِي اسْتِمَاعًا وَكُلُوا الطَّيِّبَ، وَلْتَتَلَذَّذْ بِالدَّسَمِ أَنْفُسُكُمْ». الدعوة واضحة جدًا. لايَدين الله تعطُّش الروح فحسب، بل يدعونا لملئها من خلاله.

كما قال القديس أغسطينوس: "لقد خلقتنا من أجلك، ونفسي لن تهدأ حتى تجدك". يُردِّد سفر المزامير هذه الكلمات: «تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ١٦: ١١). «لأَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا فِي دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ. اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَار» (مزمور ٨٤ : ١٠).

أكد السيد المسيح نفسه أن هدف خلاصنا هو أن نحيا حياة "أفضل" (يوحنا ١٠: ١٠). حتى بعد عدة أصحاحات في إنجيل يوحنا، يؤكد السيد المسيح: «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ، وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ» (يوحنا ١٥: ١١).

الكتاب المقدس لا يترك أي شك. هناك دعوة للعثور على أعظم سرور في شخصه. هو أعظم احتياجنا، كما يقول جون بايبر: "عندما فهمت حقيقة أن الله يتمجَّد أكثر عندما

نجد المزيد من الفرح فيه، تحرَّرت من العبودية غير الكتابية المُتمثلة في الخوف من البحث عن الفرح لأنه خطأ. ما بَدا لي ذات مرة أنه مسعَى حتمي وغير كافٍ لإرضاء نفسي، أصبح لا يُسمَح فحسب، بل مطلوب أيضًا. وكأن مفهوم كيف يتمجَّد الله كان على المحك" ..

ماذا تعني هذه العبارة: "كأن مجد الله كان على المحك؟". أوَّد أن أطلب منك التأمل للحظة في سؤال مُفعَم بالحيوية: "ما هو هدفي الأعظم كمسيحي؟". توقف لبضع ثوانٍ، وخُذ في الاعتبار هذا السؤال. لا تستعجل، تأمل فيه: ما هو أعظم أهدافك كمؤمن؟ قد يقول أحدهم: "أعظم واجب لى كمسيحي، هو خدمة الله. يمكن أن يقول آخر: "لا. أعظم واجب لى كمؤمن، هو التبشير. تحقيق المأمورية العظمى". قد يقول آخر: "واجبي الأكبر هو طاعة أو قراءة الكتاب المقدس، والصلاة".

أخـــيرًا، قد يؤكد شخص ما: "**إن واجبنا الأعظم كمسيحيين، هو القيام بإرادة الله**، ومحاولة عدم ارتكاب الخطية".

في الحقيقة جميع هذه الخيارات أو العديد منها غير صحيح. **هدفنا الأعظم كمسيحيين هو التمتع بالله**. لماذا؟ لأننا، كما رأينا في الفصول السابقة، نتمتع بما نُحبه، وأكبر وصية أعطاها الله لنا، هي: أن نُحبه! (متى ٢٢: ٣٧، ٣٨). وكما تؤكد تعاليم ويستمنستر الشهيرة:

"**إن أعظم واجب على الإنسان، هو تمجيد الله، والاستمتاع به إلى الأبد**".

قبول هذه الحقيقة، والعيش وِفقًا لها، أمر ضروري للغاية لثلاثة أسباب:

أولاً: لأن الله هو الوحيد القادر على تلبية أعمق احتياجات الروح، كما يقول مزمور ١٦: ١١ «تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَد».

انتبه إلى كلمة «شِبَع سرور». الدرس العظيم الذي يجب أن نتعلَّمه كبشر، هو أنه عندما لا يكون الله كافيًا، لن يكون أي شيء يُقدِّمهُ العالم كافيًا. **لكن، عندما يكون الله كافيًا، فلن يهمنا أي شيء يُقدِّمهُ العالم**.

ثانيًا: لأنه يمكننا القيام بكل من الوصايا المذكورة أعلاه مثل التبشير، الخدمة، قراءة الكتاب المقدس، الصلاة، حتى تتميم إرادته على الأرض دون أن نحب الله. لقد حذرنا

المسيح بالفعل من هذا في متى ٦: ١، ويكرِّر بولس ذلك المبدأ في ١كورنثوس ١٣: ١- ٣ تعليم الرسول بولس واضح جدًا في هذا المقطَع. من الممكن إعطاء كل أموالي للفقراء دون أن يكون لديَّ حب حقيقي لهم! لهذا **يهتم الله بدوافعنا أكثر من اهتمامه بأفعالنا، وتغيير الرغبات، وليس مجرَّد تغيير السلوك.**

وأخيرًا: سننظر معًا في النقطة التالية؛ أنه في الاستمتاع بالله، فإننا نُقدِّرهُ، ونكنزه، ونعتز به، بعبارة أخرى: نُمجِّدهُ.

يقول جون بايبر بشكل واضح وصريح: "**يُمجّد الله نفسه، ليس فقط عندما نتأمل عظمة بهاء مجده، ولكن عندما نجد فرحنا فيه**".

(٣) صمَّم الله رغبات القلب العميقة، حتى أمجِّده عندما أستمتع به وأحبه:

بكلماتٍ أخرى: **هدف الله في خلقنا مع كل هذه الاحتياجات، هو الكشف عن عظمته، وصلاحه في تلبية تلك الاحتياجات.** يهدف تصميمنا بهذا الشكل إلى الكشف عن حُبهِ الرائع لنا، حتى نتمتع بهذا الحب ونُقدِّرهُ، ونكنزهُ، ونُحبه. كما يؤكد بولس في أفسس ١: ٣- ٦، فإن خطته تركز على مُشاركة نعمته المجيدة معنا: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ».

هدف الله في كل خطوة من الخلق والخلاص،

هو إظهار وتعظيم مجده.

يمكنك التأمل فيها بالمجهر أو التلسكوب.

المجهر يُكبِّر الصورة بجعل الأشياء الصغيرة تبدو أكبر من حجمها.

أما التلسكوب يُقرِّب حجم الأشياء العملاقة (مثل النجوم) والتي تبدو لنا صغيرة، بالقرب من حجمها الفعلي. لقد خلق الله الكون لتعظيم مجده، كما يعظم التلسكوب حجم النجوم. كل ما يفعله الله في خلاصنا، قد سبق تصميمه لتضخيم مجد نعمته بهذه الطريقة. **لقد خلقك الله لقضاء الأبدية في تمجيده، من خلال الاستمتاع به دائمًا.**

(٤) رغبات القلب العميقة، ليست هي المشكلة،

إنما المشكلة هي: كيف وأين أشبعها:

المشكلة ليست حاجتنا للاعتماد على شيء آخر. المشكلة ليست في "الفراغ" الداخلي الذي نشعر به. المشكلة ليست في الرغبة في الشعور بالسعادة أو محاولة ملء وإشباع القلب. المشكلة هي كيف نشبع أعمق احتياجاتنا، ونُسدِّد فراغنا وافتقارنا إلى الهوية، والغرض، والمعنى، والقيمة. كما يقول بول تريب:

"بدون الأصحاح الأول من سفر التكوين، لايمكن فهم عالم الاحتياجات الشخصية. إنه يوضح أن حاجتنا للمساعدة، هي جزء من تصميمنا الإلهي، وأنها ليست نتيجة للسقوط. **يحتاج البشر حقًا إلى الخروج عن دائرة أنفسهم لفهم الحياة**".

إرميا ٢ :١٣ يُظهِر بوضوح هذه الديناميكية. يقول هذا الجزء: «أَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ [الشر الأول]، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ آبَارًا، آبَارًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً[الشر الثاني]». هل يلوم الله الناس على عطشهم؟ هل يَدين الناس لحاجتهم للماء؟ هل يتهم الله إسرائيل بالمشكلة التي يواجهونها؟ بالطبع لا! ارتكب إسرائيل شرّين لاعلاقة لهما باحتياجاتهما، بل لهما علاقة بكيفية إشباع هذه الحاجة.

مشكلة شعب إسرائيل، كما سنرى لاحقًا، **هي التخلّي عن الله، والسعي لإيجاد حل بعيدًا عنه**، كما يقول جون بايبر ببراعة: "**لا يوجد شيء يُمجِّد الله أكثر من حالة شخص مقتنع تمامًا بأن لا شيء** (لا مال، ولا مكانة، ولا رفاهية، ولا أُسرة، ولا عمل، ولا صحة، ولا رياضة، ولا ألعاب، ولا أصدقاء) سيُحضِر رضىً وفرحًا أكبر لقلبهِ المتألم بعيدًا عن الله .. جوهر العبادة، هو البحث عن الشِبَع في شخص الله".

في عملٍ آخر من كتبه، وفي ظل أعداد إرميا ٢، يقول بايبر:

> يُمثل الله نفسه كعين ماء عذبة ونظيفة ومصدر للحياة. تتمثَّل طريقة إظهار عظمة هذا المصدر من المياه، من خلال الذي يستمتع بالمياه ويُثني عليها، ويعود مرة أخرى للحصول على مزيد من المياه، ويوجه الآخرين إلى طريق هذه المياه .. **ولا يلجأ أبدًا أبدًا إلى أي مصدر آخر للمياه في هذا العالم**. هذا سيجعل مصدر المياه يبدو قَيِّمًا للغاية. وبتلك الطريقة نُمجِّد الله؛ مصدر الماء الحي.

في أيام إرميا، اختبر الشعب نعمة الله، ولم تعجبهم. لذا فقد بذلوا كل طاقاتهم للبحث عن مياه أفضل. مياه تجلب لهم الرضى.

لم يقتصر الأمر على تسمية الله لهذا الجهد العبَث «أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً»، بل أطلق عليه "شرًا" .. «أَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ». وضعوا عظمة الله وراء ظهرهم، ولم يعجبهم ما جرَّبوه. ثم انقلبوا وزاغوا يبحثون عن آبْارًا مُشَقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً في هذا العالم. هذه الإهانة المزدوجة هي جوهر الشر.

لذا، فإن تفضيل ملَّذات المال أو السلطة أو الشهرة أو الجنس على الله «فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ١٦: ١١)، ليس فقط مثل تفضيل نكهة الكراميل على شراب الشوكولاتة .. [وهذه مسألة بسيطة]، بل **جوهر الشر، هو تفضيل ملذات الحياة على الله**.

إذا تأملت بعناية أعداد إرميا ٢: ١٣ فسوف تصل إلى استنتاج لا غنى عنه على الإطلاق لفهم كيفية حدوث التغييرات. قبل أن أبدأ بالبحث عن المُتعة في العالم، فقد توقفت بالفعل عن العثور على المُتعة بالله.

بمعنى آخر، السبب في أنني أحاول إشباع رغباتي العميقة بملذات الحياة، هو أنه في الحقيقة لم يَعُد الله أعظم مصدر لفرحي. فمثلا قبل أن أنظر إلى المواد الإباحية، يحدث شيئان: **أولاً**، أتوقف عن العثور على المتعة في شخص الله (الشر الأول)، وبعد ذلك أبدأ في إيجاد بديل للمتعة خارج الله (الشر **الثاني**) من خلال رغبة سطحية (مثل الجنس) التي قد تتحول إلى وثن في حياتي. **ثم** أرتكب فعلاً خارجيًا خاطئًا (انظر إلى المواد الإباحية) لمحاولة تلبية حاجتي.

دعني أعطيك مثالاً آخر: قبل البدء في استثمار أموالي بشكل مُبالَغ فيه، تَحدُث عدة أشياء بداخلي. **أولاً**، أتوقف عن العثور على الأمان في الله (الشر الأول)، ثم أبدء في البحث عن بديل خارج الله من خلال رغبة سطحية (مثل المال)، والتي تتحوَّل إلى وثن. **ثم** أرتكب فعلًا خارجيًا خاطئًا (أضع كل طاقاتي في استثمار أموالي) لمحاولة تلبية حاجتي.

لهذا، **إيجاد المتعة في الله، هو أمر جوهري في الحياة المسيحية!** لأنه عندما نتوقف عن الاستمتاع به، نبدأ في البحث عن بدائل للفرح في أماكن أخرى، كما سنرى في الفصول المُقبلة.

هذا الانحراف هو جوهر الخطية؛ التخلّي عن مصدر الماء الحي، والبحث عن الفرح في ملذات الحياة. **ومن هنا تبدأ فكرة الوثنية؛ حيث نستبدل الله بشيء آخر، و"إله" آخر ليملأ فراغنا.**

الشر الأول		الشر الثاني	
أولاً: تركت الله.	أعيش لصالح نفسي.	أحاول أن أشبع نفسي بالخليقة.	تحوَّلت إلى مُخلّص نفسي.
أشعر بجوع وفراغ.	تركت مصدر الماء الحي.	حفرت لنفسي آبْارًا مُشَقَّقَةً.	ابتكرت بديلاً له.
لديَّ رغبة عميقة، أشتاق أن أُشبعها.	توقفت عن الاستمتاع به، وبحبه.	حوَّلت رغبة شرعية إلى وثن أعبدهُ.	بدأت أستمتع، وأحب الخليقة نفسها، أكثر من الخالق.

مشكلة القلب

المفهوم الثاني العظيم الذي نفهمه من الفصول الأولى من سفر التكوين، هو **أن:**

الإنسان يُخطئ

لأنه يعتقد أن الكذبة التي اختار أن يُصدِّقها (شيء غير الله – إلهه الخاص) سوف يُلبي احتياجاته، ويمنحه المزيد من السعادة.

هذا المفهوم يَنطوي على اثنين من المبادئ المهمة للغاية:

المبدأ الأول

أوَّد أن أدعوكم للتأمل في هذه العبارة بتمعُّن:

القلب يختار فقط ما يبدو للعقل أنه مفيد وجيد.

هذه العبارة مهمة جدًا أوَّد أن تقرأها مرة أخرى حتى لا تتجاهل معانيها. القلب يختار فقط ما يبدو للعقل أنه مفيد وجيد. بمعنى آخر، نختار دائمًا ما نحن مقتنعون بأنه الأفضل بالنسبة لنا. لا أحد يخطئ وهو يعرف أن الخطية ستُدمره.

ذكر الكتاب في سفر التكوين ٣: ٦ «فرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ ... ».

يمكننا، مثل حواء، أن نخدع أنفسنا في اتخاذ قرارتنا، لكن هذا يتم دائمًا بناءً على ما نعتقد أنه سيفيدنا، وسيعطينا أعلى مستوى من الشبع والسعادة، مثلما يحدث مع سمكة تسبح في بحيرة، وترى دودة عائمة، وتُقرِّر أن تأكلها. لماذا؟

السبب واضح: لقد انخدعت حيث رأت الدودة، وظنت أنها وجبة مُمتعة وجذابة. وهكذا تقتنع السمكة بالكذبة الكبيرة، بأن هذه الدودة ستُشبع جوعها، وتختار أن تأكلها، مقتنعة أن تناولها سيكون أفضل حل. منطقيًا، لم ترَ السمكة الخطاف، وما كان من المُفترض أن يعطيها حياة، انتهى به الأمر إلى موت السمكة.

يلخص لنا الكتاب عملية الإغواء نفسها هذه في يعقوب ١: ١٤، ١٥ «وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا». يقول جون أوين: "إن خداع الخطية على العقل، يتكوَّن من تقديم الأشياء بطريقة تجعل طبيعتها الحقيقية أو أسبابها أو آثارها أو ظروفها مَخفية عن النفس".

أكبر خدعة للخطية، هي أنها تجعلنا نعتقد أننا نختار الحياة أو شيئًا أفضل من وضعنا الحالي؛ مثل "الدودة"، بينما في الواقع نحن نختار الموت (أمثال ٨: ٣٦). كما قال اللاهوتي المشهور في العصور الوسطى ريتشارد باكستر: "إن الإرادة لا تريد الشر، ولكن ... ما قد يبدو جيدًا حينها".

المفتاح هو أن نُقرِّر مَن الذي سنضع ثقتنا فيه.

من المُثير للاهتمام أن نلاحظ أنه في جنة عدن، كانت أول مرة يواجه فيها الإنسان مُعضلة تلبية احتياجاته من خلال شيء آخر غير الله. هذا يقودنا إلى اختلاط إيماننا في عملية اتخاذ القرارات، مَن ينبغي تصديقه: الله أم الحية؟ كما نعلم؛ أبوانا اختارا أن يُصدِّقوا أكاذيب الحية، بدلاً من الوثوق في صلاح الله، بدلاً من الإيمان في محبه الآب، وفي رغبته في حمايتهما، وفي حبه السيادي. **صدَّقوا الكذبة؛ أنه بعيدًا عن الله هناك حياة أفضل**. بهذه الطريقة، من الواضح أن كل خطية هي عرض لحياة أفضل. وسيلة لملء احتياج.

لنأخذ هذا المفهوم في حياتنا، ونتأمل فيه مرة أخرى: هل المشكلة هي احتياجنا الدائم؟ بالطبع لا! المشكلة هي أننا لا نعتقد أن الله يريد، ويستطيع أن يُلبي احتياجاتنا الحقيقية، ولذلك نُحوِّل أنفسنا إلى أسياد، ونركض وراء البدائل التي تبدو كأنها ستعطينا ما وعد الله بتقديمه. كما قال القديس أوغسطينوس:

"هكذا يُفسِد الإنسان روحه بالمخلوقات عندما ينفصل عن الله،
ويبحث عن كل ما هو طاهر وصالح، بعيدًا عنه.
ولا يستعيد روحه إلا عندما يعود لله مرةً أخرى".

الخطية لا تجعلنا فقط مُتمرِّدين لا حول لهم ولا قوة، بل تجعلنا أيضًا حمقى.

نحن نميل إلى حب الأكاذيب، وخداع أنفسنا من خلال إيماننا بحججنا الباطلة.

نحن عرضة للوقوع في فخاخ وإغراءات العدو. نعيش لِما هو وقتي وأرضي، ونتجاهل ما هو أبدي.

نميل إلى إخفاء أو تجاهل أو التغاضي عن خطايانا، بينما نركز على خطايا الآخرين .. إذا كانت النعمة تتعامل مع النتائج الأخلاقية للسقوط (تمرُّدنا وعجزنا)، فعندئذٍ يتم توجيه الحقيقة إلى الآثار المُترتبة والمُزمنة للسقوط - أي تأثير الخطية على طريقة تفكيرنا تجاه الحياة، وتفسيرها.

يوضح لنا الرسول بولس هذه الحقيقة في رسالته إلى أفسس على النحو التالي:

«فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ. اَلَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَارَةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ.

وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هكَذَا، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعُلِّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أفسس ٤: ١٧- ٢٤).

المبدأالثاني:

أُخطئ عندما أستبدل الله بشيء آخر.

كما حدث في جنة عدن، وكما رأينا في إرميا ٢ :١٣ إن جوهر خطية الإنسان هو رفضه لِما يقوله لله، واستبداله ببديل آخر. وبهذا يُعلن الإنسان عن تمرُّده، ورفضه، وانفصاله عن حب الله وصلاحه. إنه إعلان للاستقلال. ينتهي هذا الموقف بإنتاج اثنين من النتائج الحتمية.

أولاً: إنه يُحوِّلني إلى مُنقذ ومُخلِّص حياتي الخاص. في رفضنا لِما يقوله الله، نحن نُعلن أننا مسؤولون عن تلبية احتياجاتنا، والحفاظ عليها. ما كان يومًا عمل الله، أصبح الآن عملنا. ما كان احتياجًا شرعيًا وصحيًا لقلوبنا، أصبح الآن هَوَس خاطئ. هذا النظام الجديد للحياة له عواقب وخيمة. الشخص الذي يقف كمُخلِّص لحياته، بوعي أو بغير وعي، يرفض سيادة الله، وخيره، وحكمته ونِعَمُه. لذلك من المنطقي أن تكون النتيجة النهائية لهذا الرفض هو جلب العار لله.

بعبارات أخرى، كأن في كل مرة أخطئ فيها أقول للرب: "سأتحكَّم أنا في حياتي (لأني سيدي الخاص، وبالتالي أرفض سيادتك). سأثق في حكمتي لأنني جدير بالثقة (لأنني أرى نفسي حكيمًا أكثر منك، وبالتالي أرفض حكمتك). سأُحب نفسي أفضل من ما أنت تحبني (لأنني أعرف أن أكون أفضل منك، وبالتالي أرفض سلطانك على حياتي). سأستخدم سلطتي ونفوذي، ولن أعتمد عليك (لأنني أقوى منك، وبالتالي أرفض نعمتك للتدخل في حياتي)".

جوهر الخطية هو الاستقلال عن الله

إنها عملية نُحوِّل فيها أنفسنا إلى آلهة من خلال محاولة السيطرة على الذي، في رأينا، سوف يعطينا سعادة حقيقية. من الصعب أن تجد شيئًا يُشوِّه مجد الله، ويجلب له العار، أكثر من ذلك. بينما الوثوق في شخصه يُمجِّد سلطانه، فإن **الاستقلال عنه يسلب كل المجد من الله.**

عندما نعتمد عليه نُعلن: "أنت صالح! أنت حكيم! أنت صاحب سيادة!". ومن خلال الاستمتاع بصلاحه غير المحدود، نشعر بمجده ونعشقه ونُمجِّدهُ. ومع ذلك، فإن العكس هو أيضًا حقيقة واقعة. عندما نخطئ، ونحاول إشباع فراغنا، نحن نصرخ العكس تمامًا.

"أنت لا تستحق ... أنت لست جيدًا .. "، كما يقول دونالد كارسون، وكما سنرى في النقطة التالية:

السبب وراء كل هذا الشر، هو التقليل من ألوهية الله. وكأن الإنسان يُصوِّب سهمًا في وجه خالقه، ويُهدِّده، ويقول: "في الحقيقة: إذا كنت لا ترى الأشياء بطريقتي، فسأصنع آلهتي الخاصة! سأتحوَّل إلى سيد نفسي! ".

ليس من الغريب ملاحظة أن الخطية الأكثر تواترًا في سبب غضب الله، ليست القتل على سبيل المثال، أو السرقة، أو أية خطية همَجية أخرى، بل هي عبادة أنفسنا - أن نصنع شيئًا آخر ليحل مكان الله. ولذلك في معظم الخطايا نحن نُوجه الجزء الأكثر إهانة إلى الله. كتب داود في سفر المزامير: «إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ» (مزمور ٥١: ٤).

ثانيًا: هذا يجعلنا نقع في عبادة آلهة أخرى بشكل مستمر. استبدال الله هو ما يُعرِّفهُ الكتاب المقدس بأنه عبادة الأوثان. هذه هي المشكلة الكبيرة لقلب الإنسان.

ماذا تعني كلمة صنم أو وثن؟ هو أي شيء أكثر أهمية لنا من الله.

شيء يشغل قلبنا وخيالنا أكثر من الله. شيء نسعى أن نأخذ منه ما يمكن أن يُقدِّمهُ الله فقط .. أي وثن يحتل جزءًا كبيرًا من قلوبنا بحيث يمكننا أن نعطيه معظم شغفنا وطاقتنا وعاطفتنا ومواردنا الاقتصادية، دون التفكير مرتين ..

الوثن هو كل ما تنظر إليه وتقول في قلبك: "إذا تمكَّنت من الحصول على ذلك، فسوف أشعر أن حياتي جميلة، وأشعر بالمعنى والقيمة وبالأمان".

الله قد خلقنا لنعيش معه

لقد صمَّمنا الله لنجد الفرح فيه. خلقنا الله لنجد السرور في شخصه.

الخطية هي استبدال الله بأشياء أخرى .. هي إنكار قدرة الله على تلبية احتياجاتنا.

الخطية هي رفض لكل شيء هو يريد أن يفعله فينا، واختيار شيء آخر كبديل له. هو استبدال الراحة التي يُقدِّمها الخالق، ببدائل السعادة الوقتية التي تقدمها الخليقة. يُعبِّر عنها جون بايبر بالكلمات الآتية: **الشهوة** هي الابتعاد عن الله بحثًا عن الرضا في الجنس ..

الطمع هو الابتعاد عن الله للبحث عن السعادة في أشياء أخرى ..

غياب الايمان هو نفاذ الصبر في أن الله سيُحقق مواعيده، فنذهب لتحقيق خطتنا الخاصة.

الانتقام هو عدم تصديق أن الله هو القاضي العادل، لذلك نسعى لإنصاف حقنا بطريقتنا.

القلق هو الابتعاد عن الله بحثًا عن طرق للسيطرة على حياتنا.

الكبرياء هو الابتعاد عن الله لإيجاد الراحة بطريقتنا.

باختصار

الخطية هي الابتعاد عن الله، من أجل إيجاد الراحة والفرح في أمور أخرى.

عبادة الأوثان هي أن نكون مقتنعين بأننا بحاجة إلى شيء أكثر من الله لنكون سعداء. هذا هو الإغراء الذي سقط فيه آدم وحواء. وهذا هو الإغراء الذي نواجهه كل يوم. من المهم إذًا إدراك أن وجود وثن في حياتنا، هو دائمًا السبب في أننا نخطئ ونتصرَّف بشكل غير صحيح. هو تحويل رغبة عميقة أو حاجة مشروعة إلى إله. صُنع آلهة أخرى في حياتنا، كما قلنا في الفصول السابقة، هي الإجابة على السؤال المفتاحي "لماذا"؟

لماذا قرَّر الشاب إنفاق مبلغ ضخم من المال في شراء جهاز تليفزيون بشاشة كبيرة مسطحة؟ لأنه يستمتع بكرة القدم، وهو بذلك يحب نفسه.

لماذا يُقرِّر هذا الشاب أن يحضر اجتماع الصلاة في الكنيسة وقت المباراة؟ لأنه يهتم برأي راعي الكنيسة، أكثر من لعبة كرة القدم والله، وهو بذلك يحب نفسه. عدم ذهابه إلى اجتماع الصلاة يبدو كعمل جسدي، بينما الذهاب إلى اجتماع الصلاة يبدو كأنه عمل روحي. لا شيء يمكن أن يكون أبعد عن الحقيقة!

هذا هو السبب في أنه من المهم للغاية فحص دوافع ورغبات القلب. إذا نظرنا ببساطة إلى السلوك الخارجي دون فحص ما نُحبه حقًا، فلن تنتج أبدًا تغييرات حقيقية في حياتنا الروحية.

* * *

في نهاية الفصل أوَّد ان أوضح؛ أنه لا يكفي فحص ما إذا كان سلوكنا جيدًا أم سيئًا. ما يتعيَّن علينا دراسته حقًا هو ما نحبه أو نتمتع به أو نُقدِّره من خلال سلوكنا، سواء كان

جيدًا أم سيئًا. **يجب أن يكون هدفنا هو القضاء على جذور الخطية، وليس مجرَّد نتائجها المرئية.** فَهم هذا الأمر حاسم ومهم حتى نتمكَّن من إيجاد حل فعَّال لمشكلتنا الحقيقية.

قبل أن نترك هذا الفصل سأترك لك مفهومًا رئيسيًا سنتناوله بعمق في الفصل التالي:

إذا كانت مشكلة القلب هي استبدال الله بشيء آخر،
فإن حل المشكلة هو التخلُّص من هذا الوثن أو الصنم،
وإعطاء الله المكان المناسب، كما كتب تيم تشيستر:

> تولَد الخطية عندما نرغب في شيء أكثر من الله. يتم التغلُّب على الخطية من خلال العملية المعاكسة: رغبة الله أكثر من أي شيء آخر.
>
> يُطلِق الكتاب المقدس على هذه العملية "**التوبة**".
>
> معناها هو "**الدوران للخلف**" - أي رفض أي شيء آخر قد ترغبه أكثر من الله، وهكذا تعود إلى ينبوع الماء الحي.

وهنا يأتي عمل الإنجيل!

لقد خُدِعنا من قِبَل جسدنا، والعالم، والشيطان، لنعيش وِفقًا لعروضهم، وملء قلوبنا بالأشياء الخاطئة، ولهذا السبب (حسب الخداع الذي آمنَا به)، فإن **احتياجنا الأكبر، هو حقيقة الإنجيل المُتمثلة في شخص المسيح. إنه قادر على تحريرنا حقًا** (يوحنا ٨: ٣٢).

من خلال روحه القدوس، هو الشخص الوحيد الذي لديه القدرة على فحص وتشخيص قلبنا المُظلِم (أفسس ١: ١٨، ١٩)، ويسمح لنا برؤية مشكلتنا، ثم يأتي ليُعالج هذا الدمار إذا أعطيناه الفرصة (١كورنثوس ١٠: ٧). إنه الشخص الوحيد الذي يعرف كيف يمكن أن يجعلنا نفهم ما نحتاج إليه فعلاً.

أن نركض نحوه، هو مُخلِّصنا وراعينا الصالح الذي ينتظر أن نعود له مرةً أخرى حتى يغفر لنا خطيتنا، ويعطينا القدرة على التغيير.

يلخص الرسم البياني التالي، المفاهيم الأساسية المُتعلقة باحتياجات القلب، ويوضح بعض الأفكار التي سنناقشها بالتفصيل في جميع أجزاء الكتاب.

الخليقة	لدينا احتياجات ورغبات عميقة.	القلب دائمًا يبحث عن شيء يعتمد عليه.	البحث عن السعادة لا يُشكِّل مشكلة.	شيء طبيعي ومُصمَّم من قِبَل الله.	ليس عيب ولا خطية.
السقوط	لدينا ميل لملء حاجتنا بطريقتنا الخاصة من خلال الخليقة.	القلب أعمي ومُتمرِّد، ويميل إلى إنقاذ نفسه.	البحث عن السعادة في الخليقة نفسها هو أصل المشكلة.	نتيجة للسقوط، ومنه تنتج الوثنية.	يُنتِج خطية وموتًا.
الصليب	لدينا فرصة من خلال عمل المسيح على الصليب لسد حاجتنا.	القلب في حاجة إلى الفداء المستمر.	البحث عن السعادة في جمال شخص المسيح، هو الحل الوحيد والأمثل.	هو الحل الوحيد الذي يُمجِّد الله.	يُغيِّر القلب، ويعطي حياة.

- كما حاولت أن أؤكد من خلال هذا الفصل، أن دافع القلب للخطية هو "العثور على المُتعة في شيء" ليقوم بسد احتياجاتنا العميقة.
- فَهم هذه الحقيقة

سوف يساعدنا على التعامل مع الصراع الحقيقي لقلبنا.

سوف يساعدنا على تشخيص أعمق مشكلة لدينا.

سوف يُحررنا من تقديم حلول سلوكية لا يمكنها تغيير ما نحبه حقًا.

وأخيرًا، سوف يقودنا إلى العودة باستمرار إلى **يسوع ينبوع الماء الحي**. كما سنرى في الفصول التالية، **فهو الوحيد القادر على استرداد، وتغيير كل مَن يأتي اليه.**

ملخص موجز



تصميم القلب

١- رغبات قلبي العميقة ليست خطية.

٢- لا يمكن لأي شيء أن يُرضي رغبات قلبي العميقة، سوى الله.

٣- صمَّم الله رغبات القلب العميقة، وذلك حتى أُمجِّدهُ عندما أستمتع به وأُحبه.

٤- رغبات القلب العميقة، ليست هي المشكلة، إنما المشكلة هي: **كيف وأين أُشبعها**.

مشكلة القلب

١- أُخطئ حين أُصدِّق أُكذوبة:

- أختار شيئًا يبدو جيدًا بالنسبة لي.
- أختار شيئًا يَعِد بسد احتياجي، لكنه لا يفعل ذلك.

٢- أُخطئ باستبدال الله بشيءٍ آخر.

- وهكذا أتحوَّل إلى مُخلِّص حياتي .
- هذا يجعلني أقع في عبودية آلهة أخرى.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخِّص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- هل توافق على أن "البحث عن السعادة بالله" ليس خطية؟ لماذا؟

اقرأ أعمال الرسل (٥: ١٠، ١١)، **ثم أجب** على الأسئلة الآتية:

- في رأيك، ما هو السبب وراء كذب حنانيا وسفيرة؟ لماذا تعتقد أنهما قدَّما جزءًا من المال؟ (تذكَّر أنهما لم يكونا مُجبَرين على العطاء. هل كان لديهما أكثر من هدف واحد في قلبيهما؟). ما هي الكذبة التي آمن بها حنانيا وسفيرة؟ في أي من المواقف رأيت نفسك في النضال نفسه؟
- بكلماتك الخاصة، صِف معنى "صُنع آلهة جديدة"؟
- فكِّر في صراع خاص بك مع وثن أو إله مُعيَّن. ما هي الأكاذيب التي يَعدِك بها هذا الإله، والتي تميل إلى تصديقها؟ في رأيك، ما هي الطريقة الكتابية الفعَّالة لمحاربة هذه الأكاذيب؟

* * *

الفصل الخامس

ما هي الطريقة الخاطئة للتغيير؟

ما الذي يدفعني للتغيير؟

في مقدمة كتابه (Sex and Money) الجنس والمال، كتب بول تريب:

في مساء ذاك اليوم الذي انتهيت فيه من كتابة الكتاب الذي تقرأه الآن شعرت إني خادم حزين. لقد دمَّرني ما كشفَهُ هذا الكتاب عني. أشعر بألم بسبب الشهوة التي لا تزال موجودة في قلبي، وأشعر بالحزن من الأدلة التي تُثبت بأنني ما زلت أُنفق المال على أشياء لا تستحق ذلك بكل بساطة.

ما الذي تلاحظه؟ مؤلف يكتب عن الجنس والمال، ويعترف بأنه لا يزال يعاني من صراعات عميقة مع الجنس والمال! سأكون صريحًا معك. أحيانا أنا أيضًا أشعر مثل تريب. أكتب عن كيفية التغيير، ومرات عديدة أتساءل عمَّا إذا كنت أُغيِّر نفسي باستمرار أم لا .

ما هو الرَّد الأكثر شيوعًا عندما يكتشف المسيحي حقيقة قلبه؟ ماذا يفعل القِس عندما يُدرك أنه يُصارع مع نفس الشهوات والآثام التي كان يخدم عنها، ويشجع الكنيسة أن تتخلَّى عنها؟ ماذا يحدث داخل قلوبنا عندما نكتشف أننا ما زلنا نعبد آلهة أخرى غير الله في حياتنا؟

دون أن نكون مُدركين لهذا الأمر، عندما نواجه إخفاقاتنا وتَعثُّرنا، نعاني حتمًا من هجوم على هويتنا. "الأنا" يُصاب بأذى. يتضاءل إحساسنا بالقيمة. ننظر إلى نفوسنا ونراها فقيرة ويائسة. في هذه الأوقات ما نفعله يكون حاسمًا. كل ما نؤمن به على مدار حياتنا (أي

معتقداتنا الشخصية) في تلك اللحظة القصيرة، سيُحدِّد كيف نرى ونُقيِّم هويتنا، وبالتالي، سوف يَصوغ دوافعنا الداخلية، وبالتالي، يُحدِّد أفعالنا الخارجية. إذا قالت لنا معتقداتنا: "أعمالك تُحدِّد قيمتك" (أي الخلاص بالأعمال)، دوافعنا (بوعي أو بغير وعي) تأخذنا إلى واحدة من أربعة اتجاهات. سيكون رد الفعل المُحتمل هو محاولة إسكات الشر أو فعله؛ ولذلك نبدأ في عمل الصالح مدفوعين بالشعور بالذنب.

على الصعيد الآخر، من المُحتمل أن يكون رد الفعل هو محاولة إثبات أو الدفاع عن أننا لسنا كما نبدو؛ ولهذا نبدأ في عمل الخير بدافع الكبرياء. **ثالثًا**، هناك إمكانية لفعل الشيء الصحيح لتجنُّب العواقب المُحتملة التي قد يؤدي إليها سلوكي السيئ؛ هذا هو التصرف بشكل مدفوع من الخوف. **وأخيرًا**، من الممكن التغيير لأن ذلك سيؤدي إلى نوع من المنفعة؛ وهذا هو التغيير من أجل مصلحة نفسي (الأنانية) .

أما في المقابل، إذا كانت معتقداتنا الشخصية متأصلة في الإنجيل، فسيتذكَّر القلب: "أنت مقبول على الرغم من ما تفعله أو تريد أن تتوقف عن فعله، **وقيمتك تأتي بسبب ما فعله المسيح من أجلك**".

بعد ذلك، وبعد إخفاقنا ومواجهة فقرنا الروحي، سيقودنا إيماننا إلى التوبة والوقوع في حب مُتجدِّد بجمال حب الله غير المشروط نحونا. هذه التجربة، كما سنتأمل بالتفصيل لاحقًا في هذا الكتاب، ستُولِّد تجديدًا لـ"حبنا الأول" (رؤيا ٢: ٤)، وهذا الحب المُتجدِّد لشخص المسيح، سيحفزنا على التصرف متأثرًا بنعمة الله المجيدة، والتي لا توصَف. يقول لنا ريتشارد لوفليس بحق:

"نحن جميعًا نستسلم لفكرة أننا نتبرَّر أمام الله حسب مستوى تقديسنا، وعندما يتم تبَّني هذا الموقف، فإن هذا يركز اهتمامنا حتمًا ليس على المسيح، ولكن على كفاءة طاعتنا. نبدأ كل يوم واثقين في طرقنا الشخصية، ومعتمدين على مشاعرنا الحالية أو إنجازاتنا الأخيرة في الحياة المسيحية، دون الاستناد على حقيقة أن الله قد أثبت محبته من خلال عمل المسيح على الصليب. ولكن نظرًا لأن هذه الحجج لن تُهدئ الوعي الإنساني، فإننا ننقاد حتمًا نحو الإحباط واللامبالاة أو نحو البر الذاتي (شكل من الوثنية) الذي يُزيف الحقيقة، حتى نشعر بالسلام".

الدافع	ما إحتاج إلى تغييره	العقل الباطن	كيف أرى الله	النتيجة
الذنب	أتغيَّر لأني أريد أن أتخلَّص من شعور يُضايقني.	أرى أني سيئ، وأريد أن أقضي على هذا الشعور.	أرى الله كشخص يجب أن أُرضيه.	أفعل ما لا أريد أن أفعله حتى أُرضي شخص لا أُحبه.
الكبرياء	أتغيَّر لأني أريد أن أثبت جدارتي وقيمتي.	أُريد أن أثبت أني كفء.	أرى الله كشخص يجب أن أُرضيه.	أفعل ما لا أريد حتى أُرضي شخص أعتقد أني أُحبه.
الخوف	أتغيَّر لأني أُريد أن أتجنب نتائج أفعالي.	أريد أن أعيش في البر حتى لا يُصيبني البلاء.	أخاف الله	أفعل ما لا أريد حتى أُرضي شخص أعتقد أني أحبه.
الأنانية	أتغيَّر لأني أُريد أن أستنفع من شيء جيد.	أريد أن أكون شخص جيد حتى يعود عليَّ الخير.	أرى الله كشخص أُريد أن ينضم إلى صفي.	أفعل ما لا أريد حتى أحصل على شيء لا أمتلكه.
الحب[1]	أتغيَّر لأنه قد سبق وأحبني، وأجد المتعة معه.	لا يوجد فيَّ أي شيء جيد، ولكن المسيح قد أحبني.	أرى الله كشخص يُحبني محبة غير مشروطة.	أفعل ما اكتشفت أني أُريده من أجل شخص أُحبه.

عندما يكون الشعور بالذنب هو الدافع للتغيير

دعونا نتأمل سويًا، ماذا يحدث عندما يحفزنا الذنب. تخيَّل موقفًا يقضي فيه الزوج فترة مُبالَغ فيها في مشاهدة التلفزيون. هذا الرجل مسيحي، ويعرف أنه يتجاهل عائلته، لأنه في كل مرة يصل إلى المنزل من العمل، يتجاهل زوجته وأطفاله، ويشاهد التلفزيون.

[1] رغم أننا في هذا الفصل لن نُحلّل بالتفصيل الطريقة الصحيحة للتغيير، سنتحدَّث عنها في باقي الكتاب. أُشجعك على الرجوع مرةً أخرى إلى هذا الجدول عندما تنتهي من قراءة الكتاب بأكمله. سترى كيف أن الحقائق التي تجدها هنا ستُغير الكثير من المفاهيم في حياتك.

من المنطقي ألاَّ يكون هناك خطأ في مشاهدة التلفزيون، لكنه يريد ويحب ويستمتع بالتلفزيون أكثر من أي شيء آخر.

في أحد الأيام، يذهب هذا الزوج إلى مؤتمر للعائلات، ويشعر بالذنب عندما يتحدَّث الخادم عن أهمية قضاء وقت مُمتع مع زوجته. فيُدرك الزوج أنه لا يفعل ذلك، وأنه بحاجة إلى التغيير. ثم يُدرك أيضًا أنه عليه أن يتخذ قرار عند عودته من المؤتمر. هل سيشاهد التلفاز أم سيجلس ويتحدَّث مع زوجته؟ دعنا نقول: إن الزوج قرَّر الجلوس والتحدُّث مع زوجته. السؤال هو: هل تغيَّرعن حق؟ هل تغلَّب على أنانيته؟ هل حقق إرادة الله؟

إذا كنت قد قرأت حتى هذه الصفحة، فأنت تعرف ما هي حقيقة الأمر. أولاً: يجب أن نطرح سؤالنا الرئيسي: **لماذا؟** لماذا يُقرِّر الزوج التحدُّث مع زوجته؟ ما الذي يُحفزه داخليًا لإجراء هذه التغييرات الخارجية؟ تقودنا نظرة أكثر حذرًا ونزاهة إلى اكتشاف أنه قام بهذاالتغيير لأنه "شعر أنه زوج سيئ" عندما أشار الخادم إلى خطئهِ. شعوره أنه قد ارتكب شيء خطأ، دفعه إلى محاولة تعويض ما قد حدث حتى يتخلَّص من هذا الشعور المزعج، والذي يتوق بشدة للقضاء عليه. رأى الزوج بعد أن واجه خطيته، حالة قلبه، وشعر بخيبة أمل إزاء ما جرى. ثم أدرك أنه لا يريد أن يكون شخص سلبي، لذلك قرَّر أن يُعوِّض إخفاقاته من خلال إظهار حبه لزوجته بتخصيص بعض الوقت لها.

من الضروري هنا طرح الأسئلة التالية: فيما يُفكِّر الزوج؟ هل يُفكِّر في زوجته؟ أو في المسيح؟ إن كان هذا هو الدافع، فهذا شعورًا صحيحًا بالذنب، ولكن المشكلة هي أن الزوج يواصل التفكير في نفسه! هو يشعر بالانزعاج من ما قد اكتشفه عن نفسه، وهذا الضيق يدفعه إلى فعل شيء جيد من الخارج. ومع ذلك، من الداخل لا يزال يتمركز حول ذاته. هل تحدَّث مع زوجته لأن شيئًا ما تغيَّر في قلبه؟ والآن يستمتع بفرح حين يُخصص هذا الوقت لها؟ الجواب واضح، لا.

دعونا نتأمل: هل تغيَّر الزوج؟ من الخارج، يبدو أنه قد تغيَّر. لقد فعل شيئًا جيدًا! ومع ذلك، عندما ننظر إلى قلبه، ودوافعه، وأعمق رغباته، نرى أنه لا زال يفكر في مصلحتهِ. إنه لأمر مؤلم أن يكتشف حقيقة أمره. خطأه يُزعجهُ، وهو يريد التخلُّص منه. لذلك قد

قرَّر أن يستمع إلى زوجته، ولكن ما يُحبه عن حق لم يتغيَّر داخليًا. ما زال يواصل الرغبة، والحب، والتمتع بالتلفزيون أكثر من قضاء الوقت مع زوجته. شعورنا بالذنب فقط بدون الدافع الصحيح، غير قادر على إنتاج تغييرات عميقة، كما أنه غير قادر على تغيير ما نُحب.

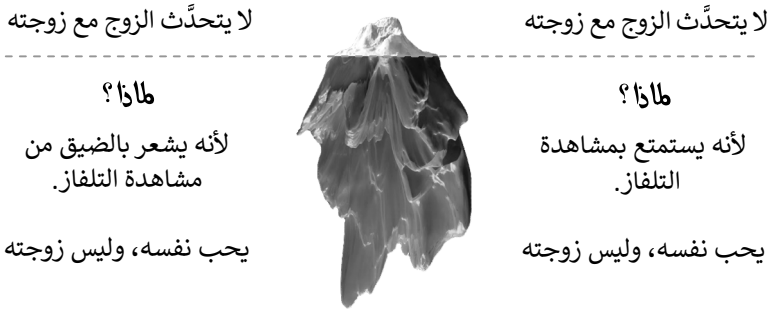

يسأل الكاتب التشيكي فرانز كافكا هذا السؤال عن الشعور بالذنب في كتابه "الطريق": في البداية، يعيش جوزيف كافكا حياة طبيعية نسبيًا. لكن فجأة، يتم القبض عليه، ولا أحد يُخبره بما هو مُتهم به، ويجد كل الناس يتعاملون معه بأسلوب سيئ وغير ودِّي. ثم يبدأ في التفكير ومراجعة كل ما حدث في حياته. ربما تم القبض عليه بسبب هذا، أو ذاك. ثم يتم مواجهته قبل إعدامه من قِبَل أحد الحراس في نهاية الكتاب.

يُخبر كافكا في أحد مذكراته ما يعنيه بهذه القصة: يُشير إلى حالة الذنب التي نجد أنفسنا فيها. مثل هذا اليهودي المُلحد، قد لا يؤمن المرء بالسماء أو الجحيم، ولا بفكرة الخطية، لكنه يُدرك عندما يكون هناك شيئًا ما خطأ. يبدو الأمر كما لو كان لدينا انطباع بأنه يتعيَّن علينا إجراء اختبار لا يمكننا اجتيازه. وهذا هو السبب في أننا نحتاج باستمرار إلى إظهار قيمتنا للآخرين.

نحن كقساوسة، ورعاة، وخدام بشكلٍ عام، لسنا مَعفيين من هذا الواقع، ولكننا أكثر عُرضة للسقوط في ما نحن على استعداد للاعتراف به. بالنسبة لأولئك الذين يقومون باستمرار بالتحدُّث من على المنبر، سواء في مدرسة الكتاب المقدس أو في مجموعات صغيرة، فهي مُعضِلة، علينا التعامل معها بشكل شبه يومي. كيف؟ لنفترض أننا نُقدِّر (على الرغم من أن الكلمة الأصح هي "نؤله") قدرتنا على الوعظ، وتوضيح تعليم الإنجيل، والتواصل علنًا مع الحاضرين في الكنيسة.

تخيَّل أنه لم أنجح في الوعظ في صباح أحد ما. ماذا سيحدث؟ من المحتمل جدًا، عندما أعود إلى المنزل، أشعر بالذنب لعدم تحقيق المستوى "الكافي" من الوعظ، حتى إنه من الممكن، بسبب العمى الروحي، أن نُبرِّر هذا الشعور بالذنب عن طريق إقناع أنفسنا بأننا نشعر بهذه الطريقة، لأنه يؤلمنا أن الجماعة لا يمكنها أن تنمو أو تعرف الله أكثر بسبب تعاليمنا.

في حين أن هذا ممكن، علينا أن ندرك أنه في كثير من الأحيان يؤلمنا غرورنا أكثر من اهتمامنا ببناء الكنيسة (متى ٦: ١)، لن يتوقف أبدًا عن أن يكون ذا صِلَة). للأسف، فإن هذا الشعور بالذنب سيقودنا إلى تحضير الخدمة أو الوعظة التالية بشكل أفضل، وسيتم إسكات هذا الشعور "فقط" عند توصيل الرسالة في المرة التالية بشكل جيد، هذا كما سنؤكد في النقطة التالية، هو الكبرياء الذي يدفع للتغيير، كما يوضح هذا المثال. فإن الشخص صاحب المُعتقَد الأخلاقي؛ أي الذي يتغيَّر مُعتمدًا على أعماله الشخصية، يتأرجح بين قضبين: الأول هو الشعور بالذنب، والآخر هو الفخر، كما حدث مع التلاميذ في العشاء الأخير. **أولاً**، يتجادلون فيما بينهم لمعرفة مَن هو الأسوأ، وفي الآية التالية يتناقشون لمعرفة مَن هو الأفضل. قضبين متناقضين في آية واحدة! **ثم** "بدأوا يتساءلون بعضهم البعض مَن الذي سيُسلِّم يسوع. كان لديهم أيضًا جدال حول أي منهم الأكثر عظمة" (لوقا ٢٢: ٢٣، ٢٤).

لا توجد خطية يمكن صلبها،

سواء في الحياة أو في القلب،

اذا لم يعترف بها أولاً الضمير. لأن دونها لن يكون هناك إيمان كافي لاستلام قوة يسوع. هذا هو المكان الوحيد الذي يمكن أن تُصلَب فيه خطايانا. إذا لم يكن هناك اعتراف وإدراك تام أولاً للذنب، فلن تقدر على الخضوع لتلك القوة المُغيرة .

من المستحيل التغيير حتى يتم انتزاع الخطية (عبرانيين٩: ١٤). أستطيع أن أُغيِّر سلوكي، يمكنني أن أُغيِّر أفعالي، ويمكنني أن أبذل جهودًا ضخمة لأكون شخصًا أفضل؛ لكن لا يمكنني تغيير ما أُحبه.

ولكن لديَّ أخبار سارة: **لست بحاجة إلى التغيير لأقترب من المسيح. أحتاج إلى الاقتراب منه كما أنا ليُغيرني.**

لن نتوب طالما لم نتوقف عن التعامل مع الخطية بهوَس، ثم نُثبِّت أعيننا على شخص المسيح الذي يُقدِّم نعمته لغفران الخطايا. إذا رأينا أن هناك حقًا مغفرة ونعمة، فنجد قوة للابتعاد عن الخطية، ونعود إلى الشركة مع الآب، **فقط** عندما نرى النعمة بوضوح في حياتنا مُعلِنةً الغفران لخطايانا، تُشرق شمس محبة الله، ويذوب جليد قلوبنا الخاطئة، حتى نتمكَّن من الاقتراب منه بثقة.

عندما يكون الكبرياء هو الدافع وراء التغيير

دعونا نتأمل ماذا يحدث عندما يكون الكبرياء هو المحفز للتغيير.

قبل بضع سنوات، كنت أتحدَّث مع صديقة لي متفرغة للخدمة. أثناء حديثنا توصَّلنا إلى النتيجة التالية: هي تخدم وتكافح من أجل خدمة المسيح حتى تنال إعجاب الآخرين، ويصفقوا لها. ما يُحفزها للخدمة هو إثبات قيمتها للاخرين. أما أنا أُناضل لخدمة المسيح لِأشعر بالرضا عن نفسي. ما يحفزني هو الرغبة أن أثبت نفسي لنفسي. فهي تقع في عبودية "القبول"، وأنا ناضلت من أجل عبودية "النجاح". كانت تهتم هي كثيرًا بآراء الناس، أما أنا، فكنت أهتم كثيرًا برأيي:

على الرغم من أن لدينا أوثان مختلفة،

إلا أن لدينا مشكلة تجمع بيننا: الكبرياء.

يرى تيم تشيستر أن هناك ثلاثة أسباب غير صحيحة محتملة تدفعنا إلى التغيير:

أولاً: لإظهار قيمتنا لله (وبالتالي نحصل على مغفرة أو بركة).

ثانيًا: إثبات قيمتنا للآخرين (وبالتالي نكتسب القبول والحب من الآخرين).

ثالثًا: نُظهِر لأنفسنا قيمتنا (وبالتالي نكون قادرين على الشعور بالرضا حول هويتنا؛ سواء أدرَك الآخرون ذلك أم لا).

دعني أطرح عليك بعض الأمثلة: عندما كنت صغيرًا، كنت أقرأ كتاب عن حياة داوسون تروتمان، مؤسس خدمة كبيرة تدعى "The Navigators"، وقرأت شيئًا أثار دهشتي. كان يُشارك تروتمان الإنجيل مرة واحدة على الأقل في اليوم. تخيَّل معي هذا .. لم يذهب أبدًا للنوم دون التحدُّث إلى شخصٍ ما عن يسوع!

في الحقيقة، في إحدى الليالي ذهب إلى فراشه دون أن يشارك الإنجيل مع أحد، وحينما ادرك هذا، استيقظ في الساعة الثانية صباحًا للقيام بذلك. قد أسرني جهاده في الحياة المسيحية، وشعرت برغبة لفعل الشيء نفسه. وفي الحقيقة كان أتعس شيء فعلته، لأن الدافع لم يكن الدافع الصحيح.

منذ عدة أشهر، أخذت تقويمًا وسجَّلت بألوان مختلفة ما كنت أفعله كل يوم. دائرة زرقاء تعني أنني شاركت الانجيل مع أحد. دائرة حمراء تعني أن الشخص قد قَبِلَ المسيح؛ دائرة سوداء تعني أني قضيت وقتًا مع صديق غير مؤمن، وهكذا .. هذا التقويم كان لي أنا فقط، ولم أنوي أن أشاركه مع أحد. الهدف منه هو أن أنظر إلى التقويم، وأشعر بالفخر من كيف أنمو في حياتي المسيحية.

"انظر جيدًا كيف يمكنك أن تفعل ذلك". "انظر إلى التزامك، يجب أن يكون الله راضيًا عنك". أتكلم عن المسيح، لكنني لا أستمتع به عن حق! لماذا؟ لأنني استمتع بأعمالي، وليس عمله فيَّ!

هذا هو ما يفعله الكبرياء الذي يخلط بين الالتزام والحب الحقيقي.

مَن يشعر بالكبرياء لا يفخَر بالمسيح، بل يستخدمه لِأغراضٍ أخرى.

اِسمحوا لي أن أحكي تجربة شخصية أخرى مُحرِجة للغاية: قبل بضع سنوات، كنت قد وافقت على تناول القهوة مع صديق لي كنت أنا القائد الروحي له. عندما كنت أُغادر منزلي ، أدركت أنني قد تأخرت للغاية. (شيء متكرِّر) ما الحل؟ بدأت أقود بسرعة دون احترام لحدود السرعة المسموح بها.

قد تسأل: لماذا؟ السبب واضح جدًا. لم أكن أُريد أن أتأخر! ولكن لماذا لا أريد أن أتأخر؟ لأنني لم أُرِد أن يُكوِّن صديقي فكرة عني أنني شخص غير مسؤول. (في النهاية نحن نتقابل حتى أقدر أن "أُساعده"!). بمعنى آخر، لقد تخطَّيت قواعد المرور بدافع الكبرياء. ومع ذلك، فإن القصة لم تنتهِ هنا.

عند وصولي إلى ميدان بالقرب من المطعم الذي كنا سنلتقي به، وجدت نفسي أقف خلف سيارة لم تستطع التقدُّم بسبب عدد السيارات التي كانت تَعبُر أمامها. انتظرت بِضع ثوانٍ بدَت لي كأنها أبدية.

ثم أخيرًا،

في نوبة من الإحباط، صعدت بنصف سيارتي على الرصيف حتى أجتاز تلك السيارة. بعد بضع ثوانٍ بدأت حوار داخلي مع الله: "يا رب، أنت تعرف أنني كنت في عجلة من أمري. صديقي القسيس ينتظرني. ما حدث الآن هو أن هذا الرجل لا يتحرك خطوة واحدة. أيضًا، هذا اجتماع مهم جدًا. أنت تفهمني .."

بينما تابعت الحوار، كنت أحاول أن أُبرِّر موقفي. نظرت صدفة من خلال مرآة الرؤية الخلفية، وأدركت أن الشخص الذي لم يجرؤ على المضي قُدمًا هو القسيس الذي كنت سألتقي به في المطعم.

في تلك اللحظة وجدت نفسي أغرق في خليط من المشاعر. اليأس، والندم، والرغبة في العودة إلى الوراء .. ثم بعد أن نظرت مرارًا وتكرارًا في مرآة الرؤية الخلفية، صلَّيت لله بإصرار: "يا رب، أرجوك ألاَّ يكون هذا صديقي الذي سأجتمع معه الآن! ليكن أي شخص آخر! من فضلك، ليس القسيس!".

بعد ذلك، مع هذا المزيج الذي لا يمكن تفسيره من العواطف، طلبت من الله أن يغفر لِما فعلت. ومع ذلك، بعد بضع ثوان، وجدت نعمة، وشعرت بالله يستخدم روحه لفحص قلبي على ما قد حدث للتو.

فجأةً بدأت أتساءل:

لماذا أُصلي لله، وأطلب مساعدته في هذا الموقف؟

لماذا أجد نفسي أتوب عن ما فعلت؟

لماذا هذا الأمر يُضايقني؟

هل لم أتحلَّى بصبر المسيح؟ أم لأني لم أحترم قوانين السرعة؟

هل دفعني كبريائي لأتخطى السيارة، وأطلع فوق الرصيف؟

ما هو حجم الضرر الذي كان يمكن أن يُصَاب به سائق السيارة الأخرى؟

ما هو الخطر المُحتمَل من دهس أحد المارة على رصيف المشاة؟

هل تؤلمني فكرة أنني لم أُمجِّد الله في مثل هذا الموقف؟

منطقيًا، الإجابة على كل هذه الأسئلة هي واحدة: نعم، ولكن بالنسبة لي بالطبع: لا! ما يؤلمني حقًا هو كبريائي. ما دفعني للصلاة، هو أن الشخص الذي كنت ذاهبًا لخدمته قد رأى خطيتي، والآن قد تعرَّيت أمامه. شعرت بالخجل، والضيق، والندم، والشعور بالذنب[٢].

لكن كل هذه المشاعر كانت تتمحوَر حول الذات تمامًا؛

لقد تولَّدَت بدافع حب نفسي،

وفي الرغبة أن تكون صورتي أمام نفسي وأمام الله جيدة ..

إن كل هذه المشاعر تولَد من هوية تم إيذائها،

وتؤدي دون وعي إلى تشجيع القيام بأعمالٍ "جيدة" (مثل الصلاة أو طلب المغفرة)

عندما لا يكون هناك في الواقع توبة حقيقية،

بل شعور زائف بالضيق أو مجرَّد ندم.



يكتب تيم تشيستر: "الشعور بالذنب، قد يجعلك تعتقد أن رأيك في نفسك هو أهم شيء.

---

[٢] مثال كتابي شبيه جدًا بالمَثَل الذي ناقشناه هنا، هو حالة شاول في ١صموئيل ١٥. عندما واجه صموئيل الملك شاول لعصيانه، قَبِلَ شاول خطيته (بعد تقديم الأعذار، وإلقاء اللوم على الآخرين)، لكنه لم يتوقف عن محبة ما دفعه في البداية إلى الوقوع في الخطية. كان تلقِّي المدح من الناس هو ما حفز شاول على عدم قتل أجاج وأفضل حيواناته (الأعداد ٨، ٩، ١٢)؛ وبالطريقة نفسها، فإن الحصول على المجد من الناس هو ما حفزه على "التوبة"، وقبول أنه أخطأ، كما نرى بوضوح في العدد ٣٠: «وقال شاول: قَدْ أَخْطَأْتُ. وَالآنَ فَأَكْرِمْنِي أَمَامَ شُيُوخِ شَعْبِي وَأَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَارْجِعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ».

تكشف كلمات شاول بوضوح عن الدوافع الحقيقية لقلبه. نعم، أعتذر، لكن دوافعه للقيام بذلك، هي أن يكون قادرًا على الحصول على ما يُحبه حقًا: مجد من الناس.

أما العار يجعل رأي الآخرين عنك هو الأهم في التوبة. لكن يأتي الله ليُعلِن بيقين تام أنك صرت بار في المسيح".

في الجدول التالي، سنرى معًا، كيف يمكن أن تولَد بداخلنا أعمال صالحة من دافعين مُتضادين:

الندَم	التوبة
تؤلمني عواقب الخطية.	خطيتي هي السبب وراء ألمي.
أتمركز حول نفسي.	التمركز حول الله والآخرين .
تولَد بسبب مشاعري المُتقلّبة.	السبب، هو عمل الروح القدس بداخلي.
لا تُحدِث أي تغيير حقيقي.	تُحدِث تغيير حقيقي.
إذا تغيَّر سلوكي، يكون بسبب أنه يناسبني.	أتغيَّر لأنه قد أحبني وفداني على الصليب.
تبقي رغبتي كما هي .	يتحوَّل المسيح ليكون مُبتغايا الوحيد.
أعيش من أجل نفسي وراحتي.	أجد الفرح والسعادة عندما أعيش من أجله.

مثال من الكتاب المقدس:

هل تغيَّر يونان؟

دعونا نتأمل بضع لحظات في قصة النبي يونان.

في الأصحاح الأول من سفر يونان، يطلب الله من يونان أن يذهب ليفتقد نينوى. ولكن يونان يُقرِّر ألاَّ يذهب ويعصى أوامر الله علانيةً.

دعونا نسأل أنفسنا للحظة، السؤال الذي يقودنا إلى رؤية دوافعه:

لماذا؟ لماذا عصى يونان كلام الله (شيء خارجي)؟

يأتي الجواب بوضوح شديد في النص: لأنه (داخليًا) في قلبه يكره الأشوريين. يونان لا يريد أن الله يرحم ويسامح أعدائه (يونان ٤: ١، ٢). يريدهم أن يموتوا.

بالنسبة إليَّ، أجد في الفصل الثاني ما يُسمَّى بالتراجيدية الكوميدية. الشخص الذي على وشك الموت الآن هو يونان. نجد يونان في المحيط في وسط العاصفة، ويرسل الله حوت كبير لابتلاعه، ويُعيده إلى نينوى. ماذا فعل يونان؟ نفس ما فعلت في سيارتي. صلَّى. طلب من الله المساعدة لأنه يُفكِّر في نفسه. لا يريد أن يموت في بطن الحوت، ولذلك طلب المساعدة.

نقرأ في أصحاح ٢: ١، ٢ «فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ، وقَالَ: «دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي. صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي». على عكس موقف يونان تجاه أهل نينوى، **يقرِّر الله الحفاظ على حياته من خلال إظهار رحمته، ونقله آمنًا إلى البر.**

تبدو بداية الفصل الثالث تقريبًا كأنها نسخة نصيَّة من الفصل الأول. يسأل الله يونان للمرة الثانية أن يذهب إلى افتقاد أهل نينوى. هذه المرة يطيع يونان. يفعل بالضبط ما يسأله الله.

يبقى السؤال إذن: إذا كان الله مهتمًا بطاعتنا الخارجية فقط، فهل سيكون لدينا الفصل الرابع؟

أطاع يونان الله، لكن السؤال يبقى: هل تغيَّر عن حق؟ من الخارج، فعل ما طلبه الله منه، ولكن داخليًا، هل مرَّ بتغيير عميق أم أنه استمر في التمركز حول ذاته؟

في بداية السفر نجد أنه يكره أهل نينوى، وفي النهاية يبقى قلبه كما هو! ويوضح لنا هذا المقطَع بوضوح، أنه من الممكن طاعة الله دون تغيير حقيقي. ومن الممكن إجراء تغييرات خارجية دون إجراء أية تغييرات داخلية بالفعل. ومن الممكن أن تفعل أشياء "روحية" جدًا - مثل الوعظ، كما فعل يونان، أو الصلاة مثلي في السيارة - دون أن تكون دوافع القلب روحية حقًا.

نرى مرةً أخرى إنجيل متى٦: ١ يوضح الموقف. يجب أن "نحرص"، ونفحص، ونسأل أنفسنا: "**لماذا أُقرِّر أن أتوب؟**". **الله شَغوف بقلوبنا، وليس الطاعة السطحية.** هذا ما يوضحه الفصل الرابع.

السؤال في نهاية السفِر يؤكد هذا: "يونان: هل يمكنك أن تُدرك أنك ما زلت غير قادر على اختبار رحمة الله؟ هل تستطيع أن ترى، أنك لا تشعر بما يشعره قلب الآب؟ ما الذي لا تُحبه كما أحبه أنا؟ هل تطيعني دون أن تختبر المعنى الحقيقي للتغيير؟".

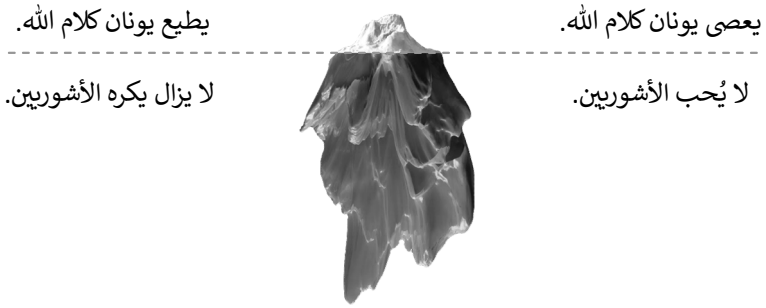

عندما يكون الخوف هو الدافع للتغيير

لنلقِ نظرة مختصرة على ما يحدث، عندما يدفعنا الخوف إلى التغيير: جميع البشر - باختلاف الدرجات - لديهم ميل وتعليم نحو التربية الأخلاقية.

منذ سن صغير، يتم تعليمنا قانون أن كل فعل وراءه مُسبِّب، وينتهي بنتيجة. سرعان ما نتعلَّم؛ أنه إذا وضعنا أصابعنا في موصِّل الكهرباء، فسنُصعَق بالكهرباء أو يتم تحذيرنا من قِبَل آبائنا. إذا أسأنا التصرف فلن نتمكَّن من مشاهدة التليفزيون. إذا لم ندرس للامتحان، فلن ننجح. لا يأخذنا وقت طويل لنفهم أن سلوكنا له عواقب. هذه العواقب تعمل كمحفِّز لضبط النفس.

الكبار لا يختلفون عن الأطفال. ما عليك سوى القيادة على الطريق السريع، ومراقبة ما يحدث بقدمنا اليمنى عندما نقترب من الرادار. كما لو كان سحر، نرفع قدمنا اليمنى من دواسة البنزين لنضعها على دواسة الفرامل حتى لا يلتقطنا الرادار. لماذا؟ حبًا لقوانين المرور؟ للتمتع؟ لتجنب وقوع حادث؟ موقف صغير، لكنه صادق كفاية ليكشف رغبتنا الحقيقية.

نحن لا نريد أن نعاني من عواقب عصياننا المدني، ولا نريد أن ندفع غرامة! الشيء المُحزن في هذا النوع من الحافز هو أنه، كما يوضح هذا المثال، أننا نطيع فقط عندما نشعر بالوقوع في ورطة أو حدوث مشكلة أو مفاجأة لم نكن على استعداد لها.

مُحرِّك هذا النوع من السلوك هو التمركز حول الذات. لا يوجد حب تجاه الله أو وصاياه، ما نجده فقط هو حب الذات. حب لِما يُغنينا من المُعاناة. حب للسيطرة على سلوكنا حتى لا نُعاني. أفعل "الخير" حتى لا أُعاني.

مثال آخر شائع جدًا لهذا النوع من "عمل الخير"، هو تجنُّب مواجهة خطية الآخرين. نرى شخصًا يقوم بشيء خطأ، سواء ضدنا أو ضد الآخرين، وخوفًا من رد فعله (خوفًا منه أن يصيح في وجهك، أو أن يهينك أمام الآخرين، أو أن يسخَر منك ويسحب صداقته معك، وما إلى ذلك)؛ نُقرِّر أن نبتسم، ونتجاهل جريمته. هل هذا يُسمَّى حب؟ كلا، هو الخوف من العواقب[٣].

عندما تكون الأنانية هي الدافع للتغيير

دعونا أخيرًا نفكِّر في كيف تحفزنا الأنانية. للنظر في هذا الأمر، كل ما عليك فعله هو التفكير في صبي يحاول أن يحصل على إعجاب فتاةٍ ما. ماذا يفعل الصبي؟ إنه يدعوها لتناول العشاء، ويجلب لها الزهور، ويشتري الشوكولاتة، ويُردِّد على مسامعها كلمات حلوة. لماذا؟ هل لأن لديه قلب كريم ولطيف؟ بالطبع لا! لأنه يحاول أن يغازلها! مفتاح معرفة دوافعه الأنانية، هو دراسة كيفية تعامُلهُ مع تلك الفتاة نفسها بعد عشر سنوات من زواجه. هل ما زال يعطيها الشوكولاتة؟ هل مستمر في ترديد كلمات حلوة لها؟ أنا أشك في ذلك.

في الواقع، إذا فكَّرت في الأمر للحظة، وكنت صادقًا مع نفسك، سيتعيَّن عليك الاعتراف بأن كثيرين منا عندما نتزوج نكون في غاية الأنانية. لا أحد منا يختار شخص فظ وشرير ليقضي بقية حياته معه. لا أحد لديه الاستعداد أن يفعل ذلك. نختار جميعًا الشخص الذي يبدو أنه يتمتع بأفضل الصفات. إذًا ماذا نفعل للحصول على هذا الشخص؟ "نحن نتغيَّر"! نعرض أفضل ما لدينا. نتصرَّف بالطريقة "المناسبة" التي تتيح لنا الحصول على ما نُحبه كثيرًا. في ما نجد أنفسنا نفكر؟ ما الذي يدفعنا إلى "الحب"؟ هل ترى أين يقودنا الحديث؟ "شراء الورد لها" ليس نتيجة لحبنا، لكنه وسيلة للحصول على حب وقبول ذلك الشخص.

هكذا نتعامل مع الله. نحن نحاول أن ننال إعجابه، لذلك نأتي إليه "بزهور" (أعمال جيدة) حتى يقبلنا ويباركنا. أُريد أن أتحدَّاك في هذا السؤال: كيف يمكن أن تكون هذه الأعمال "جيدة"، إذا كان لديها غرض أناني يخصني أنا؟

---

[٣] سندرس هذا النوع من رد الفعل أكثر في الفصل الثالث عشر، حيث سنُحلّل كيف نتغيَّر من خلال الخلافات.

اِسمحوا لي أن أُقدِّم لكم مثالاً عمليًا آخر. فكِّر في امرأة غير مؤمنة تنتقد كل مَن حولها. جميع أقاربها وأصدقاؤها، كانوا يُعانون من تعليقاتها السامة. دعنا نتخيَّل أن هذه المرأة أصبحت مسيحية مؤمنة. كما هو متوقع، بعد وقت قصير من بدء حضور الكنيسة، يشعر البعض من أعضاء الكنيسة بالاستياء من لغتها الفظة التي يتحمَّل آثارها الكثيرين.

نتيجة لذلك، يذهب القِس في يومٍ ما ليتحدَّث معها على انفراد، ويشرح الموقف ليكشف عن خطيئتها بمودَّة واحترام، وبحزم. بعد هذا الاجتماع مباشرةً، تتغيَّر المرأة بطريقة ملحوظة جدًا. تمر عدة أشهر، ويرى جميع أعضاء الكنيسة الفرق .. فيهتفون معًا: المجد لله! لقد غيَّرها المسيح!

بالفعل قد توقفت المرأة عن انتقاد الآخرين، لكن هل تغيَّرت حقًا؟ الطريقة الوحيدة لمعرفة ما إذا كان قلبها قد تغيَّر أم لا، هي أن تسأل لماذا؟ لماذا توقفت عن انتقاد الجميع؟ اتضح أن المرأة شعرت بالخجل الشديد عندما واجهها القِس (لم يسبق لها أن يُحدِّثها أي شخص بهذه المحبة والحزم في الوقت نفسه) حتى قالت في نفسها: "لن أُعاني هذا الإذلال مرةً أخرى"، ولن أقول أي شيء سلبي عن أي شخص مرةً أخرى. لماذا تغيَّرت؟ قد يكون الدافع لأنها تحب نفسها! قبلاً كانت "أنانية" تنتقد الناس، والآن لا زالت "أنانية" لا، لا تنتقد الناس!

إن تغيير السلوك الأخلاقي يتلاعب ببساطة في مستويات الأنانية بشكل كبير، دون أن يقضي عليها. يستخدم الأنانية ضد نفسها حتى تطعن الشعور بالخوف والاعتزاز بالنفس، لكن في حين أن هذا قد يكون له بعض النجاح في كبح الأنانية من القلب، فإنه لا يفعل أي شيء على الإطلاق لتغييرها. في الواقع، إنها تؤكد فقط القوة التي تمتلكها علينا ..

فكِّر للحظة في كل المواقف التي على الأرجح ستجعلك تقول لا للسلوك الشاذ على النحو التالي:

- لا - لأنهم سيروني كشخص سيئ.
- لا - لأنهم سيستبعدونني من الدوائر الاجتماعية التي أُريد أن أنتمي إليها.
- لا - لأن الله لن يعطيني الصحة، والثروة، والسعادة.
- لا - لأن الله سيرسلني إلى الجحيم.
- لا - لأنني سوف أستيقظ كارهًا لنفسي، وأفقد احترامي لنفسي.

تُستخدَم جميع هذه الحوافز تقريبًا كنبضات مركزية للقلب لفرض الامتثال للقواعد الخارجية، ولكن هناك القليل جدًا من هذه النبضات لتغيير القلب نفسه. والدافع ليس هو حبًا لله، ولكن استخدام الله لتحقيق أشياء مفيدة: احترام الذات، الرخاء أو الرضا الاجتماعي.

لماذا أحاول التغيير مُعتمدًا على قوتي الخاصة؟

أوَّد أن أقدم لكم أربعة أسباب لاختيارنا هذه المسارات الخاطئة للتغيير:

أولاً: نحاول تغيير أنفسنا - لأننا بوعي أو بغير وعي - نعتقد أن طاعتنا هي التي ستجعلنا مقبولين لدى الله. أحد أفضل أخبار الإنجيل، ليس فقط بالنسبة لغير المؤمنين، ولكن خاصةً بالنسبة للمسيحيين الحقيقيين هو: أننا خطاة ولن نصل أبدًا إلى مستوى القداسة التي يتوقعها الله منا.

في الإنجيل، هذه الحقيقة هي الدافع الأكبر لشعورنا بالقبول والأمن أمام الله. بما أننا لم نفعل شيئًا أبدًا لإرضائه، ولن نكون قادرين على فعل شيء لإرضائه، ولأننا مقبولين لدى الله بفضل عمل المسيح على الصليب؛ لهذا السبب عينه، لا يمكننا أبدًا أن نفعل شيئًا يجعله يكرهنا! قبولنا أمام عرش المسيح يعتمد على ما فعله من أجلنا، ولا يتوقف على كيف نعيش.

رسالة رومية ٨: ٣٣- ٣٩ توضح لنا هذه الحقيقة «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟». كما يوضح لنا الكتاب أيضًا في رومية ٥: ٨ الأمر المُدهش، والذي يصعب تصوُّره عن محبة الله غير المتوقعة، هو: أنه أحبنا عندما كنا خطاة، وفي هذه الحالة مات المسيح من أجلنا. الثقافة الأخلاقية تُنكِر هذه الحقيقة، وتحاول أن تنال رضى الله من خلال الأعمال، دون إدراك حقيقة أن الله هو الذي يعمل فينا وبنا.

هذا هو الفكر النموذجي للفريسي: "لقد عشت جيدًا، لقد حافظت على الناموس، يجب أن يكون الله سعيدًا بي". من الصعب أن تجد في الأناجيل فكرة ينتقدها المسيح أكثر من هذه. ومع ذلك، من الصعب أيضًا، أن نجد في الحياة اليومية للمسيحي، فكرة نقع فيها بشكل مُتكرِّر أكثر من هذا.

ثانيًا: نحاول أن نُغيِّر أنفسنا - لأننا بوعي أو بغير وعي - نعتقد أن طاعتنا يمكن أن تلتقي بمُتطلبات القداسة التي يتوقعها الله منا. دعونا نرى في رومية ٣: ٢٠؛ ٥: ٢٠ واحدة من أكثر الحقائق المسيحية المَنسية، والأقل في الوعظ عنها.

الغرض الرئيسي من تلك الوصايا، هو إظهار أننا لا نستطيع العيش وِفقا لها، وإظهار عجزنا عن الامتثال بها. وهكذا نقدر أن نعرف مقدار حاجتنا إلى النعمة! هذه الفكرة نفسها هي ما يوضحه لنا بولس في رومية ٧. كلَّما حاولنا أن نعيش حياة مقدسة وطاهرة أمام الله، كلَّما أدركنا عجزنا عن تحقيق هذا بقوتنا الخاصة.

مَن يستطيع أن يقول إنه يُصلِّي باستمرار؟ مَن الذي يحب الله من كل قلبه، وروحه، وعقله؟ مَن يحب جاره كنفسه؟ إذا توقفنا ببساطة عن محاولة العيش حسب بعض هذه الوصايا، أو أية وصايا أخرى، سنُدرك أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك أبدًا. كلَّما حاولنا أكثر، كلَّما قُلنا مع بولس: "لا يمكنني أن أفعل الخير .. تعيسٌ أنا! مَن سينقذني من جسد الموت هذا؟". كما تُبين لنا قصة الشاب الغني في إنجيل لوقا ١٨: ١٨- ٣٠، على الرغم من أننا نعتقد أننا فعلنا كل شيء بشكل صحيح، يواجهنا يسوع بأنانيتنا الخفية، والتي لا يمكننا الهروب منها.

لهذا السبب، فإن خاتمة القصة هي: «غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ». يتم شرح المنطق نفسه في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣: ٢٤، حيث يؤكد بولس «إِذًا قَدْ كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ».

وبهذه الطريقة عندما نواجه عجزنا عن إنقاذ أنفسنا، نواجه عجزنا عن تغيير أنفسنا. الله لم يطلب منا أن نعيش حياة صالحة. لقد طلب منا الله أن نعيش أسلوب حياة لا نقدر عليه (متى ٥: ٤٨)، وأن **المسيح وحده فينا، يعطينا القوة لنعيش هذه الحياة** (يوحنا ١٥: ٥). كما سنؤكد مرات كثيرة في هذا الكتاب، فإن الحياة المسيحية ليست صعبة العيش، إنما الحياة المسيحية من المستحيل أن تُعَاش. إلى أن نفهم هذه الحقيقة تمامًا، سنظل نحاول تغيير أنفسنا بقوانا الشخصية. كما يقول بول تريب: "**لا يمكن للناموس أن يفعل ما يمكن أن تفعله فقط النعمة**. يمكن للناموس أن يكشف عن الخطية. يمكن للناموس أن يحذرنا من الخطية. لكن **الناموس لا يمكن أن يُحرِّرنا من الخطية**".

ثالثًا: نحاول تغيير أنفسنا لأننا - بوعي أو بغير وعي - نعتقد أن تطهيرنا وتقديسنا هو عملنا نحن، وليس عمل الله فينا، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بحقيقة أننا نعتقد؛ أنه عملنا نحن كمؤمنين، أن نحفظ الوصايا، وأن نعيش حياة طاهرة ونقية أمام الله. وبما أننا نعتقد أننا قادرون على أن نُلبِّي وصايا الله، فإننا نخدع أنفسنا من خلال التفكير في أن عملنا، وليس عمله هو الذي يُغيِّرنا حقًا، كما لو أخبرنا أحدهم أنه يتعيَّن علينا إلقاء حجارة ما. نعتقد أن مهمتنا هي رفع الحجارة ورميها. المشكلة هي أننا لا نُدرك أنه طُلب منا إلقاء الحجارة على سطح القمر. لسنا نمتلك القوة للقيام بذلك، ولا جهودنا هي التي ستجعلنا نُحقق ذلك. **السيد المسيح لم يُبرِّرنا فقط، بل قدسنا ومجَّدنا معه أيضًا.**

ما نتوق إليه، وما سنصبح عليه، هو عمله هو (فيلبي ١: ٦). هو الذي يقدسنا (١كورنثوس ١: ٣٠). هو الذي يُغيِّرنا (يوحنا ١٥: ٥). هو الذي يُنتِج الثمار فينا (غلاطية ٥: ٢٢). وهو أيضًا الذي يُنتِج "الرغبة في فعل شيء صالح" (فيلبي ١٢: ٢). **حياتنا هي نتاج عمله فينا، وجهوده وتدخُلهُ في أصغر تفاصيل حياتنا وفي ظروفنا، وبالأخص في قلوبنا.** كما سنشرح لاحقًا، هذا لا يُولِّد فينا الشعور باللامبالاة، بل على العكس تمامًا. عمل الله في حياتنا يولِّد مستوى هائلاً من الطاقة الجديدة، والدوافع الجديدة، وقوة جديدة تحوِّلنا إلى أشخاص نشطين للغاية لمجده.

أخيرًا: نحاول تغيير أنفسنا - لأننا بوعي أو بغير وعي - نعتقد أن طاعتنا ستعود علينا ببركة من الله. الثقافة الأخلاقية هي وسيلة للسيطرة على الله من خلال الطاعة. الفكر الضمني هو: "بما أنني أطعتك الآن، فأنت مَدين لي ببركة". يوضح لنا هذا الأمر "خوسيه دي سيغوفيا": على النحو التالي:

إذا كنت، مثل الأخ الأكبر في مثال الابن الضال، تريد السيطرة على الله من خلال طاعتك، فإن أخلاقك هي مُجرَّد وسيلة لاستخدام الله للحصول على الأشياء التي تريدها. في العمل الروائي "أماديوس" لبيتر شافر - والذي أخذه ميلوس فورمان إلى السينما عام ١٩٨٤ - يعتقد ساليري أنه في شبابه قد قطع عهدًا مع الله:

"سأُقدِّم لك أنبل صلاة يمكن أن يُصلِّيها صبي: يا سيد أطلب منك أن تجعلني أعظم مُلحِّن! اسمح لي أن أحتفل بمجدك من خلال الموسيقى، وهكذا سأكون مشهورًا! اجعلني

مشهورًا في جميع أنحاء العالم. يا عزيزي الله! اجعلني خالدًا! حتى بعد موتي، يتحدَّث الناس عن اِسمي إلى الأبد بفضل ما كتبت! أما في المقابل، أتعهد أني سأظل أمامك طاهرًا، وسأعطيك الفضل في عملي بكل تواضع كل ساعة من حياتي. وسأُساعد جيراني على قدر المستطاع. آمين ثم آمين!".

بهذا النذر، ابتعَد ساليري عن النساء، واجتهد في موسيقاه، وعلَّم العديد من الموسيقيين مجانًا. عَمِلَ بلا كلَل من أجل الفقراء. أفنى حياته على هذا النحو مُعتقدًا أن الله سيحافظ على دوره في العهد ..

بعد ذلك، يظهر موزارت ويثبت عبقرية موسيقاه، ممَّا جعله يتألق ويتفوق على ساليري. كان موزارت موهوبًا حقًا كما يُشير اسمه الأوسط: آماديوس، "محبوب من قِبَل الله" - لكنه كان مُبتذل وغريب الأطوار "الأخ الأصغر" ..

"لم يكن له مثيل"، يكتب شافير: كان ساليري يقمِع كل شهوته، حتى ينال الموهبة من الله. بينما كان موزارت يقود حياة الفجور، رغم أنه كان من المفترض أن يتزوج.

ثم أخيرًا يقول ساليري لله: "من الآن فصاعدًا، نحن أعداء". ووحَّدَ كل جهوده لتدمير موزارت .. كان الله والفقراء مجرَّد أدوات مفيدة لساليري ليُثبت أنه "الأخ الأكبر". لقد أقنَع نفسه أنه كان يُضحي بوقته وأمواله من أجل الله والفقراء، لكنه في الواقع لم يُقدِّم أية تضحيات. لقد فعل ذلك بنفسه ليصبح مشهورًا، لينجح ويصبح له قيمة. "لقد أحببت نفسي". قال ساليري . "حتى جاء موزارت". ثم سريعًا يُظهِر ساليري الأخلاقي والمحترم، قدرًا أكبر من الشر والفجور أكثر من موزارت المُبتذل.

ما هي نتيجة محاولة تغيير نفسي بقوتي الخاصة؟

أولاً: تكون التغييرات مؤقتة. تخيَّل رجلاً في إجازة، في مقصورة خشبية صغيرة على جانب جبل مُحَاط بغابة مليئة بالأشجار. هذا الرجل يعمل في شركة مهمة في وسط مدينة مكتظة بالسكان، ويحلم منذ شهور بالهدوء الذي يعيشه الآن.

في أحد الأيام يستيقظ مبكرًا، ويذهب في نزهة على الجبل. ولكن ينظر إلى الجانب ويرى مجرى صغير مليء بالقمامة. غضب كثيرًا عندما رأى هذا المشهد، ولكنه بعد ذلك

قرَّر أن يأخذ حقيبة، وبدأ يجمع النفايات واحدًا تلو الآخر. بعد بضع ساعات انتهى من مهمته. كان يشعر بالتعب، في الواقع، كان مُنهَك، لكنه شعر بالرضا عن نفسه، وقرَّر مواصلة المشي والاستمتاع بإجازته.

في اليوم التالي يستيقظ مرةً أخرى بمجرَّد أن تشرق الشمس، ويُقرِّر القيام بنفس النزهة. لدهشته، عندما وصل إلى مجرى النهر، وجد الكمية نفسها من القمامة التي اكتشفها في اليوم السابق. هذه المرة قرَّر التحقُّق من أين تأتي كل هذه القمامة، وبدأ في الصعود إلى أعلى التل. كلَّما صعد ازدادت القمامة.

ثم أخيرًا، وصل إلى مصدر القمامة، وفي دهشة كبيرة، يلاحظ كيف تقوم شاحنتان كبيرتان بإلقاء نفاياتهما في النهر. ثم رأى على بُعد أمتار قليلة علامة كبيرة تقول: "تفريغ النفايات".

واحدة من أكبر مشاكلنا كمسيحيين هي ميلنا الأخلاقي إلى "التقاط القمامة". عندما يواجه الزوجان مشاكل في زواجهما، ننصحهما بتناول عشاء رومانسي في ليلة. عندما يكون لدى شخص ما ديون، نُقدِّم له المساعدة لينظم ميزانيته. عندما يعاني شخص ما من مشاكل في الوزن، ننصحه بالذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية. عندما يدمن شخص ما لعب القمار، ننصحه بحذف بطاقات الائتمان الخاصة به. عندما يُخبرنا شخص أنه يعاني من مشاكل الغضب، نطلب منه أن يَعدّ إلى عشرة.

كل هذه الأمثلة هو ما أسميه بجمع القمامة. النتيجة؟ سرعان ما يعودون أو بالأحرى، نعود للسقوط في الشيء نفسه؛ تمامًا مثلما نجد رادار على الطريق السريع. لم يحدث تغيير عميق. لم يحدث تغيير حقيقي. لماذا؟ لأننا نعمل في المكان الخطأ.

إنه القلب، وليس السلوك الذي يجب تغييره.

عندما يتم تغيير القلب، سوف تتغيَّر أيضًا الطريقة التي نتصرَّف بها. كما رأينا سابقًا في سفر الأمثال ٤: ٢٣، فإن الوصية هي تغيير في القلب: «فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ». القلب هو القوة الدافعة لكل ما نقوم به. هناك كل قراراتنا تنشأ. هناك كل أفكارنا والكلمات والأفعال تُولَد. لذلك، هذا هو المكان الذي يجب أن يحدث فيه التغيير.

ليس عبثًا قال يسوع:

«اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ،

وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ.

فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُه» (لوقا ٦: ٤٥).

ثانيًا: عندما أحاول أن أتغيَّر بقوتي، لا ينتج عن هذه المحاولة سوى تغيير في السلوك، ولكن ليس تغيير حقيقي في القلب. بمعنى آخر، تتغيَّر التصرُّفات والأفعال الخارجية، لكن الرغبات تظل كما هي. أحب ان أتخيَّل صورة لذئب محبوس في قفص، يُفكِّر في خروف موجود أمامه. هل سيأكل الذئب الخروف؟ بالطبع لا. هو محبوس. لا يستطيع أن يفعل ذلك.

ولكن ما أحب أن نتأمل فيه لعدة لحظات هو: هل يريد الذئب أكل الخروف؟ السؤال ليس مُتعلِّق إذا كنا نفعل أشياء عظيمة لله، أو نتجنَّب خطايا مُعيَّنة خوفًا من الله أو من الإنسان أو الرغبة في تخليد اسمنا. لكن السؤال، هو ما إذا كان قلبنا يكف عن البحث عن المُتعة في العالم، ويبحث على المُتعة الحقيقية في المسيح.

اسمحوا لي أن أستخدم مثال أخير، ليعكس ما ينتج عن نمط الحياة الأخلاقي. فكِّر في قِس يحب المسيح بشدة، ونتيجة لهذا الحب يعمل بجِّد من أجل اسم الرب. منذ بداية خدمته، كان هذا الرجل مُخلِصًا، ومُضحى وكاملاً ومُكرَّسًا للغاية لخدمة المسيح.

دعنا نتخيَّل أنه لأسباب غير مرتبطة بشخصه، انقسمت كنيسته وفقدَ نصف أعضائها. وشعر القِس بإحباط شديد بعد هذا الحدَث. يمكننا أن نتخيَّل كيف كان يشعر، ولكن أيضًا كان من المنطقي والطبيعي أن يشعر على هذا النحو.

ومع مرور الوقت، بدأ يدرك هذا القِس أنه حتى بعد مرور عدة أشهر من انقسام الكنيسة، لكنه لا يزال غير قادر أن يقضي مع الله بعض الوقت في الصلاة وقراءة الكلمة. ماذا يفعل؟ ربما يستمر في خدمته بسبب "الإخلاص" للخدمة. يواصل الرعاية لأنه يعلم أن هذه هي مسؤوليته بسبب شعوره بالواجب، لأنه قد تمت دعوتنا إلى المُثابرة حتى في أصعب الظروف.

وهكذا، من الممكن يفقد القِس شيئًا فشيئًا، وينسى لماذا يحب الله. ثم ينتهي به الأمر بالالتزام في الخدمة لعدم التخلّي عن الإخوة الباقين. لقد تغيَّر قلب القِس، فلم يَعُد تركيزه على فرحة ما فعله يسوع من أجله، بل على ما عليه أن يعمل من أجل المسيح .

لماذا نستمر في الخدمة إذا كنا قد فقدنا - بوعي أو بغير وعي - شغفنا بيسوع؟

بطبيعة الحال يمكن أن تكون بدائل الخدمة غير محدودة، وتعتمد على حالة كل فرد. قد نفعل ذلك من أجل عدم الرغبة في الفشل، أو ربما خوفًا من عدم إيجاد فرصة عمل، أو نستمر في الخدمة بسبب الحب والتشجيع الذي نتلقاه من الآخرين، أو طمعا في المال، أو ربما بسبب المكانة والوضع اللذان يأتيان من كوننا قِس أو قائد للكنيسة.

الشيء المهم والمُحزن الذي أوَّد تسليط الضوء عليه، هو أننا نستمر في الخدمة! من الخارج لا يبدو أنه يوجد تغييرات، ونواصل القيام بالشيء نفسه كما هو الحال دائمًا. لكن داخليًا فقدنا المحرك الوحيد الذي لا غنى عنه، والذي نحتاجه للخدمة؛ **فرح المسيح!** القِس في هذا المَثَل، يواصل التبشير كل يوم أحد، ويستمر في القيام بزيارات افتقاد وتقديم المشورة لجماعته، ويحافظ على اجتماعاته الكنَسية، ولا يبدو أن شيء قد تغيَّر. ومع ذلك، كل شيء في القلب أصبح مختلف.

يوضح الشكل التالي المفهوم الذي نتحدث عنه:

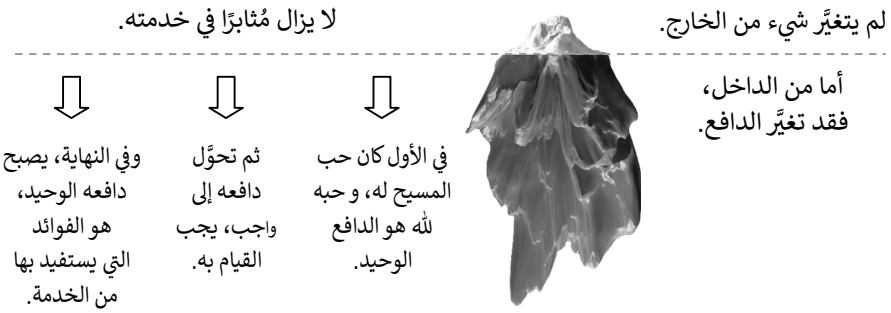

من المهم أن ندرك أن مشكلة القلب لا تبدأ عندما يصل الشخص إلى المرحلة الثالثة. المشكلة تبدأ في المرحلة الثانية، عندما يبدأ الشخص في العيش في ظل نمَط حياة يُحفزه فيه الواجب. لاحظ أننا هنا نتحدث عن ما يُحفز أفعالك داخليًا، وليس أن أفعالك لا تتطلب جهدًا بدَنيًا (خارجيًا).

منطقيًا، فإن الشخص الذي يُحفزه حب المسيح، سيبذل قصارى جهده، حتى يُستنفَذ. ومع ذلك، يقول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي ١: ٢٩، فإن العمل والجهد سوف يولَدان من قِبَل المسيح، وليس من خلال قوته الإنسانية. «الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيَّ بِقُوَّةٍ».

لماذا إذن تبدأ المشكلة في المرحلة الثانية، وليس في المرحلة الثالثة؟ لأن القِس فقَدَ مصدر قوة خدمته (يوحنا ١٥: ٥). لأنه الآن يعتمد على قوته، وليس قوة المسيح هي التي تُحركه.

المشكلة، هي أنه لسببٍ ما، توقف عن أن يكون المسيح مصدر سعادته. ما الذي يجب على القِس إدراكه في المرحلة الثانية؟ يجب أن يتذكَّر كلمات الإنجيل. ماذا يعني هذا في هذا السياق؟

حسنًا، فقط اِسأل نفسك: "لماذا"؟ لماذا لم أَعُد أشعر بالحب والشغَف للمسيح في الخدمة؟ ما الذي أُحبه حقًا اليوم؟ ما الذي دفعني إلى هذا الوضع من السلام الداخلي؟

ستؤدي إجابتك على هذه الأسئلة، إلى تحديد الإله الذي تعبده حقًا، الذي ربما يكون قد غيَّر سبب استيقاظك كل صباح، ودوافعك العميقة وأنفاسك في الحياة، ومصدر سعادتك، دون أن تلاحظ جميع تلك التغييرات.

في مثالنا، فإن الشفقة على الذات، والتي تتنكَّر في شكل الفخر، قد تكون هي السبب. ففي النهاية، ألم يُبارك الله خدمتنا؟ أليس من العدل أن يحصل شخص أمين على جماعة كبيرة؟ أليست هذه كنيسة الله، وهو قادر أن يفعل بها ما يريد؟

من السهل جدًا أن تخلط بين خدمتك، وخدمة الملكوت.

من السهل جدًا أن تقنع نفسك أنك تحارب من أجل الإنجيل، بينما ما تفعله حقًا هو المحاربة من أجل مكانتك بين الجماعة.

من السهل أن تُخبِر نفسك أنك تحاول ببساطة أن تكون قائدًا جيدًا، حينما كل ما تريده حقًا هو الشعور بالسيطرة.

من السهل للغاية أن تُخبِر نفسك أنك تريد بناء علاقات مسيحية صحية، عندما يكون كل ما تريده حقًا هو إرضاء الناس.

من السهل للغاية أن تُخبِر نفسك أنك تساعد الناس على فهم الحقائق اللاهوتية، عندما يكون ما تفعله حقًا هو أن تُثير إعجابهم بمعرفتك الروحية.

من السهل للغاية أن تُخبِر نفسك أنك تحارب من أجل الصواب، عندما يكون ما يحدث حقًا، هو أنك تشعر بالتهديد من التأثير المُتزايد لشخصٍ ما.

من السهل جدًا أن تُخبِر نفسك أنك تريد ببساطة ما هو أفضل، عندما يكون ما تريده حقًا هو حياة مريحة ومضمونة في مجال الخدمة.

من السهل جدًا أن تقنع نفسك أنك تريد أن تُمجِّد اسم الله، بينما ما تستمتع به حقًا، هو الشعبية التي تمنحها لك خدمتك، ولا ترغب في الاعتراف بذلك.

من الصعب جدًا أن تكون في رتبة كنَسية بارزة، ونفوذ كثير، وأن تتذكَّر ما هو مكانك الحقيقي ..

حينما تصل إلى هذه الدرجة،

تكتشف أنه من اللازم أن تُنقذ نفسك من نفسك.

يمكنني تغيير ظروفي، وظروف خدمتي،

لكن لا يمكنني الهروب من أفكار ورغبات قلبي.

لهذا، مرةً أخرى، أصرخ هذا الصباح بصوتٍ عالٍ لكي يُخلِّصني مُخلِّصي. أُصلِّي أن يخوض المعركة مكاني. أن تأسرني نعمة محبته حتى أُحبهُ أكثر من ما أحب نفسي. أُصلِّي لله أن أشعر بالرضا في مجده، وليس حينما أسعى لتمجيد اسمي.

وبينما أُصلِّي، أعرف أنه سيتعيَّن عليَّ أن أُصلِّي هذه الصلاة نفسها غدًا، لأنني سأُغرى غدًا مرةً أخرى، لأترك مكاني الصحيح، لأجعل خدمتي تتمركز حولي[٤].

---

[٤] في سفر الرؤيا ٢: ٢- ٥، كتب يسوع رسالة إلى ملاك كنيسة أفسس، ويقول: «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ، وَأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَحْتَمِلَ الأَشْرَارَ، وَقَدْ جَرَّبْتَ الْقَائِلِينَ إِنَّهُمْ رُسُلٌ وَلَيْسُوا رُسُلًا، فَوَجَدْتَهُمْ كَاذِبِينَ. وقَدِ احْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ. لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى. اذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ. ... ». إذًا ماذا يقصد يسوع بقولهِ إلى ملاك كنيسة أفسس ما يجب عليه القيام به "اعمل الاعمال الأولى مرةً أخرى"؟ لا تستعجل للرَّد! =

عندما يكتشف القِس الحقيقة وراء ابتعاده عن دافعه الأساسي، عليه أن يرجع إلى أكبر حقيقة في الإنجيل المُتمثلة في محبة الله غير المشروطة، وغفرانه غير المحدود للبشرية، حيث قد تجسَّد في صورة إنسان ليفدينا على الصليب. اختار الصليب حتى يفدي شخص مثل القِس الذي لا يحبه من قلبه. ليفدي شخص يستخدم الخدمة كوسيلة ليُمجِّد اسمه، وليس اسم الله.

عندما نرى حقيقة قلبنا الأناني، وضعف إيماننا، نُدرك فقرنا الروحي (متى ٥: ٣). في هذه الحالة الجديدة من الوعي - من التنوير الجديد - حيث ندرك مرةً أخرى أن الحياة المسيحية ليست صعبة (لقد حاولنا بالفعل وفشلنا)، إنما الحياة المسيحية من المستحيل أن تُعاش.

عندما نرى هذه الحقيقة وجهًا لوجه، يُرى يسوع المسيح وعمله مرةً أخرى، ليس فقط جذابًا، ولكن ضروريًا للغاية ومرغوبًا فيه، وغاليًا على قلوبنا. مرةً أخرى (من خلال الإنجيل)، نعود لنُحبه كما يجب أن نُحبه.

في تلك اللحظة عندما نُدرك أن الحياة المسيحية مستحيلة أن تعاش، ينقصنا شيء واحد فقط: نعمة الله السيادية.

يُقدِّر اللّه أن قلبي لا يستطيع إنقاذ نفسه، فيعمل فيه ليتوق إلى ما ينبغي أن يتوق له. الله وحده قادر على جعل القلب الفاسد يتوق له.

سأل التلاميذ يسوع في ذات مرة عن خلاص رجل أحب المال أكثر من الله، فأجابهم يسوع: «عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ الله» (مرقس ١٠: ٢٧).

إن إعادة اكتشاف جمال المسيح، واحتياجنا له، كما سنرى في الفصل التالي، هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يساعد القِس وأي شخص على التوقف عن رؤية نفسه كضحية، والبدء في عملية تغيير حقيقي.

= اِقرأ النص بعناية. هل تعرف ماذا يقول يسوع؟ لايعني أنه يجب عليه تغيير ما يفعله (النص يقول بوضوح: "لقد ثابَرت وعانيت"). ما يقوله يسوع، هو أنه يجب عليه القيام بالأعمال نفسها مرةً أخرى، بالطريقة التي كان يقوم بها في البداية. حُبًا ليسوع! وليس خوفًا من المسؤولية، ومن الواجب.

كتب القِس، وكاتب الترانيم العظيم جون نيوتن، ذات مرة عن هذا الصراع المستمر: "إذا كان بإمكاني التحدُّث عن تجربتي الخاصة، فسأقول: إن إبقاء عيني ببساطة على المسيح كمصدر الحياة والسلام، هو إلى حدٍ بعيد الجزء الأكثر صعوبة في تكريس حياتي له. أجد أنه من الأسهل أن أنكر نفسي أمام نفسي ألف مرة، من أن أنكر نفسي أمام محاولاته المستمرة ليكون هو مصدر العدالة والسلطة".

الإنسان الذي يعرف أن يُفرِّق بين ما يُشير إليه نيوتن، وهو اتباع قواعد سلوك خارجية بدلاً من تثبيت القلب على المسيح كمصدر للسلام والحياة، وأن يعرف طريقه إلى التحرُّر من الآلهة الزائفة التي قد تسيطر عليه.

ثلاث طرق للعيش				
غير المؤمن	يظن مُنخدعًا أنه سيجد المُتعة في ما خلقه الله.	لا يرى جمال المسيح، ولا يظن أنه يحتاجه.	لا يجد الشبع الذي يبحث عنه.	يشعر بالفراغ الدائم (سواء حقق مطالبه أم لا).
الأخلاقي	يظن مُنخدعًا أنه سيجد الفرح، حينما يعيش حياة صالحة.	لا يرى جمال المسيح، ولا يعرف كم احتياجه له.	لا يجد الشبع في طاعته السطحية.	شعوره يتأرجح بين الذنب والفخر حينما لا يسلك باستقامة.
المسيحي المؤمن	لديه النور الكافي ليُدرك أن الخليقة لا تقدر أن تُسعِدهُ، ولا يقدر أن يُغيِّر قلبه بنفسه.	يُدرك جمال المسيح واحتياجه المستمر لشخصه.	لأن المسيح هو مصدر شبعه، يقدر أن يستمتع بالمخلوقات دون أن يصنع منها آلهة.	

ملخص موجز



ما الذي يحفزني للتغيير؟

الذنب	أُريد أن أُسكِت هذا الشعور الذي يُسبِّب لي الضيق.
الكبرياء	أُريد أن أُثبِت قيمتي.
الخوف	أُريد أن أتجنب نتائج أفعالي.
الأنانية	أُريد أن أحصل على منفعة.

لماذا أحاول أن أُغيِّر نفسي بنفسي؟

- لأنني أعتقد أن طاعتي ستجعل الله يقبلني.
- لأنني أعتقد أن طاعتي يمكن أن تُلبي متطلبات القداسة التي يتوقعها الله مني.
- لانني أعتقد أن تقديس نفسي هو واجبي الخاص، وليس عمل الله فيَّ.
- لأنني أعتقد أن طاعتي ستجلب لي بركات الله لاحقًا.

ما هي نتيجة محاولاتي لتغيير نفسي بنفسي؟

- يصبح التغيير وقتي.
- تكون التغييرات سطحية وخارجية، حيث لا تأثير على القلب.
- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

لخِّص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.

اِقرأ انجيل لوقا ١٨: ٩- ١٤ **وأجب**:

ما هو التعليم الأساسي وراء هذا المَثَل؟ ما الذي يكشفه هذا المَثَل عن قلب الآب؟ هل ترى نفسك كالفريسي أم العشار؟ الغرض من هذا المَثَل، هو أن أرى نفسي كالفريسي .. إذا رأيت نفسي كالعشار، فهذا لأني لم أفهم المَثَل.

أنا أحتاج كل يوم أن أتوب عن "البر الذاتي"، ومحاولة "شراء" محبة الله من خلال تبرير نفسي .. التبرير الذي يقدر هو فقط أن يمنحه لنا من خلال بر ابنه.

أُنظر إلى الجدول الذي يحتوي على الأربعة دوافع التي تدفعنا للتغيير، **وأجب**:

- أي من الأربعة دوافع، تجد نفسك مُنساق وراءه دائمًا؟
- لماذا تعتقد أنك تُحارب مع هذا الدافع الزائف؟
- في رأيك، ما هو الحل، عندما تجد نفسك تقع في نمَط الحياة الخادع؟
- ما الذي يعنيه محاولة تغيير نفسي بقوتي الخاصة، ومحاولة تغيير نفسي بقوة المسيح؟
- كيف تشرح هذا الفرق لشخص لا يعرف المسيح؟

* * *

الجزء الثاني

ما هو

التغيير العميق؟

الفصل السادس

عندما أكتشف رغبات قلبي الحقيقية

كتب جون أوين: اِعرف قلبك

على الرغم من أنه عميق، **افحصه**.
على الرغم من أنه مُظلِم، **اِبحثهُ**.

فهو بطبيعته غشاش، ويقوم بتشخيص خطأ لمرضه مُخفيًا حقيقته، فلا تثق به. إذا فتح الإنسان عينيه ليرى حقيقة نفسه، لَما ظل في حالة الشلل التي هو عليها الآن. ومع ذلك، يحاول إعطاء أسماء أخرى لحالة الضعف التي يمر بها. إنه يحاول تبرير شرور قلبه، أو محاربتها في الخفاء، أو التغاضي عن خطرها، بدلاً من اقتلاعها وتدميرها بلا رحمة. ليس لديه رؤية واقعية عن نفسه أبدًا.

إن **الحياة الفاقدة للمعنى، والخادعة، تنمو كفرع من شجرة الجهل الذاتي**. عدد قليل حقًا يسعى إلى معرفة أنفسهم أو لديهم الشجاعة للقيام بذلك!

مشكلتنا الحقيقية: دوافع قلبنا الطبيعية، والتي لا نمتلك القدرة على تغييرها.

العيش في ضوء الإنجيل يجعلنا نواجه أنفسنا. **يُخبرنا الإنجيل** أن المشكلة ليست خارجنا، بل المشكلة في قلبنا. استجاباتنا الخاطئة المُنعكسة في أفعالنا ليست نتاجًا للظروف التي نمر بها أو تاريخنا الماضي، أو بسبب الآخرين، أو حتى موروثة من أجيال سابقة. ردود أفعالنا الخاطئة هي نتاج أنانية قلبنا. لكن هل نستمر في العيش هكذا؟ هل هذه هي الطريقة التي نمارس بها حياتنا المسيحية يوميًا؟

على سبيل المثال، عندما نقع في صراع في المنزل مع شريك حياتنا، أو في العمل مع مديرنا، أو في الكنيسة مع قائدنا الروحي أو أخ لي، مَن الذي نلومه على رد فِعلنا؟ هل العمى وعناد القلب، أم قلوبهم؟ هل نتذكَّر أن المشكلة في داخلنا، وليست في الخارج؟ إننا مسؤولون عن غضبنا، ومرارتنا، وكلماتنا المؤذية والناقدة؟ إن ردود أفعالنا لا تنشأ من الظلم، أو من المعاملة السيئة الخارجية، ولكن تنشأ في قلوبنا، وبالتالي فهي مشكلة داخلية (لوقا٦: ٤٥).

فكِّر في مثال يومي يوضح لنا هذه الحقيقة:

بعد ظهر يوم الجمعة قرَّرَت إمرأة أن تُدلِّل زوجها من خلال إعداد عشاء خاص للغاية. لم يكن أسبوع سهل بالنسبة لها، بالإضافة إلى العمل في مَتجر لبيع الملابس. فإن هذه المرأة لديها ثلاثة أطفال صغار، ووالدتها التي تعيش معهم، وقد بدأ يظهر عليها أعراض مرض الزهايمر.

على الرغم من التعب الذي تشعر به، إلا أنها قررت العمل بجد للطبخ من أجل زوجها، وهي تحلم بوقت مريح وطيب معه. ومع ذلك، عندما يصل الزوج إلى المنزل وهو متعب من العمل، ويرى أن طعامه المُفضَّل يتم تقديمه على الطاولة، يقول: "يا حبيبتي، شكرًا لكِ على حبك لي كثيرًا .. إنه طعامي المُفضَّل .. ولكنني اليوم مُتعَب للغاية .. واليوم أيضًا سيلعب الفريق الذي كنت أنتظره من فترة .. "ثم يجلس على الطاولة، ويُشغل التليفزيون ويشاهد المبارة بسرورٍ كبير". المرأة المُحبَطة تذهب إلى الفراش في وقتٍ مبكر، ودون أن تودِّع زوجها. ثم يدخل إلى حجرة النوم ويسألها: "يا حبيبتي، ما بكِ؟"، وتُجيب هي بكل برود ولا مبالاة: "لا شيء!".

دعنا نُحلِّل الموقف من وجهة نظر الكتاب المقدس. خارجيًا، يبدو أن المرأة قد فعلت شيئًا جيدًا: لقد ضحَّت من أجل زوجها لإعداد وجبته المُفضَّلة، ومع ذلك، دعونا نتفحص دوافعها. لماذا قرَّرَت أن تُحضِر له عشاءه المُفضَّل؟ هل فعلت ذلك، كما بَدا في البداية، لأنها تُحب زوجها، ولأنها تريد قضاء وقت مُمتع معه؟ إذا كان هذا هو الدافع الحقيقي لها، فلماذا لم تشعر بالسعادة لسعادة زوجها؟

إن خيبة أملها وغضبها وصمتها تجاه زوجها، يكشف رغباتها الحقيقية. فهي لم تكن قادرة على العثور على مُتعة في سعادة زوجها. لماذا؟ لأنها في الواقع (على الأقل في نهاية اليوم) لم يكن دافعها الأول تأكيد حُبها له، كانت تُفتش عن الحب من خلال حبه لها. هل

الغضب والمرارة التي شعرت بها المرأة، بسبب خطأ الزوج فقط؟ بالطبع لا! تولَّد الغضب والمرارة التي شعرت بهما هذه المرأة من قلب لم يحصل على ما أراد؛ عشاء رومانسي وهادئ.

ينتج عن قلبي رد فعل من اثنين، عندما يكون قلبي محكومًا برغبة مُعيَّنة؛ إذا كنت تساعدني في الحصول على ما أريد، فسأكون سعيدًا بك لأنك تُشكِّل وسيلة لسعادتي. ولكن إذا وقفت في طريقي، فسأكون غاضبًا ومُحبَطًا منك لأنك تُشكِّل عقبة أمام سعادتي. مشكلتي ليست أنت أو الوضع المشترك بيننا. مشكلتي هي أن الرغبة المشروعة قد استولَت على قلبي، وأصبحت الآن بدون سيطرة. هذه الرغبة لديها الكثير من القوة لدرجة أنها لم تَعُد شرعية. لقد أصبحت رغبة غير منظمة وخاطئة، حيث تحوَّلت إلى مركز سلطة على قلبي. هذه السلطة مِلك لله فقط، الذي أرسل ابنه حتى يملك على قلبي.

محور الجدَل في رسالة يعقوب ٤: ١ ليس هو الرغبة في أشياء غير مشروعة (رغبات سيئة)، بل هو رغبات جامحة (رغبات قد تكون صحيحة في حد ذاتها، ولكن لا يجب أن تَحكُم القلب أبدًا). ليس من الخطأ أن ترغب في الراحة في نهاية يوم طويل، ولكن من الخطأ أن أكون محكومًا بالراحة، لدرجة أنني أزعج أي شخص يعترض طريقي.

من الناحية المنطقية، ليس خطأ أن ترغب المرأة في تناول عشاء رومانسي مع زوجها. تَكمُن المشكلة عندما تتحوَّل تلك الرغبة إلى مطلَب يجب حدوثه في كل الأحوال. بمعنى آخر؛ الأمر لا يتعلَّق بالرغبة، بل عندما تتحوَّل إلى رغبة مُلزِمة يتحتم تحقيقها. الأول هو حاجة مشروعة، والثاني هو عبادة الأصنام.

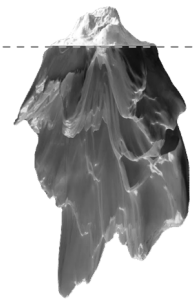

فعل مرئي	تَعِدّ الزوجة العشاء (شيء جيد)	تغضب الزوجة (شيء سيئ)
	لماذا؟	**لماذا؟**
رغبة سطحية	ترغب في قضاء وقت طيب مع زوجها.	ترغب في قضاء وقت طيب مع زوجها.
رغبة عميقة	تبحث عن الحب والحميمية.	تبحث عن الحب والحميمية.
فعل غير مرئي	يأخذ الأولوية مكان الله، حيث تحوَّلت الرغبة المشروعة إلى إله يأخذ الأولوية مكان الله نفسه.	

يؤكد يعقوب ٤: ١ "من أين تأتي الحروب والصراعات بينكم؟ ألا تأتي من عواطفك [رغبات فوضويَّة] التي تُقاتل أعضائكم؟" يتساءل لين وتريب:

ما الذي يخلق صراعات في الحياة؟ الراحة، المُتعة، القبول، السلطة أو السيطرة؟ اسمحوا لي أن أشرح كيف تتحوَّل هذه الأشياء الجيدة إلى "رغبات أنانية تؤدي إلى الصراع". هذه الأشياء ليست سيئة في حد ذاتها حتى تصبح أنانية. يمكن أن تكون الراحة أو المُتعة أو التقدير أو القوة أو السيطرة أو القبول، نعمة يمكن أن نتمتع بها. لكنها تصبح شيئًا خاطئًا عندما نسمح لها بالتوقف عن أن يكونوا بركة ليحلُّوا مكان ما يُباركنا ..

الراحة .. تدفعني للخوف من العمل الشاق.

المُتعة .. تدفعني للخوف من الألم.

التقدير .. يدفعني للخوف من التجاهل.

السلطة .. تدفعني للخوف من أن يقول لي أحدهم ما يجب عليَّ فعله.

التحكُّم .. يدفعني للخوف من الأمور غير المتوقعة.

القبول .. يدفعني للخوف من الرفض.

إذا فكَّرت في الأمر للحظة، ستجد أن عكس ما نريده هو ما نخشاه ..

من أين تأتي الحروب والصراعات بيننا؟ من ما يُحبه قلبنا، وما يخشاه قلبنا. من تلك الرغبات الشرعية التي تتحوَّل إلى آلهة في حياتنا. من الطبيعي جدًا أن الزوجة في قصتنا تطهو لزوجها بدافع جيد، وأن نيَّتها الأصلية أن تُحبه وتُدلِّله، ولكن في نهاية اليوم قد تحوَّلت تلك الرغبة إلى إله. توقف قلبها عن حب زوجها، وبدأ يَحكمُهُ حب نفسها.

بهذه الطريقة لم يَعُد دافعها هو حب زوجها، وأن تجد مُتعة في تلك التجربة، وأصبح شيئًا مختلفًا للغاية. بدون الكثير من التفكير والفحص الذاتي، تحوَّلت هذه الرغبة الصحيحة إلى مطلَب (شيء خاطئ).

في تلك اللحظة حلَّت تلك الرغبة في الحصول على عشاء رومانسي وهادئ، مكان الله باعتباره مانح الفرح ومُسدِّد الاحتياجات. هذا هو ما يُسميه الكتاب المقدس "الوثنية". يتم تكوين إله آخر عندما ترتفع الحاجة المشروعة إلى مكان شيء يجب حدوثه. إنه

التخلّي عن الله الذي وعد بتلبية جميع احتياجاتنا، والتمسُّك ببديل (في هذه الحالة - عشاء خاص) يعطينا نفس ما يعطينا الله أو أي شيء أفضل من ذلك. هذه العملية المُتمثلة في "تأليه" رغباتنا، ورفعها إلى حالة يجب تلبيتها.

هذا يحدث لنا أكثر ممَّا نعتقد. تتحوَّل الرغبة في تحقيق النجاح في العمل إلى الحصول على تقدير المدير. الرغبة في الحصول على ما يكفي من المال لدفع الفواتير تتحوَّل إلى جشعً للثروة. والرغبة في أن تكون أبًا صالحًا، تصبح رغبة في إنجاب أطفال يُحسنوا من سُمعتك. الرغبة في أن أُكوِّن أصدقاء، تصبح مَطلبًا مُلّحًا، وإذا لم أشعر بالقبول، يؤثر ذلك على شعوري. **ما كان يوما ما رغبة شرعية، أصبح قوة مُتحكِّمة**. وعند حدوث ذلك، تتغيَّر الرغبة التي حفزتني في الأصل إلى شيئًا مختلفًا تمامًا. بدلًا من أن أكون مدفوعًا بحبي لله ولإخوتي، أصبحت مدفوعًا للبحث عن ما سيجلب لي السعادة، ولهذا السبب أشعر بالغضب تجاه أي شخص يعيقني.

لاحظ "التبادل" الكبير الذي حدث في مثال الزوجة. الشخص نفسه الذي كان موضع حبه، يصبح فجأة موضع غضبها! هل الزوج مسؤول عن هذا الغضب؟ بالطبع ليس بالكامل. نشأ غضب الزوجة عن رغبة في قلبها لم تتحقق. لقد صنعت من زوجها إله تعبده، من خلال تصديق الكذبة القائلة بأن المخلوق يمكن أن يمنحك ما يُقدِّمه الخالق. وبالتالي أصبحت رغبات قلبها هي المُتحكِّمة في حياتها بدلاً من أن يستلم الله الدفة.

كما ترى، نحن نقع في عبادة الأوثان عندما نفعل شيئين؛ أو بالأحرى، عندما "نؤله" شيئين: المخلوق، وأنفسنا. من ناحية نأخذ شيئًا جيدًا أعطاه الله لنا مثل: الجنس، المال، عشاء رومانسي، وما إلى ذلك، ونرفعه إلى مكانة الله. كيف؟ عندما نقول في أنفسنا: "إن الحصول على هذا هو ما سيمنحني الحياة الحقيقية. هذا هو مصدر راحتي".

بمعنى آخر أن نُحوِّل أنفسنا أو ما خلقه الله إلى مُنقذنا الوحيد.

أما من ناحية أخرى، نحن نرفض سيادة الله وصلاحه، ونتحكَّم في مستقبلنا. كيف؟ حيث نقول في أنفسنا بدون وعي: "هذا أفضل ممَّا يُقدِّمهُ الله لي. وأنا أعلم أكثر من الله ما ينبغي أن يكون مصدر فرحي وراحتي". وهكذا أيضا نُحوِّل أنفسنا إلى إله حياتنا، ومُخلِّص أرواحنا.

هل تتذكَّر إرميا ٢: ١٣؟ **المشكلة ذات الشقين؛** التخلّي عن الله، والبحث عن مصدر جديد للماء الحي. من الصعب علينا الإمساك برغباتنا بأيدٍ مفتوحة، بدلاً من ذلك تميل الرغبات إلى الإمساك بنا. تميل رغباتنا إلى الإرتقاء إلى مستوى لا ينبغي أن تكون عليه أبدًا. ما يحدث هو أن الرغبة تُصارع حتى تَحوز على مركز القيادة، ثم يتم التعبير عن هذه الحاجة المُلّحَّة كضرورة. "أحتاج إلى ممارسة الجنس". "أحتاج منك أن تحترمني". شعوري بالحاجة يرفع من توقعاتي. وعندما الواقع لا يلتقي بالتوقعات، أشعر بخيبة الأمل. خيبة الأمل تؤدي إلى نوع من العقوبة. "أنت تشتهي، ولكن ليس لديك .. أنت تُقاتل وتحارب". لهذا السبب عندما قال يعقوب: "أيتها النفس الزانية! "، فهو لم يُغيِّر الموضوع الأساسي. إنه يقول شيئًا مُهمًا جدًا.

يحدث الزنا عندما أُعطي لشخص، ما الحب الذي وعدت به شخصًا آخر. يحدث الزنا الروحي عندما أُعطي لشيئًا أو لشخصًا آخر، الحب الذي ينبغي أن أعطيه لله فقط. يعقوب يقول: إن الصراع الإنساني متأصل في الزنا الروحي.

السؤال الرئيسي الذي يجب طرحه على أنفسنا في كل موقف هو: مَن أُحبه من خلال هذا القرار؟ أو ما الذي يسود الآن علي قلبي؟ نعم، لقد فعلنا شيئًا "جيدًا". لقد ضحَّيت من أجل زوجي، أو من أجل الكنيسة، أو من أجل زميل لي في العمل؛ لكن مَن نحب في القيام بذلك؟ هم؟ أم المسيح؟ أم نفسي؟ ما الذي دفعنا إلى هذا التصرُّف؟ تجاهل دوافع القلب هو التغاضي عن القضية الأكثر أهمية في الحياة المسيحية. **الدوافع هي السبب في أننا نعيش هذه الحياة. إنها السبب وراء كل فعل نقوم به.** الدوافع هي التي تُولّد شغف وحُب لله، أو الزنى في القلب. يقول تيم كيلر:

"لا يَعتبر الكتاب المقدس الوثنية هي المشكلة بين الكثيرين .. إنما الوثنية هي السبب وراء وقوعنا في الخطية. لماذا نفشل دائمًا في حب جارنا؟ أو نكذب باستمرار؟ أو نعيش حياة أنانية؟".

بالطبع، الجواب العام: هو أننا ضعفاء وخطاة. **لكن الجواب الأدق،** هو أنه يوجد دائمًا شيء ما نشعر أن وجوده حتمي بجانب يسوع المسيح حتى نكون فرحين، وهو أكثر أهمية في قلبك من الله، لذلك نقع تحت نير العبودية من خلال الرغبة المُفرَطة.

على سبيل المثال، لن نكذب إلا إذا كنا قد فعلنا شيئًا أولاً لا يجب فعله. القبول من الآخرين، المكانة، السُمعة، السيطرة على الآخرين، الحصول على ثروة مالية؛ هم دائمًا أكثر أهمية وقيمة لقلوبنا من نعمة الله الغنية والمجانية. وبالتالي، فإن **سر التغيير دائمًا، هو في تحديد الإله الذي يحلّ محل الله في القلب، ثم التخلُّص منه.**

فحص الدوافع ورغبات القلب يساعدنا على رؤية أن المشكلة الرئيسية للإنسان ليست السلوك الخارجي، ولكن عبادة آلهة أخرى. السلوك هو نتيجة لِما "نؤله" في قلبنا، وهو أعظم كنز لدينا.

شرح لنا يسوع في الكتاب المقدس عدة مرات أن أفعالنا الخارجية هي نتيجة لِما نحب ونكنز داخليًا. «ثم قال: إن الذي يخرج من الانسان ذلك يُنجس الانسان، لأنه من الداخل، من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل» (مرقس ٧: ٢٠- ٢٢).

التأمل في هذه الحقيقة، يجعلنا نواجه مشكلة أكبر. إذا كان صحيحًا أن عبادة آلهة أخرى لها علاقة برغباتنا؛ رغباتنا التي نُحبها كثيرًا لدرجة إنها تتحوَّل إلى مطالب يجب تلبيتها، فإننا نواجه الآن مُعضلة جديدة وأكبر.

كما رأينا بالتفصيل في الفصل الثالث: لا يمكننا تغيير ما نريد. لا يمكننا إجبار أنفسنا على تعديل ما نُحبه، ونعتز به ونُقدِّرهُ؛ لأن الحب هو رد فعل. إنه استجابة لا يمكن السيطرة عليها لِما هو جذاب في أعيننا. لِما يبدو لي كأعظم فائدة لروحي. هو رد فعل لِما أراه قادر على تلبية احتياجاتي ومنحي السعادة الكاملة (في حالة الزوجة: عشاء رومانسي مع زوجها).

إذا كنا نريد أن نفهم بشكل صحيح كيف تحدث تغييرات عميقة، فمن الضروري أن نُدرك حقيقة أنه لا يمكننا تغيير ما نحب. **الحُب هو رد فعل لا يمكننا فرضه!**

فكّر في الأمر للحظة. عندما يتجادل اثنان من أولادي الصغار بحرارة، أستطيع أن أجبرهم على التوقف عن الجدال (أي تغيير سلوكهم الخارجي)، لكن لا يمكنني إجبارهم على الشعور بالذنب (أي الاعتراف بخطيتهم). أقدر أن أجبرهم على السكوت والاستماع إلى بعضهم البعض (بالتهديدات، والتحذير، والانضباط)، لكن لا يمكنني إجبارهم على فَهم بعضهم البعض، ووضع مصلحة الآخر أولاً. يمكنني أن أطلب منهم تكرار كلمة اعتذار بسبب اعتداءهم على بعض، لكن لا يمكنني إجبارهم على الشعور بالألم بسبب خطيتهم.

أستطيع أن أطلب منهم أن يغفروا لبعض، لكن لا يمكنني إجبارهم على الشعور بالمرارة، والشعور بالسلام مع بعضهم البعض. لا يمكننا تغيير ما يجب تغييره حقًا؛ لا في أولادنا ولا في شريكنا، ولا حتى في أنفسنا! لا يمكننا تغيير ما نبتغي .

هذا يقودنا إلى اكتشاف حقيقة ثمينة. بما أننا لا نستطيع تغيير ما يُحبه القلب، فإن التغيير يجب أن يكون هِبَة من الله! عمله هو، وليس عملنا! التغيير الإلهي! عمل خارق! يمكننا إجبار الآخرين وأنفسنا على إجراء تغييرات سطحية. يمكننا أن نطلب من الناس الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد أو تقديم عشورهم أو قراءة كتابهم المقدس أو الصلاة، لكن لا يمكننا أن نطلب منهم تغيير ما يُحبونه.

التغيير هو تغيير الرغبات. التوقف عن الرغبة في الخطية، والبدء في الاشتياق للمسيح. والتقديس أيضًا! لا نقدر على تحقيق المطلَب الأول بأنفسنا، ولا يمكننا تحقيق المطلَب الثاني أيضًا. نعم، التبرير هو هِبَة، لكن التقديس أيضًا هو عمل الله فينا.

فكّر في الأمر للحظة، مشكلتنا الأساسية ليست فقط مشكلة الجهل (نعلم جيدًا ما يتعيَّن علينا القيام به - في حالة المرأة، فلا يستلزم الأمر الغضب من زوجها). مشكلتنا الأساسية هي مشكلة "المقدرة"، ليس لدينا الرغبة في القيام بذلك، وهي بمثابة القوة المحركة. معرفة ما يتعيَّن علينا القيام به مع عدم القدرة على فعله (رومية ٧: ١٨، ١٩). ولا يمكننا القيام بذلك لأننا لا نستطيع تعديل أو تغيير ما نحب[1].

---

[1] يقول تيم تشيستر: "هناك مَن يُجادل بأن التغيير هو عمل الله بالكامل، لكن التبرير هو تعاون بيننا وبينه". لكن لا توجد أية صحة للاستنتاجين. التغيير هو عمل الله تمامًا، لكن علينا مسؤولية تقع في الاستجابة بإيمان وتوبة.

في الواقع، الإيمان والتوبة هِبَة من الله لصالحنا. يفتح الله العين المُغلَقة. يمنح الله التوبة (مرقس ٨: ١٨- ٣٠؛ ٢كورنثوس ٤: ٤- ٦؛ ٢تيموثاوس ٢: ٢٥). هذا هو السبب في أن التغيير هو عمل الله تمامًا، ويعمله فينا دون مقابل.

الآن، بمُبادرة إلهية، وبمساعدة من الله، لدينا جزء لنقوم به. والشيء نفسه ينطبق على التقديس. من حيث المبدأ، هو عمل الله بالكامل. لكننا لسنا مجرَّد أشخاص تستقبل عمل الله في حالة جمود. دورنا هو الرَّد بالإيمان والتوبة، لكن حتى هذا، هو عمل الله الذي يعمل فينا. "تيم تشيستر، يمكنك التغيير، ص ٦٠".

كما يقول بولس في ١كورنثوس ١٥: ١٠ «وَلكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا، وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً، بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلكِنْ لاَ أَنَا، بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي». إن مُهمتنا في النمو، هي أن نثبت (من خلال الإيمان والتوبة) في النعمة التي يريد الله أن ينقلها إلينا. بمعنى آخر، **التغيير، ليس من خلال قوتنا، ولكن من خلال روحه.**

عندما ندرك هذه الحقيقة، وعندما نواجه الحالة الحقيقية للقلب، يتبقى لدينا خياران: يمكننا، كما رأينا في الفصل الخامس، الاستمرار في محاولة التغيير بقوتنا أو يمكننا أن نقبل بتواضع حالتنا، والسماح للإنجيل بتغييرنا.

ما الذي يتعيَّن علينا القيام به للتغيير؟ مثلما فعلنا عندما قبلنا المسيح كمُخلِّص شخصي: **نتوقف عن المحاولة، ونقترب من المسيح بأيدي خالية لا تملك شيء لتُقدِّمه.** يجب أن نتوقف عن إلقاء اللوم على العالم على أنه المسؤول عن ردود أفعالنا الخاطئة وجوعنا المستمر، وأن نقبل بحقيقتنا أننا زُناه روحيين نحاول دائمًا أن نسيطر على عالمنا دون أن نستسلم إلى ملكوت الله.

عندما نرى هذا الواقع وندرك عمقه، ونأخذه بجدية (أي مع قناعة أننا خطاة، وهي حالة تُعتبر هِبَة، ولا يستطيع إلا الروح القدس إنتاجها)، فسوف ندرك أننا بحاجة إلى "الكنز" المُتمثل في هِبَتين يُقدمهما الإنجيل لنا: المغفرة: ليس فقط من أجل الشر، ولكن من أجل محبتنا للعالم، والتي تفصلنا عن الله.

والمقدرة: ليس فقط لطاعة وصايا الكتاب، بل على محبة الله في القيام بذلك. عندما نكتشف حقيقة قلبنا كما يوضح لنا عنوان هذا الفصل، ندرك أننا بحاجة إلى الإنجيل كما اليوم الأول الذي سلَّمنا فيه حياتنا للمسيح.

ما الذي يمكن فعله حتى نغيِّر القلب؟

ما الذي يمكن أن نفعله حتى ننتج ثمار؟ دعونا نتأمل في رَّد السيد المسيح على هذا السؤال. "لا شيء .."[٢]. لا تشعر بالإحباط مني إذا كان الرَّد قد صدمَك. هذا ليس كلامي،

---

[٢] كما سنرى مرة أخرى في الفصل الثاني عشر، لا ينبغي الخلط بين حقيقة أن الإنسان لا يستطيع فعل أي شيء لتغيير قلبه، مع حقيقة أن الله لم يُقدِّم لنا روحه ليعمل فينا بطرق مختلفة. ما يُسمَّى "وسائل النعمة" (مثل التدريبات الروحية، والكنيسة، واختبار كلمته، والتجارب، وما إلى ذلك) - هذه كلها وسائط نعمة يعمل الله بها من خلال روحه فينا.

كما أن الوعظ هي الوسيلة التي يسمع بها غير المؤمن عن الإنجيل (رومية ١١: ١٤)، وبدونها سيكون من الصعب (أو على الأقل غير طبيعي) أن يأتي شخص إلى المسيح؛ وسائط النعمة هي أدوات للمؤمن أن يتواجه مرة أخرى مع الإنجيل. لا نستطيع فعل أي شيء بأنفسنا، لكن هذه الوسائط تُقرِّبنا من الشخص الذي يمكنه فعل ذلك.

وهكذا، فإن الله هو الذي يُنير الإنسان لرؤية جماله ومجده، وعندها لا يقصد العقل أو الخيال وغيرها، أو وسائل خارجية مختلفة مثل تلك المذكورة أعلاه لتحقيق هدفه. وكما يقول جونائان إدواردز: "لا يمكن للعقل أن يُميز =

بل **إنها كلمات يسوع**. بدونه، لا يمكننا فعل شيء. «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا». (يوحنا ١٥: ١- ٥).

ما الذي يَعنيه يسوع بقوله: «أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ»؟ ماذا تعني عبارة «لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا»؟ لفهم ما يقوله يسوع بشكل صحيح، من الضروري أن نفهم بشكل صحيح المقطع كله.

أولاً، علينا أن نبدأ بالملاحظة أن يسوع يتحدَّث إلى المسيحيين، وإلى المؤمنين الذين قد قبلوه وتغيَّرت حياتهم. ليس ذلك فحسب، ولكن يسوع يُشير أيضًا عن كيفية التغيير. إنه يشرح كيف يمكن للمسيحي أن يأتي "بثمر".

ماذا تعني كلمة "ثمر" في هذا السياق؟ يُفسرها بعض اللاهوتيين أنه يتحدَّث عن "ثمار الخدمة"؛ أي، ثمرالمؤمنين الجُدُد. بينما يقول آخرون أن يسوع يتحدَّث عن "ثمر الروح"؛ أي تغييرات في شخصيتنا (غلاطية ٦: ٢٢، ٢٣: محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة، إلخ). أي من التفسيرين صحيح؟ في رأيي، كلاهما!

يتحدث يسوع عن كيف يمكن للشخص أن يُتمِّم "الوصية العظمى" و"المهمة الكبرى"؛ على حدٍ سواء! إذا لخَّصتها في عبارة واحدة، يجب أن تكون هكذا: إن الثمار هي كل ما يرغب المسيح في إنتاجه في شخصٍ ما، وكل ما يستطيع إنتاجه بشخص ما. لهذا السبب يحتوي على المفهومين. هذا ما يُظهِرهُ لنا النص. لذلك، في المَثَل يُشبَّه يسوع

= بين أية عقيدة ما لم تكن تلك العقيدة الأولى راسخة في العقل؛ لكن رؤية التمييز في العقيدة، لا يمكن أن تأتي مباشرةً إلا من روح الله، على الرغم من أن معرفة العقيدة أو الافتراض نفسه، يمكن أن يكون من خلال كلمته أو أية وسيلة أخرى يشاء الله استخدامها".

يكتب خوسيه مورينو بيروكال، وجوناثان إدواردز، في شغف لمجد الله (برشلونة: منشورات السقالات، ٢٠٠٨)، ص ٧١. (على الرغم من ذلك، من الناحية المثالية، سوف تكتشف تدريجيًا كيف تعمل هذه الديناميكية، إذا كنت تريد توضيح أكثر، يمكنك رؤية مخطط جبل الجليد في الفصل العاشر، حيث يتم شرح تفصيلي عن: ما يمكنك القيام به، وما لا يمكنك القيام به).

بالكرمة! يكتب متى هذا المقطع، وكأنه يقول: إن الثمار هي أفعال صالحة تتم بدوافع قلب نقي. هل تتذكَّر متى ٦: ١؟ «احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

يقول متى: "**الثمار** هي التقديم بسخاء، والصلاة والصوم مع دوافع نقية". **الثمار هي أن أفعل ما أفعل دون وجود أجندة خفية، دون أنانية أو حب للذات، دون محاولة لإرضاء مصلحة شخصية؛ دون الوقوع في عبادة آلهة أخرى.**

الثمار هي أن أستمتع بالآب، وأُفكر فيه في كل شيء أقوم به. **الثمر** هو أن الزوجة تُحضر العشاء حبًا لزوجها دون أية مصالح شخصية. إذا كان بولس يكتب إنجيل يوحنا ١٥، فسيقول: "**الثمر** هو أن تفعل كل ما تفعله (تكلُّم بألسنة، تبرُّع بالمال للفقراء، التنبؤ، إلخ) بحب حقيقي للآخرين" (راجع ١كورنثوس ١٣: ١- ٣).

على الرغم من أنني سوف أُكمل الفكرة لاحقًا، إلا أنني سأقولها بهذه الطريقة: **الثمر هو القيام بعملٍ صالح مدفوع بقلب نقي، ودوافع نقية. هو وجود حب حقيقي في فعل كل ما أقوم به** (١تيموثاوس ١: ٥).



ماذا يقول يسوع عن هذا النوع من الثمر؟ **يقول يسوع** إنه لا يمكنني إنتاجه إلا إذا ثبَت فيه، إذا كان هو كرمي، وأنا فرع متأصل به. انظر بعناية في الفقرة نفسها مرةً أخرى. ماذا تُمثل صورة الكرمة؟

ما الذي يقصده يوحنا بقوله: إن يسوع يجب أن يكون "الكرمة"، وأنا "فرع" بسيط؟ هذا يعني أنه يجب أن يعطيني القوة لإنتاج الثمر - أي أنه يجب أن يعطيني القدرة على

العيش بالطريقة التي لا أستطيع أنا أن أعيشها بمفردي. يوحنا ١٥ واضح جدًا. **الثمر هو شيء يمكن أن يُنتجه يسوع وحده. يجب أن يكون حاضرًا حتى يحدث ذلك!** لا أستطيع إنتاج هذا بقوتي الخاصة.

السبب في أنه من الصعب علينا أن نفهم هذه الحقيقة، هو لأننا ما زلنا نعتقد أن لدينا القدرة على العيش كما يتوقع الله منا. إن الحياة المسيحية ليست فقط صعبة، بل إنها مستحيلة!

المسيحية ليست برنامج مساعدة ذاتية.

المسيحية هي عملية إعادة اكتشاف مستمرة

أنني لا أستطيع أن أنمو أو أن أتي بثمر بدون المسيح.

دعني أطرح عليك سؤال: ماذا هو أسوأ كابوس بالنسبة لك؟ فكّر في الأمر للحظة قبل قراءة المزيد. ما هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لك؟ إذا كنا مسيحيين حقيقيين، يجب أن يكون الجواب على هذا السؤال هو نفسه بالنسبة للجميع. بالتأكيد سوف يُفاجئك، ولكن فكّر في ذلك بعناية.

"سيكون أسوأ كابوس بالنسبة لي، هو أن يأخذ الله روحه القدوس منك". نعم، أنا أعرف. بالنسبة للمؤمن الحقيقي هذا مستحيل؛ أنا فقط أطلب منك أن تتخيَّل ذلك. فكّر في الأمر بطريقة أخرى. إذا استيقظت غدًا بدون الروح القدس، هل ستدرك غيابه؟ هل ستلاحظ عائلتك انتزاع الروح القدس منك؟ هل يلاحظ أصدقاءك أنك فقدت الله؟ هل يسألونك في العمل عمَّا حدث لكَ، ولماذا أنت شخص مختلف؟

فكّر في موقف افتراضي آخر. دعنا نقول: إن الله تجسَّد، وأصبح إنسانًا مرةً أخرى والتقى بك. بعد أن تعرَّفت عليه، وتفاجأت بالمعجزات التي تؤكد دون شك مَن هو، وأنه سيُقيم في منزلك. وهكذا تحظى على شرف تناول وجبة الإفطار والغداء والعشاء معه كل ليلة. خلال اليوم، يُعلّمك أشياء رائعة، ومع مرور الأشهر، تحصل على تكوين صداقة لا تُصدَّق. حياتك الروحية لم يَسبق لها مثل هذا المستوى من العُمق، ومع ذلك، بعد ثلاث سنوات، أخبرَك بهذا: "من الأفضل لك أن أذهب أنا" (يوحنا ١٦: ٧).

بالتأكيد في تلك اللحظة ستُفكّر (مثل التلاميذ): "من الأفضل لي؟" كيف لك أن تغادر؟ ماذا يمكن أن يكون أفضل من أن الله نفسه الذي خلق الإنسان، يعيش معي كل يوم

ويُعلّمني، ويُصلّي معي، ويساعدني أن أكبر وأثبت فيه؟ هذا مستحيل! لا يوجد شيء أفضل من ذلك.

الجواب رائع: هناك شيء أفضل! وجود الروح القدس في قلوبنا. هذا ما يتحدَّث عنه يوحنا ١٥. أن يكون الله ساكن داخلنا! الآن نحيا "**متأصلين**" بالكرمة، وهو ما يُسميه بولس "العيش بملء الروح".

ما يقوله يوحنا هو أنه لا يمكنك أن تعيش الحياة المسيحية بدونه. **أحتاج إلى المسيح لكي أقدر أن أعيش حياة مثل المسيح**. الطريقة الوحيدة لإنتاج الثمر والتغيير، هي من خلال الروح القدس. نعم، صحيح أن الروح لن يُؤخَذ منا، لكن الروح يمكن أن "يحزن"، "ينطفئ"، "يتضاءل". كيف؟ لنَقُل ببساطة يمكن تلخيصها في جملة واحدة: هي محاولة أن أعيش بدونه.

قال السيد المسيح: «بدوني، لا تقدرون أن تفعلوا شيء». طبقًا لِما ذكره يسوع في الكتاب المقدس، لا يوجد وصية واحدة أستطيع العيش بدونها. لا يوجد تغيير واحد يمكنني إجراؤه دون مساعدته. ومع ذلك، نحن نحاول طوال الوقت.

تخيَّل أن الله يطلب مني لعب كرة القدم مثل ميسي. ليس فقط أن ألعب وأسجل هدفًا من وقتٍ لآخر، ولكن لأتمتع بالقدرة نفسها التي لديه على لعب كرة القدم. بالطبع يمكننا التنبؤ بالنتيجة. يمكنني ترك وظيفتي لأتدرب حياتي كلها، وأتمرَّن على أيدي أفضل المُدربين في العالم ليُعلّموني أفضل التقنيات، وبعد ذلك كله لن ألعب مثله! ليس لديَّ القدرة على القيام بذلك! الطريقة الوحيدة للّعب مثل ميسي هي، إذا، بطريقة ما خارقة للطبيعة، يدخل ميسي داخل جسدي و"لا ألعب أنا بعد الآن، لكن ميسي يلعب معي". (هكذا يُعبِّر عنها غلاطية ٢: ٢٠).

هذا هو بالضبط ما تُمثلهُ صورة الكرمة. لا أستطيع العيش مثل المسيح، **لكنه** يستطيع أن يفعل ذلك من أجلي. كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟ من خلال روحه القدوس.

إذن ماذا يعني "لا يمكنك فعل أي شيء بمفردك"؟ إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فستبدو عبارة غير منطقية ومتناقضة إلى حدٍ ما. هناك أشياء لا حصر لها يمكننا القيام بها دون المسيح! بدون المسيح يمكننا الخروج من السرير كل صباح. يمكننا تنظيف أسناننا،

تمشيط شعرنا، تناول وجبة الإفطار. يمكننا قيادة السيارة للعمل، والتحدُّث مع زملائنا، والعمل في المكتب دون مشاكل كبيرة. يمكننا مشاهدة التلفزيون، ولعب الشطرنج والتسوُّق. هل من الضروري أن يسكن المسيح في قلبي للقيام بهذه الأشياء؟ بالطبع لا! ألا يستطيع المُتدين في أي دين، أو المُلحِد أن يفعلها؟ في الواقع، إذا بحثت أكثر، ستجد أنه يمكننا فعل الكثير من الأشياء الجيدة و"الروحانية" دون المسيح.

متى ٦: ١ يُذكِّرنا بأننا نستطيع أن نعطي المال، يمكننا أن نُصلّي، ويمكننا أن نصوم بدون أن يكون لدينا المسيح. عندما يقول يسوع: "لا يمكنك فعل أي شيء بدوني"، فهذا لا يعني أنني لا أستطيع فعل الأعمال الصالحة؛ ولكنه يعني أنني لا أستطيع فعل أي شيء مع حب خالص، مع حب حقيقي، مع دوافع صالحة وجيدة.

وهذا يعني، وِفقًا لفكر يوحنا، أنه لا يمكنني بمفردي إنتاج أي نوع من "الثمر" الذي يُمجِّد الله (يوحنا ١٥: ٨). بمعنى أنه لا يمكنني أن أفعل شيئًا ينظر إليه الله ويقول لى: "ما فعله نيكو كان رائعًا! إنه يستحق موافقتي الكاملة! إنه مليء بنكران الذات والحب! إنه يجلب لي المجد". لماذا؟ «الله لا ينظر كما ينظر الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى الخارج، لكن الرب ينظر إلى القلب» (١صموئيل ١٦: ٧). وكيف يبدو حال قلبي؟ مُخادع. مثل الزوجة. أحب نفسي حتى في تحضير العشاء لشخص أُحبه! كتب أحد أكثر القساوسة الذين عاشوا مُكرَّسين، الآتي:

"لا أعرف ما هو رأيك، لكن يمكنني القول: إنني لا أُصلّي بدون أن أُخطئ، ولا أعظ بدون أن أُخطئ، ولا أفعل أي شيء دون أن أخطئ. كل ما عندي للأسف هو في حاجة إلى التوبة. وأحتاج إلى غسل الدموع التي بكيتها بدماء الفادي الحبيب الثمينة. حتى أعظم الوصايا التي أطعتها، هي علامات نجاسة قلبي وخطيته الاستثنائية.

"إذا أردت أن تحظى بسلام في قلبك، يجب عليك أولاً أن تكره خطيتك القديمة، والخطية الجديدة التي لم تفعلها بعد، وتعترف بعدم جدوى استقامتك، وعدم جدوى الوصايا التي تحاول الالتزام بها. **يجب أن يكون هناك اعتراف كامل بعدم قدرتي على تبرير نفسي بنفسي،** وهذا سيكون آخر إله علينا التخلّي عنه. ولكن كبرياء قلبنا لا يسمح لنا أن نستسلم بسهولة لعدالة الله. وإذا لم ندرك هذا النقص، فلن نقترب من يسوع أبدًا".

هناك الكثير من الناس الذين يقولون: "حسنًا، نحن ندرك هذه الحقيقة"، لكن هناك فرق كبير بين إدراكنا لِما يُقال، وتنفيذنا له.

هل شعرت بالحاجة إلى يسوع المُخلِّص؟

هل سبق أن لاحظت أنك تحتاج ليسوع بسبب فشلك في تبرير نفسك؟

هل يمكنك الآن أن تقول من كل قلبك: "يا رب لديك الحق في إدانتي لعدم كفاية أفعالي الصالحة؟

إذا لم تشعر بهذه الحقيقة العظيمة في مرحلةٍ ما، يمكنك التحدُّث عن السلام الشخصي، لكن لن تحصل عليه أبدًا".

يقول يوحنا ١٥: ٤ أنك لا تستطيع أن تُنتج ثمارًا بنفسك، هل تُصدِّق هذا حقًا؟ هل حقًا تعيش حياتك المسيحية واعيًا أنك لا تقدر أن تُغيِّر نفسك؟ هل تُدرك أن الثمر الذي يتوقعه الله منك، غير ممكن إنتاجه بمفردك؟

يقول يسوع بصراحة: إنه لا يمكنك فعل أي شيء (بدونه). هو الشيء نفسه؛ أن نأمر شخص مُصاب بشلل نصفي أن يمشي. ماذا سيكون ردُّه؟ حتمًا سيقول: هل أنت مجنون؟ ألا ترى الكرسي المتحرك؟ ألا تُدرك حالتي؟ لا أستطيع أن أفعل ما تطلبه مني!

ينبغي أن يكون هذا هو ردّنا في كل مرة نُفكِّر في تغيير أنفسنا أو قراءة أي وصية في الكتاب المقدس! هل تُدرك تلك الحقيقة؟

في كل مرة تقرأ فيها وصية أو تعليمًا في الإنجيل، يجب أن تَرُّد مثل المشلول: لا أستطيع فعل هذا بمفردي! ومع ذلك، ما هو رَّد فعلنا؟

نحن دائمًا نفعل العكس!

نقول: "سأحاول. سأسعى جاهدًا لتحقيق ذلك. سأبذل قصارى جهدي". ثم، عندما نفشل، نشعر بخيبة أمل، على الرغم من أن **يسوع قد أخبرنا بالفعل "لا يمكنك العيش بذلك منفردًا"**. لماذا يحدث هذا؟ لأننا نثق في الشخص الخطأ. أنا أثق في قوتي بدلاً من البحث عن قوة يسوع، كما يقول يوحنا ١٥: **الثمر** (التغيير الحقيقي) **هو نتيجة**.

التغيير العميق هو نتيجة لِما يفعله هو فينا، وليس لِما نفعله نحن من أجله[٣].

ماذا يقول الإنجيل؟

أليس من المُدهش معرفة أنه، حتى أكون مسيحيًا حقيقيًا، يجب أن أتوقف عن محاولتي لِأكون شخصًا جيدًا؟ هل قرأت ما كتبت بشكلٍ جيد؟ لكي أكون مسيحيًا، يجب أن أتوقف عن محاولة أن أكون شخصًا صالحًا! أليس هذا ما نقوله لمَن نحاول أن نُبشره؟ بعد كل شيء، أليس هذا سبب موت يسوع؟

ألم يَقُل يسوع عدة مرات: "أولئك الذين يتمتعون بصحة جيدة لا يحتاجون إلى طبيب، بل المرضى. أنا لم آتِ لأدعوا أبرارًا، لكن خطاة"؟ كما يقول بولس: إذا كان من الممكن أن يطيع الإنسان الله، فإن موت المسيح على الصليب لم يكن ضروريًا! (غلاطية ٢: ٢١).

بالنسبة إلى يسوع، فإن خطيتك ليست هي أكبر مشكلة، إنما محاولاتك أن تكون صالح هي أكبر مشكلة. محاولاتك للتغيير دون مساعدته. يقول يوحنا ٣: ١٦ إنه لا يمكنني إنقاذ نفسي. يقول يوحنا ١٥: ٥ إنني لا أستطيع التغيير. **أحتاج المسيح لكليهما!**

اِسمح لي أن أختبر إيمانك للحظة. فكّر فيما سيقوله يسوع في موقف افتراضي حيث يشاهد راعي الكنيسة مواد إباحية ليلة السبت قبل يوم واحد فقط من وعظة يوم الأحد!

---

[٣] انظر في السؤال التالي، ماذا تعني العبارة الشهيرة "العيش في الجسد"؟ من الممكن أن يكون أول ما يتبادر إلى ذهنك عند التفكير في إجابة هذا السؤال، هو الشخص الذي يخطئ بطريقة واضحة، أو شخص يفعل شيئًا لا ينبغي له فعله. بينما غلاطية ٦: ١٩ يُخبرنا ما هي "أعمال الجسد" (وهنا يُشير إلى سلوك غير صحيح)؛ يتحدث الكتاب المقدس، "العيش في الجسد" هو شيء آخر. **الشخص الذي يعيش في الجسد، هو الشخص الذي يحاول التغيير بقوته. إنه شخص يعيش حياته المسيحية منفصل عن الروح.**

في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣: ٢ «أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هذَا فَقَطْ: أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمُ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟ أَهكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟». "العيش في الجسد" يُحدِّد الشخص الذي بدأ يعيش الحياة المسيحية من خلال روح الله، والذي يحاول الآن أن يعيشها بقوته الخاصة. إنه شخص مطيع! إنه شخص يحاول التقدُّم في حياته الروحية دون الروح القدس. إنه شخص يفعل ما "يجب أن يفعله"، لكنه يفعل ذلك دون الاعتماد على الله. ما هو "العيش في الجسد"؟ هو: كل ما أفعله دون الاعتماد عليه. أُحب حقًا الإجابة على هذا السؤال من خلال معادلة: العيش في الجسد = أنا، باستثناء عمل الروح القدس.

كما يقول اللاهوتي جيمس غاريت: "الاستخدام المُتكرِّر للغة [يُقدِّس] في العهد الجديد، يوضح أن **التقديس هو عمل الله**. في العهد القديم، تم العثور على الكلمات "لتُقدسوا أنفسكم"، ولكن في العهد الجديد، تكون القاعدة "وستكونون مقدَّسين". صحيح أن التقديس هو عمل لله، وهو شيئًا لا يحدث بدون إذن الشخص، لكن **الذي يعمل هو: الله**. "جيمس ليو غاريت، منهج اللاهوت النظامي، المجلد الثاني، (الخطوة: دار المنشورات المعمدانية، ٢٠٠٠)، ٣٧٤".

سؤالي لك هو: ما الذي يجب على هذا القِس القيام به؟ التخلّي عن منصبه في الكنيسة؟ أن يعترف علانيةً بما قام به؟ أن يتوقف عن الوعظ؟

دعني أُجيب على هذا السؤال مع سؤال آخر: ماذا تقول لصديق غير مؤمن، يقول لك إنه لا يستطيع تصديق أن يسوع يقدر أن يغفر له خطيته، حيث شاهد مواد إباحية الليلة الماضية؟ ربما ستقول شيئًا من هذا القبيل: "إن الأشخاص الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب، بل المرضى". يسوع لم يأتِ ليدعوا أبرارًا، لكن الخطاة. "ما هو رَّد الفعل المعتاد لشخص غير مؤمن، عندما نُبلّغهُ بذلك (أي عندما نشارك الإنجيل معه لأول مرة)؟".

في الغالب سيكون: "هل تُخبرني أنني لست مُضطرًا لفعل أي شيء لكي أخلُص؟" هل تقول لي: إن الله سيغفر لي كل ما فعلته ببساطة عن طريق التوبة والإيمان بما فعله يسوع، دون أن أفعل أي شيء آخر؟ هل تستطيع أن ترى ذلك؟ لكي نخلُص ونتغيَّر، علينا "أن نفعل" الشيء نفسه. نقبل مَن نحن، أُناس في شدة الأنانية، دائمًا نشعر بكبرياء ومُتمركزون حول أنفسنا، ونحصل على الخلاص عن طريق التوبة والايمان بما فعله المسيح من أجلنا، ثم نختبر عمل الإنجيل مرة تلو الأخرى.

على الأقل بأفواهنا، يؤكد معظم المسيحيين في العالم، أننا نحصل على التبرير والتقديس بنعمة خالصة - أي أنها هدية من الله يتم الحصول عليها من خلال التوبة والإيمان. ولكن هل هذا ما يُظهِرهُ تطبيقنا العملي كل يوم؟ فكِّر في الأمر للحظة. ما الذي يجب على الشخص فِعله لكي يتبرَّر؟ أن يقبل حالته الخاطئة، ويُدرك حقيقة أن أعماله لا يمكن أن تُنقذه، ويثق في صليب المسيح، ويتلقى الخلاص كهِبَة لِما فعله يسوع من أجله. لكن، ماذا يجب على الشخص فعله لكي يتقدَّس؟

بالضبط الشيء نفسه! أن يقبل حالته الخاطئة، ويعترف بحقيقة أن أعماله لا يمكن أن تُغيره، ويثق في صليب المسيح، ويتلقى بالإيمان هِبَة ما فعله المسيح من أجله، ويريد القيام به من خلال روحهِ. **التبرير** هدية، كذلك التقديس! إنه **قبول ما يريد روح الله عمله فينا**. أن نستقبل التبرير، وكذلك التقديس. بالطبع، هذه النعمة تُنتج مثل هذا التأثير الكبير على القلب الذي يعمل. لكننا **لسنا مَن نعمل، بل المسيح يعمل فينا**. إنها **ليست قوتنا بل قوة الروح القدس**. إنها ليست قوتنا، ولكن قوة الله. كما يقول بولس في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢: ٢٠ «فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ».

فكِّر مرة أخرى في مثال القِس الذي يشاهد المواد الإباحية في ليلة السبت. ماذا يميل الإنسان إلى التفكير فيه في مثل هذا الموقف؟ ربما شيء مثل: "لا أستحق الوعظ غدًا بعد ما قمت به للتو. سأبحث عن شخص آخر ليحل مكاني". ماذا يقول هذا الفكر ضمنيًا؟ إنه قبل القيام بذلك، كان يستحق أن يعظ! ما الذي يحدث هنا؟ يجد القِس سلامه في أعماله الجيدة أو السيئة. سُلطته تأتي من كيف يتصرَّف. إنها تعتمد على قدرته الخاصة للعيش كما يجب. لماذا لا يشعر القِس بهذا الشعور بالذنب وعدم الجدارة والاستحقاق، في كل مرة يَعِظ فيها، لكنه يشعر بذلك ليلة السبت فقط؟

الجواب واضح. إنه يعتقد أنه هذه المرة فعَل شيئًا سيئًا بما يكفي، وهو لا يستحق أن يَعِظ ذلك الأسبوع، ولكنه لا يشعر بعدم استحقاقه كل أحد![٤].

هذا النوع من التفكير هو تفكير أخلاقي تمامًا، فهو يعتمد على أعمالنا الصالحة، ويُشبه موقف الفريسي: «أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ» (لوقا ١٨: ١١).

إذا فحصنا قلوبنا بشكل صحيح، كما فعل يسوع ببراعة في الموعظة على الجبل، سنُدرك أنه من الممكن أن لا ننظر أبدًا إلى أفلام إباحية، لكننا ما زلنا نشعر بعمق فضيحة شهوتنا الخفية (متى ٥: ٢٨).

وليس هذا فقط، لكننا نتأثر ونتحرك لأننا باستمرار (وليس فقط ليلة السبت) نكسر ذلك، وكل وصية يطلبها الله منا. أم أن جوعنا وتعطشنا للاستقامة والصلاح، أكبر من جوعنا وتعطشنا للاعتراف بضعف حالتنا؟ هل نتشفع لقادة كنيستنا حينما يُقدِّمون لنا

---

[٤] على الرغم من أنه يبدو للوهلة الأولى عكس ذلك، إلا أن هذا النوع من التفكير يُناقض قداسة الله. فكرة أن الآثام "الكبيرة" هي التي تفصلني عن الله، وتجعلني أحتاج إلى نعمته، بينما الخطايا الصغيرة "لا". هذا غير كتابي تمامًا. الله أكبر من ذلك بكثير، ومطالبه بالقداسة أعلى بكثير من مُجرَّد عدم الوقوع في خطايا "عظيمة"! هذا هو السبب وراء احتياجنا لنعمتهِ ومحبتهِ.

معايير الله للقداسة سامية للغاية، بحيث لا يستطيع أحد تلبية ذلك! دائمًا، في جميع الأوقات، حتى عندما نخدمه نعتمد اعتمادا كليًا على نعمته. كما سنرى بالتفصيل في الفصل الثاني عشر، ما ينبغي على هذا القِس أن يفعله، هو التحدُّث إلى شخص يثق به، ويُخبره عن نضاله، كما يقول غلاطية ٦: ٢، سيساعده شخص مُقرَّب على تحمُّل "عبئه". وبالتالي، بمساعدة جسد المسيح، يمكنك التغلُّب على هذا، وأي صراع آخر لديك.

الانتقاد؟ أم هل نبارك أزواجنا عندما يُسيئون معاملتهم لنا؟ أن نفهم بشكل صحيح الموعظة على الجبل، والحياة المسيحية بشكل عام، هو أن ندرك أن بداية الحياة المسيحية الحقيقية هي إدراك افتقارنا إليها (متى ٥: ٣).

بالطبع، يجب أن تؤلمنا حالة قلوبنا وتروعنا، لكن ليس فقط عندما نزني، ولكن في كل مرة ننظر فيها إلى أنفسنا في ضوء الكلمة، ونعلم إلى أي مدى نحن بعيدون عن المكان الذي يجب أن نكون فيه (عبرانيين ٤: ١٢؛ يعقوب ١: ٢٣، ٢٤). لا تكمُن مشكلة القِس في شعوره بعدم الاستحقاق بعد مشاهدة المواد الإباحية. مشكلة القِس، ومشكلتنا أيضًا، هي أننا لا نشعر بعدم استحقاقنا كل يوم.

المشكلة بالنسبة له ولنا، هي أن لانعيش مُستاءين باستمرار من حالتنا*.

المشكلة؛ عدم وجود قلوب مُستنيرة لتقول مع بولس:

«صادقة هي الكلمة، ومستحقة كل قبول، أن المسيح يسوع جاء الى العالم
ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا».
(لاحظ أنه يقول: "أنا"، وليس "كنت أنا".

بالنسبة لبولس، هذه حقيقة واقعة يعيشها كل يوم، وليست ذاكرة بعيدة. علينا أن نعترف مع الرسول، بأننا أسوأ بكثير ممَّا نظن.

لهذا السبب نحتاج إلى أخبار الإنجيل السارة التي تُذكِّرنا أنه بفضل ما فعل المسيح، نحن مقبولون، ومغفورة لنا خطايانا على الرغم من حالتنا. هذا هو ما يمنحنا الحق لنكون قادرين على مشاركة كلمة الله يوم الأحد (أو القيام بأي شيء لله).

ليست مزايانا هي عدم الوقوع في "خطايا كبيرة"، أو عيوبنا هي الوقوع في "خطايا عظيمة"، ولكن نحن مقبولون بفضل دماء المسيح؛ الذي لم يقع في أية خطية، وبذل نفسه حتى تتسنى لنا الفرصة والحق أن نقوم ونخدمه.

---

* كما يقول ديفيد بوليسون: "التوبة ليست فقط الطريقة التي نبدأ بها الحياة المسيحية؛ **التوبة هي الحياة المسيحية**".
. http://www.cuttingedge.org/sp/citasedificantes.htm

فقط عندما نرى فقرنا الروحي المستمر، سوف نُدرك حاجتنا المستمرة لمغفرة المسيح (٢كورنثوس ٨: ٩). وفقط من خلال معرفة كيف يستطيع هو أن يُلبي حاجتنا، سيتم إطلاق سراحنا من عبودية الزنى أو أي نوع آخر من عبادة آلهة أخرى**.

الإنجيل هو الخبر السار: أننا لسنا مُضطرون إلى فعل أي شيء حتى ننال الخلاص، إنما قد تحمَّل المسيح الكُلفة كلها من أجلنا. بالطريقة نفسها، فإن **الإنجيل هو الخبر السار**: أننا لا نستطيع أن نفعل أي شيء لنكون مُقدَّسين، والمسيح فعل ذلك من أجلنا. لهذا السبب، كما كان الحال حين قَبِلنا المسيح، فإن فَهم وقبول أننا مُذنبون، هو أفضل خبر يمكن سماعه.



لهذا السبب، إذا كنا نريد حقًا التغيير،
فيجب أن نستريح بشدة في حقيقة عدم قدرتنا
على تبرير أنفسنا حتى نحظى بدعم قوي من نعمة الله.

عندما ندرك استحالة تغيير قلوبنا، نتوقف عن المحاولة نحو ذلك.



أن نعترف بعدم قدرتنا، هو أن ندرك أننا لم نقدر،
ولن نقدر أن نعيش كما يطلب الله منا.

هو أن نستمتع بما يريد الله أن يفعله فينا حتى نتغيَّر
من خلال عمل روحه القدوس.

** **الإنجيل**، عندما نفهمه بشكل صحيح، يمكن أن يُسبب لنا التباسًا. هناك بعض الناس الذين خلصوا إلى القول: "إذا كان الله يغفر كل خطايانا (حتى خطايا القِس أو أسوأ ذنوبي) ففي النهاية، لا يهم كيف أعيش. إذا كانت التوبة والثقة به هو كل ما يلزم، فلا ينبغي أن أقلق بشأن حجم خطاياي".

العكس تمامًا! المسألة خطيرة جدًا، ومقدسة جدًا، لدرجة أنها دفعت الله ليصبح انسانًا ويدفع ثمنها! ما لا يُكلفك أي شيء، كَلَّفَهُ هو كل شيء.

من ناحية أخرى، بغض النظر عن الاستخفاف بمعايير قداسة الله، فإن الإنجيل يرفعها إلى درجة لا يستطيع أحد سوى الله نفسه بموته على الصليب أن يُتممها. لا شيء! لا شيء سوى موت المسيح نفسه، يمكن أن يدفع العقوبة لمشاهدة المواد الإباحية، أو التعبير عن الغضب في شكل خطية، أو حتى لأية خطية أخرى، سواء كانت "صغيرة" أو "كبيرة".

نعمة الله

يُخبرنا الإنجيل أننا: "بحاجة إلى التغيير"، ويُخبرنا الإنجيل أيضًا: "أنه لا يمكننا فعل ذلك"، ويُخبرنا الإنجيل: "أن وصايا الله سامية، ولا يمكن أبدًا تحقيقها".

يقول الإنجيل: «لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ» (رومية ٣: ١٢،١١)؛ لكنه يقول أيضًا: «هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ» (متى ١٩: ٢٦). وهو يُذكِّرنا أيضًا: «لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا، بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مرقس ٢: ١٧). إنه يكشف لنا أيضًا: «الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِير» (يوحنا ١٥: ٥).

عندما نفهم هذه الحقيقة، عندما نتذكَّر جميع محاولاتنا الفاشلة لتحسين أنفسنا، عندما نتعرَّف على الأسباب الحقيقية التي تحفز "أعمالنا الصالحة"، عندها فقط، المسيح، الإنجيل، سوف يتوقف عن أن يكون مُجرَّد ذكرى قديمة وجميلة (رسالة لغير المؤمنين)، وسوف يتحوَّل مرة أخرى إلى أكبر رغبتنا، وأكبر حاجتنا.

فكِّر في هذا الموقف: إذا كنت تتمشى على الشاطئ، وكان أحد الأصدقاء يُعرِّفك على "المُنقذ" الذي يساعد مَن يغرق، فستبتسم بالتأكيد، وستُحييه باحترام. وبعد تبادل بعض الكلمات السطحية، ستواصل مسيرك في الرمال دون إعطاء الأمر أهمية كبرى. ولكن، إذا كنت تغرق في منتصف البحر الهائج، فلن يكون المُنقذ بعد الآن شخصًا عاديًا، فجأة، سيصبح أهم شخص في حياتك، أعظم كنز لديك.

يقول أفسس ١: ١٨. «مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ». إن الله يفتح أعين قلوبنا حتى نتمكَّن من رؤية أننا لم نُنقَذ فقط في يوم مجيئنا له (والآن حان دورنا للسباحة بمفردنا). لكن الله يريد أن يُبيِّن لنا أنه لا يمكننا السباحة (المسير في الحياة) بمفردنا، وأنه ينقذنا كل يوم لأننا نلقي أنفسنا طواعيةً كل يوم في بحر رغباتنا الوثنية.

فقط عندما نرى مدى ضخامة عجزنا، سنرى كم نحتاج إليه.

فقط عندما نتوقف عن الاعتماد على قدرتنا، سنجد الراحة في نعمته.

عندها فقط، سنلجأ إلى الشخص الوحيد الذي لديه ما نحتاج إليه جميعًا من المغفرة والقوة على التغيير، وليس فقط القِس الذي يشاهد الصور الإباحية.

الله لم يَقُل لنا: "هناك هدف، على الجانب الآخر من المحيط. الآن، اِسبح حتى تصل!".

لا. لكن الله يقول لنا: "هناك الهدف. أعلم أنك لا تستطيع الوصول. اِصعَد .. أنا آخذك معي". «وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا، يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١: ٦)***.

بينما كنت أسير في الريف في أحد الأيام .. ضربتني هذه العبارة: "بِرُّكَ في السماء"، و ... رأيت بعيون روحي، يسوع المسيح عن يمين الله هناك. كما رأيت، كان هو برِّي. لذلك أينما كنت أو مهما فعلت، لا يقول الله لي إنه يحتاج "برِّي" لأنه كان جالسًا أمامه.

لقد رأيت أيضًا، أنه لم تكن صورة قلبي الجيدة هي التي تُحدِّد
ما مدى صلاح برِّي في السماء، كما أن صورتي السيئة
لم تُشوِّه من برِّي في السماء،

لأن برِّي هو: يسوع المسيح نفسه:

«يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»

(عبرانيين ١٣: ٨).

الآن، بالتأكيد قد وقعَت قيودي من يدي. لقد تحرَّرت من مشاكلي وألامي؛ هربت أيضًا من شهواتي .. ثم عُدت إلى منزل الآب فَرِحًا بنعمة وحب الله.

عندما تأسر هذه الحقيقة قلبك. عندما يصبح الله أعظم كنز. عندما يغزو مشاعرك، ستحصل أخيرًا على التغيير العميق. حينئذٍ ستحقق هذه الآية: ما هو غير مستطاع عند الناس، مستطاع عند الله. ستكون قد غيَّرت ما تُحب، ووجدت طريقك إلى "حبك الأول".

§§§

*** كتب ج. ي. باكر عالِم اللاهوت الشهير: "معرفة الله مسألة نعمة. **إنها علاقة تبدأ فيها المبادرة دائمًا بالله** - كما يجب أن تكون - لأن الله فوقنا تمامًا، ولأننا فقدنا تمامًا كل حق لصالحه من خلال الخطية.

ليس نحن مَن ابتدأ علاقة الصداقة هذه، ولكن الله هو الذي صادقنا، ويجعلنا نعرفه من خلال الحب الذي يُظهِرهُ لنا". باكر، معرفة الله (برشلونة: الواحة، ١٩٨٥)، صفحة ٦٤٢.

ملخص موجز



من أجل حدوث تغيير عميق، أحتاج إلى رؤية وثنية قلبي.

- أعبد آلهة أخرى، عندما أرغب في شيء (جيد أو سيئ) أكثر من الله.

وهذا هو، أنا أجعل ما في العالم إلهي ومُخلِّصي. حتى تتحوَّل هذه الشهوات: الجنس، المال، عشاء رومانسي، وما إلى ذلك مصدر الحياة الحقيقي، وليس الله.

- تحدث عبادة الأصنام عندما أقوم بتحويل الرغبة إلى احتياج.

وهذا يعني، أنا نفسي أصبح إلهي، ومُخلِّص حياتي.

الآن حكمتي، اِستراتيجيتي، قراراتي وقوتي، هي ما سأستخدمه لإيجاد الحياة الحقيقية.

لكي يحدث تغيير عميق، يجب أن أُدرك أن الثمر هو نتيجة التغيير.

- "**الثمر**" هو كل تلك الأشياء الجيدة التي أعملها مع الحب الخالص، كنتيجة للاستمتاع بمحبة يسوع. «نحن نُحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١ يوحنا ٤: ١٩).

- "**الثمر**" هو شيء لا يمكنني إنتاجه من نفسي، لكن هو نتيجة لعمل يسوع في داخلي (يوحنا ١٥: ٥).

لكي يحدث تغيير عميق، يجب أن أقبل أنني لا أستطيع تغيير رغباتي.

- عندما أدرك كيف أسقط مِرارًا وتكرارًا من أجل أن أُعبِّر عن رغبات قلبي، هناك شيئان لا يزالان قائمين: **أولاً**:لا أزال أحتاج إلى الكثير من المغفرة مثل اليوم الأول الذي قابلت المسيح فيه كمُخلِّص شخصي لحياتي. (ليس فقط لأفعالي، ولكن أيضًا لدوافعي ورغباتي الأنانية).

ثانيًا: أحتاج إلى قوة الروح القدس لكي أعيش بطريقة لم أستطع أن أعيشها من قبل (يوحنا ١٥: ٥).

- عندما أُدرك أن هذين الأمرين معروضين عليَّ بحرية، وبدون استحقاق بسبب عمل المسيح، فأنا أقع في حُبهِ مرة أخرى. وهكذا أُغيِّر ما أُحب!

المسيح هو حاجتي الكبرى،

أعظم كنز،

وحبي الأول.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخِّص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- ما هي بعض الأمثلة الشخصية لكيفية تحوُّل رغبة شرعية إلى احتياج أو حتى إله أعبده؟ في رأيك؛ ما الذي يدفعك للقيام بذلك؟ ما الذي تبحث عنه من خلال هذه الرغبة؟
- ماذا تفعل عادةً بعد الوقوع في بعض الخطايا "الكبيرة" من وجهة نظرك؟ بكلمة "كبيرة" أعني الخطية التي لا تشجعك "بشكل كبير" بعد الوقوع فيها. ومن المنطقي أن لا تكون الخطية "الكبيرة" بالنسبة لك، هي نفس الخطية "الكبيرة" بالنسبة لشخص آخر. بالنسبة لشخصٍ ما، قد يكون شيء جنسي، ولآخر قد تكون العصبية، أو عدم وجود الشجاعة لمشاركة الإنجيل، أو حتى الحسد .. وما إلى ذلك.
- في ضوء ما قرأته في هذا الفصل، في رأيك، ما الذي يتوقعه منك الله في ذلك الوقت؟

اِقرأ انجيل يوحنا ١٥: ١- ٥ بعناية. كيف تُفسِّر بكلماتك عبارة «لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا»؟ كيف تُحدِّد معنى "الثمر"؟ ماذا يجب أن يفعله المرء حتى "يَثبُت" في المسيح؟

أعظم احتياجاتك هما: المغفرة والقوة.

كيف يعمل الله في حياتك لإقناعك بذلك؟

حاول أن تكون أمينًا قدر الإمكان:

- ما هو مستوى تقديرك اليوم للإنجيل؟ لا أقصد مستوى التقدير الذي شعرت به بالأمس، أو المستوى الذي يجب أن تحصل عليه الآن، أو المستوى الذي تتوق إليه؛ ولكن المستوى الذي تختبره اليوم. في رأيك، لماذا تشعر هكذا؟

* * *

الفصل السابع

عندما أكتشف جمال صليب المسيح

الإعجاب هو ما يُنتِج التغيير

تخيَّل كنيسة في صباح يوم أحد وقت الوعظ، حيث يوجد بها أشخاص مؤمنون، وأشخاص غير مؤمنين، يحضرون الاجتماع. ما هو الفرق بين غير المؤمن، والمسيحي الجسدي، والمسيحي الحقيقي، الثلاثة يسمعون الكلمة نفسها. الثلاثة يسمعون الحقيقة نفسها. الثلاثة يتلَّقون التعليم الكتابي نفسه، ومع ذلك، يتأثر واحد منهم فقط. ما الذي يمتلكه الشخص الذي يتفاعل مع الكلمة، حيث لا يمتلكه الاثنان الآخران؟

يتم تلخيص الجواب في كلمة واحدة: **الإعجاب. الدهشة. القدرة على تقدير وتقييم ما يُردَّد** على مسامعهم. لقد حدث شيءٌ ما في قلب المسيحي الحقيقي، حيث يشعر بجمال المسيح الذي لا يشعر به الشخصان الآخران، بالنسبة له المسيح هو أثمن شيء في العالم، لذلك يشعر بقيمته[1].

من وجهة نظر روحية، تُعدّ الرؤية هي التجربة الأكثر قيمة التي يمكن للإنسان تجربتها، لأنه عندما نرى فقط، نستمتع بما نشاهد. كما يحدث عندما يذهب شخص في إجازة إلى المكان الذي كان يحلَم به دائمًا، فإن الرغبة لا تقتصر على الوصول إلى تلك الوجهة، لكن

[1] مَثَل الزرع في متى ١٣: ١ هو تشبيه مثالي لهذه الفكرة. تستخدم الآية ٢٣ مفهوم الشخص الذي يُنتِج "الثمر" حقًا بسبب "فهم" الكلمة. بمعنى أن هذا الشخص قد أسرَهُ جمال الموضوع.

تَكمُن الإثارة في رؤية ذلك المكان الذي ينتظره بحرارة. يتوق إلى رؤيته والاستمتاع بكل جماله، وتقدير كل مزاياه؛ عند مراقبة المياه البلورية، والرمال البيضاء، والشعاب المرجانية، والسمك الذهبي، وأشجار النخيل، والسماء الزرقاء - رؤية هذه الأشياء تُولّد تجربة من المُتعة. الرؤية تؤثر على الشخص. تخيَّل ما سيكون عليه الأمر اذا وصلت إلى مكان أحلامك، ولكنك تعاني من عمى مؤقت، ولا تقدر على رؤيته. الرؤية تجلب فرحًا، تُولّد المُتعة، وتُنتج السعادة. الرؤية تُغيِّر.

الرؤية هي أقيَم تجربة يقدر أن يعيشها الإنسان.

لأنه **فقط عندما نرى المسيح، عندما نرى مجده،**

يتغيَّر ويتحوَّل كل ما نبتغيه ونستمتع به.

رؤية محبته، والتأمل في جماله المُعلَن لنا في أكمَل صورة على عود الصليب،

هو ما يُنتج تأثيرًا حقيقيًا، وتغييرًا عميقًا.

رؤية قيمته هو ما يجلب لنا السعادة، ويُحوِّل قلوبنا، ويمنحنا السلام والفرح والبهجة.

عندما نرى يسوع كما هو حقًا؛ نتذوَّق حلاوته، ونجد الشبع في شخصه لأنه حق، وجماله فاتن، ويملأنا بالكامل. هذا هو هدفي، لأن هناك شيئين يحدثان عندما يكون المسيح هو غرضي الوحيد: بهذه الطريقة نُقدِّم له الكرامة، وفرحه يُطلِقنا أحرارًا حتى نسير في الطريق الضيق في محبته.

كلما وجدنا الشِبَع في شخص المسيح

كلما تمجَّد هو أكثر من خلالنا.

وعندما نجد المُتعة فيه، نصلب أجسادنا أمام شهوات هذا العالم ..

يقول الرسول بولس:

«وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، **نتغيَّرُ** إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كورنثوس ٣: ١٨). عندما نتأمل فيه، **نتغيَّر. رؤية المسيح تُغيِّر حياتنا، وتُقدِّس روحنا.**

جمال المسيح يُغيِّر القلب[٢]. جمال المسيح يُقدِّس. جمال المسيح يُحوِّل عواطف ومشاعر قلوبنا. إن رؤيته، والاستمتاع بما فعله من أجلنا، هو الدافع، إنه المُحرِّك، والنار التي تذوب أمامها أنانيتنا، وتأسر أعمق جزء من كياننا؛ لذلك، بعد رؤيته، أعظم فرح لدينا هو أن نعيش من أجله (متى ١٣: ٤٥، ٤٦).

يُعبِّر عن هذه الحقيقة بطريقة بارعة: «أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً (ما يريد توضيحه هو أن هذا التاجر كان يبحث عن شيء ثمين جدًا، وغالٍ على قلبه)، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ (يمكن من الجانب العملي الشخصي أن نُطبِّقها علينا، فنقول: عندما وجد أن المسيح هو أغلى لُؤْلُؤَة قد يعرضها عليه العالم)، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا (أي باع العالم كله، حتى يقدر أن يحصل على المسيح)».

يقول لنا الكتاب في رسالة غلاطية ٦: ١٤: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ». الرسول بولس واضح جدًا.

إن الإنجيل، وصليب ربنا يسوع المسيح؛ فقط عمله وشخصه يملكان القدرة على فعل ما لا يمكن لِأحد أن يفعله بمفرده: التوقف عن الرغبة في العيش من أجل أنفسنا، والتوقف عن تلبية جميع أُمنياتها بكل ما تشتاق إليه من آلهه يعرضها العالم.

نحن كأولاده نرفضه ونجرحه. نحن، كمسيحيين، أحيانًا نعطيه ظهورنا ونُسيء إلى حبه، ونرتكب الزنا الروحي (يعقوب ٤: ٤). وأحيانًا أخرى نمتلئ برغبات أنانية، بينما ابن الله من أجلنا:

كان مُحتقرًا ومرفوضًا .. رجل أوجاع ومُختبِر الحَزَن ..
كان يُعاني من أمراضنا وآلامنا .. كان يُعاني من الجراح والألم ..
أُصيبَ بجروح بسبب تجاوزاتنا .. لقد سُحِق بسبب آثامنا ..

لقد تعرَّض للاضطهاد ولم يفتح فاه .. رغم أنه لم يفعل خطية، ولم يوجد في فمهِ غش ..." (إشعياء ٥٣: ٣- ٩). ومع ذلك فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ». وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ، اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا» (لوقا ٢٣: ٣٤).

---

٢ لاحظ أنه عندما أستخدم "جمال المسيح" – ما أُريد توضيحه، هو مجد الصليب.

لن تكون قادرًا على رؤية مقدار حُبهِ (رومية ٥: ١٠) حتى ترى أن كُرهك لله لا يساعدك على حُبهِ، وحتى ترى أنه يقبلك على الرغم من ذلك. نحن لا نرتكب خطايا "صغيرة" تستحق مُخلّصًا "صغيرًا"، والتي تتطلَّب تضحية "صغيرة". العكس تمامًا!

هذا هو الإنجيل. انظر إليه، قدِّرهُ، اندهش منه؛ سوف يُغيِّرك بالكامل. نعم، إن الصليب هو أفضل خبر لغير المؤمنين، لكنه لا يزال أيضًا أفضل خبر، وأكثر أهمية بالنسبة لأولئك الذين آمنوا لسنوات.

إليك المفتاح: إن الله الذي جذبنا، واشترانا بصليبه ليُخلّصنا، هو الله الذي يجذبنا اليوم لنكون قديسين. كيف نتغيَّر؟ أن نرى دون عائق، عمق شرّنا أمام عظمة حبه لنا. رؤية حالتنا الروحية والأخلاقية، وتذكُّر طبيعته المقدسة.

رؤية كيف ما زالت آلهتنا تُهيمن علينا، ويُفاجئنا أنه لا يزال يُحبنا، ويريد تحريرنا.

رؤية كيف اليوم، بعد سنوات من كوننا مسيحيين، لا نزال بحاجة إلى مُخلّص. كما صرخ القديس أغسطينوس: "يا رب، أنقذنا، أيقظنا، أشعل قلوبنا بك حتى نلتهب بحبك، ونهرب إلى الملجأ الذي نجده فيك!".

يخبرنا الإنجيل بحقيقتين في منتهى البساطة، ولكن في منتهى الأهمية أيضًا:

"**نحن خطاة**" - هذه هي الحقيقة التي لا نريد أن نقبلها، ونسعى دائمًا إلى نفيها بالتماس الأعذار أو إلقاء اللوم على غيرنا.

لكن **الله صالح**، وسنظل دائمًا في احتياج عميق له. عندما نرى، ونشعر، ونختبر هذه الحقائق، سيحدث معنا شيئان غير عاديين. تزداد غلاوة المسيح في أعيننا. حيث نبدأ نتمتع بجماله، ونُقدِّر عظمته كما يستحق. وهكذا نجلب المجد له، ولكن أيضًا نرى قيمتنا الحقيقية.

نقبل حالة قلوبنا الزانية وهو أمر لا يشوِّهنا أو يُقلّل من احترامنا لذاتنا، بل على العكس، إنه يُكرمنا. إنه يُولّد فينا هوية لا تستند إلى ما نقوم به، ولكن إلى ما فعله هو من أجلنا.

نشعر بقيمتنا الحقيقية دون الاستناد لفعل الخير أو لإنكار شرّنا، ولكن مقابل الثمن الهائل الذي دفعه فينا.

نرى دوافعنا، وليس فقط أفعالنا. ندرك أننا مُذنبون أكثر بكثير ممَّا كنا نظن، لكن **برؤية صليب المسيح، ندرك أننا محبوبون أكثر بكثير ممَّا كنا نتصوَّر.**

كما قال جون نيوتن: "إذا فقدت عقلي في يومٍ ما، كل ما أريد تذكُّرهُ هو شيئين: أنني أثيم مسكين، ولديَّ مُخلِّص عظيم".

إذا كان التأمل في حبه يأسر قلوبنا بعمق، فهذا سيُطلِق سراح الآلهة الأخرى التي تُهيمن على قلوبنا. ثم سنتوقف عن تبرير أنفسنا من خلال أعمالنا وعلاقاتنا، لأننا قد تم تبريرنا بالفعل. ثم سنتوقف عن محاولة إيجاد مُخلِّصين آخرين، لأن لدينا مُخلِّصًا بالفعل. الطريقة الوحيدة لإطلاق سراح محبة قديمة، هي قوة الطرد التي تتمتع بها المحبة الجديدة.

في كلماتٍ أخرى، فقط عندما نكتشف محبة الله المُذهلة المُعلَنة لنا في يسوع المسيح، سنشعر بمحبته غير المشروطة تجاهنا، وبعدم احتياجنا إلى آلهة أخرى لتمدنا بهذا الحب. حينئذ سنتحرَّر من أية قيود تدفعنا إلى عبادة أصنام مزيفة وخادعة. حينما يعود يسوع يملأ قلوبنا مرةً أخرى مثل أول مرة قبلناه في حياتنا كمُخلِّص شخصي، سنتغيَّر إلى تلك الصورة عينها.

إن كل المشاعر والعواطف أو الرغبات الروحية تولَد من فهم روحي، نرى فيه امتياز ومجد الأمور الإلهية.

هذه الرؤية لها تأثير جذري «وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كورنثوس ٣: ١٨).

هذه القوة التغيرية لا تأتي إلا من الله - من روح الرب.

كلما رأينا مجد الرب كلَّما تغيَّرنا لتلك الصورة عينها.

كلما وجدنا المُتعة فيه كلَّما قلّ استمتاعنا بالعالم.

كلما زاد انبهارنا بعملهِ على الصليب، كلَّما قلَّ انشغالنا بأنفسنا. عندما نرى المسيح على طبيعته الإلهية وجمال عمله على الصليب، سنتغيَّر. هذا هو عمل روحه: يفتح أعيننا حتى نرى أن أوثاننا قد تخلَّصنا منها، ونقدر أن نضع المسيح في مكانه الصحيح. ومن ثم، ليس فقط في سلوكنا الخارجي، ولكن في أعماق قلوبنا.

فقط من خلال عيش هذه التجربة، يمكننا حقًا أن نُحبه كما ينتظر منا .. من كل قلوبنا، من كل أرواحنا، ومن كل عقولنا.

مفتاح التغيير هو الانجذاب

يجب علينا فحص دوافعنا وأصل عبادتنا لِآلهة أخرى، وليس فقط سلوكنا الخارجي. حينئذٍ ..

- نعود نرى استحالة تغيير أنفسنا بقوتنا الشخصية، وحاجتنا المُلحَّة لمُخلِّص. حينئذٍ ..
- نعود نرى جمال وقيمة عمل المسيح. حينئذٍ ..
- سنفرح مرةً أخرى، وسنقع في حب يسوع من جديد. حينئذٍ ..
- نعود ونُعطيه المجد الذي يستحقه. حينئذٍ ..
- ستتغيَّر دوافعنا، وستُنشئ فينا هوية ليست مُستنِدَة إلى أفعالنا، ولكن في ما فعله هو من أجلنا. حينئذٍ ..
- سيبدأ تغيير سلوكنا، بدافع من حب مُتجدِّد له.

الطريقة الوحيدة حتى ننجذب بعملهِ، هي أن يفتح الله من خلال الروح القدس أعيننا، حتى نقدر أن نرى فقر حالتنا الروحية، وحتى نعود نرى جمال شخصه.

ما الذي يُحدِث فيَّ التغيير العميق؟

لقد حاولت التعبير عنه بعدة طرق مختلفة منذ أن بدأت في كتابة هذا الكتاب، ولكن سأحاول مرة أخرى: أتغيَّر عندما يتغيَّر ما أُحب.

كيف أُغيِّر ما أُحب؟ ليس عندما أرغم نفسي على حُبه، **لكن؛**

حينما أكتشف حُب الله لي.

عندما أرى، وأُقدِّر، وأكنز الحب غير المشروط الذي يحبني به الله. نقرأ في يوحنا الأولى ٤: ١٩ بوضوح: «نحن نُحب لأنه هو أحبَّنا أولاً». قد تولَّدت القدرة على حب الله والناس عندما أتعجب مرة أخرى في حقيقة أنه يحبني أنا.

أرجو منك أن تفعل شيئًا. أُريدك أن تفتح كتابك المقدس وتقرا من إنجيل يوحنا ١٥: ٩. اعرف أنك تنتظرني. أكتب الأية هنا. وبالفعل سأكتبها، لكن أُريدك فقط هذه المرة أن تضع الكتاب جانبًا، وتفتح كتابك المقدس لتقرأ هذا الشاهد. في رأيي الشخصي يوحنا ١٥: ٩ يمكن أن يكون أهم شاهد في الكتاب. ضَع عليه علامة، اكتبهُ في مذكراتك. احفظه جيدًا.

تأمل في معناه أثناء شغلك أو أثناء دراستك أو حتى عندما تقود سيارتك. إذا قمت بذلك، ستلاحظ شيئًا ما.

هذه الآية تُعلّمنا حقيقة، وقد تبدو بِدعة أو خرافة. تحتوي هذه الآية على حقيقة رائعة للغاية وساحرة، حتى عندما تقرأها وتفهمها وتؤمن بها، ستأخذك في رحلة طوال العمر لتستمتع بكل ما فيها.

يقول يوحنا ١٥ : ٩ : «كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي». ما هي الرسالة التي تحتويها هذه الآية؟ هل أنت مستعد لكشف هذه الحقيقة المُذهلة؟ اِقرأ الجملة التالية بعناية.

يقول هذا المقطع: إن الله يحبك بمستوى الحب نفسه الذي يحب به نفسه. يسوع يحبك بالقدر نفسه من الحب الذي يُحبه به الآب.

هل تسمح لي بصياغة الجملة بطريقة أخرى؟ الله يُحبك بالقدر نفسه من الحب الذي يُحب به ابنه يسوع المسيح. اِقرأ النص بعناية. "مثل"، يقول يسوع بالقدر نفسه من الحب الذي أحبني به الآب (وبعبارة أخرى، مع الحب نفسه "داخل دائرة الثالوث" الموجود منذ قبل تأسيس العالم، والحب الذي يشعر به الله الآب تجاه الله الابن)، كذلك أنا أحببتكم أيضًا.

حقيقة مُذهلة وصحيحة، أليس كذلك! نعم! نعم! هل تشعر به؟ هل تستمتع به؟ هل تعيش وِفقا لها؟ هل تملأ حياتك؟

اِسمحوا لي أن أوضح كيف هذا ممكن.

طوال حياتي في الخدمة، كان عليَّ أن أسامح عدد لا بأس به من الناس الذين يقولون أشياء بشعة عني. قد يكون البعض على حق، والبعض الآخر لا. بنعمة الله، بشكلٍ عام، وحتى في أسوأ اللحظات، نجحت أن أتحكَّم في تصرفاتي، وحاولت الاستجابة جيدًا. لا أعتبر أنها قوة مني. لم أكن أنا، من الواضح جدًا أن المسيح كان يشتغل في داخلي. ومع ذلك، فأنا أدرك تمامًا أن هناك موقفًا ما يَصعُب عليَّ جدًا أتماسك أعصابي فيه. كل ما يحتاجه شخص ليراني أفقد أعصابي، هو أن يُسيء معاملة أحد أولادي. إذا هاجم

أحدهم أيًا منهم، فأنا متأكد تقريبًا من أن رد فعلي لن يكون كما لو أساء أحد معاملتي أنا شخصيًا. لماذا؟ لأنني أُحبهم، حتى، على القدر نفسه أو أكثر ممَّا أحب نفسي.

أحد الأشياء التي تتمتع بها ابنتي ميكايلا هي أن أخبرها قصة كل ليلة قبل النوم. أحد الأشياء التي أستمتع بها أكثر، بعد القيام بذلك، هو أن أسألها: "هل تعرفي يا حبيبتي إذا دخل سارق إلى المنزل في إحدى الليالي، وحاول أن يؤذيكِ، فسوف أُدافع عنكِ دائمًا. أنا على استعداد للموت من أجلك. (في الثلاث أو الأربع مرات التي أخبرتها بذلك، كانت تعانقني وتُردِّد كم هي تحبني وهي تبكي)".

ثم أقول: "يا حبيبتي، أباكِ سيكون على استعداد لتقديم حياته عنكِ". ولكن، هل تعرفين شيئا؟ لقد فعل الله ذلك! لقد أعطى حياته لكِ. إنه يُحبك لدرجة أنه مات على الصليب ليُخلِّصك. ابنتي، حب الله أكبر من حب أبيكِ لكِ". (عادةً في تلك اللحظة تعطيني عناقًا آخر، وتبكي مرة أخرى في حالة اندهاش). مستوى الحب تجاه أطفالي، هو مستوى الحب نفسه الذي أُحبه لنفسي. أوَّد أن أعطي حياتي لهم! (أنا متأكد أنك ستشعر بذلك إذا كان لديك أطفال أيضًا). ما نشعر به أنا وأنت تجاه أطفالنا، هو صورة صغيرة جدًا جدًا للحب الذي يُحبه الله لكَ.

هل تدرك الصورة الآن؟

الله يحبك بالقدر نفسه من الحب الذي يحب به ابنه يسوع المسيح، كما قال المسيح في إنجيل متى ٧: ١١

«فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً،
فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!».

ما هي الوصية المذكورة في يوحنا ١٥: ٩؟ «اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي».

بمعنى آخر، **عِش** حياتك في ضوء هذا الواقع.

عِش كما لو كنت تشعر بأنك أكثر شخص محبوب في الكون. لأن هذه حقيقة! هذه هي وصية المسيح!

هل تفهم الآن إنجيل متى٦: ١؟ هل تفهم الآن، لماذا أعظم واجب لي كمسيحي هو ليس عدم إطاعة الوصايا، بل التمتع بالله نفسه؟

الآن يمكنك أن ترى لماذا أشد احتياج لك هو الاستمتاع بالحب الذي يُحبه لك؟ عندما ترى هذا بوضوح، فإنه يُغيِّرك، يُحولك، يُحرِّرك! (يوحنا ٨ : ٣٢)، يجعلك الشخص الذي لا يحتاج إلى الذهاب حول العالم مع كوب فارغ في يدهِ يتسوَّل للحب.

الآن كوبك مُمتلئ! لم تَعُد بحاجة إلى ممارسة الجنس أو السلطة أو وظيفة أفضل أو أن تكون عارض أزياء، لتشعر بالحب.

الآن أنت تعرف أنك محبوب بالفعل! وهذا يُغيِّر حياتك بأكملها، والعلاقات الشخصية، وسلوكك، وطريقة وجودك. يُغيِّر ما تفعله، يُغيِّر طريقة تفاعلك مع الآخرين، يُغيِّر، حتى، كيفية تفاعلك عند مواجهة الرفض.

الآن يمكنك أن تكون على طبيعتك: سمينًا أو نحيفًا، لا يهم.

الآن يمكنك أن تفقد شعرك أو تركب شعر، لا يهم. الآن يمكنك أن تخسر مناقشة أو تفوز بها؛ موقفك ليس مُهمًا بعد الآن.

ولكن اسمحوا لي أن أوضح شيئًا. هل معرفتك عن الله تُغيِّرك؟ بالطبع لا! أن تختبره في أعماق قلبك، هو ما يعمل الفرق! كما قلنا في بداية الفصل، عليك أن ترى، تشعر، تختبر، تُقدِّر، تتذوَّق حب المسيح؛ ليس فقط معرفة أنه يحبك. لذلك، فإن أعظم واجباتي كمسيحي، هو أن أستمتع بحب الله لي المُعلَن في المسيح.

لذلك، أعظم واجب عليَّ كمسيحي هو "أن أثبت في حُبهِ".

وكما يذكر لنا الكتاب في رسالة يوحنا الأولى ٤: ١٠: «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا». كيف نتغيَّر؟ نحن نتغيَّر عندما نحب (أي عندما نرى أو نُقدِّر) الحب الذي يُقدِّمهُ الآب لنا.

اذًا، ما هو دور الوصايا في حياتنا؟

إذا تابعت قراءة يوحنا ١٥، فستلاحظ حقيقة ثمينة في الآية ١٠: «إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ». ماذا يقول يسوع في هذه الاية؟

انتبه.. **هذا ما يعنيه يسوع**:

حفظ الوصايا ليس السبب وراء أننا محبوبون. **حفظ الوصايا هو وسيلة للثبات في حُبه.** لا يقول يسوع: "أطع وصاياي، ثم سأُحبك".

يقول يسوع: "أطع وصاياي، ومن ثم ستختبر حبي". وهذا يعني، عِش كما أطلب منك، حينئذٍ ستستمتع بي! سوف تُقدِّر كم أُحبك، حينئذٍ سيمكنك الحصول على المزيد والمزيد، لتختبر حقيقة هذا الحب العميق.

اِسمحوا لي أن أُعيد صياغة كلمات المسيح. "إذا أخطأت، فلن يتغيَّر حبي لك؛ لكنك لن تكون قادرًا على الشعور به، ولن تكون قادرًا على الثبات فيه، ولن تكون قادرًا على الاستمتاع به".

عندما تخطئ، يحدث شيء مُشابه لِما يحدث لنعام يضع رأسه تحت الأرض، ولم يَعُد بإمكانه رؤية أشعة الشمس. لم يتغيَّر شيء حيث الشمس ستظل هناك، لكن النعامة فقط لا تستطيع رؤيتها بعد الآن.

لماذا يريدك يسوع أن تعرف هذا؟ (استعد مرةً أخرى لأكثر الآيات الصادمة في العهد الجديد بأكمله) نقرأ في يوحنا ١٥: ١١ «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ».

هل تلاحظ كلمات يسوع؟ أسعد شخص وضع قدمَهُ على هذه الأرض، يريدني أن أشعر بالمستوى نفسه من السعادة التي يشعر بها. إله الكون يريد مني أن أكون سعيدًا كما هو سعيدًا! هذا في منتهى الجمال.

يريد يسوع مني أن أعيش في وصاياه حتى أتمكَّن من الثبات في حُبه، وبذلك أستمتع بالسعادة التي كنت أبحث عنها دائمًا! كيف يمكن أن يوجد شخص بهذا الجمال؟ وفي النهاية يبتعد قلبي عنه، وأذهب وراء آلهة أخرى. مات من أجلي حتى يضُّمني اليه. ثم يُخبرني أنه يريد أن يعطيني ما لا تقدر أن تعطيني الآلهة المُزيفة. "أريد أن أُحبك وأملأ كوبك. عِش كما أطلب منك، وسوف تختبره".

كيف يمكن أن يُحبني الله على هذا النحو؟

ربما تُفكِّر: "أن الأب يحبني بمستوى الحب نفسه الذي يحب به ابنه يسوع؟" كيف يمكن لذلك ان يكون ممكنًا؟ قد يكون هذا صحيحًا قبل مجيئي للمسيح وحصولي على

الحياة الأبدية. حينئذٍ كان يسوع على استعداد للموت من أجلي. لم أكن أعرفه. لقد كنت بعيدًا عنه، ولم أكن أعلم مَن هو الله، ولم يكن لديَّ الروح القدس، لكن الآن بعد أن أصبحت مسيحيًا لفترة طويلة، لم أعُد متأكدًا.

هناك أشياء قمت بها بعد التغيير، أشياء كنت قد فكَّرت فيها بشكل شهواني، ودوائر خطية أقع فيها باستمرار؛ بصراحة،

من الصعب عليَّ أن أقبل ذلك،

ومن الصعب عليَّ أن أُصدِّق ذلك،

ومن الصعب عليَّ أن أستمتع به.

لماذا يحدث هذا لنا؟ أعتقد أن الإجابة يمكن أن نلخصها في جملة واحدة: نحن نميل إلى أن نكون أشخاصًا عظماء نُمجِّد أفعالنا، لكننا في الحقيقة أشخاصًا فقراء جدًا امام ما فعله المسيح. نحن لا نفهم أو نستمتع بالإنجيل تمامًا. دعني أشرح أكثر:

عندما يُفكِّر معظمنا في الإنجيل، فإن أول ما يتبادر إلى أذهاننا هو، في جوهرِه، أن الإنجيل يتعلَّق بخلاصنا، وكيف يغفر الله خطايانا. نعم صحيح. الأمر يتعلَّق بهذا، لكنه أكثر من ذلك بكثير! هذا هو فقط "٥٠ ٪" من الإنجيل. النصف الآخر مفقود. يُسمِّي اللاهوتيون هذا النصف الآخر بـ "الانطباع المزدوج".

اِسمحوا لي أن أشرح أكثر. رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥: ٢١ تقول: «أَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرّ اللهِ فِيه». وِفقًا لهذه الآية، يحدث شيئان عندما نتغيَّر: من خلال الموت على الصليب، لا يأخذ يسوع فقط خطيتك ويتحمَّلها هو (أي، يغفر لك)؛ لكنه يُباركك أيضًا بطريقة جديدة.

فلنفترض أنك مديون بدين كبير من المال، فهو لا يُسدِّد حسابك المصرفي فقط إلى الأبد (سيكون هذا رائعًا بالفعل)، لكنه يُحوِّل كل ما في حسابه الخاص، ويشحن كل ثروته إلى حسابك. بكلمات أخرى، فإنه يجعلك ملياردير. وتلك الحقيقة لها آثار روحية ضخمة!

سأشرح ذلك بطريقة أخرى. تخيَّل أنك تبدأ في العيش في حياة غير منضبطة تمامًا: الجنس، الكحول، المخدرات، وهكذا. ثم ينفذ كل مالك، فتبدأ السرقة. لسنوات عديدة تفلت من العقاب، ولا يُقبَض عليك، وتخدع الكثير من الناس، وتُزوِّر في دفع حساباتك

الضريبية، وتتخذ قرارات خاطئة لا حصر لها تؤذي أصدقاءك وعائلتك. ثم يأتي اليوم عندما يُقبَض عليك أخيرًا. أنت مُذنب، وتعرف ذلك. والقاضي يعلم. لا يوجد محامي يمكن أن يُحرِّرَك. الآن تخيَّل الوضع التالي:

لنفترض أن ملك إسبانيا يدخل قاعة المحكمة، ودون أن يعتقد أي أحد ذلك، يصرخ بإيقاف المُحاكمة لأنه على استعداد لتبرئتك. لنفترض للحظة أن لديه القدرة على القيام بذلك، وبعد التوقيع على مرسوم ملَكي، يغفر لك. بالنسبة للكثيرين، هذا هو الإنجيل. لقد أخطأنا، وغفر لنا الملك. ماذا يحدث بعد ذلك؟ يعود ملك إسبانيا (فيليب السادس) إلى قصره، وتعود أنت إلى منزلك.

هل هذه هي نهاية القصة. هذا ليس الانجيل! هذا هو "٥٠ ٪" من الإنجيل. إذا كنت تعيش في إسبانيا، فمن الممكن أن تعرف مَن هي (ليونور دي بوربون)، هي الابنة الكبرى لفيليب السادس، وريثة العرش. لا يقول الإنجيل: إن الملك يغفر لك فقط، لكن الإنجيل يقول: إنك الآن (ليونور دي بوربون)!

يقول الإنجيل: إنك الآن ابن فيليب السادس. الآن أنت تتمتع بكل ما يتمتع به الابن أمام الله. عدالته هي لك! ونتيجة لذلك، كل فوائدها في صفك. كل امتيازاته مُخَّصصة لك. كل ميراثه هو ملكك: حتى الوقوف أمام العرش أصبح مجانيًا! أنت الآن ابن الملك! فكِّر جيدًا فيما قرأته للتو. أمام عرش الله في السماء، لأن المسيح قد أعطاك عدله، والآن أنت بنفس مكانته.

في الحقيقة أنت الآن محبوب كما لو كنت أنت المسيح ابن الله! (في الرسم التوضيحي الخاص بنا، لا يُسامح فيليب السادس أفعالك ببساطة، لكنه يُحبك كما لو كنت ليونور دي بوربون! ابنته!). بسبب المسيح، فأنت "مُساوٍ" للمسيح في عيني الله[٣]. أنت تُعَامل من قِبَل الله كما لو كنت أنت هو، أنت محبوب من قِبَل الله كما لو كنت أنت هو. كما يقول كاتب العبرانيين ٢: ١١ «لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً».

---

[٣] منطقيًا، عندما أقول: إنك "مثل" المسيح، أنا لا أقول إنك الله أو أية بدعة مُماثلة. ما أقصده هو أنك "مساوٍ" له؛ بمعنى أنه "يُلبسك" من برِّه، فأنت الآن ابن من الله بالمعنى الكامل (كولوسي ١: ١٣، ٢٢).

اسمحوا لي أن أُبسِّط المَثل التوضيحي قليلاً لجعله أكثر واقعية. تخيَّل أن ابني المُراهق وأحد أصدقائه يسرقون سيارتي الجديدة لبضع ساعات، بينما أنا بعيد عن المنزل. (أعترف أنني فعلت هذا عندما كنت شابًا، لذا فهو مثال قريب وممكن).

دعنا نقول إن هذا الصديق هو الذي يُقنع ابني برغبته في قيادة السيارة، حيث لا يمكنه أن يقود سيارة بهذه الجودة، لأنه يتيم وليس لديه الكثير من المال.

دعنا نفترض أنها تصطدم، ولا يُصَاب أحد بأذى، لكنهم قد دمَّروا سيارتي. سنفترض أيضًا أن التأمين لا يغطي نفقات الحادث. الآن هذا الطفل صديق ابني مديون لي بكثير من المال. دِين لا يمكنه دفعه. ليس لديه والدان أو المال، ومع ذلك، قرَّرت أن أسامحه. بالتأكيد، عندما أخبر هذا الشاب أنني سامحته، سيكون سعيدًا ومُمتنًّا للغاية.

ولكن، فكِّر في هذا: ماذا لو قلت له: "لا أُريد أن أسامحك فقط، بل أريد أن أتبنَّاك، أُريدك أن تكون جزءًا من عائلتي، أُريدك أن تكون ابني؟". الآن، لن يكون مديون لي بشيء فقط، لكن علاقتنا ستكون مختلفة تمامًا! قد تغيَّر كل شيء الآن! يدخل أولادي إلى الحمام عندما أحلق. أولادي يدخلون سريري ليلاً عندما يخافون. يمكن لأولادي الاتصال بي في أي وقت. سوف يرث أولادي كل "ثروتي". أولادي يتلَّقون الاهتمام والحب والتضحية. أنا أُحبهم، على قدَم المُساواة أو أكثر ممَّا أحب نفسي.

هذا الطفل الذي صدم سيارتي، سيحظى الآن بالامتيازات نفسها، وجميع الحقوق التي تتمتع بها ابنتي ميكايلا، وابني توماس، وابني مانويل! الآن يمكنه أيضًا الاتصال بي ليلاً ويقول: "أبي، لا أستطيع النوم. هل تبقى معي؟".

نقرأ في يوحنا ١: ١٢ «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ

فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ».

هل تدرك كم هو مُدهش هذا الإعلان؟ لقد أصبحت تمتلك جميع حقوق يسوع أمام الآب! لماذا؟ لماذا أنت الآن ابن لله؟

كيف يُعاملك الله، ويحبك بهذه الطريقة؟ ليس بسبب أي فضل لك، لكنه من أجل عمل المسيح. فذلك لأنه هو أعطاك برًا، وليس بسبب مجهودك الذاتي لتحسين وضعك.

هو البطل، وليس أنت! قد تُرِكَ من الله (متى ٢٧: ٤٦) حتى يقبلك (يوحنا ١: ١٢). كما نقرأ في ١يوحنا ٣: ١ «اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!».

استمتع به، أُشعر به، تذوَّق حلاوته! لماذا؟ كما يستمر يوحنا في التوضيح لنا ببعض الآيات لاحقًا، فإن الرسوخ في هذه الحقيقة هو ما يُغيِّرك:

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ ..

وكلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ» (١يوحنا ٣ : ٢، ٣).

كما يقول الرسول أيضًا: انظر، وقدِّر، واكنز هذا الواقع، فهو لديه القدرة على تغييرك! لا يتعلَّق الأمر بما تفعله أنت من (صواب أو خطأ)، إنه يتعلَّق بما فعله المسيح؛ هذا ببساطة لا يمكنك عمله. إنه عمل الإنجيل.

في هذه الحالة أعمالي ليست ذات أية أهمية، ولكن ما يهم هو أن أتعلم كيف أُقدِّر هذه النعمة المُعطاة لي في المسيح.

ما الذي يجب علينا أن نتعلَّمه؟ كل ما فعله الله في المسيح من أجلنا. في الرسالة إلى أفسس، يفعل بولس شيئًا نادرًا، وغير متوقع نسبيًا. يترك الرسول بولس لنا ثلاثة دوافع للصلاة، كان يُصلّيها بحماس للمؤمنين الآخرين.

انتبه:

للمؤمنين، وليس للذين لا يعرفون يسوع، يقول الرسول بولس في أفسس ١: ١٨، ١٩ «مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ».

لاحظ أنه في بداية صلاته، يُعبِّر بولس عن دافع رئيسي أو مركزي يشمل دوافعه الثلاثة الأخرى. ما يطلبه في الصلاة هو قدرة المؤمنين على رؤية ثلاثة أشياء:

- أن قلوبهم (أي كيانهم الداخلي بأكمله؛ العقل، العواطف، والإرادة) تُقدِّر قيمة الحقائق الثلاث المذكورة أدناه.

(هذه الحقائق الثلاث هي جزء من الإنجيل. أو، إذا أردت، فهي ثلاث نتائج للإنجيل).

- بمعنى آخر، ما يريده بولس هو أن يعمل الله بشكل خارق في نفوسهم، حتى يتم الاستيلاء على مشاعر قلوبهم من قِبَل هذه الحقائق. أن يعتزون بها، وأن يُقدّروها لدرجة أنهم يجدون السعادة والفرح فيها. لاحظ أيضًا الضمائر المُستخدمة.
- يريد بولس أن يوضح بكل شفافية أنها دعوة الله لنا، وأنه ميراثه هو، وأنها قوته هو - أي أن **كل هذه البركات هي عمل الله، وليس المؤمن**. دعونا نفحص لفترة وجيزة كل واحدة منهم.

[١] أول شيء نحتاج إلى رؤيته هو:

أن الأمل في التغيير يزداد بشكل كبير عندما نفهم أن الدعوة شيء يفعله الله. انظر بعناية في النص؛ وِفقًا للعدد ١٨، يُصلّي بولس: «لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ». أُريدك أن تفهم نوع الأمل الذي يمكن أن تحصل عليه لأنها دعوة من الله.

بعبارة أخرى، فذلك لأن الله قد دعاك، إنها نتيجة دعوة الله لك، ولأن الله قد دعاك، يمكن أن يكون لديك أمل!

بعبارة أخرى، فإن الدعوة تُولّد الأمل لأنها تستند إلى الوعد الذي وعدَهُ الله (الله نفسه!) لإكمال عمل التغيير الذي بدأه هو نفسه فينا في اليوم الذي دعانا فيه. هذا ما يقوله بولس نفسه في فيلبي ١: ٦ «وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».

فكّر في الأمر للحظة: ما هي أكثر الصراعات (ربما الأكثر صعوبة) لأي شخص يريد حقًا التغيير؟ إسمحوا لي أن أُجيب نيابةً عنكم:

الشعور بإلاحباط، بسبب أنك لا تستطيع التغيير. الوقوع المستمرفي خطايا مُتكررة، يُطفيء فينا أي بصيص أمل للتغيير . أيًّا كنت، فأنا أعلم أن لديك خطية مُعيَّنة، وصراعًا معينًا، وميلًا لشهوة معينة تُكرِّرها مِرارًا وتكرارًا، وتشعر بأنك تدمر حياتك الروحية. ربما يكون شيئًا جنسيًا، أو ربما شيء من شخصيتك، أو ربما شيئًا آخر. ماذا يقول بولس في هذه الآية؟

ماذا يحتاج الشخص أن يرى في مثل هذا الموقف؟ **إن الله، وليس أنت، هو الذي بدأ عملية التغيير؛ وأن الله سوف ينهي تلك العملية!** كما نقرأ في رومية ٨: ٣٠ «وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا».

واحدة من أهم الحقائق التي يجب تذكُّرها؛ هي أن التغيير (الحقيقة الأولى وِفقًا لصلاة بولس!) قد التزم به الله، ووعَد بتغييري. **لقد وعد بالقيام بالمستحيل!** إنه قادر على فعل ما لا أستطيع أنا فعله! إنه سينهي ما بدأ! هذه صلاة بولس. نتيجة للتأمل في مَن هو الذي دعاني، آمل أن أتغيَّر. **يولَد الإحباط عندما ننظر لأنفسنا، ويولَد الأمل عندما ننظر اليه. إنه عمله، وليس عملك أنت.**

[٢] أما بالنسبة للشيء الثاني الذي نحتاج إليه، حسب صلاة بولس،

هو معرفة نوع الميراث الذي تركَهُ لنا المسيح. فكّر في الأمر للحظة؛ أول شيء يفعله أي شخص يتلقى الميراث، هو معرفة مقدار الأموال التي تركوها له - أي تقدير نوع الميراث الذي تلقاه! هذا ما يجب أن نفعله مع ميراثنا في المسيح. كيف يُقَيِّم بولس الميراث الذي تركه لنا يسوع؟ ميراث ضخم! يساوي ملايين! غنى عظيم! مجيد! العدد ١٨يقول بوضوح: إنه يجب علينا التأمل في «ما هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ».

الآن، فكّر فيما يلي: لماذا يقول: "ميراثه"؟ لأن الميراث هو شيء تحصل عليه دون فعل أي شيء في المقابل.

لسنوات كان والدي يستيقظ كل يوم في السابعة صباحًا للذهاب إلى العمل. من الاثنين إلى الجمعة، دون استثناء، يغادر المنزل في الساعة السابعة والنصف صباحًا، ويعود في الساعة السابعة بعد الظهر من شركتهِ؛ حيث كان يقضي ساعة في المواصلات للوصول إلى وسط مدينة بوينس آيرس، وساعة أخرى حتى يعود إلى المنزل.

بكل إخلاص، لا أستطيع تذكُّر يوم واحد لم يذهب أبي فيه إلى العمل، ولا حتى في مرضهِ! في الواقع، قبل تقاعده، كان لديه ثلاث وظائف؛ شركته الخاصة للتجارة الخارجية، وكان أستاذًا جامعيًا في كليتين مختلفتين. بالإضافة إلى ذلك، كانت كل وظيفة من هذه الوظائف في مدينة مختلفة. حقًا، لقد كان رجل مُكافحًا. عندما مات أبي، ورثت أنا وأختي "الثروات" التي تراكمت بعد سنوات من العمل الشاق. في أحد الأيام، جلسنا مع محامٍ ووقّعنا ورقة، وبإمضاء واحدة كانت كل "ثرواته" مِلكًا لنا.

فكّر في ما يلي: مَن الذي عمل بجدٍ لسنوات؟ مَن الذي اجتهد؟ مَن الذي بذل؛ بذل قصارى جهده؟ أختي وأنا لم نفعل شيئًا لنستحق ما استلمناه. نحن ورثناه. نبدأ ببساطة في الاستمتاع بالخيرات التي قد حظى بها أبي لنا. الشيء نفسه ينطبق على المسيح.

صلاة بولس، هي لكي نقدر أن نرى "غنى مجد" الميراث الذي حصل عليه المسيح من أجلنا. هل يقصد أفضل ما في الميراث؟ (لا، يقصد "الميراث الوحيد").

الله يحبك!

لا تُفوِّت هذه الجملة. **الله يحبك!**

الآن، في هذه اللحظة بالذات وإلى الأبد! يمنحك يسوع برّه (البر الذي حصل عليه طوال حياة مليئة بالطاعة الكاملة)، لن ينظر إليك الله أبدًا كما أنت: مليء بالنجاسة!

الآن، عندما ينظر إليك، لا يرى خطاياك (بل ينظر إلى بر المسيح)؛ لا يرى كبرياءك (يرى تواضع ابنه)؛ لا يرى أنانيتك (بل يرى تضحية يسوع)؛ لا يرى كُرهك، أو عدم الرضا الدائم الذي تشعر به (بل الرضا التام للشخص الذي قال: "لتكن إرادتك لا إرادتي").

ولكن اسمحوا لي أن أوضح شيئًا. عندما أقول: إن الله "لا يرى" خطيتك، لا أقصد أنه لا يلاحظ خطيتك، أو أنه يغطي عينيه عندما تفعل شيئًا خاطئًا. ما أعنيه، هو أنه يُعاملك كما لو لم تفعل تلك الخطية.

ما زال يحبك!

ما زلت مقبولاً في عينيه! يستمر في النظر إليك كما لو كنت يسوع![٤] كيف يمكن أن يُعاملنا الله بهذه الطريقة؟

هذه هي بالتحديد صلاة بولس؛ أن ترى السبب الذي يجعل الله يُعاملك هكذا. هو جزء من ميراثك! ما لا يُكلفك أو يُكلفني شيء، قد كَلَّفَهُ كل شيء.

---

[٤] من الممكن أن الله يؤدبك إذا واصلت الإصرار على فعل الخطية؟ بالطبع نعم، ولكن، ليس لمُعاقبتك! ولكن حتى تعود تُقدِّر حُبه مرة أخرى.

كما رأينا في يوحنا ١٥: ١١، يريدك أن تطيع وصاياه حتى تتمكَّن من "الثبات في حُبه"، وبذلك، ستستمتع بالبهجة التي تأتي من أن تكون قريبًا منه!

الله تجسَّد في صورة المسيح، ونزل إلى الأرض لتحبل به امرأة كانت تهتم بتفاصيل تربيته (التأمل فقط في هذا الأمر يتركني في دهشة). رفضته عائلته. تركوه أصدقائه. كانوا يدَّعون أنه به شيطان. بصقوا في وجههِ. عرُّوه من ملابسه، استهزأوا به وصلبوه على خشبة. ما لا يُكلِّفك شيء، كلَّفَهُ هو كل شيء. يقول بولس: إنك بحاجة إلى التوقف عن التفكير في الثروة الأرضية. هل تعرف كل ما ورثته بسبب الصليب؟ هل تستخدمه؟ هل تستمتع به؟[٥].

يقول جون أوين دائمًا: "إن أكبر ألم يمكن أن تُسببهُ لقلب الله، هو ... " أكمل الجملة. فكّر لبضع ثوان. ماذا تظن؟ ما هو أسوأ شيء يمكنك فعله لله؟ ما من شأنه أن يُحزنه أكثر؟ معظمنا يميل إلى التفكير في بعض الخطايا "المتطرفة". ربما الخطية نفسها التي نحن مُدمنون عليها. "نعم. يجب أن يكون هذا أسوأ شيء يمكنني القيام به".

لكن يُخبرنا جون أوين، والكتاب المقدس، والله نفسه: "أنت مُخطئ".

إن أكبر ألم يمكن أن تُسببهُ لقلب الله،

هو عدم تصديق أنه يحبك. لماذا؟

لأنه على الصليب أظهرَ أعظم محبة في تاريخ البشرية.

استمتع بميراثك في يسوع المسيح!

[٣] أخيرًا،

يُصلّي بولس حتى نتمكَّن من رؤية أن قوته تُنتج التغييرات فينا، وليس مجهودنا الخاص. على الرغم من أنني أحبّ الركض، إلا أنني لم أحاول أبدًا إنهاء سباق الماراثون. يبدو من المستحيل لي أن أركض اثنين وأربعين كيلومترا دون توقف. أُفكِّر في جميع المدن والبلدان التي تَبعُد ٤٢ كيلو مترًا عن منزلي، وعندما أتخيَّل قدرتي على الركض كل هذه المسافة، أستسلم.

---

[٥] من الأمثلة الأخرى على الميراث الذي لدينا في المسيح، هو حريتنا للدخول إلى عرش الملك (عبرانيين ٤: ١٦)، وحُب الآب غير المشروط، وغفرانه (رومية ٨: ٣٨، ٣٩)، وروحه القدوس الساكن في دخلنا (أعمال الرسل ١: ٨)، والروح الذي يتشفع لنا (رومية ٨: ٢٦، ٣٧)، وبالتأكيد على أننا في يومٍ من الأيام، سوف نُمجَّد معه (رومية ٨: ٣٠)، والعديد من الحقائق الأخرى، التي يَصعُب عليَّ أن أُعدِّدها في هذا الاقتباس.

لكن الأمر مختلف، إذا ذهب المرء بالسيارة، أليس كذلك؟ المسافة هي نفسها، ولكن القوة المُحركة قادمة من السيارة، وليس جسمنا. نعم؛ أنت أو أنا يمكننا أن نقود السيارة، وبطريقةٍ ما ندَّعي: "لقد ذهبت من مدريد إلى برشلونة". لكن، في الحقيقة، لم نذهب نحن. لقد كانت السيارة هي الوسيلة التي نقلتنا من جهة إلى أخرى. كانت قوة موتور السيارة، وليس نحن.

هذه هي الحقيقة التي يوَّد بولس أن نراها من خلال هذه الصلاة، وأنه هو نفسه يُعبِّر بوضوح في ١كورنثوس ١٥: ١٠ «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المُعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي».

صلاة بولس واضحة؛ للتغيير، يجب أن تكون أعيننا منفتحة على حقيقة أننا أصبحنا نمتلك قوة الله (النابعة من الله نفسه!) للقيام بذلك. فقط من خلال تلك القوة، سوف نشهد تغييرات عميقة. ليست قراراتنا، أو التزامنا، أو تسليمنا، هي التي تجعلنا نتغيَّر. إنها قدرته على القيام بما لا يمكننا فعله.

مِثل مثال ميسي الذي رأيناه في الفصل السابق، أو كيفية القيادة من مدينة إلى أخرى. هذه القوة غير عادية، ولا يمكن تفسيرها، بحيث يجب فهمها بقيامة يسوع. **ما لا يقدر أحد على فعله، قد قام الله بتتميمه بقوته.**

صلاة بولس هي بالتحديد أن نكون قادرين على رؤية أنه إذا كان الله لي، إذن لديَّ القدرة على فعل ما فعله المسيح (أي: «إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ، بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا»).

كيف لن يكون بإمكانه إجراء تغييرات حقيقية ودائمة في قلوبنا؟ يستطيع أن يفعل ما أنت وأنا لم نستطع فعله أبدًا. كما سنرى في الفصول التالية، **الله (الله نفسه!) يعيش الآن في قلبك، من خلال روحه.** ما هي صلاة بولس؟ أن نصل إلى أبعاد الآثار المُذهلة لهذه الحقيقة.

سأختتم هذا الفصل بتأمل قصير: لقد تلقيت أكثر من مرة بريدًا إلكترونيًا يقول شيئًا من هذا القبيل: "اِربح ألفي وخمسمائة يورو في الأسبوع. العمل من المنزل. انقر هنا".

ماذا أفعل عندما أتلقى هذا النوع من البريد؟ أحذفها. لماذا؟ لماذا لا أرغب في كسب هذا المبلغ من المال؟ لماذا أنا غير مهتم بالعمل من المنزل؟ بالطبع لا! أنا أحذفها لأنني لا أعتقد أنه صحيح. وأنا أعلم أنه بريد غير مرغوب فيه. ما يقوله جيد جدًا، ولكن ليس صحيحًا، وبالتالي أحذفه.

أوَّد أن أشجعك على عدم القيام بذلك مع الإنجيل.

أعلم أنك إذا قرأت هذا الكتاب حتى الآن، فلن تفعل ذلك علانيةً أو عن قصد؛

ولكن من الممكن جدًا "تجاهل" هذه الحقائق من قلبك عن طريق الانشغال

فيما عليك فِعله بعد الانتهاء من قراءة هذه الكلمات.

لا تفعل ذلك.

- علِّم بقلمك في هذا الكتاب.
- ضع خطًا تحت الأفكار التي تشدَّك.
- استخدم الألوان.
- قم بتدوين ملاحظات حيث تجد مساحة.
- تأمل في الإنجيل طوال يومك.

أنت ابنه. روحه ساكن فيك.

إله الكون يُحبك.

صدِّق هذه الحقيقة،

وعِش في ضوئها.

ملخص موجز



لكي يحدث تغيير عميق، يجب أن جمال الإنجيل يَسبي قلبي مرة أخرى. لكي يحدث هذا، لا بد أن يُلقي الله الضوء على قلبي لرؤية حقيقتين عظيمتين:

- أنا أثيم مسكين. أنا لا أُحب الله (أنا أحب نفسي)، وأنغمس في ملذات الحياة التي تبعدني عن حُبه، وتتركني فارغًا.
- الله مُخلِّص عظيم. نعمته رائعة. ما زال يُحبني رغم أنني أبيع نفسي باستمرار لِآلهة أخرى لتستعبدني.

عندما يأسر قلبي هاتان الحقيقتان، أقع في حب المسيح مرةً أخرى، وأتغيَّر. لماذا؟ لأنني بدأت أستمتع بحب المسيح تجاهي، والذي يحفزني على حُب الآخرين.

أحد المفاتيح التي تأسر قلبي، هي التأمل في "ميراثي". الله لا يغفر لي خطيتي فقط، بل يجعلني ابنه؛ هذا يعني أنه يحبني دائمًا، ويعاملني دائمًا كما لو كنت يسوع. قد برَّرني ببرّه! وامتيازات المسيح أيضًا هي ملكي.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخِّص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- كيف تُلخِّص في كلماتك الخاصة "رؤية جمال المسيح"؟

اقرأ مرة أخرى الجدول الذي يُلخِّص كيف يحدث التغيير.

كيف تفسِّر هذا بكلماتك الخاصة؟

إذا كانت تُشجعك، فحاول تبسيطها بحيث يمكنك مشاركتها بسهولة مع مجموعتك أو مع شخص آخر. (على الرغم من أنني وضعت سبع نقاط، ربما يمكنك القيام بعمل أفضل مني وتلخيصه بأقل من ذلك).

- **هل** توافق على عبارة "الله يحبنا بالمستوى نفسه الذي يحب به ابنه"؟ لماذا؟ ما هي الآثار العملية لهذه الحقيقة في حياتك اليومية؟
- **كيف تفسِّر** في كلماتك عبارة: "نحن نتغيَّر عندما نُحب (أي عندما نرى أو نُقدِّر) الحب الذي يُحبه الله به"؟

* * *

الجزء الثالث

ما هي
ثمار التغيير العميق؟

الفصل الثامن

هوية جديدة

ما الذي يعطيك قيمة؟

ما هو الشيء الذي يجعلك مُميَّز؟

ما الذي يجعلك مختلفًا؟

ابني الأصغر عمره أربع سنوات الآن، دائمًا يقول: أنا "Total Pro". (والتي تعني "خبير" أو "متخصص" أو "ماهر"). إنه "Total Pro" في كرة القدم. إنه "Total Pro" في الركض. إنه "Total Pro" في السباحة وركوب الدراجات والرسم، وحتى القراءة!

(ما زالت أُخته البالغة من العمر عشر سنوات تُعلّمهُ القراءة، وتفعلها بكل مهارة حقًا)، ولكن ابني، دون أي حرَج، وبغض النظر عن النشاط الذي نقوم به، يحتاج إلى الصراخ للعالم بأسره بمدى جودة أدائه. ثم يبحث وينظر إليَّ لكي يسألني: أصحيح يا أبي؟ أنا "Total Pro"؟ ما الذي يحدث؟

ابني بدأ في تطوير هويته. لقد بدأ يكتشف مَن هو (شخص يمكنه الركض والرسم ولعب كرة القدم)، ويريد أن يكتشف قيمته في ضوء تلك النشاطات، ويستمد هَويته منها. كيف يعرف أنه مُميَّز ومُقدَّر، وأنه محبوب ومقبول من قِبَل والده وأقرانه؟ عندما يُسلِّط الضوء على فضائله، ويقوم بتضخيمها. يصرخ ابني للعالم كله؛ كم هي رائعة مهاراته! ويتوق أن يُدرك الجميع من حوله قيمته.

أنت وأنا لسنا مختلفين تمامًا؛ نحن فقط أكثر سرية، وأفعالنا مُستترة. نحن نعلم أنه ليس صحيحًا اجتماعيًا وأدبيًا أن نصرخ بأننا "Pro Total"، ولذلك نبحث عن طرق مقبولة اجتماعيًا للتأقلُم، وتأكيد قيمتنا، وشعورنا بالحب والقبول من قِبَل الآخرين.

منذ فترة، قرأت مقالة في إحدى الصحف على الإنترنت تحكي قصصًا حقيقية مختلفة عن أشخاص انتهى بهم المطاف إلى الموت أو في حادث خطير أثناء محاولتهم التقاط صورة شخصية Selfie. كانت إحدى القصص تحكي عن عائلة داخل سيارتها ونافذتها مفتوحة جزئيًا، في غابة حرة للحيوانات. وعندما حاولوا التقاط صورة شخصية Selfie مع أسد كان بجوار سيارتهم، كانوا على أبواب الموت، عندما انقض الأسد على السيارة وحاول عضهم.

في الهند، كان رجل يحاول التقاط صورة شخصية Selfie مع فيل، لكن الرجل اقترب من الحيوان، لدرجة أن الفيل أُصيب بالخوف، وانتهى به الأمر صاعدًا عليه، وهكذا قتله.

قام YouTuber شهير، بتسلُّق ناطحة سحاب ضخمة، وعندما حاول تصوير الحدَث بالكاميرا، سقط من فوق وتوفى على الفور. عندما قرأت هذا المقال، سألت نفسي: "ما الذي يحفز هؤلاء الناس على فعل مثل هذه الأشياء المجنونة؟". لا نحتاج إلى دكتوراه في علم النفس لاكتشاف الإجابة.

إنهم يبحثون عن الشيء نفسه الذي يحاول إثباته ابني. لديهم جمهور ومتابعين على صفحات Facebook أو YouTube، ويريدون أن يُعجَب بهم الجمهور ويُصفقون لهم، ويتعجبون من إنجازاتهم، ويخلصون إلى: "Pro Total" إنهم يريدون "الصراخ" للعالم كله بإنجازاتهم المُميَّزة. شيئًا مختلفًا. شيئًا لم يفعله أي شخص آخر. مثل ابني مانويل، يبحثون عن القبول والتأييد. يريدون أن يشعروا بالقيمة والحب. (إذا لم يكن الأمر كذلك، فلن يحتاجوا لالتقاط الصورة ونشرها. سيكون كافيًا أن يعيشوا التجربة دون مشاركتها).

كما رأينا من قبل، في متى ٦: ١ يُخبرنا يسوع أن هذه الأمثلة ليست استثناءات، فهي تعبيرات بيانية عن كيفية عمل قلب جميع البشر؛ حتى المسيحيين! لدينا أيضًا هذه المشكلة. الشيء الوحيد الذي يختلف، هو الطريقة التي نسعى بها للعثور على قيمتنا. نحن نستخدم

أشياء مثل الخدمة والصوم والعشور والتبرعات والصلاة، كوسيلة للشعور بالقبول أو أننا مُميَّزون. هل فكَّرت يومًا في سبب صلاتك بطريقة مختلفة، حينما تُصلّي في اجتماع أو أمام أُناس آخرون، عن طريقة صلاتك عندما تكون وحدك؟ هل يمكن أن يكون وجود مُستمعون يُغيِّر ما تقوله بطريقةٍ ما؟ إذا كنت تعتقد أن الناس "الأكثر تكريسًا" لله باعتبارهم مُبشّرون أو مُرسَلون أو قساوسة، مختلفين عن هذه الحقيقة، فصدقوني أنهم ليسوا هكذا.

في الحقيقة، دعني أكشف لك شيئًا ما: هل تعرف ما هو السؤال الأول الذي يسأله كل قائد في اجتماع الرعاة؟ سأكون واشي وأبوح لك بالسر: "كم عدد الأعضاء المُتردّدون في كنيستك؟". يسأل البعض علانيةً، والبعض الآخر "يُجملون" السؤال حتى لا يكون واضحًا للغاية، والبعض الآخر لا يطرحه (لكنهم يُفكرون فيه!).

النقطة المهمة، هي أنه على الرغم من أن يعقوب ٢: ١ حذرنا من خطر تمجيد وحب الناس لمستوى أهميتهم الاجتماعية، فلا أحد يعامل قِسًا مشهورًا بالطريقة نفسها التي يعامل بها قِس لا تتجاوز كنيسته عشرة مُتردّدين. نُعامل كل واحد منهم بقدر مختلف من الاحترام. السبب؟ إنه لأَمر مُخزي للغاية أن نقبله، لكن في أعماق قلوبنا حيث نؤمن أن أحدهم يتمتع بقيمة أكبر من الآخر.

قضية من الكتاب المقدس

في الفصل الخامس من سفر أعمال الرسل، نجد قصة رائعة. قام زوجان "حنانيا وسفيرة" ببيع منزلهما للتبرع بمعظم الأموال إلى الكنيسة. أعلم أنك تعرف القصة، لكن ضع في اعتبارك أن أي شخص سيقوم بهذا العمل اليوم، سيُعتبَر قديس! فكِّر فيما يلي: ما الذي يدور في قلبك حتى تُقرِّر بيع منزلك، والتبرع بمعظم الأموال للكنيسة؟ معجزة! (في بلدي أنا أيضًا هذا شيء غير عادي). ومع ذلك، هناك شيءٌ ما في قلب حنانيا وسفيرة يُحبونه أكثر من حبهم لمنزلهم. هذا الشيء هو ما يدفعهم إلى اتخاذ قرار، سيكون من المستحيل تقريبًا بالنسبة لي ولكم أن نأخذه اليوم.

ما هذا الشيء؟ أن يُصفق لهم المؤمنون الآخرون! فكِّر في الأمر. ما فعلوه لم يكن سيئًا (تحت كل الأحوال. إن التبرع بالمال للكنيسة أمرٌ جيد)، ولكن الدافع وراء هذا الفعل

كان خطأ. فكِّر في القوة الناتجة من السعي وراء تمجيد الناس. إن الحاجة والدافع، والرغبة في الشعور بالقبول، قوي جدًا، لدرجة أنها تدفعهم لبيع أغلى شيء لديهم. الآن، اسمحوا لي أن أعرض من النص نفسه، كيف واجه بطرس خطية حنانيا وسفيرة: «فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هذَا الأَمْرَ؟ [لاحظ أنه يستخدم السؤال الكبير الذي نؤكد عليه منذ الفصل الأول] هل فكَّرت في هذا الأمر في قلبك [أي، هناك في القلب تَكمُن المشكلة]. أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ، بَلْ عَلَى اللهِ». (أعمال ٥ : ٤).

ما هو "الكذب على الله" أو "الكذب على الروح القدس"؟ (تظهر كِلتا الجملتين بشكل مترادف في الأعداد ٣، ٤). **"الكذب على الله" يعني "محاولة العيش في المسيحية دون أن تكون مسيحي حقيقي" - أي تعيش كمسيحي دون الروح القدس. أن تفعل الشيء الصحيح مع الدافع الخاطئ.** إنه استخدام الخدمة أو التقدمة أو التبرع - أي "صدقة" (متى ٦: ١) كوسيلة للحصول على عطف الناس أو الشعور بالقبول من قِبَل مجموعة معينة. هو "بناء هَويتي من أعمالي، بدلاً من أن استمدها من بر المسيح" (تذكَّر الفصل السابق).

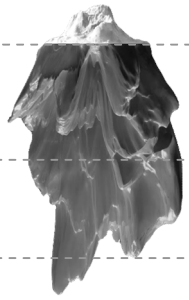

	حنانيا وسفيرة	برنابا والآخرين
فعل مرئي	باعوا منزلهم، وتبرعوا بالمال الذي حصلوا عليه مقابل ذلك.	باعوا منزلهم، وتبرعوا بالمال الذي حصلوا عليه مقابل ذلك.
رغبة سطحية	يريدوا أن يحصلوا على مدح الناس لكرَمهم.	رغبتهم هي أن يُباركوا الآخرين من خلال كرَمهم.
رغبة عميقة	يبحثون عن القبول من الآخرين.	يتمتعون بقبول المسيح لهم.
فعل غير مرئي	يقومون برسم هويتهم: يتلاعبون بالآخرين حتى يحصلوا على ما يبتغون.	يستمدون هويتهم من عمل المسيح: يشعرون بالحرية لأنهم يستمدون قيمتهم من المسيح.

الآن انظر في ما يلي: ما السبب وراء قيام حنانيا وسفيرة ببيع منزلهما؟ أنا لا أُشير في هذا الوقت إلى الدوافع، ولكن أُشير إلى: لماذا يستخدمون بيع المنزل والتبرع بثمنه، كوسيلة للحصول على القبول من المجتمع المسيحي، وليس القيام بأي شيء آخر (مثل التفرغ لحياة الخدمة أو القيام بأية خدمة أخرى في الكنيسة).

لماذا بيع المنزل نفسه؟

نجد إجابة هذا السؤال في نهاية الاصحاح الرابع. سبب قيامهم بذلك هو أن برنابا والعديد من المؤمنين الآخرين، كانوا يفعلون ذلك أيضًا (أعمال ٤: ٣٢- ٣٧). لم يَقُم حنانيا وسفيرة بوضع خطة مُبتكَرة؛ لقد رأوا أن عدة أشخاص من الكنيسة المسيحية الأولى يقومون بذلك، ثم استنتجوا أنهم أذا قاموا بذلك أيضًا، فسيؤول إلى القبول والتقدير، ويعطيهم قيمة ومكانة بين جماعة المؤمنين.

ما هو التعليم الذي نراه من خلال هذه القصة؟ أن ثقافتنا (وثقافتنا المسيحية) تُحدِّد إلى حدٍ كبير ما يُعتبَر مقبولًا وقَيِّمًا أمام كل مَن يُشكِّلون هذا المجتمع.

لو فكرت في الأمر للحظة، ستجد أن هذه القِيَم تتغير تمامًا وفقًا لكل مكان (على سبيل المثال: التجشؤ بعد تناول وجبة في بلدٍ ما قد يكون شيء مقبول، بينما في بلدٍ آخر قد يمثل عدم الاحترام). وفقًا للوقت (ما كان عصريًا في العشرينات، اليوم قد يبدو الأمر سخيفًا وذوقًا سيئًا) ووفقًا للعديد من العوامل الثقافية الأخرى التي لا تستحق التحليل الآن.

النقطة المهمة، هي أن ما يمكن أن يكون مقبولاً اجتماعيًا في مجموعةٍ ما، وقَيِّم، وجديرًا بالإعجاب الشديد، في مجموعةٍ أخرى يمكن أن يُقابَل بالرفض والاحتقار الكامل.

دعني أعطيك مثالاً:

تخيَّل أن صديقًا غير مؤمن يدعوك لحضور حفل زفاف ليس فيه مؤمنين. أشك أنه في مثل هذا السياق، في وسط قاعة جميلة،تشعر بالإغراء (مثل حنانيا وسفيرة) لتقول: "هل تعلم أنني أعطي ١٠٪ من أموالي إلى الكنيسة؟".

في الواقع،

لقد قرأت سفر أعمال الرسل في الكتاب المقدس، وبعد الصلاة والصوم، كنت أفكر في بيع منزلي والتبرع بكل المال لقسيس كنيستي. في أسبانيا لا أحد في هذا السياق يُقدِّر تلك الأشياء. لأنه في هذا الموقف بالذات، فإن القيام بهذا النوع من "الجنون" ليس شيئًا مقبولًا أو ممدوحًا (كما كان في سياق الكنيسة الأولى). ولكن لا يواجه أحد مشكلة في القول: إنه احتال على الحكومة في دفع الضرائب، أو أنه أنفق الكثير من المال في إجازته، بينما في الكنيسة لا يقول أحد هذا أبدًا.

تأمل في التحليل التالي الذي قام به تيم كيلر: "تخيَّل مُحارِبًا انجلوسكسوني في بريطانيا عام ٨٠٠ بعد الميلاد. لديه اثنين من الدوافع القوية والمشاعر الداخلية:

أولاً: العدوان. يحب تدمير وقتل الناس عندما يُظهِرون عدم احترام. يعيش في ثقافة العار والشرف، بالاضافة إلى أخلاقيات المُحارب التي يتحلَّى بها، فيجد هويته في هذا السياق. يُفكِّر: هذا أنا! هذه طبيعتي! وهكذا سأُعبِّر عنها!

ثانيًا: وهو انجذابه لأشخاص من الجنس نفسه، وهكذا يفكر: "هذا ليس أنا! سوف أتحكم وأقمع هذا الدافع! الآن، تخيَّل شابًا يمشي في مانهاتن اليوم. لديه الدوافع الداخلية نفسها؛ قوية على قدَم المساواة. ماذا سيُفكِّر؟ سوف يفكر في العنف: هذا ليس ما أريد أن أكون عليه، وسيسعى للتخلُّص منه ببرامج العلاج وإدارة الغضب. ومع ذلك، سوف يفكر في رغبته الجنسية، ويختتم: هذا ما أنا عليه الآن".

ما هي الرسالة وراء ذلك المَثل؟

أولاً، وقبل كل شيء، فإنه يكشف أننا لا نحصل على هويتنا فقط من الداخل، ولكن أيضًا نحصل عليها من خلال غربال أخلاقي نُمرِّر من خلاله جميع مشاعرنا وأفكارنا. وهذا الغربال يساعدنا في فصل وتحديد المشاعر التي تُشكِّل "الأنا"، والتي يجب عدم التعبير عنها. لذا، فإن هذا الغربال من المعتقدات التفسيرية (وليس تعبيرًا فطريًا ونقيًا عن مشاعرنا)، هو ما يُشكِّل هويتنا.

> على الرغم من الاحتجاجات المُضادة، فإننا نعلم غريزيًا أن أعمق المناطق الداخلية لدينا ليست كافية لإرشادنا. نحن بحاجة إلى بعض المعايير أو القواعد، من الخارج، لتساعدنا على تنظيم النبضات المُتضاربة في حياتنا الداخلية.

من أين حصل مُحارِبنا الأنجلوسكسوني، ورَجُلنا المعاصر في مانهاتن على الغربال الخاص بهم؟ مِن ثقافاتهم ومجتمعاتهم، وقصصهم البطولية.

في الواقع، ليس فقط "يختارون أن يكونوا أنفسهم"، لكنهم يقومون بتصفية مشاعرهم والتخلُّص من بعض المشاعر، وقبول البعض الآخر. إنهم يختارون أن يكونوا، ويفكروا، ويشعروا بما تُخبرهم به ثقافاتهم؛ مَن يكونوا أو يفكروا أو يشعروا.

في النهاية، وجود هوية تستند بشكل مستقل على مشاعرك الداخلية والخاصة بك، أمر مستحيل. **كلنا نحاول أن نثبت قيمتنا من خلال رأي الآخرين.**

فكّر في الأمر للحظة: لماذا يجمع الطفل بطاقات كرة القدم، وشخص آخر يجمع الطوابع النادرة، ويقوم شخص ثري بجم لوحات قَيِّمَة؟ لماذا تمتلك المرأة عشرة (أو أكثر) أحذية في خزانة ملابسها؟ لماذا يتباهى الرجل مع أصدقائه بحجم السمك الذي قام بصيده؟ لماذا يتناقش شابان حول أفضل فريق كرة قدم (الفريق الذي لم يلعبوا فيه مُطلقًا، ولن يلعبوا معه أبدًا)؟ لماذا نشعر بالحاجة إلى تغيير السيارة (التي تعمل بشكل مثالي) لطراز جديد؟ لماذا نتحمس للغاية عندما نسمع عن التخفيضات الموجودة في محلات الملابس؟ لماذا نشعر بحاجة ماسة إلى ترتيب المنزل عندما يأتي الناس لزيارتنا؟ لماذا نحب أن نعرف درجة نجاح أصدقائنا في الامتحان؟ لماذا نهتم بمعرفة مرتب صديق ما؟

الجواب على كل من هذه الأسئلة هو نفسه؛ نحن نبحث عن قيمتنا من خلال هويتنا، وما نمتلكه، وما ننجزه، ولهذا نحن بحاجة إلى الحكم الإيجابي من قِبَل أولئك الذين نعتبر رأيهم قَيِّم.

لهذا، نحتاج إلى مقارنة أنفسنا، وقياس أنفسنا، وتقييم أنفسنا، وتحقيق النجاح (أو على الأقل استبعاد الخسارة). نحن جميعًا، بشكل فِطري، لدينا احتياج داخلي يدفعنا إلى توليد هويتنا بناءً على مَن نحن أو ما نمتلكه أو ما حققناه.

في فيلم تروي، يلعب "براد بيت" دور البطل الأسطوري الشهير(أخيل). قبل الخروج للقتال في معركة تروي الشهيرة، يحظي (أخيل) على حوار مُهم للغاية مع والدته. إنها، بألمٍ شديد، تقول الكلمات التالية: "إذا بقيت هنا، فسوف تتزوج. ستحبك زوجتك، وأولادك سيحبونك أيضًا، وستحظى بحياة جميلة وسالمة. لكن عندما يموت أحفادك سيُمحى اسمك معهم أيضًا. ولكن إذا قررت الذهاب إلى تروي، فسيكون لك المجد. سيكتبون ملحَمَات عنك لآلاف السنين. لن ينسى العالم اسمك أبدًا .. ولكن إذا ذهبت إلى تروي، فستموت ..".

ماذا قرَّر (أخيل) في النهاية؟ إذا كنت تعرف القصة، فأنت تعرف الإجابة بالفعل. وإذا لم تكن كذلك، فيمكنك تخَيُّلها. كان ردُّه يتماشى مع أكبر مصلحة له - مع رغبته أن يصير مشهورًا على مدار التاريخ.

في لقطة أخرى في الفيلم يتفاجئ الناس بالقوة والطاقة التي يُظهرها أخيل في كل معركة، فيسأل أحدهم: "من أين تحصل على هذه القوة للقتال؟". لماذا تُقاتل؟ ماذا تريد؟ ردّه يكشف لنا حقيقة الأمر: "أُريد ما يريده بقية البشر: المجد". أنا فقط أُريدها أكثر من أي شخص آخر. "ماذا يريد (أخيل)؟" نفس ما يريده ابني الأصغر. نفس ما يريده حنانيا وسفيرة.

تمامًا ما يتوق إليه الذي يلتقط صورة Selfie أو مَن يُغيِّر سيارته أو ينشر الصور على Facebook؛ الشيء نفسه الذي يريده كل البشر: **المجد**. **الشهرة**. **التميُّز**. **القيمة**. (أخيل) فعل الشيء نفسه الذي نحاول القيام به جميعًا - حاول أن يستمد قيمته من رأي الآخرين فيه.

كما رأينا في الفصل الثاني، أعمق رغباتنا تمثل أقوى أشواقنا؛ كنز القلب الخفي. ما نعيش حقًا لأجله. على الرغم من صعوبة التعرُّف عليها، فهي المُحرك الحقيقي لأفعالنا. من ناحيةٍ أخرى، فإن **رغباتنا السطحية هي الوسائل التي نستخدمها لتلبية تلك الرغبات العميقة**، كما نرى في حالة (أخيل): المحارب العظيم، قد استخدم رغبته السطحية كوسيلة ليحقق من خلالها رغبته العميقة؛ أن يحظى على الاحترام والإعجاب لآلاف الأجيال.

بالطبع من السهل جدًا اكتشاف مدى وضوح هذا الصراع الداخلي في صورة (أخيل)؛ ومع ذلك، فإن التحدي الكبير هو أن أرى تلك الحقيقة في حياتي اليومية.

على الرغم من أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت للتعرُّف عليه، لكن إذا قمت بتحليل دوافع قلبك بالتفصيل، فسوف تدرك أن كل ما تفعله تقريبًا في الحياة يهدف إلى إثبات قيمتك: ملابسك، شخصيتك، ألقابك، رحلاتك، صفحتك الخاصة على Facebook، وحتى تكريسك في خدمة الله الذي من الممكن أن يكون مُتمركز أكثر حولك مما قد تكون على استعداد للاعتراف به. لنرى إلى أي مدى ترسخت هذه الديناميكية في قلبنا. اسمحوا لي أن أُقدم لكم مثالاً أقل وضوحًا، ولكن نمر به كل يوم.

قبل بضعة أيام، دار حديث بيني أنا وزوجتي، حيث كانت النقطة المركزية في مناقشتنا هي أنها تشعر بالإحباط مني بسبب (سأستخدم كلماتها الخاصة) "لا أُريد" مساعدتها في الأعمال المنزلية. حاولت أن أوضح أن نيتي هي مساعدتها، لكن لأسباب مختلفة لم أتمكن من القيام بذلك. هي لا ترى الأمر على هذا النحو، واستمرت في الإصرار على أني "لا أُريد" في القيام بذلك. الاستماع إلى هذه الكلمات قد تسبَّب لي بغضب عميق. شعرت بالإهانة، والأذى، وشعرت بأنني متهم بشكل غير عادل.

أُريدك أن تقرأ بعناية الكلمات النصّيَّة التي قلتها لزوجتي:

"أنتِ تجعليني شخصًا سيئًا. أنتِ لا تعرفي قلبي. أنا لست هذا الشخص الذي تدَّعين به (كسول). أردت المساعدة عن حق. ليس لديَّ مشكلة في المساعدة. فكرِك فيَّ بهذا الشكل يؤلمني". ماذا الذي أريد الوصول اليه من خلال هذه الكلمات؟ أن أُبرِّر موقفي! أحاول أن أُدافع عن كرامتي، وشكلي، ونيَّتي، وبالتالي قيمتي كشخص أمامها.

هل ترى الأمر برمَّته؟ لقد كانت حُجتي مع زوجتي متأصلة في عدم قدرتي على تبرير موقفي الذي قد تبرَّر بالفعل أمام الله. كأن رأيي أكثر أهمية من رأي الله فيَّ. عندما يحدث هذا، تصبح مزاياي، وليس مزايا المسيح ذات أكبر وزن في قلبي.

النتيجة؟ نشعر بضرورة الدفاع عن هذه المزايا! يجب أن أثبت استحقاقي لها (أو إلى أي شخص) أنني جدير بها، وأنني لست مَن تتهمونني به. ابني مانويل، حنانيا وسفيرة، أخيل وأنا؛ لدينا المعركة نفسها. نحن نحاول تبرير قيمتنا.

رد فعل دون المسيح	رد فعل في المسيح	
خلاف مع زوجتي	أتقبَّل اتهامات زوجتي	فعل مرئي
لا أُريدها تظن أني شخص أناني.	لا يفرق معي أن أُدافع عن كرامتي.	رغبة سطحية
أبحث عن رضا وقبول زوجتي لي.	أمتحن بصِدق رأيها، لأن المسيح قد قبلني.	رغبة عميقة
أنا مَن يُحدِّد هويتي: أتجادل معها حتى تقتنع برأيي، وأنها على خطأ.	أتلقى هويتي من المسيح: لذلك يهمني أكثر؛ كيف يراني المسيح.	فعل غير مرئي

لا يوجد أحد مَعفى. كلنا نبحث عن قيمتنا في رأي الآخرين. كما قلت من قبل، تُعلِّمنا ثقافتنا (وثقافتنا المسيحية الفرعية) ما هي الأشياء القَيِّمَة والمقبولة، وتستحق القيمة. **إن "عيون العالم" هي التي تعمل كقاضٍ لإملاء ما "يُبرِّر" قيمتنا ووجودنا.**

بالنسبة إلى (أخيل) كان يرى أن قيمته تتمحور حول كونه مُحاربًا عظيمًا. أما بالنسبة لفتاة قد ترى أن قيمتها هي الحصول على زواج سعيد (وستكون كارثة عندما لم تحصل عليه)، وبالنسبة لرجل أعمال يمكن أن يرى قيمته في السفر في الدرجة الأولى أو تحقيق نجاح منشود.

كلنا نحاول تبرير قيمتنا. ونحن نفعل ذلك في حفل عشاء، وحتى في الكنيسة. نحن باستمرار "نشتري" هذه العروض ونتعايش معها.

البحث عن القَبول من الآخرين يستعبدنا، ويتركنا فارغين

اقرأ هذه الايات من سفر صموئيل الأول ١٨: ٦- ٩ بتمعُّن: «وَكَانَ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ حِينَ رَجَعَ دَاوُدُ مِنْ قَتْلِ الْفِلِسْطِينِيِّ، أَنَّ النِّسَاءَ خَرَجَتْ مِنْ جَمِيعِ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ بِالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ لِلِقَاءِ شَاوُلَ الْمَلِكِ بِدُفُوفٍ وَبِفَرَحٍ وَبِمُثَلَّثَاتٍ. فَأَجَابَتِ النِّسَاءُ اللاَّعِبَاتُ وَقُلْنَ: ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رِبْوَاتِهِ. فَاحْتَمى شَاوُلُ جِدًّا وَسَاءَ هذَا الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: أَعْطَيْنَ دَاوُدَ رِبْوَاتٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَعْطَيْنَنِي الأُلُوفَ! وَبَعْدُ فَقَطْ تَبْقَى لَهُ الْمَمْلَكَةُ. فَكَانَ شَاوُلُ يُعَايِنُ دَاوُدَ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا».

ماذا حدث للتو؟ لقد فقَدَ الملك شاول (الرجل الأكثر إعجابًا، والأكثر احترامًا وبركة في العالم القديم بأسره) إحساسه بالشجاعة. كانت الأغنية البسيطة كافية لإظهار أن رأي الاخرين زائل وعابر وغير كافي لملء قلب الرجل بالكامل.

ماذا حدث بعد ذلك؟ إن فراغه يجعله يقع في دوامة الإدمان والشر. بدأ في مطاردة دون رحمة، كان أولها محاولة لقتل داود، الشخص الذي كان شاول حيًا بسببه! (فكِّر في الأمر: إذا لم يقتل داود جليات، لكانت إسرائيل قد هُزمت وأصبح الملك شاول أسير وقتيل).

هذه هي ديناميكية الإدمان: إذا نظرت إلى شيء خلقه الله، وسعيت لإشباع نفسك من خلاله، فسوف تشعر بالإحباط سريعًا، وستتخلَّى عنه بحكمة، أو ستعود إليه مرارًا وتكرارًا، وهكذا ستبدأ في النزول إلى طريق الإدمان. هذا الشيء الجديد سيهزك بنشوة عابرة، وسيوفر لك متعة مؤقتة، وسيوفر لك إحساسًا مؤقتًا بالرفاهية، وسيجعلك تشعر لفترة وجيزة بأنك أهم واحد في الكون، وسيجعل مشكلتك تبدو ضئيلة. كل شيء سيبدو كما لو كان في مكانه. كل شيء سيبدو جيد.

المشكلة، هي أن هذا الشيء المخلوق لا يملك القدرة على إرضاء وإشباع قلبك.

لم يكن مُصمَّمًا للقيام بذلك.

لا يمكن أن يعطيك السلام الداخلي.

لا يمكن أن يعطي قلبك الشبع والرضا. **لا يمكن** أن يُشبع شهيتك.

باختصار، لا يمكن أن يكون مُخلّص لك. وإذا نظرت خارج مُخلّصك عن شيء ما ليكون مُنقذك، فسينتهي بك الأمر، وسيتحوَّل من مُخلّص إلى مُستعبِد. ستحب الإحساس المؤقت، لكنك ستكرهه عندما يزول. ستشعر بضرورة الرجوع اليه ليعطيك الاحساس نفسه مرةً أخرى بسرعة بعد وقتٍ قصير. ستقضي الكثير من الوقت والطاقة والمال على شيء لا يُشبعك، ولكن لما فعله لفترة وجيزة في أوقات أخرى. ستقنع نفسك أنك لا تستطيع العيش بدونه. ستكون مُحَاصرًا ولن تعرف. ما كنت تريده من قبل، أصبحت الآن مقتنع أنك في حاجة إليه، وبمجرد أن تُعلن أنه ضرورة، تُفاجئ أنك قد حوصرت ...

كلنا مدفوعون بإحساس البحث عن الهوية والسلام الداخلي، ونوع من المعنى والهدف. كلنا نبحث في مكانٍ ما. ولكن هنا يَكمُن جوهر الأمر: السعي وراء هذا الشيء المخلوق، ليعطينا ما يمكن أن يُقدمه الخالق، فقط سيؤدي دائمًا إلى نوع من الإدمان. ما كنت تأمل أن يخدمك، سينتهي بك الأمر إلى خدمته. ما بدا أنه سيمنحك الحرية، سينتهي به الأمر إلى العبودية. **المشكلة ليست في الأشياء، ولكن ما تتوقعه من الأشياء.**

رأي الآخرين لا يكفي

على الرغم من أننا (مثل شاول) العالم على أقدامنا، إلا أننا سنبقى خالين إذا قمنا باستمداد إحساسنا بالقيمة والأمان من ما تُقدمه الخليقة. عندما توفى الملياردير الشهير/ جون روكفلر في عام ١٩٣٧، كان لديه ثروة إلى ما يعادل الآن من ثلاثمائة وأربعين مليار دولار. هذا أكثر من أربعة أضعاف ثروة بيل غيتس. عندما سأله أحد الصحفيين: "كم من المال يكفي؟" كان ردّه: "أكثر من هذا قليلاً".

الحقيقة واضحة جداً. هذا لا يكفي أبدًا.

ليس هناك ما نبحث عنه بشدة في العالم، يمكن أن يُلبي احتياجنا.

ما هو مفتاح التغيير؟ أن أعرف كيف أحاول أن أتغيَّر.

ما هي الطرق التي أحاول إظهار قيمتي من خلالها؟

ما هي الإنجازات التي قمت بها؟

كيف يمكنني استخدام شيء تم صُنعه أو خلقه لأشعر بالقيمة والتقدير؟

يمتلئ القلب عندما أتيقن من أني مُبرَّر أمام الله

ما أبحث عنه بشدة في العالم، يريد الله أن يمنحني إيَّاه مجانًا في المسيح؛ إنه جزء من "الميراث" الخاص بي. لهذا السبب، (أي - لأنه شيء أتلقاه عندما أكون مُبرَّر) - وجود هوية حقيقية، هو نتيجة لذلك. إنها نتيجة لِما فعله المسيح بالفعل. إنها نتيجة الشعور بالتبرير في نظر الآب. إنه نتاج تقديس رأي الله على رأي الإنسان. إنه تقدير قيمة التبرير أمام الشخص الذي يهمه الرأي حقًا.

كيف يمكن أن نُحدِّد، إذن، هويتنا؟ لهويتنا كمسيحيين وجهان، تمامًا مثل "العُملة" غير قابلين للتجزئة، ومتساويين في الأهمية: من ناحية، أنا انسان يعاني من صراعات هائلة، وأحتاج إلى التغيير، لكن من ناحية أخرى، أنا مُخلَّص ومحبوب ومقبول في المسيح رغم نجاستي.

طرق عديدة لوصف هوية محورها هو المسيح:

- **أنا** خاطيء قد تم تبريره. على حدٍ سواء.
- **أنا** مدمن قد تم قبوله. على حدٍ سواء.
- **أنا** زاني قد غُفرت خطاياه. على حدٍ سواء.
- **أنا** عاصي قد افتقدته النعمة. على حدٍ سواء.
- **أنا** شخص يُعاني من عيوب كبيرة، ولكني محبوب ومقبول على الرغم من هذه العيوب. على حدٍ سواء.

إنه من دواعي سروري أن ينظر الله إليَّ وهو راضٍ تمامًا.

إلى جميع هذه الأوصاف، يمكننا إضافة هذه الجملة في النهاية: "**وأنا ما زلت في عملية تغيير**".

الليلة الماضية، بينما كنت أكتب، اقتربت زوجتي إليَّ بإحساس مليء بألم وتواضع، وقالت: "أشعر إني لا أُحب مَن حولي بمشاعر حقيقية". (بكل صِدق وإخلاص وموضوعية، يصعب عليَّ جدًا العثور على شخص مُحب مثل زوجتي "آني". لا أعتقد أنه مجرَّد رأيي أنا فقط أو إني أحاول أن أُحسِّن الموقف، ولكن أي شخص يعرفها سيتفق معي. إنها شخص مُحب عن حق).

إذن ماذا حدث؟ لماذا تقول هذا؟ لأن الله يعمل في قلبها ويساعدها لتُدرك هويتها في المسيح، حتى تُحرِّر نفسها من الحصول على هوية تستند إلى مدى صلاحيتها. كيف يفعل الله هذا؟ عندما يُذكِّرنا بالإنجيل - يُظهِر لنا حقيقتنا في بُعدٍ جديد (تدرك امرأة مُحِبَّة للغاية، أنها لا تحب عن حق)، ولكن في الوقت نفسه، يُظهِر لنا حبه بكثافة جديدة (الآب الطيب يَهَب نفسه لنا، حتى نتغيَّر إلى الصورة التي لسنا عليها بعد)[1].

امتلاك هوية مبنية على عمل المسيح يعطيك الحرية.
إنها تتيح لك إمكانية قبول شخصيتك كما هي
(دون الحاجة إلى إخفاء أو تغطية عيوبك).
كما تتيح لك أيضًا التمتع الكامل الذي أصبح نتاج تضحيات المسيح.

هذه الديناميكية المزدوجة، عندما يتم تقديرها وتصديقها تُطلِق "قوة" لا توصَف من الحب تجاه الله والآخرين. **كما قال السيد المسيح** في يوحنا ٨: ٣٢ «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (أي إنك ستُقدِّر الإنجيل، والحقيقة ستُحررك). اسمحوا لي أن أوضح هذه الحقيقة من خلال قصة.

أوَّد منك أن تتخيَّل للحظة أنك تقود ليلاً على طريق مقطوع. الوقت متأخر، والرؤية محدودة جدًا. ومع ذلك، أنت تعلم أن مباراة كرة القدم التي كنت تنتظرها أو برنامجك

---

[1] إذا نظرت إلى لوقا ٧: ١- ١٠، سترى أنه من المُذهل للغاية، مقارنة رأي الناس عن قائد المئة الروماني، مع رأيه عن نفسه. عندما ذهب يسوع ليشفي خادم قائد المئة، يقول لنا الكتاب: «فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ قَائِلِينَ: إِنَّهُ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هذَا» (لوقا ٧: ٤). ومع ذلك، عندما اقترب يسوع من بيته؛ قال قائد المئة (مثل زوجتي) العكس تمامًا عن نفسه: «يَا سَيِّدُ، لاَ تَتْعَبْ. لأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي» (لوقا ٧ : ٦). «وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هذَا تَعَجَّبَ مِنْهُ، وَالْتَفتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا» (لوقا ٧: ٩). **فشفى يسوع الغلام**.

التلفزيوني المُفضَّل سيبدأ في وقتٍ قصير، فتجد نفسك أمام اختيار صعب. تتفقد باستمرار الوقت على هاتفك المحمول، لأنك ترغب في الوصول إلى المنزل قبل أن تبدأ المبارة.

ينتابك القلق تدريجيًا، فتسوق بشكلٍ أسرع .. وأسرع .. وأسرع. فجأةً، وبدون وجود أية علامات، يعبر طفل صغير في منتصف الطريق وتدهسه بالسيارة. فتركن جنب الرصيف، وتنظر إلى الطفل الملطخ بالدماء مُلقى على الطريق، وتظل غير قادر على تصديق ما قمت به. بينما تبكي بشكل غير معقول، ترغب الرجوع إلى الدقائق السابقة لتُغير مصير الأحداث. بعد ما فعلته للتو، تدرك أن لعبة كرة القدم أو البرنامج الذي كنت ترغب في مشاهدته لم يعودوا ذات أهمية. كل ما يمكنك فعله هو النظر إلى الطفل الذي يحاول أن يتنفس أمامك. كلمة واحدة تصف حالة قلبك الآسي.

لا يمكنك تصديق ما فعلت بسبب أنانيتك. ومع ذلك، فبينما تُمسك الطفل بين ذراعيك، تشعر بيد حنونة على كتفك. تجد شخص يقف بجوارك ويُحيطك بيده، وعلى عكس ما يتوقعه أي إنسان، يُعانقك ذاك بمَوَدَّة أثناء النظر إلى الطفل.

لا يمكنك تصديق أن شخصًا ما يمكن أن يُظهِر لك هذا التعاطف بعد ما قمت به. لا يوجد أي غضب أو إدانة في نظرته لك. كلمة واحدة تَصِف موقفك. التفاهم. أنت في حيرة لأن هذا الشخص يمد يديه إلى الطفل ويقول: "سأصنع كل شيء جديد". وفجأةً، بينما لا تزال على ركبتيك لترى ما يحدث، يفتح الطفل عينيه. قد شُفي من جميع جروحه. ثم تجد نفسك مُنهار في البكاء دون القدرة على كبح دموعك. لكنك لا تبكي على لعبة كرة القدم، أو لأنك لن تذهب إلى السجن.

لا! أنت تبكي لأمرين مختلفين للغاية: أنت تبكي على ما قمت به للتو، وتبكي على ما فعله هذا الرجل. وفي اندفاع، ودون القدرة علي السيطرة على مشاعرك، تجد نفسك بين ذراعيه في عناق يُغيِّر حياتك، ويشفي خطيتك. شكرًا! شكرًا! شكرًا! هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنك قوله أثناء البكاء. ثم بعد بضع ثوانٍ، بينما تزال بين ذراعيه، تشعر أن هذا الرجل بدأ يفقد قوته وينهار عليك. حينئذٍ تفهم أنه قد تحمَّل خطيتك بالكامل، ولكن هذا قد كلَّفَهُ حياته.

اقرأ بعناية كلمات بولس الرسول في رومية ٨: ١٥- ١٧: «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الآبُ. اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ

لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ ...»
ما هو العمل الرئيسي للروح القدس وفقا لهذه الآية؟ **دور الروح القدس، هو أن ينتزع منك الخوف**. اِقرأ النص بعناية.

من المُفترض أن تجد نفسك ترى الله كسيد، وترى نفسك كعبد.

كيف تكون علاقة العبد بسيده؟

علاقة مليئة بالخوف والرهبة!

يحاول العبد فعل كل ما هو ممكن لإرضاء سيده. لماذا؟ لأنه يعلم أنه إذا فعل شيئًا لا يُحبه سيده، فستكون هناك عواقب. النتيجة: الشعور بالخوف أو انعدام الأمان أو محاولات يائسة لتغطية أو تبرير أي خطأ أو فشل. (كما حدث عندما كنت أتجادل مع زوجتي، كنت عبدًا لرأيها).

يقول بولس: "ليست هذه هي الطريقة التي يجب أن تتصل بها بالله!

يريـد الروح القدس أن يُظهِر لك شيئًا آخر. أنت ابنه! كيف يُريني الروح أنني ابنه؟" فهو لا يخفي أو يغطي ما قمت به، بل العكس هو الصحيح!

الروح يُظهِر لي ما قُت به، لكن لا يتركني مُستلقيًا في منتصف الطريق لِأرى بإلحاح إخفاقاتي الفظيعة.

الروح يُظهِر لي ما قمت به، حتى أتمكن من رؤية مستوى الحب غير المشروط، والقبول الذي لديَّ، نتيجةً لِمَا فعله المسيح!

إنه يُذكّرني بالإنجيل! يجعلني أُقدِّر عمل الابن. يسمح لي أن أرى كيف تبرَّرت.

الروح لا يقنعك بأنك سيئ، وأنك يجب أن تكون صالحًا، (هذه هي **روح العبودية**).

الروح يقنعك بأنك لا تستطيع أن تكون جيدًا، ولكن مع ذلك، فأنت مقبول ومحبوب ومُعَامَل كابن، (هذه هي **روح التبني**).

ما هو المفتاح لتبَنِي هوية صحية؟ أن أستفيد وأثبت في ميراثي. أن أُقدِّر نتائج تبريري. استمتع بمحبة الله غير المشروطة. أن أعيش مثل الابن. ابني توماس لا يسألني: "أبي، هل ستُطعمني اليوم؟" لا يقول لي: "أبي، هل تعطيني ملابس لارتدائها اليوم؟ هل يمكنني

الجلوس على الطاولة مع بقية أفراد الأسرة اليوم؟ هل يمكنني استخدام سريري ليلاً اليوم؟" هو ابني، ويعيش على هذا النحو! إنه يعرف أنه في المنزل، ويتمتع بهذه الحقيقة[٢].

"جميلٌ جدًا. كيف يمكنني تطبيق هذه الحقيقة في حياتي اليومية إذن؟ ما الآثار المُترتبة على ذلك؟". سأترك تيم كيلر يُجيب على هذا :

إن الإنجيل، إذا كنت تؤمن به حقًا، يساعدنا على التغلُّب على هذا الاحتياج المُلّح للقلب البشري. نحن بحاجة إلى أن نحظى بالاحترام المستمر، والقبول والشعور بالحب والتقدير مِن مَن حولنا. نحن بحاجة للسيطرة على حياتنا دون تدخل أي شخص آخر فيها. نحن نسعى إلى ممارسة السلطة على الآخرين حتى نحظى على احترام الناس.

إذا كانت صورة فرح إلهنا الذي يملأ كياننا (إشعياء ٦٢: ٥؛ صفنيا ٣: ١٤؛ التثنية ٢٣: ٥؛ ٣٠: ٩) هي بالنسبة لنا مجرد مفهوم، إذن احتياجاتنا سوف تطغى وتُحدِّد سلوكنا. لأنه **بدون قوة الروح، لا تؤمن قلوبنا حقًا بفرحة أو نعمة الله**، لذا فهي تعمل افتراضيًا. لكن حقائق الإنجيل التي يجعلنا الروح نفهمها شيئًا فشيئًا، ولكن بحزم، تساعدنا على أن نفهم بطريقة جديدة مدى السلام والحماية، وكيف نحن محبوبون ومقبولون في المسيح. **من خلال الإنجيل نبني هويتنا، ليس على ما حققناه، ولكن على ما تم تحقيقه لنا في المسيح.**

---

[٢] أُحب حقًا كيف يُعرِّف تيم كيلر "التبرير": أن أكون مُبررًا يعني أنه قد تم قبولي أمام شخص أُريد إرضاءه. ما الذي يفعله صبي أو فتاة على وشك التقابل على موعد؟ يهتمون بمنظرهم كثيرًا! يرتدون أفضل ملابسهم وأحذيتهم، وأفضل عطورهم. يحاولون تغطية عيوبهم، وتسليط الضوء على فضائلهم. لماذا؟

الجواب واضح للغاية: لأنهم يريدون أن يظهَروا بشكلٍ جيد، يريدون أن يكونوا أنيقين، يريدون أن يكونوا مقبولين أمام شخص يريدونه. هذا هو السبب في "تغطية" عيوبهم، والتخلُّص من أي شيء قد يحرجهم. يحدث الشيء نفسه عندما تكتب سيرتك الذاتية، تضع أفضل ما عندك! (وتخفي أو تحذف ما قد يحرجك). تريد أن تكون مقبولا في فرصة العمل تلك، وبالتالي، تُظهِر أفضل ما لديك. علاقتنا مع الله لا ينبغي أن تعمل بهذه الطريقة. لماذا؟ لأن التبرير يُغيِّر هذه الديناميكية. نعم، نعلم أننا يجب أن نقف أمام قاضٍ مُقدَّس وعادل.

نحن نعلم أننا لسنا ما يجب أن نكون. ومع ذلك، نعلم أيضًا أن المفتاح لا يتمثل في تغطية أو إخفاء نجاستنا؛ ولكن الحقيقة هي أن بر المسيح أصبح الآن لنا.

أن أكون مُبررًا، هو أن يراني الشخص الذي أحاول إبهارُه على أفضل حال. نتاج عمل المسيح؛ يراني الله بشكل مختلف. لم يَعُد يراني كما من قبل. ما زلت مَن أنا، (خاطئ)، ولكن أمام عينيه أنا شخص لا يمكنني أن أكون (عادل) أبدًا دون عمل المسيح. هذا الواقع يجعلني مقبول، وهذه الحقيقة لديها القدرة على تغييري.

لقد اكتسبت هذه الأفكار من https://gospelinlife.com/downloads/justified-sinners ٥٨٩٦-/

وعندما يصل الإنجيل إلى قلوبنا (راجع أفسس٣: ١٦- ١٩) ويُشبِع هذا الاحتياج المولود بسبب الخطية، سيُدمر المُحرِّك الداخلي الذي يُولِّد السلوك الخاطئ. إذن لن نشعر بالحاجة إلى الكذب لأن سُمعتنا ليست مهمة بالنسبة لنا. لا نرُّد بعنف على خصومنا، لأنه لا يمكن لأحد أن يلمس كنزنا الحقيقي. يقضي الإنجيل على الكبرياء والخوف اللذين يحفزان التغيير في السلوك الأخلاقي.

يقضي الإنجيل على الكبرياء لأنه يُخبرنا أننا ضائعون، لدرجة أن يسوع كان يجب أن يموت من أجلنا.

كما أنه يقضي على الخوف لأنه يُخبرنا أن لا شيء نقوم به سيُقلّل من حُب الله تجاهنا. عندما نَثبُت في هذه الحقائق، فإن قلوبنا لا تكون تحت السيطرة فقط، بل تتحول؛ يتغيَّر اتجاهها الأساسي.

قبل عدة سنوات، قال تشارلز هادون سبرجن، أحد أعظم الوعاظ في التاريخ: "لا أعرف ماذا سيحدث لبقية إخوتي، لكن في بعض الأحيان أتساءل عمَّا إذا كان لديَّ أي حب للمُخلِّص".

"منذ سنوات عديدة مضت، قال بولس: «وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رومية ٥: ٨). عندما يُنير الروح القدس قلوبنا، يحدث شيئان عظيمان: من ناحية، يُتيح لنا رؤية مَن نحن (كما فعل مع سبرجن، وكما فعل مع زوجتي). ولكن من ناحية أخرى، يُتيح لنا رؤية مَن هو (ويُظهِر لنا مرةً أخرى أنه يحبنا على الرغم من حقيقتنا)".

فقط من خلال هذه الحقيقة المزدوجة، تنتج هوية مبنية على المسيح، وليس على مزايانا أو عيوبنا أو على انتصاراتنا أو سقوطنا أو على طاعتنا أو عصياننا. نُقدِّر الحب الذي أظهره لنا المسيح على الصليب.

يقول لنا هنري نيون: "يميل سعينا الهائل للحصول على القبول والإعجاب والشعبية، إلى الخوف من أننا قد نكون بدون قيمة اذا لم نحصل على هذا. يمكن أن نُسمّيها "تجارة" الحب. لا يمكن إعطاء شيء مقابل لا شيء. ولا حتى الحب".

والنتيجة، هي أن حالتنا الذهنية تجعلنا نعيش كما لو أن قيمتنا كبشر تعتمد على طريقة تفاعل الآخرين معنا. نحن نسمح للآخرين بتحديد مَن نحن. نعتقد أننا جُمال إذا اعتقد الآخرون أننا هكذا. نعتقد أننا أذكياء إذا اعتبرنا الآخرون كذلك؛ نعتقد أننا مُتدينون إذا اعتبرنا الآخرون كذلك.

بهذه الطريقة نبيع روحنا للعالم. لم نَعُد نملك منزلنا. أصدقاؤنا وأعداؤنا يُقرِّرون مَن نحن. لقد أصبحنا لعبًا لآرائهم الجيدة أو السيئة.

إذا كنا نؤمن إيمانا راسخا بالحب غير المشروط الذي لدى الله من أجلنا،

فلن نحتاج إلى البحث عن طرق لنُعجِب بها الناس،

ولن نحتاج حتى إلى اجتذاب تلك الأشياء مِن مَن حولنا **لأن الله يريد أن يعطينا بوفرة.**

لفترة طويلة كنت أظن أن التواضع فضيلة. لكنني الآن أدركت أن الخطية الحقيقية هي إنكار محبة الله لي، وتجاهل قيمتي الشخصية. لأنه بدون الاعتراف بهذا الحب الأول، وهذه القيمة، أفقد الاتصال بقيمتي الحقيقية، وأبدأ في البحث في الأماكن الخاطئة عمَّا يمكن العثور عليه فقط في منزل الأب.

في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٤: ٣، ٤ (DHH)، يؤكد بولس: «وَأَمَّا أَنَا فَأَقَلُّ شَيْءٍ عِنْدِي أَنْ يُحْكَمَ فِيَّ مِنْكُمْ، أَوْ مِنْ يَوْمِ بَشَرٍ. بَلْ لَسْتُ أَحْكُمُ فِي نَفْسِي أَيْضَ. فَإِنِّي لَسْتُ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ فِي ذَاتِي. لكِنَّنِي لَسْتُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا. وَلكِنَّ الَّذِي يَحْكُمُ فِيَّ هُوَ الرَّبُّ».

في هذه الفقرة يُعلن بولس بيانًا مُذهلاً. إن رأي أهل كورنثوس عنه لا يهمه. ورأي بقية العالم عنه لا يقلقه. في الواقع، إنه لا يقع حتى في فخ تقييم نفسه بناءً على رأيه الخاص. (هل أنا جيد؟ هل أنا سيئ؟ هل سيُسعدني الله؟).

الرأي الوحيد الذي يُفكِّر فيه، هو رأي الرب.

ولكن ما هذا الرأي؟ كيف يحكم الله عليه، ويحكم علينا؟

في المسيحية، نؤمن في الوقت الحالي بما يقوله الله عنا: «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». (رومية ٨: ١ DHH) هذا هو رأيه فينا! يُعبِّر عنها

تيم كيلر في سؤال لذيذ: "هل تدرك أنه فقط، في إنجيل يسوع المسيح، تحصل على المكافأة قبل تأدية دورك؟".

في المسيحية، في اللحظة التي نؤمن فيها، يعتبر الله عمل المسيح الكامل كما لو كان مِلكنا، ويتبنَّانا في عائلته.

بعبارة أخرى، يمكن أن يُخبرنا الله كما قال ذات مرة للمسيح: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مرقس ١١: ١).

سترى أن الحكم قد صدر،
والآن أنا أعمل على أساس الحكم لأنه يُحبني ويقبلني.
أنا لا أحتاج لفعل شيئًا لأحمي سيرتي الذاتية.
ليس عليَّ فعل أشياء لِأُحسِّن من صورتي.
يمكنني أن أفعلها فقط، من أجل فرح القيام بها.
يمكنني مساعدة الناس دون الشعور بضرورة إرضائهم
حتى تتحسن صورتي أمام نفسي
أو حتى لِأملأ هذا الفراغ.

في المسيح، يمكننا (مثل بولس في كورنثوس) تَحمُّل النقد دون أن يدمرنا.

في المسيح يمكننا تَحمُّل رفض العالم دون أن نشعر أننا أقل قيمة.

فبفضل عمل المسيح وهويتنا فيه، يمكننا أن نتوقف عن تقييم أنفسنا باستمرار، ومقارنة مستوانا إلى المعيار الذي يضعه لنا العالم أو الكنيسة أو آبائنا أو زملائنا في العمل أو أنفسنا، أو كما نظن الله نفسه. لأن المسيح ذهب للمحاكمة بدلاً عنا، وتحمَّل دينونة الخطية - صُلِبَ على عود الصليب مكاني ومكانك.

يمكننا الآن ترك كل الديون، والتوقف عن الاستماع إلى أصوات كل من العالم، وأصواتنا الداخلية التي تحاول تقييمنا في ضوء ما نقوم به. يجب أن يكون الجواب على هذه الأحكام اليومية هو رد بولس: «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ».

إن مفتاح الوصول إلى هوية تتمحور حول المسيح، ليس التفكير في نفسي بشكلٍ سيئ (الشعور بالذنب الشديد لأجل الخطية) أو التفكير في نفسي بشكل جيد (الشعور بالرضا

الشديد لطاعتنا)، إنما **المفتاح هو أن نفكر أقل في أنفسنا، وأكثر في ما قد فعله المسيح من أجلنا.** فَهْم هذه الحقيقة، والاستمتاع بها، وكما قال يسوع، معرفة هذه الحقيقة، هو ما سيجعلنا أحرارًا (يوحنا ٨: ٣٢).

يقول بول تريب: "فقط عندما نضع ثقتنا في الرب - أي في غفرانه المستمر وتدعيمه لنا، يمكننا أن نتحرك نحو النور دون خوف مما يتعيَّن علينا مواجهته. عندما نؤمن حقًا أن نعمته قد غطت بالفعل كل ما يجب أن نعترف به، ومنحتنا القوة لنخضع لكل تغيير يجب أن نمر به، فلن نخشى العيش".

تغيير نقطة التركيز .. رأي جديد!

تغيير الهوية والحرية الحقيقية، يحدثان عندما يكون رأي الله أكثر أهمية من رأي البشر. هويتك هي نتيجة سعيك جاهدًا للتغلُّب على رأي الناس، أو نتيجة فرحة الله بك بسبب عمل المسيح. **الأول** يتركك مُدمن وفارغ. **أما الثاني** يُحوِّلك إلى شخص يشعر بالآمان. لماذا؟ لأنه لا يمكن لأحد أن يسلب الحب الذي يشعر به الله تجاهك.

أحد المقاطع التي أشرت إليها في هذا الكتاب هو متى ٦: ١ ليس صدفة. أعتقد أنها آية مليئة بالمعانى. اسمحوا لي بإعادة كتابتها حتى تتمكن من التأمل جيدًا حول كيف تنتهي. «احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». النص واضح جدًا. إذا أردت الحصول على مكافأة من الله، يجب أن تعيش وفقًا للحقائق التي كنا نُحلِّلها. **يجب أن يكون الله هو الجمهور الذي أحاول أن أُرضيه، وصليب المسيح هو موضع فخري** (غلاطية ٦: ١٤).

لكنني أُريدك أن تلاحظ شيئًا؛ يُكرِّر يسوع ثلاث مرات في هذا الجزء من متى ٦: قدِّم ذبيحتك في السر «وأبيك الذي يرى في الخفاء، سوف يُجازيك» (متى ٦: ٤). اجعل صلاتك سرًا، «وأبيك الذي يرى في الخفاء، سوف يُجازيك» (متى ٦: ٦). صُم في السر، «وأبيك الذي يرى في الخفاء، سوف يُجازيك» (متى ٦: ١٨). ما هي تلك المكافأة التي وعد بها يسوع؟

إذا قمت بدراسة متى ٦ بالتفصيل، ستلاحظ أن النص لا يوضح ما هي أو كيف تكون هذه المكافأة. ولا يبدو أنه يُشير إلى ما إذا كان شيئًا حاضرًا أم مستقبلاً. (تستخدم بعض

التفاسير بشكل غير صحيح عبارة "سوف يكافئك في الأماكن العامة"؛ العبارة التي ليست جزءًا من الأصل، نظرًا لأنها غير موجودة في أقدم المخطوطات).

ومع ذلك، على الرغم من أن الآية لا تبدو واضحة بشأن ماهية هذه المكافأة، إلا أنه في نهاية كل مثال من الأمثلة، يترك يسوع فكرة تسمح لنا بالتعرف على ما يتحدث عنه. هل تريد أن تعرف ما هو؟ استعد .. لأنه شيء رائع ومُذهل ولا يُصدَّق. هذا هو ما يبحث عنه الجميع، وفقًا لعلماء النفس، ولا يستطيع أحد العثور عليه.

المكافأة التي يتحدَّث عنها يسوع، هي أن نحصل على قلب مُتحرِّر من عبودية إرضاء الآخرين، ويجد ارتياح وشِبَع في واقع أن "الآب" يراه. اسمح لي أن أقولها بشكل أقصر؟ **هو أن أتحرَّر من إرضاء الأخرين!** بالنسبة للشخص الذي يَصفه يسوع في متى ٦، فإن **الله يكفي!** نظرة الآب تكفي! عيون الله، هي كل ما يحتاجه!

ما يُقدمه يسوع هو معجزة. هو ما لا يمكن لأحد تحقيقه. (وهذا هو السبب في أنها "مكافأة"؛ شيء يمنحه الله لنا). ما يقوله يسوع، هو أن الاستمتاع بالله (والتمتع بحقيقة أنه يحبني في المسيح على الرغم من حقيقتي) يُولِّد هوية جديدة، وإحساسًا عميقًا بالشجاعة لا مثيل له لدرجة: أنني لم أَعُد بحاجة إلى الحصول على موافقة الآخرين!

إن علاقتي الحميمة والشخصية والسرية مع الله مُشبَعة جدًا، فهي بمثابة "مكافأة" ("مكافأة" أحصل عليها عندما أعيش في المسيح) يَعدني يسوع بنوالها، فهي مُماثلة لتلك الموعود بها في يوحنا ٨: ٣٢ «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُم».

التغيير، عملية وليس حدَثًا

منذ بعض الوقت، قامت زوجتي؛ مصفف الشعر الرسمي في منزلنا، بقص شعر أحد الأولاد بشكلٍ خاص. كان سعيدًا جدًا بقصته الجديدة، حتى سخر منه أحد أصدقائه. ماذا حدث بعد ذلك؟ شعر بالسوء لدرجة أنه ذهب إلى المدرسة مع قبعة. لم تنتهِ المشكلة هناك، لكن عندما عاد من المدرسة، لم يكن يريد الذهاب إلى تدريباته الأسبوعية لكرة القدم، ولم يرغب في الخروج واللعب مع أصدقائه في الحي. يحب ابني اللعب مع أصدقائه، لذلك كان من الواضح جدًا أن قصة شعره الجديدة هي السبب ..

عندما أدركت ما كان يحدث، ذهبنا إلى غرفته، وجلسنا على سريره، وسألناه: لماذا لا يريد الذهاب. أجاب ببساطة: أنه لا يريد أن يذهب. ثم قلت، مع الكثير من المودة: "يا ابني، هل أنت خائف من أنهم سوف يضحكون عليك بسبب حلاقة شعرك؟". هز رأسه. في تلك اللحظة بدأت أتحدث معه بشكل أعمق . حاولت أن أوضح أن قلوبنا هي مثل فنجان، نحاول أن نملأه بحب الآخرين، لكن يسوع قادرًا على ملئه بالكامل بحبه.

ثم سألته: "يا صغيري ، ماذا يفكر أبيك في قصة شعرك الجديدة؟" أجاب: "أنت تحبها يا أبي". ثم قلت، "يا صغيري، ماذا يفكر يسوع في قصة شعرك؟". أجاب: "إنه يحبها أيضًا يا أبي". ثم قلت هذا: "يا حبيبي، هل ترى تلك الصورة لكابتن أمريكا التي قمت بتعليقها على الحائط؟ ما الذي سيُصيبك إذا حاولت ضربك، وأنت تحمي نفسك بدرع كابتن أمريكا؟". "لا شيء". "هل سيؤلمك؟". "لا يا أبي". "ماذا لو حاولت إطلاق النار عليك بمسدس؟". "لن يحدث شيء يا أبي. الرصاص لن يُصيبني لأن درع الكابتن سيحميني".

"هذا هو ما يريد يسوع فعله في قلبك يا صغيري! يريد أن يكون درعًا من حولك" ضد رأي الناس أو ذمهم.

في الحياة، ستقابل دائمًا أشخاصًا يريدون أذيَّتك أو سيُخبرونك بأشياء بشعة. لكنه يريدك أن تستمتع بحبه بهذه الطريقة. إذا كان الآخرون لا يُحبونك أو يقولون شيئًا مؤذي عنك، تيقن أن "رصاصاتهم" لا تُصيبك لأنك مَحمي بدرع الله! هل تفهم يا ولدي الصغير؟ هز رأسه.

ثم أعطيته عناقًا كبيرًا، وصلَّينا من أجل أن يملأ يسوع قلبه بحبه. عندما انتهينا من الصلاة، سألته على أمل جديد: "يا حبيبي، هل ترغب في اللعب خارج المنزل مع أصدقائك؟". أجاب: "لا".

سأكون صريحا معك. مع القليل من خيبة الأمل، صارعت مع نفسي إذا كان ينبغي إجباره على الذهاب مع أصدقائه أم لا. وأخيرًا قررت عدم القيام بذلك. لماذا؟ لأنني بدأت أتذكر أعمق صراعاتي مع هويتي الخاصة. كيف سيكون الأمر بالنسبة لي إذا صعدت على المنبر للتبشير بقصة شعر لا أشعر بالارتياح فيها؟ أو ربما المشي دون بعض من ملابسي أمام الكنيسة؟ أو الوعظ الرسالة نفسها في أحدين على التوالي؟ (أسوأ كابوس لي أن أكون عشوائي!).

إن **العيش في ضوء ما نحن عليه في المسيح، هو عملية نمو تدوم مدى الحياة، وليست لحظة نور تُغيرك إلى الأبد.** نعم، صحيح، كلنا نشعر في مرحلةٍ ما من تجربتنا المسيحية بأننا "مُتأثرون" من طرق تعامل الله معنا. لدينا جميعًا لحظات أو أكثر عندما نشعر أن حبه يأسر قلوبنا. ربما اختبرت هذا الحب عندما قبلت المسيح، أو ربما لاحقًا. هذه اللحظات مُميَّزة للغاية، ونعتقد دائمًا أن تأثيرها سيستمر في قلوبنا إلى الأبد. لكن الحياة المسيحية والكتاب المقدس يوضحان لنا أنه ليس كذلك.

نحن نعيش في عالم ساقط مع قلب فاسد. **لن يكتمل تقديرنا لعمل المسيح إلا عندما نُمَجَّد.** حتى ذلك الحين، كما يُصلّي بولس في أفسس ١: ١٨، ١٩، نُصلّي ونطلب معرفة المزيد عن شخصه، لكننا نعرف أن "الكفاح من أجل الفرح" - كما يُعرِّف جون بايبر، الحياة المسيحية - هي صراع، عملية، مهنة (١كورنثوس ٩: ٢٤- ٢٩). هذا الواقع، بعيدًا عن إحباطنا، هو مصدر أمل كبير.

لا يمكنك أنت ولا أنا العيش في كل لحظة من حياتنا بما يتوافق مع هويتنا؛ لكن أنت وأنا نسير في هذا الاتجاه، ونحصل على المزيد والمزيد من "الميراث". كما قال أحدهم ذات مرة: "أنا لست الشخص الذي يجب أن أكونه. أنا لست الشخص الذي يمكن أن أكونه. أنا لست الشخص الذي أوَّد أن أكونه؛ لكنني لست نفس ذات الشخص كما كنت أمس؛ وبفضل الله أنا ما أنا عليه الآن".

بطرس، مثال مُحبِط، ولكنه مليء بالتشجيع

أوَّد أن أطرح عليك سؤالًا أخيرًا قبل الانتهاء من هذا الفصل: ما هي الخطية التي تُدمر حياتك الروحية؟ أرجو منك التوقف، والتأمل فيها للحظة. ربما تفكّر في بعض الخطايا المُتكررة، أو نضال واضح وصعب التخلُّص منه. ولكن، اسمحوا لي أن أُقدِّم لكم بديل.

الخطية الأكثر بشاعة وتدميرًا، ليست هي التي نُكرِّرها طوال الوقت، بينما هي التي لا نراها. هل تتذكَّر الشاب الغني؟ «هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟». يقول له يسوع: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». وبعبارة أخرى: "دعني أُريك الأنانية التي لا تستطيع رؤيتها. هذه هي مشكلتك الكبرى، والأمر الذي يبعدك عني".

واحدة من الحالات التي تدهشني كثيرًا في هذا الصدَد هي حالة الرسول بطرس. بعد أن أخبر يسوع جميع تلاميذه بوضوح: تشكُّون فيَّ في هذه الليلة، لأنه مكتوب: إني أضرب الراعي فتتبدَّد الخراف (مرقس ١٤: ٢٧) ظل رد بطرس: «وإن شك الجميع، فأنا لا أشك» (مرقس ١٤: ٢٩). وهو يعني: "أنا بطرس. أنا صخرة. أنا مختلف عن الآخرين. أنا لا أُغيِّر كلامي". بكلمة ابني الأصغر: "أنا Total Pro".

إذا كنت تقرأ الأناجيل، وتدرس حياة بطرس بالتفصيل، فستخلُص إلى أن هذا الرجل هو قائد عن حق؛ شخص ذو شخصية، رجل مُندفع لا يبدو أنه يهتم بما يعتقده الآخرون. كان غير مهتم، وغير مبالي (مثل ابني الصغير) أن يصرخ بصوتٍ عالٍ أنه مختلفًا عن البقية. (إذا نظرت إلى مرقس ١٤: ٣١ ستلاحظ أن بقية التلاميذ فكَّروا في الشيء نفسه أيضًا، ولكن الفرق، هو أن بطرس كان الأكثر اندفاعًا، وقالها أولاً).

ما حدث بعد ذلك هو التاريخ المعروف. يصرخ بطرس في وجه خادمة: "أنا لا أعرفه". لا أنا، ولا أنت، نستطيع إدراك بعد، ما قد حدث للتو. بطرس ينكر يسوع أمام خادمة! لماذا اهتم الكتاب أن يذكر لنا أنها كانت خادمة؟ في هذا الزمن كانت نظرة المجتمع للنساء (وبالطبع الخدَم) أنهم كائن أقل أهمية. على المستوى الاجتماعي في ذلك الوقت كانت مكانة النساء منخفضة للغاية حتى إنهم لم يعتبرهن شهود موثوق بدلالاتهن في المحاكم.

يا لها من مفارقة؟ حتى إذا اتهمت هذه المرأة بطرس بمعرفة يسوع، فلن تكون لشهادتها أية صحة. ومع ذلك كان بطرس مرعوب! مذعور! خوفه وصل إلى أقصى الحدود حتى إنه أنكر يسوع! (مرقس ١٤: ٧١).

ما الذي سيحدث بعد ذلك؟

يقول الإنجيل: إن بطرس "بكى بلا رحمة". ولأول مرة يعترف بطرس بخوفه، فقد أدرك الآن معركته. قد تمكَّن من رؤية نفسه على حقيقتها: لم يكن مختلف، ولا قوي كما ظن في البداية.

ولكن ماذا حدث بعد أربعين يومًا؟ بطرس، فارغ من نفسه و"مملوء بالروح القدس، تكلَّم بكلمة الله بشجاعة" (أعمال الرسل ٤: ٣١). يا له من تغيير كبير بعد شهر ونصف فقط!

يُخبرنا الكتاب المقدس أن بطرس كان مستعدًا تمامًا أن يُضرَب، وأن يُحبَس في السجن (أعمال الرسل ٤: ٣)، وقد تهدَّد بالموت (أعمال الرسل ٤: ١٧؛ ١٨؛ ٢١)، وحتى إنه اعترض على السلطات التي قتلت يسوع! (مع حنان رئيس الكهنة وقيافة، أعمال ٤: ٦). نتيجة لاختباره للإنجيل، **أصبح بطرس شخص آخر**. الآن هو شخص مختلف، لكننا نعرف السبب. هو ليس بطرس. إنه الروح القدس الذي كان يملأه، ويسمح له بالعيش وفقًا لهويته الجديدة.

نهاية النضال؟ لم يَعُد بطرس يشعر بالخوف؟ بالطبع لا! في رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢: ١- ٩ يقول بولس: «ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً (بعد وقت طويل من مواجهه بطرس لحنان رئيس الكهنة وقيافه) صَعِدْتُ أَيْضًا إِلَى أُورُشَلِيمَ مَعَ بَرْنَابَا ... إِذْ رَأَوْا أَنِّي اؤْتُمِنْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بُطْرُسُ عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ. فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بُطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخِتَانِ، عَمِلَ فِيَّ أَيْضًا لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي يَعْقُوبُ وَصَفَا وَيُوحَنَّا، الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمِدَةٌ، أَعْطَوْنِي وَبَرْنَابَا يَمِينَ الشَّرِكَةِ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ، وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخِتَانِ». لاحظ شيئًا مُهمًا تُشير إليه تلك الآيات.

يقول النص: إنه في الوقت الذي عمل فيه الله في بطرس، كان يعمل "بفعالية" فيه هو أيضًا. الآية لا تقول إن الله عمل بقوة متوسطة أو غير مُكتمَلة، بل يقول إنه تصرف بطريقة صحيحة وكاملة وفعالة. «وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا. لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ». بطرس لا يخاف من أن يُقتَل من مجموعة من الناس، لكنه يخشى أن يُظَّن السوء فيه. العمل "بفعالية" لا يعني العمل "بالكامل".

النمو في الحياة المسيحية، ليس حدثًا.

إنه عملية تملأ بالأمل.

يُذكِّرك بطرس، أعظم الرسل، و"عمود" الكنيسة الأول، بأنك برفقة شخص جيد.

نحن لسنا مَن يجب أن نكون عليه الآن، ولكن بنعمة الله، سنصبح في يومٍ ما.

ملخص موجز



- جميعنا نبحث عن طريقة ما، لنُثبِت بها قيمتنا.
- نبني هويتنا استنادًا إلى مَن نحن؛ ما نفعله أو ما نمتلكه.
- نسعى جاهدين للحصول على القبول والتقدير من الآخرين حتى نشعر بقيمتنا.
- نتيجة هذا البحث، تنطوي على ثلاثة أبعاد:

أولاً: ينتهي بنا المطاف، مُدمنون إلى أشياء خلقها الله.

ثانيًا: نتحوَّل إلى عبيد لِآراء الأخرين.

وأخيرًا: نجد قلوبنا فارغة من الداخل. (ولا يوجد أي شيء يقدر أن يُشبِع هذا الجوع والفراغ، سواء حصلنا على ما نريده أم لا).

- علينا جميعًا أن نتعجب مرارًا وتكرارًا من حقيقة: أننا قد تبرَّرنا في المسيح.
- مفتاح الوصول إلى هوية تتمحور حول المسيح، هو عدم التفكير في أنفسنا بشكل سيئ (الشعور بالذنب الجنوني لخطايانا) أو التفكير جيدًا في أنفسنا (الشعور بالرضا الشديد عن طاعتنا)، لكن المفتاح هو أن نُفكِّر أقل في أنفسنا، وأكثر في الذي فعله المسيح من أجلنا.

نتيجة التعايش مع هذه الهوية، تنطوي على ثلاثة أبعاد:

أولاً: نتحرَّر من إدماننا إلى الأشياء التي خلقها الله (نتمكن من الاستمتاع بالخليقة، دون أن نعبدها).

ثانيًا: نتحرَّر من عبودية آراء الآخرين (نرضى ونواجه مَن حولنا بعقلانية، وليس بهوَس).

وأخيرًا: تجد قلوبنا الرضا، لأن المسيح يكفي. هو يعطينا الشجاعة!

لماذا يصعب علينا أن نعيش هكذا؟

لأن تغيير هويتنا هو عملية، يستغرق الأمر بعض الوقت. يتم تحقيق ذلك، بينما نستمتع أكثر فأكثر بحقيقة أننا مُبرَّرون في المسيح، ولا نحتاج لإثبات قيمتنا (لا لله، ولا لأنفسنا، ولا للآخرين).

بما أن رأي الله أكثر أهمية لقلوبنا من رأي الناس،

فإننا نتبنَّى الحرية التي لنا عن طريق "الميراث".

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكَّدَ طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخص في جملة أو جملتين، المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- ما هي الأشياء التي تفعلها دائما لتستمد منها قيمتك؟
- هل تشعر أنك مُدمن لشيءٍ ما؟ ما الذي يجذبك إليه؟ كم من الوقت تستمر المُتعة عندما تحصل عليه؟ كيف تشعر لاحقًا؟ هل يستحق كل هذا العناء؟
- كيف تستخدم خدمة الرب والمجتمع كوسيلة لتستقطب الشعور بالحب والقبول؟
- بكلماتك الخاصة، صِف معنى الحصول على هوية مسيحية؟ ماذا يفعل الشخص الذي يريد أن يبني هويته على المسيح، وليس على مجهوداته الخاصة؟
- ما الدور الذي يلعبه التبرير في عملية تشكيل هوية تتمحور حول المسيح؟

* * *

الفصل التاسع

هدف جديد للحياة

أنا أحب القلاع. في رأيي أن القلاع التي تعود إلى القرون الوسطى لها روعة وجمال وجاذبية لا مثيل لها. إنها من الأشياء القليلة التي استمتع بها حينما أتأمل في تفاصيل الهندسة المعمارية، وبدون تسرع. في رأيي التأمل في الجدران والأبراج الضخمة، ومقارنتها بالمناظر الطبيعية الريفية الجميلة التي تُحيط بها، تُعَّد بمثابة تجربة رائعة للغاية. في بعض الأحيان نحظى بالفرصة لزيارة أحد القلاع، وعادةً ما نذهب في نزهة مع العائلة؛ نأكل شيئًا لذيذًا، ونلعب مع الأطفال، ونلتقط العديد من الصور، بينما أجلس أنا جانبًا أثبت عيني على زاوية مُعيَّنة من القلعة. في رأيي، يمكن تعريف القلاع بكلمة واحدة، فهي ببساطة: "مجيدة".

إن تمجيد شيء ليس له علاقة بالقدرة على تقدير صفات هذا الشيء أو الشخص. التمجيد هو الإعجاب بالخصائص التي تُميز الشيء، والتي تجعله مختلف وفريد وجذاب. وهذا يعني أن التمجيد هو التمَكُّن من رؤية جمال شيءٍ ما.

قبل بضع سنوات، كنت أقود سيارتي مع طفلي الصغيرين، وسألني توماس، الأكبر، عمَّا يعنيه تمجيد الله. سألته: "يا بُني: في رأيك، مَن هو أفضل لاعب كرة قدم في العالم؟". "ميسي! ". أجاب دون تردُّد. "ماذا يفعل الناس عندما يذهبون إلى الملعب ويشاهدون ميسي يلعب؟". "يهتفون باسمه". في تلك اللحظة بدأنا نهتف نحن الثلاثة: "ميسي! ميسي! ميسي! ". ثم قلت: "يا بُني الصغير، لماذا تُردِّد اسمه؟". أجاب: "لأنه الأفضل.

لأن لا أحد يستطيع فعل الأشياء التي يفعلها". ثم أخبرته: "هذا هو تمجيد الله". "لتُمجِّد الله، يجب أن تكون قادرًا على رؤية أن لا أحد مثله؛ إنه الأفضل، ولا يستطيع أحد فعل الأشياء التي يفعلها، وأنه مختلف ومُتميز. إنه صالح، وحُبه لا يُضاهى". بعد بضع ثوان، بدأنا نحن الثلاثة في الهتاف: "يسوع! يسوع ! يسوع !".

ما هو مجد الله؟

لتلخيصها في جملة قصيرة: إن مجد الله هو "جمال الله". إنه "كل ما يجعله فريدًا من نوعه، خاص، مُتميز، جذاب، ثمين، ممتاز". يُعبِّر عنها جون بايبر بهذه الطريقة:

"**إن مجد الله هو جمال وتمَيُّز العديد من كمالاته ..**

في الله يوجد فيض لا نهاية له، لكل ما هو صالح،

مجد الله هو الانسجام التام لكل صفاته في كائن شخص جميل بلا حدود ".

يضع تيم تشيستر الأمر على هذا النحو:

"**إن مجد الله هو مجموع كل جوهره:**

حبه، خيره، جماله، قداسته، حكمته، روعته، قوته، حكمته، وعظمته".

إذن، ماذا يعني تمجيد الله؟

تمجيد الله هو أن نُقدِّر جماله. هو أن نُقدِّر ونكنز ونعتز بمَن هو الله. أن نجد أن الله يستحق حبنا، وبالتالي، نحب كل ما هو عليه. يتعلق الأمر بإيجاد متعة كبيرة في حقيقة مَن هو الله، وفي كل ما فعله من أجلنا (كما أجد أنا متعة كبيرة في القلاع، ويجد آخرون متعة كبيرة، على سبيل المثال، في الفن). التمجيد هو التمتع بشيء أكثر بكثير من الأشياء الأخرى. **إعطاء المجد لشيء، ما هو إلا إدراك مدى اختلاف هذا الشيء عن بقية الأشياء،** فيقول القلب: "أنت لست شائعًا. أنت مُميَّز جدًا، ولست طبيعيًا".

فكِّر، على سبيل المثال، في أفضل لاعبي كرة القدم في التاريخ، أو أسماء أكثر الرسامين شهرةً في عالم الفن. ماذا نفعل عندما نتحدث عنهم؟ نمدحهم! نحن نُسلِّط الضوء عليهم أكثر من الباقين. بالنسبة لنا هم مختلفون. ينفردون بأعمالهم غير الطبيعية؛ إنهم قادرون على أداء أعمال سامية ومُميَّزة لا يستطيع أي شخص القيام بها. سواء كانت لوحة أو هدفًا، بالنسبة لنا، فهم مُتميزون عن البقية؛ بمعنى آخر، نُمجدهم.

قبل أن نسترسل في حديثنا، دعني أوضح مبدأ في غاية الأهمية. من الممكن جدًا عندما أحاول أن أصف لك جمال وعظمة القصور والقلاع التي تعود إلى العصور الوسطى، أن تفكر أن تلك الأشياء لا تمثل لك أية أهمية، ولا تستحوذ انتباهك. كما كتبت في الفصل الثالث، أشعر بهذا النوع من البرود أو اللامبالاة تجاه الرسم. أرى أعمال فنانين كبار مثل بيكاسو أو دافنشي أو فان جوخ ولا أجدها جذابة. أنا لا أقول إنها قبيحة أو سيئة، لكنني لا أُقدِّر قيمتها الكاملة. أراهم جيدًا لكنني لا أرى عظمتهم!

قبل بضعة أسابيع شاهدت عبر الإنترنت فيديو غريب ومُمتع، حيث سأل مدرب كرة قدم أسباني، لاعبًا يابانيًا يلعب في دوري كرة القدم الأسباني: "هل يظن الناس في بلدك أنك وسيم؟". هذا السؤال جعل اللاعب الياباني نفسه وبقية زملائه الذين يُراقبون الموقف يضحكون بعد ردّ اللاعب في حرج شديد على السؤال، قال المُدرب عبارة مُذهلة للغاية: "لا أعرف كيف أُقدِّر الجمال الياباني. ليس لديَّ القدرة على التمييز، إذا كنت وسيمًا أم لا. لا أستطيع رؤيتك بعيون فتاة يابانية.

هذا حالنا أمام الله! **ليس لدينا القدرة على رؤية مجد وعظمة الله، ما لم يفتح الروح القدس أعيننا،** ويسمح لنا بتقدير "جمال وتميُّز العديد من كمالاته". لكن أفهم هذا جيدًا: تمجيد شيء ما لا يعني ببساطة أن أقول: إن أعمال بيكاسو رائعة. أستطيع أن أقول ذلك بكل سهولة. لكن تمجيد شيء، هو أن أشعر بروعة لوحات بيكاسو. هو أن أشعر بالنشوة عندما أرى جمال لوحاته. هو اختبار السرور فيّ مجرد النظر اليها. هو التحدث عنها بفرح. هو أن أكون على استعداد لقضاء بعض الوقت والمال لرؤيتها.

على سبيل المثال أعيش على بُعد عشرين دقيقة من متحف بيكاسو، والمرة الوحيدة التي دخلت فيها إلى المتحف الشهير، كانت لأن تذاكر الدخول مجانية، ولأن أحد الأصدقاء كان يزور البلد ويريد أن يدخل المتحف. أن نقول إن بيكاسو رائع، هو شيء مختلف تمامًا عن إدراك وتجربة الاستمتاع به.

فكِّر في هذا السؤال بتمعُّن: هل يقدر شخص غير مؤمن أن يقرأ الكتاب المقدس، ويفهم الحقائق التي يُعلِّمها الكتاب؟ هل يقدر أديب غير مؤمن أن يقرأ جزء من العهد الجديد، ويفهم الغرض وراء النص؟ هل يقدر طالب جامعي أن يقرأ إنجيل يوحنا ٣: ١٦ ويفهم جوهر الإنجيل، وكيفية الحصول على الخلاص؟

إجابة هذه الأسئلة هي واحدة: بالطبع نعم! أي شخص يستطيع أن يفهم الحقائق، ولكن ما يَصعُب عليهم هو أن يروا مجد الكلمة المكتوبة. لا يقدرون أن يشعروا بقيمة الحقائق المكتوبة. لا يعرفون كيف يمكنهم الاستمتاع بتلك الحقائق، ولهذا تظل حياتهم كما هي، دون تَغيير. كان كاتب المزامير على حق عندما قال: «اكْشِفْ عَنْ عَيْنَيَّ فَأَرَى عَجَائِبَ مِنْ شَرِيعَتِكَ» (مزمور ١١٩: ١٨).

أي شخص غير مؤمن يستطيع أن يقرأ الكتاب ويفهمه جيدًا، ولكن لا يستطيع أبدًا أن يشعر بروعة الكلمة المكتوبة. كما لا أقدر أنا أن أرى جمال لوحات بيكاسو، هكذا أيضًا يحتاج أي شخص لعمل الروح القدس أن يفتح بصيرته حتى يرى مجد المسيح.

ولكن إذا فكَّرت في الأمر، ستجد أننا - أنا وأنت أيضًا لدينا المشكلة نفسها. إن لم يعمل الروح القدس في قلوبنا، سنقع في الحفرة نفسها (أفسس ١: ١٨، ١٩)، ولكن بطريقةٍ ما، فإن حالتنا أكثر خداعًا من حال غير المؤمن. لماذا؟ لاننا نظن مُخطئين أن فهم الكلمة والقدرة على تعليمها للآخرين هو مرادف ومساوي للشعور بعظمة الكتاب المقدس. نظن أن الإيمان بالإنجيل، هو نفسه التمتع به[1].

أول نتيجة عظيمة لقراءة الإنجيل (سواء لأول مرة أو للمرة الألف) هي أن أجد المسيح جذابًا مرةً أخرى. فكِّر في الأمر لمدة دقيقة. **ما هو التغيير**؟ التغيير ليس مجرد اعتقاد، إنما هو العثور على الكنز. لكنه ليس مجرد العثور على الكنز فقط، بل هو العثور على أعظم ثروة يمكن لأي شخص أن يجدها، والتي تستحق خسارة أي شيء مقابلها.

يقول الكتاب في إنجيل متى ١٣: ٤٤ «أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْل، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ».

---

[1] يجب أن نُميز بين الفهم الروحي، والتجربة الروحية. تعريف عقيدة الخطية، ليس هو نفسه الشعور بالندم الناتج عن الخطية. فَهم سلطة الله المطُلقة، تختلف عن إيجاد الراحة في سيادته. **تفسير محبة الله غير المحدودة، تختلف عن الاستمتاع بها كل يوم.**

لسوء الحظ، هناك ميل في قلوبنا إلى الاعتقاد بأننا نعيش هذه الحقيقة لأننا نفهمها. ليس ذلك فحسب، ولكننا أيضًا مستعدون ومؤهَّلون لتدريس الحقيقة التي سمعناها للتو. (وعادةً نتحمس جدًا للقيام بذلك!). الخدمة في اسم المسيح، ليست هي الشيء نفسه، كما التمتع بالمسيح. كما رأينا سابقًا، فإن متى ٧: ٢٢، ٢٣ يُحذرنا من هذا الخطر: «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَ لَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!».

ماذا يحدث عندما أختبر تغيير حقيقي؟ مثل ما حدث في فيلبي ٣: ٨ - أحظى برؤية جديدة ومختلفة لشيء أعرفه من قبل، حيث أُقدِّر مجد المسيح. **ما هو التغيير**؟ أن أجد شيء جذاب للغاية حيث لم يكن له أية قيمة من قبل. التغيير هو القدرة على تقدير جمال المسيح.

ثلاثة أوجه لمجد الله

أوَّد أن نفكر في مفهوم حاسم للغاية، ولكن يمكن أن يكون مُربِكًا إلى حدٍ ما (على الأقل كان مُربِكًا بالنسبة لي لفترة طويلة).

مجد الله هو الوسيلة والهدف والغرض من الحياة المسيحية.

ما الذي أحاول أن أقوله؟ ثلاث نقاط:

أولاً، أن مجد الله يُغيِّرنا (٢كورنثوس ٣: ١٨). وهذا يعني أن تقدير مجد الله (كل ما هو، وما فعله في المسيح) هو الوسيلة الوحيدة التي لديها القدرة على إحداث تغييرات عميقة في قلوبنا. رؤية محبة المسيح غير المشروطة تُغيِّرنا.

ثانيًا، لقد خلقنا وخلّصنا وقدّسنا، وسنُمجَّد أيضًا لنُقدِّر مجد الله (أفسس ١: ٣- ١٤). الكون كله يدور حوله، حتى نتمكن من أن نُمجِّد غنى "مجد نعمته". نتاج هذه الحقيقة الواضحة والحاسمة، يجب أن نكنز المسيح في قلوبنا أكثر، ونستمتع به أكثر، ونجد فرحة أكبر في شخص الله وعمله. بمعنى آخر، في هذه الحالة الثانية، فإن **العيش من أجل مجده يعني العيش للاستمتاع به.**

ثالثًا، أن يُمجَّد الله من خلالنا، ومن خلال الآخرين، يجب أن يصبح هذا هدفنا الأعظم للحياة (١كورنثوس١٠: ٣١)[٢].

كما سنرى بالتفصيل، فإن هذه الحقائق الثلاث لمجد الله هي سلسلة لا تتجزأ من النتائج المتتالية. فقط عندما يحدث الأول، يحدث الثاني؛ وفقط عندما يحدث الثاني

---

[٢] كما ترون، أنا أقصد أن أُميز "الهدف" عن "الغرض" لتمييز جانبين من العُملة نفسها. نحن نعيش لتمجيد الله، وهذا يستلزم هدفين: **التمتع به، وتمجيده على حدٍ سواء**. الأول أسميه "**هدف الحياة**"، والثاني أسميه "**غرض الحياة**". السبب وراء هذا الاختلاف، هو تبسيط مفهومًا مُربِكًا إلى حدٍ ما.

يحدث الثالث. بمعنى أن الأول هو نتيجة للثاني، ومن المستحيل عكس الترتيب. كما سنرى معًا: **لا أقدر أن أُمجِّد الله إلا عندما أستمتع به؛ ويمكنني أن أستمتع بالله، فقط عندما أتمكَّن من رؤية مجده.**

دعنا نُحلِّل هذه الأفكار الثلاثة بالتفصيل.

تمجيد الله هو الوسيلة للتغيير	نتغيَّر لأننا نرى مجده.	المقابلة مع الله من خلال الإنجيل، تعطيني الفرصة لِأندهش بجماله.
تمجيد الله هو الهدف من التغيير	نتغيَّر لأننا نريد أن نستمتع بمجده أكثر.	بعد أن أتقابل مع المسيح، أجد أن العيش له، هو المعنى الحقيقي للحياة.
تمجيد الله هو الغرض من الحياة	نتغيَّر لأننا نريد أن نُمجِّد الله في حياتنا.	عندما نستمتع بالله عن حق، نرغب في تمجيده أكثر.

مجد اللّه هو الوسيلة للتغيير. العودة إلى الحب الأول.

العيش من أجل مجد الله، هو نتيجة. نعم، أنا أعلم أن الكتاب المقدس يقول: إنه يتعيَّن علينا أن نعيش "من أجل" مجد الله. "من أجل"، هي دلالة للغرض من الحياة. لكن **لا يمكننا أبدًا القيام بذلك، إلا إذا اختبرنا جمال مجده أولاً.**

فكِّر في الأمر للحظة. لا أستطيع إجبارك على التمتع بالقصور والقلاع. وبالطبع لا يمكنك إجباري للعثور على المتعة، على سبيل المثال، في تناول الضفادع المشوية. أنا أكره الضفادع، وهذا النوع من الطعام بشدة! بالنسبة لي هي مثيرة للاشمئزاز (أخبَرني العديد من الناس أن الضفادع لذيذة. ربما تكون كذلك، لا أعرف، ولن أعرف ذلك).

عندما يقول أشخاص ما، أنهم يريدون العيش من أجل مجد الله، فإنه من المستحيل عليهم فعل ذلك، إذا لم يستمتعوا أولاً بفضائل الله وامتيازاته. يمكن أن يكون مجد الله هدف لك، لكن لا يمكنك أن تعيش هذا الهدف، إلا إذا اختبرت مجده أولاً. الشيء نفسه كما لو قال لي أحدهم: "يجب أن تعيش لتستمتع بالضفادع المشوية. إنها في منتهى الروعة!". سيكون ردِّي: "حسنًا، يمكنك إجباري على أكل الضفادع". يمكنك إقناعي أنه هدف جيد للحياة. لكن عليَّ أن أستمتع بالضفادع أولاً، فإن العيش من أجلها، سيكون

مجرَّد هدف خيالي، ومستحيل تحقيقه. فقط عندما أجد الضفادع لذيذة، يمكنني البدء في الاستمتاع أو تمجيد الضفادع من القلب. أعرف أن المَثَل قد يكون مُثير للاشمئزاز إلى حدٍ ما (على الأقل بالنسبة لمعدتي)، لكن هل يمكنك فهم ما أقصده؟

العيش من أجل مجد الله، هو نتيجة للاستمتاع بمجد الله.

خبر جميل

دعني أربكك لبضع ثوان. أفضل الأخبار التي يمكن أن يُقدمها شخص ما لك، هي أنك لا تستطيع العيش لمجد الله. تأمل في ما قرأته للتو. لا أنت ولا أنا ولا أي شخص يستطيع العيش لمجد الله بمفرده. لا أحد يستطيع إرضاء الله. لا أحد يستطيع أن يرسم ابتسامة على وجهه. لا يقدر أحد أن يمنحه أي نوع من الفرح. لا تقلق أو تترك الكتاب. بعيدًا عن كونه شيئًا سلبيًا وغير كتابي، فهو واحد من أغلى الحقائق، وأكثرها تحريرًا؛ التي يمكنك التأمل فيها. عندما تفهم ما أعنيه، سوف تدرك أنه كذلك.

أتذكَّر منذ سنوات عديدة، عندما كنت أدرس في الولايات المتحدة، قال أحد المُعلّمين عبارة أذهلتني كثيرًا، لدرجة أنني لن أنساها أبدًا: "**الله يُسَرّ فقط بابنه**". طُبعت هذه الكلمات كختم على قلبي. لقد فكَّرت كثيرًا فيها، وأعتقد أنني الآن فقط أفهم نطاق تداعياتها.

كيف يمكن أن يطلب مني الله أن أُمجّده، إذا كان هذا شيئًا لا أستطيع فعله؟

الجواب بسيط جدًا: **ما هو غير مستطاع بالنسبة لي، هو مستطاع عند الله.**

⇦ **هذه هي** الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها تمجيد الله:

إذا كنت أعيش حياتي من خلال ابنه يسوع المسيح (يوحنا ١٥: ٥).

في المقابل: الطريقة الوحيدة التي أستطيع أن أعيش بها من خلال ابنه، هي إذا أدركت أنني لا أستطيع العيش بدونه.

إذن ماذا نحتاج؟ **الإنجيل!**

أحتاج إلى مُخلّص ليغفر لي عدم العيش من أجل مجده، وروح ليمنحني القدرة على القيام بذلك. إذن ما هو الاستنتاج الذي لا مفر منه؟ لا أحتاج أن أبهِر الله حتى يقبلني، بل أحتاج أن أُبهَر أنا بجماله. يجب أن أكون مُعجَبًا به. **الحياة المسيحية تدور حول التأمل في مجد المسيح لأكون مفتونًا به، ومشتاق أن أمجِّده، وذلك بمساعدة الإنجيل.**

هل تُدرك عمق المسألة؟ أستطيع أن أُمجِّدهُ فقط، حين أستمتع به. المفتاح هو عدم التركيز على ما يجب عليَّ أن أُقدمه أو أفعله من أجله، ولكن أن أتأمل في ما فعله هو من أجلي. هذا هو ما يؤثر عليَّ. عندما يحدث هذا، وعندها فقط، سأمتلئ بالروح، وأحظى على القدرة لفعل ما لم أستطع فعله من قبل: **أن أُمجِّده**.

أنت وأنا نميل أن نؤمن بحقيقة زائفة؛ أن باستطاعتنا تمجيد الله. نذهب إلى قوافل تبشيرية. نشارك الإنجيل مع مَن حولنا. نقرأ الكتاب المقدس أكثر. نتوقف عن فعل الخطية. ومع ذلك، إذا كنت قد تعرَّفت على حقيقة قلبك أكثر قليلاً من خلال الفصول الأولى من هذا الكتاب، ستعلم أنه لا يوجد شيء نفعله من أجل الله مُعفى من الدوافع الذاتية والأنانية.

في الواقع، إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فإن حقيقة الرغبة في إبهار الله، هي فعل مُتمحور حول الذات! في كثير من الأحيان، نعيش ونحاول أن نجعل الله يقول: "انظروا كم جميل ابني". بينما ينبغي أن تكون الحقيقة هي، أن أقول أنا: "انظروا كم صالحٌ أبي!".

قبل عدة سنوات، كنت أقود مؤتمرًا روحيًا مع بعض القادة، وكان عليَّ أن أشارك بجزء من يوحنا ١٣: ١- ١٥ الشهير، حيث غسل يسوع أقدام التلاميذ. في ذلك، أوضحت بإيجاز الآيات الأولى، وركزت كل انتباهي على ما قصده يسوع في العدد ١٥عندما قال: «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ».

يمكن تلخيص النقطة الرئيسية لِما شاركت به على النحو التالي:

"إن غسل أقدام الآخرين، يعني أن تكون مستعدًا للقيام بشيء لشخصٍ ما، لا يوجد أي شخص آخر على استعداد للقيام به من أجله" - أي أنه لم يكن أي من التلاميذ مستعدين لغسل أقدام بقية التلاميذ كما فعل يسوع.

وكما تقول الآية ١٥، فإن مُهمتنا هي أن نقتدي به. وبهذه الطريقة، قضيت أربعين دقيقة في شرح هذا المبدأ بالتفصيل بأمثلة عملية عن كيفية تطبيق هذا المبدأ في حياتنا (مثل غسل أرضية الحمام عندما لا يرغب أحد في فعل ذلك، وأشياء أخرى من هذا القبيل).

في نهاية الحديث جاء إلي قِسّ، وبقدر كبير من الاحترام قال: "لا أتفق مع ما تُشاركه". لا أظن أنك قد تناولت النقطة المحورية لِما قام به يسوع. "لقد صُدمت لأنني كنت مقتنعًا تمامًا أن التفسير كان صحيحًا، وأنني قد فسَّرته بشكلٍ دقيق".

ثم أخبرني: "بعد سماعك تتحدث، أشعر إني سأترك هذا المؤتمر وأنا أُفكِّر في نفسي كأني محور هذا الكون، وفيما يجب أن أفعله. مع أن ما يجب أن يحدث، هو العكس تمامًا. أوَّد أن أعود من هذا المؤتمر، وأنا أنظر إلى المسيح، وأنا مفتون بما قام به، وفي دهشة من أن إله الكون قد تجسَّد في هيئة إنسان، ومستعدًا لغسل قدميَّ [أي أسوأ ما في قلبي] كل يوم. عندما أستمتع بهذا الواقع، سأفعل مثله، وأقوم بكل ما قلته".

وهكذا تأكدت أن الرسالة كانت واضحة. **لا ينبغي أن تركز كل جهدك على كيفية العيش من أجله، ولكن يجب أن تُتيح له الفرصة حتى يعيش هو فيك.** لا ينبغي أن يكون تركيزك الأساسي حول محاولة تمجيد اسمه، ولكن السعي للاستمتاع بمجده. لماذا؟ لأنه عندما تستمتع بكل صلاحه وجماله، سوف تمجده!

كان جون بايبر يُعبِّر عنها بهذه الطريقة:

"الله يُمَجَّد أكثر فينا، عندما نجد الشبع والراحة فيه".

الحياة المسيحية تعَاش من خلال مجده ولمجده. على الرغم من أننا نميل إلى التركيز على الجانب الثاني، إلا أن الأهم هو الأول. إذا كنت أستمتع بمجد الله، فسوف أتخذ قرارات وأعيش حياة تُمجِّد اسمه.

في الواقع، كما يقول بايبر: أنا أفعل ذلك دون أن أدري! عندما أستمتع بمجد الله، أعيش بالفعل من أجل مجد الله. ليس هذا فقط، ولكنها سلسلة مرتبطة ببعض تعيد نفسها. كلما استمتعت بمجد الله، زاد اشتياقي أن أعيش من أجله.

كان مُعلِّمي على حق: "لا يُسِر الله فقط أنني ابنه". في يوحنا ١٥، **يؤكد يسوع** ثلاثة مرات في الفقرة نفسها، أن رغبة الله هي أن ينتج في المؤمن "ثمرًا كثيرًا" (يوحنا ١٥: ٢؛ ٥؛ ٨). لماذا يهتم الله بالثمر؟ الجواب هو في الآية ٨. لأنه **عندما نُنتج ثمارًا "كثيرة"، يتلقى الله مجدًا "كثيرًا".** هذه الإجابة تتطلب سؤالاً جديدًا: كيف يتمجَّد الله عندما ننتج الثمر؟

الجواب هو في الآية ٥، فالله مُمَجَّد بالفعل، لأن لسنا نحن مَن يُنتِج الثمر. لكن هذا هو عمل المسيح فينا! (يوحنا ١٥: ٥). إنه مُمَجَّد لأن هذا ثمره وليس عملنا!

إن فَهم وتطبيق هذا المبدأ ضروري للغاية لأنه يشمَل كل ما نقوم به: الصلاة، الخدمة، الوعظ، التبشير، التلمذة، تقديم المشورة، الأكل، اللعب، العمل، الذهاب في إجازة،

وجميع الأشياء الأخرى التي يمكننا التفكير فيها. إذا كنا نريد حقًا إنتاج الثمر وتمجيد الآب، يجب أن نفعل كل شيء من خلال الابن - كما يوضح جون بايبر ببراعة:

في يوحنا ١٤: ١٣ **يقول يسوع**: «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ». تخيَّل أنك مشلول تمامًا، ولا تستطيع فعل شيء لنفسك سوى الكلام.

لنفترض أن أقرب صديق لك الذي يحبك بشدة، يقبل أن يعيش معك ويُلبي كل احتياجاتك. كيف يمكنك أن تُكرِم هذا الصديق إذا جاء شخص غريب لزيارتك؟ حسنًا، يمكنك قول ما يلي: "يا صديقي، ارفعني، وضع وسادة خلفي حتى أتمكن من النظر إلى ضيفي". وهل يمكنك أن تعطيني نظارتي؟ بهذه الطريقة، يمكن للضيف أن يرى، من ناحية، كيف تُظهِر طلباتك عدم قدرتك على القيام بشيء لنفسك. ومن ناحية أخرى، سوف تُظهِر أن لديك صديق قوي وخدوم. تُمجِّد صديقك، عندما تحتاج إليه وتطلب منه أن يفعل كل شيء من أجلك باستمرار.

بايبر على حق. **لإعطاء المجد للآب، يجب على المرء أن يعيش معتمدًا على الابن**. لكي تحتاج إلى قوة شخص آخر، عليك أن تُظهِر عجزك. للحصول على النعمة، يجب أن يكون المرء ضعيفًا (٢كورنثوس ١٢: ٩، ١٠). لذلك، لا يتعلَّق الأمر بما يمكننا القيام به من أجل المسيح، ولكن بما يمكن أن يفعله هو فينا وبنا؛ بحيث، في كل مرة يفعل لك، يتلقى المجد. هذا هو السبب في أن الخطوة الأولى في العيش من أجل مجده، هي العيش من خلال مجده. هل تستطيع إدراك الأمر الآن؟ هذه السلسلة غير قابلة للتجزئة. لا يمكن تغيير طلبك. لإعطاء المجد لله، أحتاج أولاً إلى الاستمتاع به.

مجد اللّه هو الهدف من الحياة: العيش من أجل الاستمتاع بشخصه

إن مجد الله هو وسيلة التغيير، ولكن مجد الله هو هدفنا الكبير في الحياة أيضًا. في كل مرة أخطط أنا وزوجتي لقضاء عطلة ما، فإن أول شيء نفعله، هو البحث عما إذا كانت هناك قلاع بالقرب من المدينة التي سنقضي فيها الإجازة. لقد اختبرنا عظمة القصور والقلاع، ونريد الاستمرار في الاستمتاع بها. نحن جميعًا نفعل ذلك مع ما نحب. سواء كان ذلك الجنس، كرة القدم، الفن، المال أو القصور الفنية؛ والحقيقة هي أنه، كما هو الحال مع المخدرات، سترغب في تكرار أية تجربة جرَّبتها وأثارت سعادتك.

في كل مرة أزور فيها قلعة، يحدث الشيء نفسه: أُحدّق فيها لوقت طويل. إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فالحقيقة هي أن جميع القلاع متشابهة جدًا. لا يوجد أكثر من الجدران والأبراج والأبواب الخشبية، لكن لسببٍ ما أجدها تستحق التحديق بها في إعجاب! هل تعتقد أنني مجنون أو مهووس؟ فكِّر في الجنس. ألا يحدث شيء مُماثل؟ تخيَّل فتى يحارب مع شهوة، هل تكفيه نظرة واحدة؟ هل يقبل بفتاة واحدة فقط؟ ومع ذلك، فإن أغلبية عارضات الأزياء مُتشابهون بنسبة كبيرة؟ من أين أتت كل هذه الرغبة؟ وماذا عن السيارات؟ أليس لديهم جميعًا أربع عجلات وعجلة قيادة؟ هل حقًا يصنع التصميم المُعيَّن كل هذا الفرق؟ ماذا عن الملابس؟ هل صحيح أن هناك فرق كبير بين شكل وآخر؟ والأحذية؟ هل الأزرق الداكن مختلف حقًا عن الأسود؟ (زوجتي تقول نعم، لكنني بصراحة لا أشعر بالفرق).

جميعنا نصبح دقيقين للغاية وفضوليين جدًا لِمَا يجذبنا وله قيمة بالنسبة لنا. على الرغم من أننا نعرفه؛ نقوم أيضًا بتحليله ودراسته وفحصه. (لإثبات هذه النقطة، يكفي أن تنظر إلى سجل الإنترنت الخاص بك وتحليل عمليات البحث الخاصة بك. هناك سوف تكتشف ما يجذبك حقًا، وله قيمة حقيقية عندك). كما سنرى بالتفصيل في الفصل الثاني عشر، فإن **مُهمتي في الحياة هي دراسة مجد الله والتأمل فيه**؛ وذلك كنتيجة للإعجاب الشديد به، أبدأ في الاستمتاع بشخصه.

يكتب تيم تشيستر: "إذا قمنا بتلخيص أسباب التغيير، فيمكننا القول: نحن نتغير حتى نقدر أن نستمتع بالقداسة (التخلُّص من الخطية)، ونتمتع بعلاقة حية مع يسوع".

هذه العبارة تجعلني أفكِّر في الشعور بالعجز واليأس لدى أصحاب وأقارب أي شخص مُدمن (سواء كان مدمن للكحول أو مدمن للمخدرات)، يريد أن يكون مُتحررًا من إدمانه حتى يتمكن من الاستمتاع بالحياة الحقيقية. هذا هو الشعور نفسه الذي يشعره الله تجاهنا! (يوحنا ١٥: ١١).

لكن، يواصل تشيستر قائلاً: "نحن نتخلَّى عن المظاهر حتى نستمتع بكل ما هو حقيقي. لذلك فإن القداسة الحقيقية هي إدراك أن ملذات الخطية خيالية وعابرة. يدعونا الله إلى عيش حياة حقيقية، والاستمتاع بشيء يظل ثابت إلى الأبد".

ما هو الشيء الذي تُدمنه؟ ما هو الشيء الذي يُبهرك؟ ما الذي يلفت انتباهك، ويجعلك تحلم؟ ما هو الشيء الذي تجد نفسك تعبده ومستحق للإعجاب؟ **سر التغيير، هو أن نكون مقتنعين بأن مجد الله هو المصدر الحقيقي للسعادة.**

مجد اللّه هو غرض الحياة. **أعيش حتى أكرمه.**

عندما أكون في المسيح، يُغيِّر الروح القدس رغباتي ويُعدِّل أهدافي. ما لم أستطع فعله من قبل (تمجيد الله)، الآن لا يمكنني القيام به فحسب، بل أتمنى أن أفعل ذلك أيضًا. إن اختيار مجد الله كهدف للحياة ينطوي على جانبين: إكرام الله، والسعي حتى يكرمه الآخرين أيضًا . **إلهي**

غرض مزدوج للحياة:	ما الذي أبحث عنه؟	ما هي الوسائل الواضحة حتى أتمكن من تحقيق هذا؟
تمجيد اللّه:	أن يُكرَم الله بسببي.	أن أُقدم له ذبائح، أسلوب معيشتي، خدمتي
السعي حتى يُمجده الآخرين أيضًا:	أن يُعرَف الله بسببي.	المُشاركة في التبشير والكرازة والإرسالية.

التأمُّل هو الرغبة في العبادة

هل تساءلت يومًا عن سبب غناء الناس في ملاعب كرة القدم، أو لماذا يصفق الجمهور بعد مشاهدة عرض فني رائع؟ الجواب ليس مُعقدًا، فكل فعل من أشكال المتعة ينتج عنه العشق والثناء والتكريم التلقائي. قال سي. اس. لويس: "أعتقد أننا نجد المتعة في تمجيد ما نستمتع به، لأن الثناء لا يُعبِّر عنه فقط، ولكنه يُكمِل البهجة". **فالترتيل والترنيم لله، هو وسيلة رائعة لتمجيد الله.** لماذا؟ لأننا نقرأ في الكتاب المقدس أن الترتيل هو نتيجة للتمتع بالله. يعقوب ٥: ١٣ يقول: «أَ مَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ».

هل يمكن أن يُنتج الثناء الفرح، ويكون السبب وراء ذلك؟ نعم يمكن. ولكن لا ينبغي أن يكون تجربة طبيعية. يجب أن يكون الثناء نتيجة البهجة، الفعل المترتب عليه (يُصفق الجمهور نتيجة لمشاهدتهم لعرض رائع).

الثناء الكتابي هو تقديم الحمد والشكر لأني مستمتع بالله. وهذا هو تكريم الله لأنني في حالة من الحب معه، وأرغب في التعبير عنها. هل يمكن أن يستخدم الله لحظة الحمد والشكر لتليين قلبي الحجري وتغييري؟ بالطبع يمكن. لكن، هذا ليس هدفه الأصلي.

منذ بعض الوقت، كنت أنا وابنتي البالغة من العمر عشر سنوات، نقضي بعض الوقت مع الله نعبده من خلال الاستماع إلى ترانيم وتراتيل روحية. أثناء قيامنا بذلك، بدأت هي، التي كانت مُستلقية على كرسي بذراعين، تلعب بساقيها كأنها على "دراجة".

بعد فترة من الوقت، بدأَت ترتل بسأم، وتنزلق ببطء من على الأريكة حتى لمست الأرض. إنها صغيرة وأنا أتفهم ذلك. لا يزعجني على الإطلاق أنها تلعب أو تتشتت قليلاً، طالما أنها تحافظ على قدر من الوعي بما نقوم به.

أخيرًا أوقفت الترنيمة وقلت: ما هو مدح شخص ما؟ أجابت: "أن نقول أشياء لطيفة عنه أو نغني له". ثم، بصوت مُبالَغ فيه من التردُّد قلت: "يا له من قميصٍ جميل!". نظرَت إليَّ بوجه لا يشعر بالرضا. "لقد قلت لك شيئًا لطيفًا، أليس كذلك؟". "نعم، لكنك لم تشعر به". بالضبط يا حبيبتي. إن تقديم الحمد والثناء لا يعني ببساطة قول الأشياء الجميلة لشخصٍ ما أو الغناء.

العبادة هي الشعور بتلك الأشياء الجميلة تجاه هذا الشخص. "ما حاولت شرحه لإبنتي، هو ما أحاول شرحه هنا. إن العبادة يجب أن تكون نتيجة للشعور بهذا الثناء تجاه هذا الشخص".

أنا أُدرك أني لست شغوفًا بالموسيقى. أعلم أن المشاعر (وليس العواطف) يتم التلاعب بها بسهولة. من الشائع جدًا الاعتقاد بأنني أعبد الله لأن موسيقى الترتيلة قد حركتني، وفي الحقيقة، دون أن أدري، كل ما تُنتجه الترتيلة هو تأثير عاطفي على القلب مثل الذي يمكن أن يُسببه فيلمًا دراميًا يجعلني أبكي، على الرغم من أنني أعرف جيدًا أنه خيال. ومع ذلك سأُسرع في الاعتراف بأهميته وقيمته الضخمة. لقد أمضيت الكثير من لحظاتي الخاصة مع الله في مكتبي، حيث كنت أعبد الرب وأنا أبكي كطفل يُحبه.

يُحدثنا الكتاب المقدس أن الموسيقى مهمة جدًا! ونرى ذلك بوضوح في المزامير، أطول سفر في الكتاب المقدس بأكمله، هو كتاب تراتيل موسيقي! لن أقول أكثر من ذلك بكثير،

لكن العبادة سواء كانت جسدية في الكنيسة أو فردية في المنزل، هي الانضمام مُسبَّقًا إلى واحدة من أجمل التجارب التي سنحياها في السماء (رؤيا ٢١: ٢٣- ٢٧). ليس هذا فحسب، ولكن كما قلت عدة مرات، فإن العواطف مهمة جدًا لله، ومن الضروري والصحي أن نُعبِّر عنها (إنجيل متى ٢٢: ٣٧، ٣٨). كما يقول المزمور ٤٧: ٧ (RV١٩٦٠)، أن نرنم لله "بذكاء" (أي بالتفكير والوعي)، **مشاعري تجاه الله، هي واحدة من أغلى عطاياه.**

طاعة اليوم، مجد الآن. ولكن أيضا مجد مستقبلي

إن العيش من أجل مجد الله، هو العيش بحيث تكون شخصية الله مرئية للآخرين. الكتاب المقدس واضح للغاية عندما يقول إن طريقة عيشنا في الحياة لديها القدرة على جلب المجد لله. إنجيل متى ٥: ١٦ يقول: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

وبهذا المعنى، فإن طريقة حياتنا تلعب دور كبير حيث تجذب انتباه أصدقائنا وجيراننا الذين لا يعرفون الله، بطريقة تجعلهم يتساءلون: لم أرَ شخص يحب كما تحب أنت. هذا غير طبيعي. كيف تقدر أن تعيش هكذا؟. عندما يحدث هذا، يُمجَّد الله.

إن عيش هذا النوع من الحياة ليس مسؤولية قلة مختارة، بل هي مهمة يجب أن نحياها جميعًا، ولكن ليس في الكنيسة، بل خارجها! في المنزل، في العمل، وفي جميع تفاصيل الحياة اليومية. كما يقول بولس في ١كورنثوس ١٠: ٣١ «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ».

أتذكَّر أنه منذ وقت طويل، سألت شابًا قد تتلمذ لعدة سنوات: ما هو أكثر شيء أثَّر عليه من التجارب واللحظات الكثيرة التي عشناها معًا. لفهم السياق بشكل أفضل قليلاً، كان يعيش في المنزل لفترة من الوقت، وقام برحلات تبشيرية معي وسمع لي العديد من العظات، وبشرنا بالإنجيل معًا، واعترفنا بخطايانا لبعضنا البعض، ونصحته مرات لا حصر لها وأشياء أخرى كثيرة.

كانت إجابته على سؤالي مفاجأة. كنت أتوقع منه أن يُخبرني أن أكثر ما أثَّر عليه كان رسالة أو نصيحة حكيمة، لكنها لم تكن هكذا. قال: "أكثر ما أثار دهشتي، هو تلك المرة التي كنا فيها في محطة البنزين، وكسر العامل الذي كان يخدمنا، دون قصد ممسحة

الزجاج الأمامي، وأنت عرضت أن تدفع له المال مقابل خدمته. لا أحد يفعل هذا الشيء عندما يعاني من الظلم". شيء "طبيعي"، ولكن "غير طبيعي". بصراحة، لم أتذكَّر هذا الموقف حتى ذكره هو مرةً أخرى، ولم يكن لديَّ أية فكرة أنه شاهد هذا الحدَث. ومع ذلك، في عملٍ بسيط جدًا رأى مجد الله، وكان ملحوظ.

كما قلت من قبل: "القدرة" للعيش بهذه الطريقة ليست نتيجة السعي لتحقيق ذلك، لكن بدلاً من ذلك، إنها النتيجة الطبيعية للاستمتاع بمجد الله من خلال الإنجيل. عندما يحدث هذا، وفقط عندما يحدث هذا أولاً، "تلقائيًا"، نبدأ في ربط فرحنا بالله. ماذا اقصد بهذه العبارة؟ اسمحوا لي أن أشرح ذلك من خلال مثال آخر:

قبل بضع سنوات كنت أتجادل مع صديق قريب لي حول مَن كان أفضل لاعب كرة قدم في التاريخ. كان يقول هو: إنه كريستيانو رونالدو، أما أنا كنت أجادل؛ إنه: ميسي. (من المنطقي أي شخص يعرف كرة القدم، سوف يدرك أنني كنت على صواب). لماذا كنت أدافع عن ميسي كثيرًا؟ لأنه على الرغم من أنه ليس من السهل ملاحظته، إلا أنني أقوم بربط فرحي وسعادتي بنجاحه. بطريقةٍ ما، عندما يفوز هو، أعتبر نفسي فُزت أيضًا. عندما يُسجل هو هدفًا، أُسجل هدفًا أنا أيضًا. عندما يتلقى المجد أشعر أنا بالسعادة!

يا لها من مفارقة عظيمة؛ لم أرَ ميسي في حياتي أبدًا! أنا لا أعرفه شخصيًا. لم أُصافحه من قبل. ومع ذلك، عندما يتلقى هو المجد والتشجيع، أفرح أنا كثيرًا! مجده يُفرحني! هذا ما يريده الله أن نصل إليه. ليس بالقوة ولا بالإجبار أفعل أشياء لا أريد فعلها. ولكن لشغف يفيض، لا أستطيع السيطرة عليه.

هذا هو بالضبط ما يحدث لي عندما أتحدث عن ميسي. أنا أُقدِّر موهبته كثيرًا، وأُريد أن يُقدّر الآخرون ذلك أيضًا! هل يجب عليَّ السعي لتحقيق ذلك؟ بالطبع لا! كل ما عليهم فعله، هو إجباري على التوقف عن الحديث عنه! (لا تحكم إني مُعجَب مهووس به. يحدث معك الشيء نفسه مع أي شيء آخر تحبه).

من ناحية أخرى، فإن العيش من أجل مجد الله، لا يجلب المجد لله اليوم فحسب، بل "يتراكم" مجد الله ليوم "المسيح" العظيم غدًا.

انظروا إلى ما كتبه بولس: «وَهذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ

الْمَسِيحِ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ». (فيلبي ١: ٩- ١١). على الرغم من أن هذه الآيات غنية جدًا، وأشعر بإغراء شديد لتقديم شرح لها، لكن اسمحوا لي فقط بشرح جانب رئيسي أُريد تسليط الضوء عليه.

يقول بولس: إنه عندما نتعلم أن نُحب بشكل أفضل، نختار بشكل أفضل، وبالتالي فإننا نجني "كمية أكبر من الثمر" لليوم الذي سنقف فيه أمام كرسي المسيح. ما هي نتيجة هذا؟ الله سوف يتلقى المجد! (لماذا الله وليس نحن؟ لأنه إذا لاحظت في المقطع نفسه، فإن هذه الثمار كانت بواسطة "يسوع المسيح"). أعلم أن ما يقوله بولس قد يبدو غريبًا، لكنه غريب فقط، حتى نقوم بربطه بمثال مُعاصر.

إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فنحن جميعًا نفعل ذلك. كلنا نقوم بأشياء في الوقت الحاضر، لأننا نعرف أن لها تأثيرًا كبيرًا في المستقبل. ومن الأمثلة الجيدة، التي يستخدمها بولس أيضًا في ١كورنثوس؛ الأشخاص الرياضيون.

في ١كورنثوس ٩: ٢٤ ، ٢٥ (TLA) يقول الكتاب: «ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحدا يأخذ الجعالة؟ هكذا اركضوا لكي تنالوا، وكل مَن يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلا يفنى، وأما نحن فإكليلا لا يفنى».

مضمار السباق يبلغ طوله مائة متر، ويدوم عشر ثوانٍ فقط. تستغرق مباراة كرة القدم تسعين دقيقة. الماراثون يستمر بضع ساعات.

يعيش جميع الرياضيين معظم حياتهم "من أجل مجد المستقبل". يفعلون الأشياء اليوم للحصول على المجد غدًا. يقضون معظم يومهم في ساعات لا تُحصى في ممارسة التدريب والاهتمام بأجسامهم وممارسة الرياضة. لماذا؟ للمجد الذي ينتظرهم.

إن العيش من أجل مجد الله، هو الانضمام إلى هذا الهدف العظيم؛ أن أكون مليء بالشغف من أجل تلك اللحظة. يجب أن أتذكَّر ذلك أكثر من مرة: أنه في وقت قريب جدًا، عندما يصل "اليوم العظيم"، سيتم تتويج شخص أُحبه من كل قلبي[٣]. (إذا كنت أبًا

---

[٣] المبدأ نفسه ينطبق على الخدمة. عندما أخدم الله في المسيح، أجلب المجد للمسيح. «إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ. وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ». السبب في أنني لم أُطوِّر هذه الفكرة هنا، هو لأننا سنراها بالتفصيل في الفصل الحادي عشر.

أو أُمًا، فإني أصف شعورًا مُشابهًا لِمَا تشعر به عندما يتفوَّق طفلك في ممارسة رياضةٍ ما أو عندما ينهي دراسته الجامعية. توقعك أنه سيُتوَّج، يُحفزك على بذل جهود شخصية كبيرة لهذا اليوم. لماذا؟ لأن مجده يجلب لك الفرحة.

التأمل هو الرغبة في المشاركة

عندما تزوجت أنا وزوجتي حديثا، كنا نعيش في الأرجنتين، كان من أكثر الأشياء التي استمتعنا بها، هي السفر بالسيارة إلى منتجع معروف وحصري للغاية على ساحل المحيط الأطلسي يدعى كارلو. ما أحببتُه أنا وزوجتي، هو رؤية منازل هذا المنتجع الرائعة، كما هو الحال مع القلاع اليوم - نستمتع كثيرًا ونحن نتأمل بهندستها المعمارية.

لقد رسمت خريطة لجميع شوارع كارلو في ذهني، وفي كل يوم كنا نذهب لمنطقة مختلفة من هذه المدينة الجميلة بالسيارة. شوارع الرمل وأشجار الصنوبر الضخمة بأحجام وألوان مختلفة ومنازل لا تُصدَّق لأثرياء ومشاهير. لا أنا ولا زوجتي نريد أن نعيش هناك. ما كنا نحبه جدًا هو رؤية المنازل.

كما اعتدنا أن نقول: "نحن نحب أن نستمتع بثروات الآخرين". النقطة المهمة هي أنه لو كنت معنا داخل السيارة، لكنت قد سمعت كلمة تكرَّرت مرارًا وتكرارًا في كل مرة نقوم فيها برحلة جديدة. "انظر هنا! انظر إلى هذا المنزل! انظر الى هذا أيضًا! انظر الى تلك الحديقة! انظر كيف زيَّنوا ذلك! انظر .. يا له من جمال! انظر! انظر! انظر!". كل شيء نتمتع به يُنتج رغبات لمشاركته مع الآخرين. نتحدث جميعًا عن ما نستمتع به، ولا يمكننا عدم مشاركته. من المستحيل التزام الصمت.

ماذا يحدث عندما تعود من إجازة، أو عندما تشتري ملابس جديدة، أو عندما يفوز فريق كرة القدم المُفضل لك؟ تريد التحدُّث عنه! في الواقع، لا يمكنك التوقف عن القيام بذلك! ماذا يفعل معظم الناس عندما يلتقطون صورًا في مكان جميل؟ يشاركونه على الفيس بوك. نحن جميعًا نريد أن نُشارك ما هو قَيِّم وخاص لنا.

التأمل هو الرغبة في المشاركة. في حالتنا نحن كمسيحيون، نستطيع أن نُعبِّر عن روعة الله وعظمته من خلال ثلاث طرق عملية: العمل الكرازي والتبشير والتلمذة. أجد ما قاله جون بايبر عن مهمة كنيسة بيت لحم المعمدانية التي يرعاها، في منتهي الروعة: عندما

يتعيَّن عليهم تحديد سبب وجودهم ككنيسة، يقولون هذه العبارة الدقيقة والثمينة: "نحن موجودين لننشر شغفنا بسيادة الله في كل شيء، من أجل فرحة جميع الأمم".

يا له من ملخص لطيف عن لماذا نحن جميعًا هنا! كيف يتم تحقيق ذلك بطريقة عملية وملموسة؟ إشراكنا بانتظام في الكرازة الشخصية، وتلمذة المؤمنين الآخرين، وفي الصلاة والدعم المالي للعمل الكرازي. لا يمكن لأي شخص مسيحي حقيقي أن يتوقف عن المشاركة في هذه المهام الثلاث. إذا كنت أقول: إن الله هو أعظم كنز لي، وليس لديَّ أي شغف تجاه هذا الكنز، فهناك شيء خطأ! أن نعيش مجد الله، هو أن نرغب في مشاركته.

لِأقولها بالعكس: إذا لم تكن لديَّ أية رغبة في التحدث عن الله أو أن أُبشِّر الآخرين به، فذلك ببساطة يعني أنني لا أستمتع به. ذلك لأنني لا أرى أو أُقدِّر قيمته وجماله. فماذا عليَّ أن أفعل إذا كانت هذه هي حالتي؟ هل أجبر نفسي على التبشير؟ هل أجبر نفسي على التسبيح؟ هل أجبر نفسي على الخدمة؟ لا، لا أعتقد ذلك. كما سنرى في الفصل التالي. ليست هذه هي الخطوة الأولى.

ما أحتاجه هو العودة إلى السؤال الذي يساوي مليون دولار: **لماذا؟** لماذا ليس لديَّ شغف نحو الله؟ ما هو هدف حياتي اليوم؟ ما الذي يشغل قلبي الآن؟ ما هو الشيء الذي يأسرني؟ ما هو الشيء الذي يتنافس مع الله على مكانته في حياتي؟ ما هو الشيء العظيم في حياتي، ويمنعني من رؤية عظمة المسيح؟ يبدأ التغيير عندما أقوم بتشخيص صحيح وعلاج صحيح. عندما أرى ما يُقيدني ويأسرني ذليلاً، وبعدها أذهب إلى المسيح بحثًا عن الإنقاذ.

إذا كنت لا تشعر برغبة قوية في أن تُظهِر مجد الله، فهذا ليس لأنك كنت جوعان والآن شبعت، بل ذلك لأنك ترمرم أكلات كثيرة من ما يُقدمه العالم. أصبحت روحك مليئة بأشياء صغيرة، والتي لا تترك مجالًا للأشياء المهمة.

كيف يمكنني أن أعرف إذا كنت أُمجِّد الله أم لا؟

أعتقد أن الإجابة على هذا السؤال يمكن تلخيصها في كلمة واحدة: **الفرح**. كيف يمكنني معرفة إذا كنت أعيش الآن من أجل مجد الله؟ أعتقد أن أفضل طريقة هي معرفة، ما إذا كان قلبي ممتلئ بالفرح، وإذا كان مجده يُسعدني ويكفيني.

ما هو الرضا؟ القناعة هي حالة القلب التي يكون فيها الشخص مُمتلئًا دون رغبات كبيرة، غير مملؤة من احتياجاته الأساسية.

وِفقًا للكتاب المقدس، لا تحدث حالة الرضا الداخلي هذه إلا عندما أشرب "الماء الحي" الذي يروي حقًا. (إشعياء ٥٥: ١- ٣؛ يوحنا ٤: ١٣، ١٤).

فكّر معي في آية من الكتاب المقدس تؤكد هذه الفكرة. يقول فيلبي ٤: ١٣ «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي».

في بعض الترجمات يتم تفسير هذه الآية بهذه الطريقة: "المسيح يعطيني القوة لفعل أي شيء". إذا كان هذا التفسير صحيحًا، وهو ليس كذلك، فإن ما سيقوله بولس هنا هو أن المسيح يحوِّلني إلى "سوبرمان". وهذا يعني، باتباع هذا التفسير، أن يسوع قادر على إعطائي القوة البدنية لرفع سيارة أو لإيقاف القطار أو الطيران مثل الطائرة.

يقول النص: "كل شيء"، لذلك "كل شيء" يتضمن قوة لفعل أي شيء. على الرغم من أنها أمثلة مُبالَغ فيها عمدًا، فهي مفهوم خاطئ لهذا الفكر. هل سبق لك أن قابلت مؤمنين، بعد الصلاة أو قضاء الوقت مع الله، يشعرون أن لديهم قوة جسدية أكثر من غيرهم، وهم نوع من "سوبرمان"؟

الجواب واضح: لا. حسنًا، ينص التفسير الثاني الأكثر صحة على أنه شيء روحي، وليس شيئًا ماديًا. في هذه الحالة، يعني فيلبي ٤: ١٣ أن: "المسيح يعطيني القوة الروحية لتحمُّل أي شيء".

إذا نظرنا إلى سياق الآية، سنجد أن بولس يكتب إلى أهل فيلبي يشكرهم على تقدمة أرسلوها له. في العددين ١١، ١٢، يقول إنه تعلم كيف أن يكون بدون مال ويتناول الطعام، وأيضًا أنه تعلم كيف يعيش بأموال كثيرة. في كِلتا الحالتين؛ المسيح يقويه. وهذا يعني، وفقًا لهذا التفسير، أن يسوع يمنح بولس القدرة الروحية على تحمُّل أو معرفة كيفية التعامل مع كل من حالة التقشف أو الغنى المادي. **يمكنك أن تفعل كل شيء في المسيح**. (أقرّ بأني كنت أُفسر هذه الآية من نفس المنطق حتى فكرت مرة أخرى بعمق فيها). أعتقد أن طريقة النظر إلى الآية هذه غير مُكتملَة.

لفهم الآية بشكل صحيح، من الضروري تحديد نقاط أساسية معينة:

أولاً: يتحدث بولس بوضوح عن شيء روحي، وليس شيء مادي. بولس لا يتحدث عن المعدة، بل يحاول أن يعطينا مَثَل. إنه لا يقول: "يمكن لشخص غير مؤمن أن يصوم لمدة أربعين يومًا كحد أقصى، ولكن مع المسيح يمكن أن يتحمَّل الشخص نفسه ثمانين يوم". لا، هذا ليس المخزى من الآية.

بولس يتحدث عن القلب، وليس عن المعدة! ربما إعادة صياغة الكلام على هذا النحو، ستكون أكثر دقة "المسيح يعطيني القدرة على أن أكون راضيًا تمامًا بأي ظرف من الظروف التي أمُرّ به". أعلم أن هذا التفسير مُشابه جدًا للتفسير السابق، ولكن إذا فكَّرت فيه بعناية، فسوف تدرك أن هناك فرقًا كبيرًا.

يقول بولس شيء أعمق من مجرد "المسيح يعطيني القوة لتحمُّل أي شيء". يقول بولس: إنه قد وجد شبعه وسعادته وكماله في شخص المسيح! ما يقوله بولس، هو أنه قد اكتشف أن لديه كل ما يحتاجه مع المسيح.

إذا فكرت في الأمر للحظة، تجد أن بولس يُكرِّر ما قاله بالفعل في الإصحاح الأول، وفي الأصحاح الثالث. «لأن لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبي ١: ٢١)، «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي ٣: ٨).

هل ترى الفرق؟ إنه أكثر من مجرد القدرة على التعامل مع حالة الغِنى أو الاحتياج. لديَّ بعض الأصدقاء غير المؤمنين الذين يمكنهم فعل ذلك جيدًا، لكن يتحدث بولس عن شيء أعمق وأشمَل. يتحدث بولس عن تغيير جذري في ما هو غرضي من الحياة، ومصدر الحياة.

الآن، اسمحوا لي أن أطرح سؤال: كيف تعلَّم بولس أن يعيش هكذا؟ الجواب هو في الآية ١٢. لاحظ ما تقول هذه الآية: «فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ». وهذا يعني أن ظروف حياته المختلفة أظهرت له، وعلَّمته أن يعيش بهذه الطريقة. إنه شيء نتعلَّمه، وليس شيئًا طبيعيًا!

الظروف الجيدة والسيئة لعبت دور المُعلِّم في حياة بولس الروحية، ليتعلَّم السر العظيم بأن المسيح هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يُشبعه ويرضيه. لكن عليك الانتباه

إلى أنه ليست الظروف الصعبة أو المِحَن هي التي علَّمَت بولس فحسب، بل إنه تعلَّم أيضًا من اللحظات الأعظم رفاهية! إذا كنت صريحًا معك بالنسبة لي، فقد كانت اللحظات الأقل رضاء هي اللحظات الأعظم وفرة. نعم، ما قرأته صحيح. دعني أعطيك مثالاً عمليًا.

منذ عدة سنوات، بدأنا في عائلتنا نوعًا من التقليد الذي أطلقنا عليه "وقت خاص مع أبي". خلال "الوقت الخاص مع أبي" نقضي أنا وأولادي بعض الوقت الذي نفعل فيه شيء مُمتع معًا. في بعض الأحيان أقوم بذلك مع كل واحد على حده، وأحيانًا أخرى أجمع الأطفال الثلاثة معًا.

بعد وقتٍ قصير من بدء هذا الروتين، قرَّرت شراء دراجات للجميع، والخروج معهم صباح يوم السبت. كانت نيَّتي الأصلية، من ناحية أن أقضي بعض الوقت معهم وحدهم، ومن ناحية أخرى أن أمنح زوجتي وقتًا هادئ في المنزل دون ضجيج، ودون أطفال. كان شيئًا جديدًا علينا جميعا بما أنني لم أركب دراجة هوائية منذ عشرين عامًا أو أكثر.

أول مرة قمنا بهذا الأمر، كان الوقت الذي قضيناه معًا رائعًا. (بالنسبة لي كانت تجربة عظيمة تقريبًا مثل زيارة قلعة). قلت لنفسي، هذا رائع! نظرًا لأننا انتقلنا مؤخرًا إلى أسبانيا ونعيش بالقرب من البحر، فقد كانت المناظر الطبيعية التي رأيناها أثناء ركوب الدراجة جذابة: الشمس والشاطئ وأشجار النخيل والجبال وركوب دراجة معهم، كان شيء لا يُقدَّر بثمن! كنت أقول باستمرار للأطفال: "هذا شيء عظيم!". ومع ذلك، وبمرور الأسابيع، بدأت أكتشف تغييرًا ما بداخلي في كل مرة خرجنا فيها.

المسألة هي أن أحد أطفالي كان يتعب سريعًا ولم يرغب في ركوب العجلة لوقت طويل. أتذكر إني كنت أُخبره باستمرار: "تشدَّد يا بُني لقد بدأنا طريقنا للتو"، ومع ذلك، في غضون بضع دقائق كان يصرّ على الرجوع إلى المنزل. بدأت أنزعج داخليًا من إصراره. أخذت أُخطط لإستراتيجية لإبعاد المشكلة عني. أخبرت الثلاثة أننا سنشتري الآيس كريم عندما نصل إلى مكانٍ قريب من المكان الذي كنا نذهب إليه. منطقيًا أنقذت الموقف. ومع ذلك لم نستكمل الطريق حتى عربة الآيس كريم. ماذا حدث؟ شعر ابني بالتعب مرة أخرى. (مما يؤكد: المكافأة ليست حافزًا جيدًا للتغيير). بعد عدة شكاوى أخرى، انفجرت وقلت له: كفى يا بُني! ستصمت وتكون هادئًا حتى نصل!

هل تستطيع رؤية ما حدث؟ ما بدا برغبة في حب زوجتي وأولادي، أصبح شكلاً من أشكال الأنانية المجنونة. قد تغيَّر مسار قلبي، وتبدَّلَت رغبتي. لم أعُد أقوم بهذه الرحلة لأنني أُحب زوجتي وأولادي، بل كنت هناك لأني أحب نفسي. النتيجة؟ توقفت عن الشعور بالرضا في القلب، وتحدَّثت بطريقة مؤذية إلى ابني، وأنهيت الرحلة بالدراجة المريرة. لماذا؟ لأنني بدَّلت عبادة الله بعبادة المخلوقات.

ماذا علَّمَتني هذه التجربة؟ أن **لا شيء خلقه الله لديه القدرة على ملء القلب.** هل ترى ما جرى؟ يمكن أن تكون الظروف مُعلّم قوي يُذكّرني أن الحياة الحقيقية ليست أن أفعل ما أريد، ولكن الحياة الحقيقية مُخبَّأة في المسيح (كولوسي٣: ١- ٣).

⇦ **هذا هو السر العظيم** الذي تعلَّمه بولس:

العيش من أجل شيء لا يمكن أن تمّسهُ الظروف مهما كانت.

وهو ليس فقط القدرة على تحمُّل الظروف الصعبة،

ولكن أن أجد المسيح هو اللؤلؤة غالية الثمن في حياتي اليومية.

لا شيء، ولا أحد لديه القدرة على سرقة فرحك، إذا كان فرحك في شخص يسوع.

عندما أحصل على يسوع، أحصل على كل شيء أبتغيه.

وبدونه لا امتلاك لشيء، حتى وإن حصلت على كل شيء.

حرية عدم الاحتياج إلى تَغيير الظروف

القناعة هي النتيجة، لا أنت ولا أنا نستطيع فرضها. لا يمكنك إجباري على أن أكون سعيدًا. يمكنك محاولة تغيير الظروف حتى أشعر بالسعادة، لكن لا يمكنك إجباري على الشعور بهذه الطريقة. إذا أُصيبَ ابني في حادثة سيارة، فيمكنك أن تعزيني أو أن تعطيني عناق أو أن ترافقني في لحظة الألم، لكن لا يمكنك إجباري على أن أكون سعيدًا.

كما قلنا في بداية الكتاب،

يمكنك إجباري على الذهاب إلى حفلة موسيقية معك، لكن لا يمكنك إجباري على العثور على المتعة فيها، والشعور بالرضا التام والبهجة داخل قلبي. الشيء نفسه ينطبق على مجد الله.

كيف يمكنني معرفة إذا كنت أُمجِّد الله؟

الجواب بسيط للغاية: إذا فحصت قلبي ووجدته خاليًا من الشغف بأشياء أخرى. بمعنى إذا كان تمجيد الله يكفيني ويملأني. في كلمة واحدة: "إذا كنت أشعر بالرضا".

إذا لم تكن هذه هي حالتك اليوم اسمح لي أن أشجعك بإكمال تعاليم آيات فيلبي ٤. يقول بولس في العدد ١٢ «فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ». ماذا يعني هذا؟ يعني أن التغيير هو إيجاد الشبع والرضا في المسيح، وهو شيء نتعلَّمهُ.

كما قلنا، فإن الله يستخدم ظروفك الحالية، حتى صراعك مع الخطية، وانعدام الفرح والتقدير لله، كوسيلة لتغييرك بعمق، وملئك بروحه.

واحدة من أكثر الأمثلة وضوحًا لكيفية استخدام الله لظروفنا حتى يجذبنا إليه، هي حنة: في ١صموئيل ١: ٥ نجد أن حنة كانت امرأة عاقر. في ذلك الوقت كان من الأشياء الأكثر إحراجًا وفظاعة بالنسبة إلى أي امرأة، هي عدم قدرتها على إنجاب أطفال. (شيء مُشابه لِما قد يكون عليه اليوم في بعض الدوائر من عدم الارتباط أو إيجاد وظيفة مستقرة أو الحصول على شهادة جامعية).

كان قلب حنة غير راضٍ تمامًا. إذا قرأت ١صموئيل ١: ٥- ٨ ستلاحظ أنها كانت تعيش حياة مريرة مليئة بالغضب والبكاء المستمر حتى إنها لم تأكل، وكانت تشعر بالفراغ لدرجة أنها لم تكن قادرة على الاستمتاع بحب زوجها الصادق. ومع ذلك، حنة فعلت شيئًا أشجعك على فعله أنت أيضًا: كانت تُصلّي. كانت تسكب قلبها أمام الله مُعبِّرة عن مدى يأسه حتى يستجيب الله طلبتها. أعطني ابنًا أو سأموت! (حنة تُقدِّم لنا صورة حية عن كيف يمكن أن تستعبدنا رغبة ما).

ماذا فعل الله؟

على عكس ما نتوقعه جميعًا. أعطاها ما يتوق إليه قلبها! لماذا فعل الله هذا؟ قد يبدو لنا أنه يفعل عكس ما رأيناه في هذا الفصل. يبدو هكذا من الخارج، لكنه ليس كذلك. يستخدم الله رغبة حنة غير المُرضية حتى يجذبها إليه، لإثبات أننا نعيش لشيء خاطئ.

تُعتبَر قضية حنة بطريقة حيوية للغاية مثالًا رائع عن كيف يتشفع لنا الروح، ويُغيِّر صلواتنا إلى شيء أفضل. «وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا».

«وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ. (وهذا يعطينا ما في قلب الله لنا)». «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨: ٢٦- ٢٨).

حنة كانت تُصلّي من أجل طفل، وفعلاً أعطاها الله طفلاً، لكن أعطاها معه شيئًا أفضل - شيئًا أغلى، حيث **أعطاها أن تجد الشبع والبهجة في شخصه هو**. يقول ١صموئيل ١: ١٨ أنه بعد الصلاة: «مَضَتِ الْمَرْأَةُ فِي طَرِيقِهَا وَأَكَلَتْ، وَلَمْ يَكُنْ وَجْهُهَا بَعْدُ مُغَيَّرًا».

متى توقفت عن الحزن؟ عندما حصلت على ما تريد؟ بالطبع لا! لم تتمكن من معرفة ما إذا كانت ستنجب طفلاً أم لا، ومع ذلك تقول الآية التالية: «وَبَكَّرُوا فِي الصَّبَاحِ وَسَجَدُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَرَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِهِمْ فِي الرَّامَةِ. وَعَرَفَ أَلْقَانَةُ امْرَأَتَهُ حَنَّةَ، وَالرَّبُّ ذَكَرَهَا. وَكَانَ فِي مَدَارِ السَّنَةِ أَنَّ حَنَّةَ حَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ صَمُوئِيلَ قَائِلَةً: لأَنِّي مِنَ الرَّبِّ سَأَلْتُهُ».

ما هو الدليل الكبير على أن قلبها قد وجد حقًا الشبع بالله؟ الدليل هو أنه عندما حان الوقت لتسليمه، استطاعت أن تُطلقه. في الواقع إذا كنت تركز في النص، فستلاحظ أنها لم تتردَّد، ولكن بإحساس لا يمكن وصفه من الفرح والسعادة.

١صموئيل ٢: ٢١- ٢٨ يقول: «وَصَعِدَ الرَّجُلُ أَلْقَانَةُ وَجَمِيعُ بَيْتِهِ لِيَذْبَحَ لِلرَّبِّ الذَّبِيحَةَ السَّنَوِيَّةَ، وَنَذْرَهُ. وَلكِنَّ حَنَّةَ لَمْ تَصْعَدْ لأَنَّهَا قَالَتْ لِرَجُلِهَا: مَتَى فُطِمَ الصَّبِيُّ آتِي بِهِ لِيَتَرَاءَى أَمَامَ الرَّبِّ وَيُقِيمَ هُنَاكَ إِلَى الأَبَدِ.

فَقَالَ لَهَا أَلْقَانَةُ رَجُلُهَا: «اعْمَلِي مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكِ. امْكُثِي حَتَّى تَفْطِمِيهِ. إِنَّمَا الرَّبُّ يُقِيمُ كَلاَمَهُ. فَمَكَثَتِ الْمَرْأَةُ وَأَرْضَعَتِ ابْنَهَا حَتَّى فَطَمَتْهُ. [فكر كم كان قليل الوقت الذي قضته حنة مع صموئيل!] ثُمَّ حِينَ فَطَمَتْهُ أَصْعَدَتْهُ مَعَهَا بِثَلاَثَةِ ثِيرَانٍ وَإِيفَةِ دَقِيق وَزِقِّ خَمْرٍ، وَأَتَتْ بِهِ إِلَى الرَّبِّ فِي شِيلُوهَ، وَالصَّبِيُّ صَغِيرٌ. فَذَبَحُوا الثَّوْرَ، وَجَاءُوا بِالصَّبِيِّ إِلَى عَالِي. وَقَالَتْ: أَسْأَلُكَ يَا سَيِّدِي. حَيَّةٌ هِيَ نَفْسُكَ يَا سَيِّدِي، أَنَا الْمَرْأَةُ الَّتِي وَقَفَتْ لَدَيْكَ هُنَا تُصَلِّي

إِلَى الرَّبِّ. لأَجْلِ هذَا الصَّبِيِّ صَلَّيْتُ فَأَعْطَانِيَ الرَّبُّ سُؤْلِيَ الَّذِي سَأَلْتُهُ مِنْ لَدُنْهُ. وَأَنَا أَيْضًا قَدْ أَعَرْتُهُ لِلرَّبِّ. جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ هُوَ عَارِيَّةٌ لِلرَّبِّ. وَسَجَدُوا هُنَاكَ لِلرَّبِّ».

هل تريد أن تعرف ما الذي يدور حوله الفصل الثاني من ١صموئيل (أي الآية التي تتبع الآية التي قد قرأتها للتو)؟ إنها واحدة من أروع تراتيل العبادة لله التي شكَّلها الإنسان عبر التاريخ. لكن فكِّر في الأمر! كُتبت هذه الترتيلة عندما أطلقت حنة سراح ولدها الصغير في منزل شخص غريب.

هل تدرك ما نتحدث عنه الآن؟ أين كان أعظم فرحها؟ ما شغل قلبها؟ من أين حصلت هذه المرأة على هذا الرضا والشبع؟ (أنت تعرف الجواب الآن). ومع ذلك، إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فهناك سؤال آخر أكثر إثارة للدهشة، وصادم، يمكننا أن نطرحه من هذا النص:

ماذا حدث لتلك المرأة الكئيبة والمُتمركزة حول نفسها المُرَّة؟ كيف تخلَّصت من هذه الشخصية الفارغة وغير الراضية؟

الجواب بسيط: **لقد تغيَّرت عندما قابلت الله**. لا تفقد الأمل. الله يريد لك أن تُقدِّر مجده أكثر مما تُقدِّره الآن. ولذلك، فهو يستخدم كل الظروف في حياتك (حتى رغباتك غير المرضية) لكي تتمكَّن من تمجيده هو.

.. .. ..

الملخص

كل المجد الذي يمكن لهذا العالم أن يُقدِّمه أو يعرضه عليك، من: جميع الكرات الذهبية، جميع جوائز الأوسكار، جميع جوائز إيمي، كل الترقيات الوظيفية، كل زيادات الأجور، كل الإجازات، جميع السيارات، جميع المنازل، أي شريك حياة، جميع الأطفال، جميع القلاع - كل هذا معًا، وأكثر من ذلك بكثير، لا يُقَارن بنوع المجد الذي يرغب الله في مشاركته معك. هذا المجد، المُتاح لك بسبب المسيح، هو المجد الذي يريد الله منك أن تبدأ في معرفته والاستمتاع به. ربما هذا هو أفضل جزء من كنزك. لماذا؟ لأن **الله هو أفضل هدية لك. لا يوجد شيء، ولا أحد أفضل منه.**

إن مكافأتنا هي يسوع نفسه، ولا شيء أقل من ذلك. وشخص الله، هو لنا في المسيح يسوع. الخلاص ليس مجرد مغفرة الخطايا، بل هو شركة مع يسوع (١كورنثوس ١: ٩). ما يفعله الغفران، هو أن يزيح أية معوقات قد تكون في الطريق لجعل تلك الشركة ممكنة. إذا كانت الشركة مع الآب لا ترضينا أو تُشبعنا تمامًا، فلن يكون الخلاص شيئًا ضروريًا. إذا كان المسيح شخصًا حزينًا أو حتى شخصًا هادئًا، فستكون الأبدية تنهدًا طويلًا للغاية.

لقد خلقك الله وخلَّصك، وهو يعدك للاستمتاع به. في يوم من الأيام سيكون هذا الفرح كاملاً، لكن حتى ذلك الحين، تذكَّر كلمات يسوع: «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ، وَيُكْمَلَ فَرَحُكُم» (يوحنا ١٥: ١١). مَن يستطيع أن يُقدِّم لنا شيئًا أفضل؟

إلى الشخص الوحيد الذي يُقدِّم متعة لا مثيل لها ..

إلى الشخص الوحيد الذي يُشبع تمامًا ..

إلى الشخص الوحيد الذي يستحق كل قلبنا ..

«اللهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ»

(رومية ١٦: ٢٧).

❦ ❦❦

ملخص موجز



ماذا يعني تمجيد الله؟

هو أن أكون قادر على تقدير جماله.

هو أن أحب فضائله، وأن أجد متعة متزايدة في كل ما هو عليه، وفي كل ما فعله في المسيح من أجلي.

ما الذي يتطلَّبه تمجيد الله؟

لا يمكننا العيش لمجد الله إلا عندما أولاً نكون قد حَظينا بلقاء شخصي مع الله (من خلال الإنجيل)، حيث رأيناه "جذابًا" من جديد. من الضروري أولاً الاستمتاع به وتقدير قيمته. يجب ألَّا يكون تركيزي على محاولة أن أعجب الله، بل على العيش مُعجَبًا به.

كيف نجلب المجد لله؟

لا يمكننا أن نكرم الله إلا إذا عشنا حياة مليئة بروح المسيح. أي عمل آخر يتم دونه، مهما كان عظيمًا، لا يقدر أن يُكرمه .

كيف يمكنني معرفة ما إذا كنت أعطي المجد لله؟

أولاً، إذا كان الله كافي لي. إذا وجد قلبي أن جماله مُشبِع.

ثانيًا، إذا كنت أتطلع إلى مشاركة حياتي المسيحية مع الآخرين. إذا بدأت في التبشير والتلمذة والمشاركة في العمل الكرازي.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- استخدم كلماتك الخاصة لتعرف ما هو مجد الله؟ ماذا يعني أن مجد الله هو وسيلة الحياة المسيحية، وهدفها، وغرضها ؟
- لماذا لا يمكن لأي شخص أن يمجد الله بوسائله الخاصة؟ في أي من مجالات حياتك تجد أنه من "الطبيعي" أن تُمجِّدهُ بطرقك الخاصة؟ لماذا تعتقد أنه من الصعب أن تفعل ذلك؟
- ما هي الأشياء التي تربط بها سعادتك عادةً؟ لماذا تعتقد أن لها قيمة للغاية بالنسبة لك؟
- هل تشعر بالحماس اليوم للتحدُّث عن يسوع للآخرين؟ لماذا نعم، ولِمَ لا؟ ما هو الحل للبدء في القيام بذلك؟ هل ترغب في التفكير في صديق أو أحد أفراد الأسرة أو زميل في العمل غير مؤمن، لتبدأ في الصلاة من أجل خلاصه، وتنتبه إلى إمكانية مشاركة الإنجيل معه؟
- هل تشارك في تلمذة شخص ما؟ كيف تُعرِّف التلمذة في ضوء ما قرأته في هذا الفصل؟
- هل ترغب في بدء لقاء مرة واحدة في الأسبوع مع شخص ما لمساعدته على النمو في حياته الروحية؟ (ربما يمكنهم قراءة هذا الكتاب أو كتاب آخر معًا، ومناقشته في كل مرة تجتمعون فيها).

* * *

الفصل العاشر

مقدرة جديدة للطاعة

إن اختبار تغيير عميق، يُنتِج نتيجتين رائعتين في حياة كل مؤمن: من ناحية، يعطيني حافزًا جديدًا للطاعة، ومن ناحية أخرى يعطيني قوة جديدة للقيام بذلك. دعونا ننظر في كل جانب من هذه الجوانب بعناية.

دافع جديد للطاعة: الثبات في حُبه

ما هي الطاعة؟ **الطاعة هي نتيجة**. هذه هي الحقيقة الأكثر أهمية التي سنتعلَّمها في هذا الفصل. يجب أن تفهم هذه الحقيقة في عقلك، وتحفظها في قلبك. تأمل فيها لأنه من الصعب إحداث أي نوع من التغيير الحقيقي دون فهمها جيدًا.

كما أكدنا طوال الكتاب، ما تفعله هو نتيجة لِمَا تحب. تشاهد التلفزيون لأنك تستمتع به. تذهب للتسوُّق لأنه يسبب لك المتعة. تختار أن تتزوج هذه الفتاة لأنك مُعجَب بها. جميع ما نقوم به هو نتيجة لِمَا نجده جذابًا وقَيِّمًا، ويستحق الحب. ولذلك، فالطاعة الحقيقية هي: نتيجة الاستمتاع بالمسيح[1].

---

[1] في الواقع، إذا كنت تأملت للحظة، فإن العصيان هو أيضًا نتيجة. إنه نتيجة أن قلبك يحب الخطية أكثر من الله، وبالتالي، يختار العصيان. **العصيان هو ثمرة ونتيجة لِمَا يُحبه قلبك**.

على سبيل المثال: إذا كان قلبك يحب الهيبة، نتيجة لذلك، فسوف تعصى الله عن طريق المُبالغة والكذب وتسليط الضوء على فضائلك، وتقليل عيوبك، وتبريرك الذات، واختلاق الأعذار، وإلقاء اللوم على الآخرين .. إلخ.

قال يسوع: «أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْل، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ. أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَة» (متى ١٣: ٤٤، ٤٥).

من جهة التطبيق العملي لهذا المَثَل كما قلنا في الفصل السابق، فإن التغيير الحقيقي ليس مجرد إيمان، بل **التغيير الحقيقي هو إيجاد لؤلؤة ثمينة**. إنه العثور على أعظم كنز يستحق ترك كل شيء أمامه. بمعنى آخر؛ **التغيير: هو البدء في البحث عن يسوع وحبه**.

التقديس هو زيادة هذا الحب! انظر بعناية إلى الآية: "ترك كل شيء" و"باع كل ما لديه" هو نتيجة أن يصبح السيد المسيح لؤلؤة كبيرة الثمن. أولاً، يجب أن يكون كل شيء؛ أكبر فرحة لك، وأعظم حب، ونتيجة لذلك تتغيَّر الطريقة التي تعيش بها، وتختلف قراراتك، وتُعيد ترتيب أولوياتك.

هذا التقدير ليسوع الذي يحدث لأول مرة عندما تقبل يسوع المسيح كمُخلِّص هو التجربة التي يجب أن نعيشها مرة أخرى كل يوم. هذا هو السبب وراء وقت التعبُّد الذي تقضيه كل يوم في محضره[٢]. هذا هو السبب وراء ذهابك إلى الكنيسة كل يوم أحد. هذا هو السبب في كونك جزءًا من مجموعة تلمذة صغيرة. إن الهدف الأسمى وراء القيام بذلك، هو أن تقع في حب المسيح، وتندهش بجماله مرة أخرى كما فعلت في اليوم الأول. يقول يسوع نفسه، إن الغرض من كل هذه الأنشطة هو استعادة "حبك الأول" أو زيادته (رؤيا ٢: ٤؛ ١تيموثاوس ١: ٥).

اسمحوا لي أن أُقدم لكم مثالاً كتابيًا واضحًا عن كيفية عمل الطاعة. يقول الكتاب في أعمال الرسل ١: ١٥، ١٦ «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ قَامَ بُطْرُسُ فِي وَسْطِ التَّلاَمِيذِ، وَكَانَ عِدَّةُ أَسْمَاءٍ مَعًا نَحْوَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ، عَنْ يَهُوذَا الَّذِي صَارَ دَلِيلًا لِلَّذِينَ قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ». في هذه الآيات يكشف لنا بطرس شيئين ثمينين للغاية حول شخصية الله.

---

[٢] لاحظ أنه عند الحديث عن وقت "العبادة"، تُشير كلمة "التفاني" نفسها - أي وجود عاطفة عميقة في الفعل. **التفاني؛** هو شعور بالإعجاب العميق المستوحى من مجد أو فضيلة أو مزايا شخص، أو مؤسسة أو قضية.

أولاً: يقول: إن الله أمين.

بمعنى أنه **عندما يقول الله إنه سيفعل شيئًا، فهو يَفي بوعده دائمًا.**

إذا كان متوقع منه أن يفعل شيء (في الكتاب المقدس)، فكان دائمًا، وفي أي موقف، **يفعل ما وعد به.**

فكِّر في نفسك للحظة: ماذا ترى عندما تنظر إلى قلبك؟ أنا أعترف لِمَا أراه في قلبي. أرى قلبًا مُنقسمًا (وهو عكس الإخلاص). أرى قلبًا زانيًا. أرى شخصًا يحب الله للحظة، وفي المقابل يحب نفسه لخمس دقائق. الآن، ماذا ترى عندما ترى قلب الله؟ **الحب الذي لا يتغيَّر. الحب غير المشروط. الإخلاص. الثبات.**

يقول بطرس: أيها الإخوة، عندما نفحص الله، فلا شك أنه مختلف عنا.

هو يَفي بوعده.

"أمين"؛ هو الشخص الذي لديه التزام تجاه شخص آخر،
والذي بدافع من شخصه، وليس اعتمادًا على استجابة الآخر،
لا يتوقف أبدًا عن حبه، ويُلبي دائمًا ما يَعِد به.

بطرس واضح: **"كان يجب" أن يوفي الله ما وعد به.** حسنًا حتى الآن لم أكتب أي شيء جديدًا أو مُلفت للنظر. ومع ذلك أطلب منك أن تواصل التأمل في النص.

ثانيًا: ماذا خطط الله له من قبل تأسيس العالم؟ ما الذي كان "يجب" أن يتحقق؟ أن يهوذا يُسلِّم المسيح. هذا يعني أن الله قد صمَّم كامل تاريخ البشرية بحيث تؤدي كل أحداثه إلى ذروتها، وهي: موته - (أي أن كل ما حدث من سفر التكوين ١ إلى سفر أعمال الرسل ١ كان موجهًا، ومُسيطرًا عليه، ومُخططًا له من قِبَل الله، من أجل تحقيق هذا الجزء من الكتاب المقدس).

فكِّر فيما فعله الله لبضع لحظات: نحن جميعًا نضع خطط. نحن جميعًا نخطط للكثير من الأشياء. أُحب أن أُخطط لكيف سأقضي يومي. وماذا سنفعل كعائلة في عطلة نهاية الأسبوع، وأين سنذهب في إجازة. أنا وأنت أيضًا نضع خطط عمل، ونخطط لِأعياد الميلاد، وأشياء أخرى كثيرة. نحن جميعًا نُخطط، في كل وقت. ومع ذلك لا أحد يُخطط لكيف يعاني الآخرين.

يقول بطرس: إن **الله خطَّط القصة بطريقة رائعة**، حيث يتم تسليم يسوع من قِبَل أحد أصدقائه وتلاميذه. في تلك اللحظة الدقيقة - أي بعد تذكُّر هذه الحقيقة الثمينة حول شخصية الله، يقول بطرس في سفر أعمال الرسل ١: ٢١ «فَيَنْبَغِي أَنَّ الرِّجَالَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ». لاحظ "فينبغي". ما الذي يريد أن يُشير اليه بطرس باستخدامه "ف"؟ أترجمها أنا إلى تلك العبارة: "بما أن الله أظهر حبه على الصليب، حيث خطط لحياته كلها ليتم تسليمه، ونتيجة لذلك نلاحظ الكتاب المقدس، ونفهم أنه يريدنا أن نختار بديلاً لذلك. نتيجة لذلك، وبالتالي، دعونا نطيع ونختار بديلاً ليهوذا".

كيف تعمل الطاعة المسيحية؟

تعمل الطاعة المسيحية على هذا النحو: يُظهِر الله إخلاصه وحبه اللامتناهيين، وبالتالي، (أي كنتيجة لذلك)، أجده يستحق كل حبي والثقة والتفاني، لذلك أطيعه.

ما هي الطاعة؟

الطاعة هي نتيجة أن تفتح عينيك على ما فعله الله،
وما زال يفعله، وما سيفعله.
الطاعة هي نتيجة لرؤية صلاحه[٣].

الطاعة هي نتيجة اكتشاف: أن المسيح وحده يكفي

إذا قمت بتحليل سلوكك بدقة، فستُدرك حقيقة مليئة بالمعنى: **الطاعة هي نتيجة إيجاد الشبع الكامل، والعصيان هو نتيجة الفراغ**. فكّر في هذا الأب الذي يشاهد التلفاز بعد يوم طويل في العمل، ويبدأ طفلاه الصغيران في المشاجرة. ماذا يفعل الأب؟ يصرخ

---

[٣] الديناميكية نفسها التي نراها في الأصحاح الشهير لرومية ١٢: ١ (KJV١٦٠٦): «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّة». الاقتران بـ "ف" (والذي يترجم في ترجمات أخرى "لذلك")، يقوم بنفس دور "لذلك" من أعمال ١:٢١.

ماذا يقول بولس في هذه الآية ؟ نفس ما شرحته أعلاه. بما أننا اختبرنا رحمة الله (في الإنجيل)، وبما أننا قد ذقنا رحمته، ولأننا قد أدركنا واقعه، فلنُقدم حياتنا كذبيحة حية ومقدسة ومرضية لله. بولس واضح. **التسليم هو نتيجة؛** ثمرة بعد أن تلقينا رحمة الله.

بغضبٍ شديد: "كفوا عن الشجار! لا أستطيع التحمُّل أكثر من هذا! أنتم غير مُكترثين لأمر أي أحد!". ماذا فعل هذا الأب؟ لقد عصى وصايا الله.

يُخبرنا الكتاب المقدس بوضوح أننا يجب ألَّا نصرخ أو نتحدث بطريقة مؤذية مع الآخرين (متى ٥: ٢٢؛ أفسس ٤: ٣١). ولكن لماذا فعل هذا الأب ما فعله؟ في هذه المرحلة، أعتقد أنك تعرف الإجابة. ومع ذلك، اسمح لي أن أُعبِّر لك بطريقة مختلفة: صرخ هذا الأب على أولاده لأنه كان فارغًا.

ما أقصده هو أن هذا الأب كان "يحتاج" للراحة، ومن خلال مشاهدة التلفزيون كان يحاول سد هذه الحاجة للراحة. لماذا كان رد فعله مليء بالخطية وعصيان الله؟ لأن الأطفال قاطعوا وقت الراحة الذي يقوم فيه بـ"إعادة شحن" الطاقة العاطفية والروحية.

ماذا يفعل شخص ذو (يمتلك) كنز عظيم؟ يخفيه ويحفظه ويحميه. إذا كان المال، فيضعه في بنك داخل صندوق ودائع آمِن. إذا كان منزل، فإنه يُشغِّل جرس الإنذار ويغلقه. إذا كانت سيارة، فيتأكد من وجودها في الجراج. إذا كانت سُمعته، فهو يتأكد من قمع دوافعه في الأماكن العامة حتى لا يسخر منه أحد، ويحافظ على صورته. إذا كان وقت راحة بعد العمل، فيغضب ويصرخ لحماية تلك اللحظة. لماذا نفعل هذا؟ لأننا نحب كنزنا. لأننا لا نريد أن نفقده. لأننا لا نريد أن يلمسه أحد.

تخيَّل الموقف التالي: دعنا نقول: إنك ورثت مائة مليون يورو. ماذا تفعل بهذا المال؟ تضعه في بنك، وتُقرِّر أن تعيش بقية حياتك من فوائد هذا المال. دعنا نقول: إنه في إحدى الليالي تخرج لتناول العشاء مع شريك حياتك، وبعد دفع حساب العشاء نقدًا، يعطيك النادل عشرة يورو بقية الحساب. ثم تترك له خمسة يورو، وتضع خمسة يورو في الجيب الأيمن من سُترتك. تغادر المطعم، وتجد صبي يركض ويضربك، وبدون أن تشعر يضع يده في جيبك الأيمن ويسرق الخمسة يورو. في غضون بضع دقائق تدرك ما حدث.

ما هو رد فعلك؟ هل تتصل بالشرطة في غضب شديد لِمَا حدث للتو؟ هل تبدأ بالصراخ كالمجانين؟ هل تعاني من اليأس؟ أنا أشك في ذلك. لماذا؟ لأنه بينما أخذ هذا الصبي شيئًا ذا قيمة منك، لم يلمس أعظم كنز! لديك مائة مليون يورو آمنة في بنك في سويسرا. تهانينا!

أنت لم تصرخ! أنت لم تغضب! أنت لم تيأس! لماذا؟ الجواب واضح: لم يلمس أحد كنزك الخاص. لم يلمس أحد ما تُحبه حقًا. بمعنى أنك لم تخطئ لأنك لا تزال مليونيرًا. رد فعلك كان مُتماسك لأنك "راضي" و"مكتفي"، ولديك كل ما تحتاجه وأكثر من ذلك. كنزك سليم.

ولكن ماذا سيحدث إذا عُدت إلى منزلك، وعند محاولة الوصول إلى حسابك المصرفي عبر الإنترنت، وجدت أن رصيدك أصبح صفرًا؟ ماذا سيكون رد فعلك الآن؟ هل تتصل بالشرطة؟ هل تبدأ بالصراخ؟ هل سيملأ الحزن قلبك؟ هل سيكون لك رد فعل عنيف؟ لماذا؟ لأنهم الآن أخذوا أغلى شيء لديك. في كل مرة نخطئ فيها، نقول: إن شيئًا آخر، وليس المسيح هو أعظم كنز لنا.

إذا صرخ الأب في وجه أطفاله لأنهم يقطعون وقت راحته، فإن ما يراه هذا الأب هو أن أولاده قد لمَسوا "كنزه". على الأقل في ذلك الوقت كانت رغبته في العيش، ورغبته الكبرى تتمحور حول التلفزيون: كنزه هو الاسترخاء والراحة. هل عصى هذا الرجل شريعة الله؟ نعم، هل يجب أن يتوقف هذا الرجل عن الصراخ في وجه أولاده؟ نعم، لكن السؤال الأهم هو: كيف يطيع هذا الرجل وصايا الله؟ هل بقوته الخاصة؟ هل يتوقف عن تشغيل التلفزيون في كل مرة يعود فيها إلى المنزل؟ هل يَعِدّ إلى عشرة قبل أن يتكلم وهو غاضب؟

مفتاح الطاعة هو إدراك أن ردّ فعلي (سواء كان جيد أو سيئ) هو نتيجة لِمَا "يملأني". نتيجة لِمَا يجده قلبي "أعظم كنز" في هذه اللحظة. نتيجة لِمَا أراه "لؤلؤة كثيرة الثمن". مفتاح الطاعة هو أن أدرك أنني قد بدلت المسيح بأخبار الساعة الثامنة. أن أدرك أن المسيح توقف عن أن يكون مصدر حياتي.

كما يقول جون بايبر: "**الخطية هي ما يفعله المرء عندما لا يجد قلبه الشبع بالله**". نعم، لقد قاطع الأطفال وقت الراحة الخاص بك. ولكن المفتاح، هو أن تدرك أن المشكلة ليست الأطفال أو الراحة.

المشكلة هي أنك بدَّلت كنزك. إذا كان المسيح بالنسبة لك بمثابة المائة مليون يورو. إذا كان حقًا لديك تلك القيمة داخل قلبك، فإن مقاطعة أطفالك لوقت الراحة تُعادل الخمسة يورو التي سرقها ذلك الفتي عندما غادرت المطعم. إذا كان هناك شيء غير مهم

مثل فقدان دقيقتين من نشرة الأخبار على التلفاز يُولّد ردّ فعل كبيرًا ومُبالَغ فيه بهذا الشكل، فما الذي عليك التحقق منه؟ حسنًا. من الواضح أن في ذلك الوقت، لم يكن المسيح أكثر ما تُحبه.

الخطية هي أي شيء تفعله، يعكس أن المسيح ليس كنزك الأعظم. إنه، كما يقول في رومية ١: ٢٣، هو تغيير مجد الله بمجد شيء مخلوق.

ما هو الحل إذن؟ أن أضغط على لساني عندما يزعجني الأطفال؟ لا! الحل هو أن أدرك أنني يجب أن أستعيد حبي الأول! كان هذا الرجل فارغًا بالفعل قبل مقاطعة الأطفال لوقت راحته. دائمًا وفي جميع المناسبات، نحن "فارغون" قبل العصيان. لماذا؟ لأن العصيان هو محاولة "لملئك". (أليس هذا ما كان يبحث عنه الأب عند مشاهدة التلفزيون؟). كما تَعلَّمنا في الفصل الرابع، نخطئ لأن الخطية تمنحنا بعض الوعود بالسعادة. كل إغراء هو بديل. عرض للشعور بالسعادة. حل غير صحيح لحاجتك (تذكَّر إرميا ١٣: ٢). ماذا يجب أن نفعل؟ العودة إلى حُبنا الأول من خلال الإنجيل.

فقط عندما تعود لتستمتع بالمسيح كما لو أنه كان بقيمة المائة مليون يورو، يمكنك بكل سرور أن تسمح لأي شخص أن يسرق الخمسة يورو دون أي إزعاج كبير. ربما يمكنك أن ترى ذلك الآن:

الطاعة هي نتيجة وجود شبع،
والعصيان نتيجة الفراغ.

الطاعة هي نتيجة الحب

نقرأ في يوحنا ١٤: ١٥ «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ». لسنوات عديدة قمت بتفسير هذه الآية بشكل غير صحيح. بالنسبة لي، كان حب يسوع هو الشيء نفسه مثل طاعة يسوع. كنت أعيد صياغة النص هكذا: "حب يسوع هو الحفاظ على وصاياه". ومع ذلك إذا قرأت النص بعناية، ستجد أن هذا ليس ما يقوله يسوع. طاعة المسيح ليست هي محبة المسيح. **يقول يسوع**: إن **الحب يأتي أولاً ثم الطاعة**. يمكنك إطاعة شخص تمامًا دون حبه. الفريسيون هم أفضل مثال! طاعة يسوع هي النتيجة، إنها نتيجة الواقع في حب المسيح.

أرفض المفهوم القائل بأن: حب المسيح هو الأعمال العقلية التي أقوم بها لطاعة كلمته. عندما قال يسوع: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ» (يوحنا ١٤: ١٥)، كان يصف تأثير الحب، وليس جوهر الحب. **أولاً** هناك حب، **ثم** هناك النتيجة: الطاعة. الطاعة ليست الشيء نفسه مثل الحب.

يوحنا ٣: ١٩ يكشف عن شيء يستحق التأمل فيه. يكتب الرسول: «وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، [أي، أن يسوع جاء إلى العالم]، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّور [أي يسوعِ]، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً».

يوحنا يكشف شيء مهم للغاية. يقول: إن "حكم" الله وطريقته في تقييم الناس، والمقياس الذي يستخدمه لقياس قلب الإنسان، هو تقييم ما يحبه وما يكرهه المرء. ليس أفعالاً، ولكن ما يُحبه القلب.

كيف نعرف ما هو الشيء الذي يحبه شخص ما؟ تقول الآية أيضًا: من خلال أعمالهم. أعمالهم كانت سيئة لأنهم أحبوا الظلام! كان قلبهم في المكان الخطأ، وبالتالي، رفضوا يسوع.

إذن، ماذا يجب أن يحدث لشخص حتى يطيع حقًا؟ عليك أن تُغير مايحبه هذا الشخص. يجب أن يتوقف عن حب الظلام (عروض العالم الخاطئة وغير المرضية)، ويبدأ في حب النور (المسيح).

ما هو التغيير؟ هو أن أبدأ بحب شيء اعتدت أن أكرهه (النور/ المسيح)، وأن أبدأ في كره شيء اعتدت أن أحبه (حياة العالم). التقديس هو عملية العثور على المزيد، والمزيد من المتعة في الشخص الصحيح؛ المسيح.

تَغيير المنظور

لن أنسى أبدًا يومي الأول كطالب في كلية دالاس اللاهوتية. كنت في بلدٍ جديد مع أشخاص لم أكن أعرفهم، مُحاطًا بمئات الأشخاص من مختلف أنحاء العالم الذين ذهبوا مثلي لدراسة ومعرفة المزيد عن الكتاب المقدس.

بالنسبة لي، كان كل شيء رائعًا. لم أستطع أن أكون أكثر سعادة. كنت أُحقق حلمي الكبير في الدراسة في واحدة من أكثر الكليات شهرة في العالم أجمعه. حتى كتابة هذا الكلام، يعطيني الفرصة للشعور مرة أخرى بالمشاعر نفسها التي شعرت بها في ذلك الوقت.

في ذلك اليوم، كانت قاعة الكنيسة مليئة بالمُعلمين والطلاب. كان معي كتابي المقدس، ودفتر قمت بشراؤه حديثًا، مفتوح وجاهز لتدوين أية ملاحظات أو أفكار. عندما حان وقت خدمة الكلمة، وقف رئيس المدرسة، وقرأ من على المنبر ١تيموثاوس ١: ٥. كان ذلك كافيًا بالنسبة لي.

بعد أن قرأ هذه الآية، ببساطة فقدت كل تركيزي لأني تأثرت كثيرًا بما قاله بولس في هذه الآية، لدرجة أنني لم أستطع إيجاد المزيد من الاهتمام. لا أتذكَّر كلمة واحدة مما قاله هذا الرجل طوال رسالته. ١تيموثاوس ١: ٥ يقول: «وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ رِيَاءٍ.».

هل تدرك ما يقوله بولس؟ يَصف بولس السبب وراء ذهاب شاب مثلي إلى محاضرة مثل التي كنت فيها (ولم يكن هذا هو السبب نفسه لذهابي هناك!).

يقول بولس: إن الغرض من تعليمنا (أي الغرض من دراسة الإنجيل، والغرض من الذهاب إلى كلية اللاهوت، أو قضاء وقت عبادة في محضر الرب، والمشاركة في دراسة الكتاب المقدس، والذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد، حتى الغرض من قراءة هذا الكتاب) هو أن تكون مُحِّبًا أفضل. لقد ذهبت إلى المدرسة لتعلُّم الكتاب المقدس، وليس لتعلُّم كيف أحب المسيح! كنت مُخطِئا جدًا.

ولكن انتبه مرةً أخرى إلى ما تقوله بقية الآية. الآية لا تتحدث عن ثلاثة أشياء مختلفة. بولس لا يقول إن الغرض من تعليمنا هو الحب المولود من قلب نقي، وأن يكون لدينا "ضميرًا صالحًا"، وأن يكون لدينا إيمان غير زائف، كما لو كانوا ثلاثة أشياء مختلفة. ولكن اقرأ الآية جيدًا.

يقول بولس: "**إن غرض تعليمنا هو الحب المولود من قلبٍ نقي، ومولود من ضمير صالح، ومولود من إيمان غير زائف**". القلب النقي، والضمير الصالح، والإيمان غير الزائف، يُعادلون كلمة الحب! وهذا يجب أن يكون السبب وراء سعيي للحصول على تعاليم من كلية اللاهوت حيث أنمو في هذه الجوانب الثلاثة من الحب، وأن ينبت حبي من هذه الحقائق الثلاث الداخلية وغير المرئية (ما نعرفه في أسفل الجبل الجليدي) - أي أننا نتلقى التعليم والدراسة حتى نتعلَّم حب (الله والآخرين)، بقلب له دوافع أكثر نقاءًا (قلب نقي)،

وخالي من الأفكار السيئة (ضمير صالح)، والذي يضع ثقته حقًا في عمل الآخر للقيام به (إيمان غير زائف)! **هدف الله الأعظم، هو تغيير الطريقة التي أُحب بها**[٤].

عندما نفكر أنا وأنت في التغيير، فإننا عادةً ما نربطه بتغيير نوع من السلوك أو تعديله. اعتدت الصراخ في وجه أولادي كل ليلة، والآن لا أفعل ذلك كثيرًا. اعتدت الوقوع في العادة السرية، والآن لا تُشكل معركة قوية. اعتدت أن أُزوِّر في ضرائبي، والآن أقول الحقيقة. ومع ذلك من وجهة نظر الكتاب المقدس، التغيير، على الرغم من أنه يؤدي إلى تغييرات سلوكية، هو أكثر من ذلك بكثير!

التغيير العميق؛ التغيير الذي يُحدِثه الله،

هو أن أرى الإنجيل رائعًا في عينيَّ؛

هو أن أرى المسيح جذابًا؛

إنه تغيير حيث يتم إبهارنا بجمال كل ما هو الله لنا في المسيح.

ما هي الوصية العظمى؟ ما هي العبارة التي يمكن تلخيصها في كل ما يُعلّمه الإنجيل؟ هل تطيع الرب إلهك من كل قلبك، وبكل روحك، وبكل قوتك؟ بالطبع لا! الوصية العظمى هي أن تُحبه. أن تجده أغلى من أي شيء يمكن أن يقدمه لك العالم. فكّر فيما يلي:

ماذا يعني تمجيد يسوع؟ ماذا يعني تعظيمه؟ سأدع بولس يُجيب على هذا: «حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي أَنِّي لاَ أُخْزَى فِي شَيْءٍ، بَلْ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ كَمَا فِي كُلِّ حِينٍ، ذلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ. لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبي ١: ٢٠، ٢١).

ما هو "تمجيد المسيح؟" ماذا يعني "تعظيم المسيح؟". بكلمات بولس، هو اعتبار كل الأشياء الأخرى التي يمكن أن يُقدِّمها لي العالم كقمامة مُقارنةً به. (وهذا يشمل القلاع

---

[٤] إذا نظرت إلى رسائل بولس، ستلاحظ أن الرسول يُصلّي عادةً الشيء نفسه بالنسبة للكنائس التي يكتب إليها. «وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ، كَمَا نَحْنُ أَيْضًا لَكُمْ» (١تسالونيكي ٣: ١٢). «وَهذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتُكُمْ أَيْضًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا مُخْلِصِينَ وَبِلاَ عَثْرَةٍ إِلَى يَوْمِ الْمَسِيحِ، مَمْلُوئِينَ مِنْ ثَمَرِ الْبِرِّ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِمَجْدِ اللهِ وَحَمْدِهِ» (فيلبي ١: ٩- ١١).

والجنس والمال والراحة والتلفزيون والأفلام والفن والإجازات وأصدقائك وسيارتك وعائلتك وحتى حياتك الخاصة. إذا لم تَرها بهذه الطريقة، فابحث لوقا ١٤: ٢٦). لماذا يقول بولس: إن "الموت هو ربح؟". لأنك ستتقابل وجهًا لوجه مع المسيح. لأنه يمكنك حينئذٍ أن تراه دون عائق. لأنه يمكنك الاستمتاع به بالكامل.

بالطبع، سوف تخسر الكثير من الأشياء. ستفقد عائلتك وأصدقائك وعملك ومنزلك وسيارتك وإجازاتك والجنس وملذات لا تُعَدّ ولا تحصى، لا يمكنني تعدادها. ومع ذلك، إنه مكسب، لأنه حتى لو فقدت كل ذلك، فلا شيء يُقارَن بيسوع! كما يقول بايبر: "ما هو تمجيد المسيح؟ إنه عندما يُقدَّس المسيح أكثر من كل ما يمكن أن تعطيك الحياة، وأكثر من كل ما يمكن أن يسلبه الموت".

نهج جديد

اسمحوا لي أن أُعبِّر عنها بطريقة أخرى. الأمر لا يتعلَّق بالتركيز على تغيير سلوكي، بل التركيز على تغيير ما يشتهيه قلبي. هذا المفهوم يجب أن يتخلَّل حياتك الروحية بأكملها.

ما يبحث عنه الله، ليس ببساطة أن أتوقف عن النظر إلى المواد الإباحية، ولكن ما يبحث عنه الله هو أن أُريده أكثر من الجنس.

ما يبحث عنه الله، ليس مجرد إنفاق أموال أقل على الملابس، ولكن أن أُحبه فوق آراء الآخرين.

ما يبحث عنه الله، ليس ببساطة أن أتوقف عن مشاهدة التلفزيون بشكل إجباري، ولكن أن يستمتع قلبي بوجوده بدلاً من الفيلم.

التقديس هو عملية التغيير حيث يعمل الله، من خلال الروح القدس في قلبي، لرؤية المسيح أكثر جمالاً، وحيث تتغير قِيَمي كنتيجة لهذا العمل. وهذا هو:

تغيير ما أُحب، وتغيير ما أفكر فيه، وتغيير ما أقوم به.

هدف الله هو أن نُحبه. عندما أحبه، سوف أتوقف عن الوقوع في الخطية. كما رأينا في قضية يونان، وكما يوضح لنا الفريسيون بوضوح: من الممكن ألَّا نخطئ (بالمعنى التقليدي للكلمة)، ولكن نظل بحب فاتر ليسوع. إذا كان الشخص يقضي ساعات طويلة يوميًا في مشاهدة التليفزيون أو على نظام غذائي صارم ليبدو أنحف، فهو لم يرتكب أي خطأ. لكن ما الذي يكنزه قلبه؟ أين هي سعادته؟

أُحب حقًا تعريف الخطية الذي قرأته منذ سنوات عديدة:

الخطية هي **كل ما يضعف** هدفك في الحياة،

أو يدمر اتصالك بضميرك،

أو يعيق إحساسك بالله،

أو يسرق تركيزك على الأشياء الروحية –

هذه هي الخطية بالنسبة لك، بغض النظر عن كم قد تبدو بريئًة.

الطاعة

- **هي** ليست فعل ما هو صواب،
ولكن الطاعة هي أن **أحب** ما هو صواب.
- عندما أحب ما يجب أن أحبه، أفعل ما يجب أن أفعله.
- من السهل أن أطيع دون أن أحب، **ولكن** من الصعب أن أحب دون أن أطيع.

إذا نظرنا إلى حياة يونان أو آية مثل تلك في متى ٦: ١، نتذكَّر أنه من الممكن طاعة الله دون أن نُحبه (من الممكن أن نُصلّي ونصوم ونعطي للفقراء ونبشر، ونعمل ألف شيء "روحي" ولكن لمصلحة نفسي).

أما في المقابل، **فمن المستحيل أن نحب الله دون طاعته**. عندما اقع في حبه ويأسرني شخصه، يعمل المسيح فيّ كنتيجة. بهذه الطريقة، كما يقول يوحنا ١٥ تبدأ ان تظهر من خلالنا "الثمار" (يوحنا ١٥: ٥). وهكذا نختبر تغييرات داخلية وخارجية جذرية.

مُشتت الانتباه ليسوع

اسمحوا لي أن أشارك تجربة شخصية يمكن أن تساعدك على فهم أفضل لكيفية عمل هذه الديناميكية في الحياة العملية؛ في تلك الحالة بالذات، كيف يمكننا أن نُطبق هذا المبدأ في لحظة الاختبار. (لقد قمت عن عمد، بتغيير العديد من تفاصيل هذه القصة حتى لا أفضح أي من المشاركين).

واحدة من أكبر نضالاتي هي تحمُّل الظلم. ليس لديَّ أية مشكلة في طلب الصفح إذا كنت قد فعلت حقًا ما اتُهمت به؛ لكن إذا قال شخص ما شيئًا عني غير صحيح، يبدأ بركان داخلي في الغليان.

منذ بعض الوقت اضطررت إلى خوض تجربة، قال فيها شخص ما أشياء مروعة عني. ما قاله هذا الشخص، لم يكن اتهامات أعرَب عنها على انفراد، بل على العكس تمامًا؛ لقد كانت تصريحات قبيحة وكاذبة للغاية، أعلنها أمام العديد من الأشخاص الذين شاهدوا المشهد، والذين بعد ذلك، كانوا مسؤولين عن مشاركة الآخرين أيضًا.

عندما انتهى هذا الشخص من التصريح بكل هذا، اقترب إليَّ صديق شاهدَ ما حدث، بدموع في عينيه وقال: "كيف يمكن أن تتحمَّل كل هذا، دون أن تقول كلمة واحدة بعد كل الأكاذيب والوحشية التي قالها هذا الشخص عنك؟". كان جوابي: "لا تبكِ". (حرفيا بدأ صديقي في البكاء دون توقف). "يمكنني أن أخبرك بكل إخلاص، أن هذه كانت واحدة من أسعد لحظات حياتي".

نظر إليَّ صديقي وهو مُتعجب من ما أقوله. ثم أضفت: "في هذه اللحظة أنا أستمتع بالمسيح كثيرًا. لم يؤثر فيَّ أي شيء من ما قاله هذا الشخص عني فحسب، بل شعرت أيضًا بسعادة تغمرني كل ثانية". هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أستطيع فيها أن أقول: إنني عشت ما يقوله يعقوب ١: ٢ «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ».

بالنسبة لي، هذه التجربة التي وصفتها للتو لم تكن صعبة، بل كانت ببساطة مستحيلة! هل تستطيع فهم ما أتحدث عنه؟ نعم، لقد أطَعت أمر يعقوب ١: ٢، لكن لم أكن أنا مَن فعل ذلك، لقد كان المسيح في داخلي هو العامل فيَّ! (كنت مُشتَّت الانتباه عن ما يحدث، بتركيزي على يسوع؛ كان كل ذهني مُركَّز فقط عليه).

أنا لا أتفاعل بشكل جيد عندما أواجه الظلم. لا أبقى هادئًا عندما يتهمني أحد ظلمًا. لم أكن سعيد ومليء بالبهجة في منتصف الاختبار. هنا لا يوجد مكان لإثبات الجدارة الإنسانية. كان هذا عملاً خارقًا من الله حيث أعطاني القدرة على الاستجابة بطريقةٍ لم أستطع أن أستجيب بها أبدًا! الآية التي تتبادر إلى ذهني دائمًا عندما أتذكَّر هذه التجربة، هي فيلبي ٤: ٧ «وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْل، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ

يَسُوعَ». هذا ما فعله الله في ذلك اليوم. كان قلبي وعقلي مشغولان بيسوع المسيح. النتيجة؟ الفرح والسلام العميق!

ربما لديك صراع كبير مع المواد الإباحية؛ ربما معركتك هي أنك دائمًا تترقب ما يقوله عنك الآخرون. ربما تشعر أنك عبد لخطيةٍ ما، وتعتقد أنه لا يوجد أمل. أنا أفهم ما تمر به. نضالي مع تَحمُّل الظلم (والعديد من النضالات الأخرى التي أخجل حتي أن أذكرها)، هي أيضًا "مستحيلة" و"مليئة بالعار" ولا يمكن التغلب عليها "وغير قابلة للقضاء عليها". لكنني أريدك أن تتحلَّى بالأمل. لا يتعلق الأمر بالسعي لفعل ما لا يمكنك فعله، بل يتعلق بالاعتراف بأنه من المستحيل أن تطيعه. إنه يتعلق بالاعتراف بأنك محبوب على الرغم من عصيانك. يتعلق الأمر بحُبه الذي يأسرك، ويملأك بالحنان .

سر عظيم

أحد كتبي المُفضلة هو "سر الروح القدس" لهدسون تايلور. كان تايلور أول مبشر في التاريخ يخترق المناطق الداخلية من الصين في منتصف القرن التاسع عشر. عاش واحد وخمسين سنة هناك. في كثير من الأحيان تم رفضه، كان مريضًا، وحتى في مناسبات عديدة، لم يكن لديه حتى طعام لإطعام نفسه.

في إحدى رسائله إلى صديق كتب: "الجو بارد جدًا للعيش بدون سقف، وعدد قليل من الجدران والنوافذ. هناك عيب في جدار غرفتي، حيث تبلغ الغرفة مترين في أربعة من المساحة مغلقة، فقط بواسطة ملاءة، بحيث تكون التهوية مفتوحة. لكننا لا نهتم بهذه الأشياء ..".

فقَدَ هدسون تايلور اثنين من أبنائه وزوجته في رحلته التبشيرية (مجرد التفكير في أن ذلك قد يحدث لي، أجد نفسي مُنهار في البكاء أثناء الكتابة). في نهاية حياته، سأله شخص: ما إذا كان الأمر يستحق ذلك. إذا كان إخلاصه وتكريسه، وسنوات من التضحية قد عوَّضت عن كل الصعوبات التي واجهها. كان جوابه: "تضحية؟ أنا لم أُقدِّم أية تضحية واحدة". ما الذي يدفع الرجل إلى قول هذا؟ سأدَعهُ يُجيب بنفسه:

"قبول الرب يسوع، هو البدء في القداسة .. الشعور بالاحتياج إلى الرب يسوع هو التقدُّم في القداسة .. الاعتراف بسيادة الرب يسوع دائمًا، ستكون قداسة كاملة". "المزيد من المسيح يجلب المزيد من القداسة، ومَن لديه المسيح، يفرح أكثر عند اكتمال العمل".

أعتقد أنني أستطيع الآن أن أؤيد هذه الجملة الأخيرة من كل قلبي. عندما أسمح لمُخلّصي المُحب أن يعمل إرادته في قلبي؛ وهي أن يقدسني أكثر، أجد نفسي أتمنى أن أعيش له أكثر بنعمته. أن أسكن فيه ليس بجهدي الخاص أو بخوض المعركة بمفردي، بل بالنظر إليه والوثوق فيه من أجل القوة اللازمة للوقت الحاضر .. أن أجد الراحة في حب مُخلّص كلي الوجود، في فرحة الخلاص الكامل الذي يستعيده المرء "من كل خطية"، قد لا يُعَدّ هذا شيئًا جديدًا، ولكن بالنسبة لي: إنه شيء جديد.

أشعر كما لو أن بزوغ فجر يوم مجيد قد أشرق عليَّ. يرتجف كياني، ولكن من الإيمان. يبدو لي أنني بالكاد على الشاطئ، ولكن في الحقيقة أنا في بحر عميق جدًا؛ بالكاد أحببت ذلك، ولكن وجدته مَرضْي تمامًا.

الآن قد اكتشفت أن المسيح هو معنى القوة،

والقوة الوحيدة للخدمة،

والأساس الوحيد للفرح الذي لا ينتهي.

كيف، إذن نزيد إيماننا؟

مجرَّد التفكير في شخص يسوع، وكل صفاته التي أصبح من حقنا أن نستمتع بها: حياته، وموته، وقيامته، وعمله الكفاري، كما تكشف لنا الكلمة. **أن يكون هو الشيء الثابت في أفكارنا حيث يدور حوله أي شيء آخر**. إن السعي وراء الإيمان في حد ذاته ليس لديه أية قيمة .. بل أن نتأمل في شخص المسيح - هو كل ما نحتاج إليه؛ أن نجد الراحة في الحبيب الآن وإلى الأبد.

يقول الكاتب: لا نعرف بالضبط، كيف ومتى تحدث هذه المعجزة [هذه التجربة]؛ لكن "**عند قراءة الكتاب المقدس، أرى كل شيء بوضوح**". كتب هدسون تايلور: "نظرت إلى يسوع، وعندما رأيته غمرني فيضان من الفرح!".

تلك هي الحياة المُخلِصة التي تأتي إليه - الحياة التي لم تَعُد تدور حول "أنا". قبل ستة أشهر، كتب: "لا بد لي أن أشعر بالأسف المستمر لأني أتبعه حتى الآن، وأن أتعلم ببطء شديد، كيف أسير على نهجه".

هذه الفكرة لم تَعُد مناسبة! كل ما عليَّ أن أفعله هو أن أعيش حسب حقيقة أن "المسيح يعيش فيَّ، وكم صنع هذا من فرق كبير! بدلاً من العبودية نلت الحرية. بدلاً من الفشل وجدت النصرة؛ بدلاً من الخوف والضعف استعدت ثقة قوية في كفايته هو".

إذن ما هو السر الروحي لهدسون تايلور؟ نفس ما وجده بولس في فيلبي ٤: ١٣. كان سرّه هو التركيز على "ميراث المسيح" لتلبية كل احتياج مؤقت أو روحي. هذا هو ما نحتاج اليه أنا وأنت.

أنا محكوم بما أحب

لأن الحب هو الجواب، أنا وأنت، نجد أنفسنا نقع تحت سيطرة ما نُحب.

إذا أحببنا سُمعتنا بشكل مُفرَط، فسنكون تحت سيطرة آراء الآخرين.

إذا أحببنا صورتنا، فسنكون تحت سيطرة الوضع الحالي لجمالنا.

إذا أحببنا الراحة، فسنجد أنفسنا تحت رحمة ما تعطينا الراحة.

إذا كنا نحب المتعة الجنسية، فستتحكَّم فينا المواد الإباحية. القائمة يمكن أن تستمر. ما يسيطر علينا هو إلهنا. هو سيدنا، ونحن عبيده.

إذا كنت صادقًا مع نفسك، فإنك ستلاحظ أن قلبك لا يستطيع أن يقول لا لأشياء مُعيَّنة. أعتقد أن الشيء نفسه، يحدث معي أيضًا.

في بعض الأحيان، أفضل وصف يمكن استخدامه، هو أنني أشعر كما لو كنت عبد، مُدمن. لا أستطيع التوقف عن فعل ما أعرف أنه لا ينبغي عليَّ فعله. هذا الشعور طبيعي تمامًا (رومية ٧: ١٥). ولكن لماذا هو طبيعي جدًا؟ لأنه، كما قلنا في الفصل الثالث، يستجيب الحب لِمَا يراه أعظم خير ومصلحة له. لا أحد منَّا يعيش دون الاستجابة إلى سيد ما، ودون أن يكون عبدًا لهذا السيد. أنت عبدًا لملذَّاتك (التي تتركك مُدمنًا وعَطِشًا وخاليًا)، أو أنت عبدًا للمسيح (القادر على ملئك بالحياة، ومنحك الحرية الحقيقية).

يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية ٦: ١٦ «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟». ثم يُكرِّر الفكرة مرة أخرى في نهاية الرسالة ويقول: «وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ ..» (رومية ٦: ١٨).

جميعنا لدينا سيد. نحن جميعًا نقع تحت سيطرة ما نحب.
لذلك، مفتاح التغيير هو بدء تغيير ما أُحب!

أطيع لأنني أريد المزيد من حبه

كثير من الناس يسألون هذا السؤال: لماذا سأُطيع الله، إذا كان سيسامحني رغم كل ما أفعله؟ إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فإن الشخص الذي يطرح هذا السؤال يكشف فقط حالة البرود التي في قلبه. دون الرغبة في القيام بذلك، فقد كشف للتو أنه ليس مؤمنًا حقيقيًا أو أنه لم يستمتع بيسوع.

طرح هذا السؤال، هو نفسه كما لو كان شخص قد ورَث مائة مليون يورو وسأل: "لماذا يجب أن أتبع قواعد البنك، وأذهب إلى أجهزة الصراف الآلي للحصول على المال؟ لماذا يجبرونني على الحصول على بطاقة؟ لماذا أضطر إلى حفظ رقم سري؟ هذه المتطلبات لا تتماشي معي". إذا قال شخصٌ ما شيئًا كهذا، بالتأكيد سنسأله: ماذا تَفي بالمتطلبات التي يطلبها البنك منك؟

للاستمتاع بالمال! يمكنك استخدام الأموال التي تحصل عليها من البنك؛ في إجازة، وشراء سيارة، ومنزل .. وما إلى ذلك. ألا تفهم قيمة الحصول على مائة مليون يورو؟ يبدو الأمر سخيفًا، أليس كذلك؟ لا أحد في عقله الصحيح يطرح مثل هذه الأسئلة.

ومع ذلك، فإن النهج لن يكون ساذجًا إذا استخدمته مع ابني الأصغر. إذا أخبرت ابني البالغ من العمر أربع سنوات، ما إذا كان يُفضل الآيس كريم أو بطاقة خصم باسمه وبرصيد مائة مليون يورو، فما رأيك سيختار؟ (لست بحاجة لإعطائك الإجابة، أليس كذلك؟) ما هي "مشكلة" ابني؟ الجواب بسيط. فهي مسألة عدم النضج والجهل والعمى والافتقار إلى "النور". ابني غير قادر على تقدير قيمة ما يتم تقديمه. إذا ركَّزت في الأمر، ستجد أن لدينا جميعًا المشكلة نفسها.

يقول الكتاب المقدس إن الخطية تزيد من العمى (أفسس ٤: ١٧- ٩؛ ٢كورنثوس ٤: ٣، ٤). تمنعنا الخطية من تقدير قيمة المسيح، ولا تسمح لنا بالاستمتاع به (وهذا هو السبب في أننا نطرح هذا النوع من الأسئلة).

قلنا في الفصل السابع إن المسيح ترك لنا الوصايا لعكس هذه المعادلة. يقول يوحنا ١٠: ١٥ «كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ». هل تتذكَّر ما يُعلّمه هذا الجزء؟ لا يقول يسوع: "عِش وصاياي وسأُحبك".

قال يسوع: "عِش وصاياي، وستختبر حبي".

وبعبارة أخرى، فإن الحفاظ على الوصايا، هو الوسيلة لتقدير مَن يُحبنا، والتمتع به. لذلك، تقول الآية التالية: «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ». عندما حلَّلنا هذا الجزء في بداية الكتاب، قلنا إن الكلمات التي يقولها يسوع في هذه الآية مُدهشة لدرجة أنها تبدو هرطقة. ستكون الثمرة، والنتيجة، وهِبَة العيش مثل يسوع، هي أن نختبر المستوى نفسه من الفرح الذي عاشَهُ أسعد انسان على هذه الأرض.

وهذا يعني أن الله يريد أن يكون لدينا المستوى نفسه من السعادة التي عاش بها ابنه! أين هي هذه السعادة؟ في مكانٍ واحد قريب منه. لماذا نطيع؟ لأننا لا نريد أن نفقد عمق حبه. لأننا نريد المزيد منه. لأنه قد أُحُبنا أولاً، ونريد أن نرُد له الحب. إنها ليست حصرية. نحن نُحبه أولاً، حتى نتمكَّن من حب بقية الأشياء جيدًا.

أعلم أنني تكلمت كثيرًا عن محبة الله، لكنني لا أُريدك أن تُسيء فهمي:

التمتع بيسوع، لا يُغير فقط علاقتنا مع الله، بل إنه يُغير علاقتنا مع العالم.

إن الاستمتاع بيسوع يسمح لنا أيضًا الاستمتاع بكل الأشياء التي أعطانا إياها الله، **ولكن** التي بدونه هو ستستعبدنا.

هل يقول الكتاب المقدس: أن لا نحب كرة القدم؟ هل تقول كلمة الله: أنه من الخطأ الرغبة في اتباع نظام غذائي؟ هل يَدينا الله عندما نستمتع بعطلة جميلة؟ هل يقول الكتاب المقدس: إننا يجب أن نحبه هو فقط؟ الجواب على كل من هذه الأسئلة هو نفسه. بالطبع لا! عدة مرات في الكتاب المقدس، يُخبرنا الله نفسه، أن نستمتع بكل الأشياء التي أعطانا إياها (١تيموثاوس ٦: ١٧- ١٩).

المشكلة، كما رأينا، هي عندما نُحوِّل بركات الله هذه، إلى هدف الحياة (نصير عبيد لها) ونحبها بشكل مُفرَط (أي أكثر منه). في كل مرة يحدث هذا، فإن هذا الشيء أو الشخص الذي نحبه أكثر من الله، يعطينا الحياة، ولكن ينتهي بنا الأمر حيث يتركنا فارغين. **ولكن عندما نستمتع بالمسيح، لا نَعُد نطلب من هذه الأشياء أن تملأ الفراغ الذي يستطيع المسيح أن يملأه.**

بهذه الطريقة، ولأول مرة،

يمكننا الاستمتاع بما يُقدِّمه لنا العالم، دون أن نكون عبيدًا له.

الآن، يمكننا أن نُقدِّر عائلتنا وأصدقائنا وعملنا وممتلكاتنا كهدايا من الله الذي يُحبنا.

الآن يمكننا الاستمتاع بخليقة الله، لأننا نستمتع بالخالق أولاً. **نحن لا نذهب إلى العالم للبحث عن الحياة، بل نذهب إلى العالم، ونحن مملوئين بها.**

في الواقع، إذا فكَّرت في الأمر للحظة، يحدث الشيء نفسه لشخص مُصاب بالشلل ويعالَج بأعجوبة حيث يمكنه الآن المشي مرة أخرى. حياته كلها قد تغيَّرت! لا يمكن لهذا الشخص السير مرة أخرى فحسب، بل تأثرت حياته كلها. يمكنه الآن القيام بجميع الأنشطة الأخرى دون ألم، وبسرعة أكبر، وبدون الاعتماد على الآخرين. الآن يمكنه الجري أو القفز أو الذهاب إلى العمل أو لعب التنس أو كرة السلة أو كرة القدم أو المشي على الشاطئ أو تسلُّق الجبل أو قيادة السيارة دون أية مشكلة.

كل شيء تغيَّر، وحياته كلها قد تطوَّرت لأن شيئًا بداخله قد شُفيَ. يحدث الشيء نفسه عندما نستمتع بالمسيح، وهو يشفي ويملأ القلب.

الآن يبدو أن كل شيء له بريق آخر، ويبدو كما لو أننا أصبحنا نتذوَّق الحياة بطعم مختلف. تتمتع حياتنا بعمق أكبر! تتعمق علاقتنا بشريك الحياة، نجني طاقة وعاطفة جديدة لخدمة زملائنا في العمل، **ونجد صبرًا وعطفًا هائلاً للاستماع إلى الآخرين**، بل نجد أنفسنا نتناول وجبة لذيذة في مطعم جميل، ونحن مُمتنون للغاية لأننا نرى مَن قد وَهَبنا هذه الهدية.

عندما تمتلئ، حياتك تفيض على مَنْ حولك. يظل دائمًا هذا قصد يسوع لحياتنا: أن يكون لنا حياة، ويكون لنا أفضل (يوحنا ١٠: ١٠).

قوة جديدة للطاعة

منذ سنوات عدة، كنت جالس في غرفتي التي أعتدت أن أقضي فيها وقت مع الله. أتذكَّر أن في هذا اليوم تحدَّث الله معي بطريقة حقيقية وقوية للغاية، لدرجة إني ركضت على الدرج في منتهي السعادة، وأنا غير قادر على احتواء نفسي، وناديت على زوجتي من آخر الدرج: "لقد تكلَّم الله معي! تكلَّم الله معي! لقد أظهر الله لي شيئًا لا يُصدَّق!". نظرت

إليَّ زوجتي، وفي عينها توقعات كثيرة وسألتني: "ماذا أخبَرك؟". لقد أجبتها بفرحٍ هائل: "أنني خاطئ!".

فقط الشخص الذي حاول أن يُغيِّر من نفسه بجدية، والذي فشل فشلاً ذريعًا، يعرف أن أفضل الأخبار التي قد يُقدّمها شخص له، هي أنه لا يمكنه تغيير نفسه. لا توجد أخبار أفضل من اكتشاف أن التغيير العميق يعتمد على شخص آخر.

فكِّر في هذا السؤال لبضع ثوان: ما هي صفات الشخص الروحي بالنسبة لك؟ ما الذي يتبادر إلى ذهنك عندما تفكِّر فيه؟ هل هو شخص يقرأ الكتاب المقدس؟ أم شخص يُصلّي باستمرار؟ هل هو شخص يساعد الآخرين؟ أم يُبشر الأمم؟ دعني أعطيك إجابة أكثر كتابية وصحيحة: الشخص الروحي، ليس هو الشخص الذي يفعل "الأشياء الروحية"، بينما **الشخص الروحي، هو الشخص المُمتلئ بالروح**.

أن تكون شخصًا روحيًا، ليس له علاقة بما تفعله بشكل أساسي، ولكن يرتبط بكيف تفعل ما تفعل. **الله يهتم بكيف تطيع، أكثر من الطاعة نفسها**. الله يهتم أكثر بكثير، إذا كنت تطيع كلامه بقوتك الشخصية، أم بقوته هو. لماذا؟ لأن لهذا السبب عينه، قد أرسل روحه القدوس لنا! يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ٣: ٣ «أَهكَذَا أَنْتُمْ أَغْبِيَاءُ! أَبَعْدَمَا ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟».

كتب جوناثان إدواردز: "السبب الرئيسي وراء دعوة الكتاب المقدس للمسيحيين وفضائلهم الروحية هو: أن الروح القدس داخل المسيحيين، يُنتج ثمار تتفق مع الطبيعة الحقيقية للروح نفسها".

أن أتذكَّر أني خاطئ، واكتشف فقري الروحي، وأُدرك أنني لا أملك القوة في داخلي للتغيير، لا يعني الاستسلام في يأس. هذا لا يعني أنني يجب أن أتوقف عن الصلاة، وأن أتوقف عن قراءة الكتاب المقدس، وأن لا أصوم، وأن أتوقع أن يلمسني الله بالعصا السحرية ويُغيرني. إن الاعتراف إني لا أمتلك القوة للتغيير، يتطلَّب أن أبدأ في البحث عن قوة أخرى في مكانٍ آخر، ويتطلب ذلك، الاعتماد على مَنْ يمكنه أن يُغيرني.

ما هي الطاعة؟ الطاعة هي نتيجة تلَّقي قوة جديدة. **إنها** القدرة على فعل ما لم يكن بإمكاني فعله أبدًا. **إنها** نتيجة عمل الله الخارق داخل كياني.

الكنيسة الأولى: أفضل مثال

في بداية سفر أعمال الرسل، نرى مجموعة من الناس الخائفين والمُشتتين والمُرتبكين. إذا شعر بعض الأشخاص بفشل على المستوى الروحي، فإن بطرس وبقية التلاميذ هم على رأس القائمة. كان الجميع نائمين عندما احتاجهم الرب (لوقا٢٢: ٤٥). ركض الجميع خائفين في وقت القبض عليه (متى ٢٦: ٥٦). كانوا يشاهدونه جميعهم من بعيد وهم يصلبونه (لوقا ٢٣: ٤٩). ومع ذلك، في سفر أعمال الرسل ١ يفعل الجميع الشيء الوحيد الذي يمكن لأي شخص فعله حتى يتغيَّر؛ يذهبون إلى المكان الذي يمكنهم فيه تلَّقي قوة من شخص آخر، حيث كانوا ينتظرون "موعد الآب" (أعمال الرسل ١: ٤).

أوَّد منك أن تلاحظ التناقض الهائل الذي يظهر في كلمات يسوع في أعمال الرسل ١: ٤، ٥ «وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي». اِقرأ الآن الكلمات التي قالها يسوع قبل هذا: «وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ» (لوقا ٢٤: ٤٦- ٤٨)[٥].

هل يمكنك رؤية ما حدث للتو؟ قال لهم يسوع: "أنا أطلب منكم أن تخرجوا إلى العالم لتكونوا شهودًا لي، لكن لا تخرجوا **الآن!**". "هذا ما أُريدكم أن تفعلوه، لكن لا تفعلوه **الآن!**". "لا تفعل ما أريد الآن!".

ما هو التعليم الذي تلَّقاه التلاميذ حينئذ؟

ما هو التعليم الذي تلقاه ثاوفيلس (المُتلَّقي لهذين الرسالتين)؟ ما هو التعليم بالنسبة لك ولي؟ الحقيقة هي إنني لا أستطيع أن أفعل ما أمرني الله به. ليس لديَّ القدرة على التصرف كما يريد الله مني. **لا أستطيع العيش كما يتوقع الله مني .. إلا إذا كنت ممتلئًا الروح القدس.**

---

[٥] تذكَّر أن سفر أعمال الرسل هو تكملة لإنجيل لوقا. كلاهما تم كتابته على يد لوقا، وكلاهما منسوب للشخص نفسه؛ ثوفيلس. وهكذا أعمال الرسل ١، تبدأ حيث ينتهي لوقا ٢٤.

محاولاتي المُتعددة لكسر دورات الخطية التي أقع فيها باستمرر، وكل جهودي لمحاولة التغيير، ومحاولاتي اليائسة للتوقف عن الأثم، تعتبر عديمة الفائدة (لهذا السبب فرحت كثيرًا عندما كلّمني الله بأنني خاطئ). **"تزك أورشليم" بدون روح الله، هو وصفة للفشل.** لن يحدث أي تغيير خارق ما لم يكن شخص خارق للطبيعة يعمل في حياتك.

خلاصة القول:

المهمة الأكثر أهمية في الحياة، هي:
التخلّي عن محاولاتي الخاصة لِأَتغير، وأبدأ أمتلئ بالروح.

قبل أن أترك سفر أعمال الرسل ١ أوَّد أن أوضح لكم تفاصيل هذا الفصل التي أعتقد أنها ببساطة رائعة. يقول سفر أعمال الرسل ١: ١، ٢ «اَلْكَلاَمُ الأَوَّلُ أَنْشَأْتُهُ يَا ثَاوُفِيلُسُ، عَنْ جَمِيعِ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ، بَعْدَ مَا أَوْصَى بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الرُّسُلَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ».

هل لفت انتباهك حرف الجر؟ وِفقا للوقا "بالروح" تعني أن يسوع أرشد تلاميذه قبل صعوده إلى السماء. وهذا يعني أن الروح القدس هو الذي كان يقول ليسوع: "هذا هو ما أُريدك أن تقوله لهم". بعبارة أخرى، يبدو الأمر كما لو أن الروح القدس كان يهمس في أُذن يسوع: "أخبرهم بذلك".

(فكّر في الأمر للحظة: ما الذي يمكن أن يكون مُهمًا لدرجة أن روح الله يتولى مهمة إعطاء يسوع هذه التعليمات الدقيقة؟). ماذا يقول الروح القدس ليسوع؟ "قُل لهم ألاَّ يخرجوا! أَخبِرهم أنه من الأفضل أن لا يُغادروا حتى أتمكن من المجيء إليهم! أخبرهم أنه بدون مساعدتي، لن يتمكَّنوا من فعل أي شيء!" إذا لم أكن مُخطئًا، فهناك حدَث واحد فقط في العهد الجديد بأكمله، حيث نجد الروح القدس واضحًا ومباشرًا مع يسوع كما رأينا الآن. بالتأكيد أنت تعرف هذا الحدَث. هو: عندما "كَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ" إلى الصحراء ليُجرَّب.

أوَّد منك أن تقرأ الآية الكاملة حيث يصف لوقا ما حدث: «أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ» (لوقا ٤: ١). ما الذي لفت انتباهك؟ ماذا يقول لوقا؟ إنه قبل لحظة التجربة مباشرةً، قبل أن يتم الدخول في التجربة مباشرةً، قبل أن يُظهِر يسوع طاعته، كان يحتاج إلى شيء واحد: أن يمتلئ بالروح! إله الكون نفسه

الذي تجسَّد في صورة الإنسان، يحتاج إلى أن يمتلئ بالروح لمواجهة التجارب، فما الذي يجعلني أعتقد أنه يمكنني فعل ذلك بدونه؟

يقول يوحنا ٥: ١٩ «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ». لا يستطيع التلاميذ فعل أي شيء بقوتهم الخاصة. لا يستطيع ابن الله أن يفعل أي شيء من نفسه. **هكذا نحن أيضًا، لا يمكننا فعل أي شيء بمفردنا!**

العديد من المفسرين، قالوا على سفر أعمال الرسل: إن هذا السفر لا ينبغي أن يُسمَّى "أعمال الرسل"، بل "أعمال الروح القدس". الشيء نفسه يجب أن يحدث في حياتك، وفي حياتي. إنها أعماله هو، وليست أعمالنا. يقول يوحنا ٣: ٢١ «وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ». بمعنى أنها قد **تمت من خلاله**.

الامتلاء بالروح

أن تكون ممتلئًا بالروح، يعني أن ترغب في ما يرغب فيه الروح. ماذا يريد الروح؟ لن أُخبرك أنا، ولكن سأدَع المسيح بنفسه يُخبرك: «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ .ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا ١٦: ١٣، ١٤).

ماذا يقول يسوع؟ يقول: إنه في أحد الأيام (ذلك اليوم هو سفر أعمال الرسل ٢، حيث يأتي بعد الجزء المذكور أعلاه)، سيسمح الروح للرسل برؤية الأشياء التي لم يروها من قبل. ما الذي سيروه الآن؟ أن يسوع مجيد للغاية. إنه الكائن الأكثر جمال في هذا الكون. إنه لؤلؤة غالية الثمن، ولا يمكن لأحد أن يُقارنه.

ماذا حدث بعد أن رأى التلاميذ ذلك؟ اكتسب الرجال الأحد عشر أنفسهم، المملوئين بالخوف والرعب، شجاعةً وشهامة كبيرة لدرجة أنهم كانوا قادرين على مواجهة السلطات ذاتها التي حاولت في السابق قتلهم (أعمال الرسل ٤: ١٢؛ ١٩، ٢٠).

ماذا يعني أن نمتلئ بالروح؟ إن الامتلاء بالروح القدس، هو أن يُظهِر لي الروح مجد المسيح، وبسبب هذا المجد تُولَد رغبات وأشواق جديدة.

لماذا نحتاج إلى الامتلاء بالروح؟

الجواب بسيط جدًا، ولكن عميق جدًا. نحتاج إلى الروح لأننا لا نملك القدرة على تغيير ما نريد. كما ترى بوضوح في الرسم البياني التالي، لدينا القدرة على القيام بأشياء كثيرة. لدينا القدرة على الصلاة، وقراءة الكتاب، والخدمة، والوعظ (وآلاف الأشياء الأخرى)، لكن ليس لدينا أية سلطة أو مقدرة لتغيير ما نحب.

ليس لدينا القدرة على تغيير الأسباب التي تجعلنا نشعر بالسعادة، وتُحفزنا. ليس لدينا القدرة على أن نتمنى شيئًا مختلفًا، أو بالأحرى أن نرغب في شخص مختلف.

لا نملك القدرة على إدراك أن يسوع أفضل من الجنس، وأفضل من المال، وأفضل من الإجازات، وأفضل من الأصدقاء، وأفضل من الهيبة، وأفضل من أي شيء آخر يمكن أن يُقدمه هذا العالم.

ليس لدينا القدرة على رؤية جمال شخص المسيح.

لذلك، ما يفعله الروح هو فتح أعيننا حتى نتمكن من رؤية ما لا يمكننا رؤيته بخلاف ذلك؛ جمال يسوع وامتيازاته (أفسس ١: ١٨، ١٩).

ما يفعله الروح هو ما يقوله يوحنا ١٦: ١٤؛ "تمجيده"؛ حيث يفتح عينيَّ لأرى حلاوته؛ ويسمح لي أن أراه كما هو عن حق: رائع للغاية. عندما يحدث هذا؛

عندما أستطيع رؤية شخص يسوع (كما ظهر لنا على الصليب) عندئذٍ فقط،

أطيع بالمعنى الكامل والكتابي للكلمة.

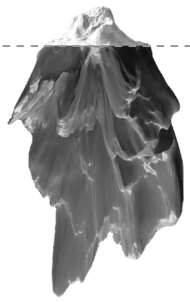

ماذا يعني إذن أن نمتلئ بالروح؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، اسمحوا لي أن أُشتتكم لبضع لحظات. أعتقد أنه في كثير من الأحيان، يتم تعريف الملء بالروح القدس بشكلٍ غير صحيح. لدينا منظور خاطئ لِمَا يعنيه حقًا.

عادةً ما يرتبط الامتلاء بالروح بالانشغال بأنشطة دينية مختلفة (مثل الصلاة أو الصوم أو قراءة الكتاب المقدس)، وأيضًا مع "أفعال محبة" مختلفة (مثل خدمة الفقراء والمحتاجين للطعام .. إلخ).

أعتقد أنه من المهم أن نرى، أن الأمر ليس كذلك بالضرورة. اسمحوا لي أن أُقدم لكم مثالين كتابيين لإثبات ذلك.

تخيَّل أنه صباح يوم سبت وأنت تتنزه في وسط المدينة. إنه يوم مشمس، وجميع المطاعم مفتوحة، والكثير من الناس يتجولون بجوارك. ثم يخطر على بالك أن تتوقف أمام كاتدرائية كبيرة في منتصف ميدان مليء بالأكشاك. وفجأةً تبدأ في سماع بعض الناس يصرخون، وسرعان ما يشقون طريقهم بينما يبدو أن رجل غاضب يمشي بينهم ويدمر كل شيء في طريقه. ماذا تُفكِّر؟ إرهابي! حسنًا لا. إنه ليس إرهابيًا، بل إنه شخص ممتلئ بالروح.

يقول متى١٢: ٢١ «وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ».

مَن كان ليقول إن يسوع في مثل هذه الحالة، كان مليئًا بالروح؟

مَن يستطيع أن يربط تلك اللحظة بحقيقة أنه كان مليئًا بالشغف نحو لله؟

هل تعتقد أنه ربما لم يكن مليء بالروح؟ لا نحتاج إلى التخمين كثيرًا، حيث يعطينا الجواب يوحنا ٢: ١٧. يتم تلخيص السبب الذي جعل يسوع يقلب الهيكل، في جملة واحدة: «غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي».

بمعنى آخر: لقد "امتلأ" و"فاض" بشغف نحو الله، وحتى يقدر الآخرون أن يشعروا بالغيرة نفسها. وكان هذا هو السبب في أنه قلب موائد الصيارفة.

الآن اسمحوا لي أن أُريكم الجانب الآخر: كان قد حلَّ الليل عندما اقتربت مجموعة من الجنود من يسوع. كان أفضل أصدقائه نائمين، بينما كان يُصلّي هو بحرارة شديدة، ليتمكَّن من مواجهة ما هو على وشك الحدوث.

وفي تلك الأجواء، قام أحد تلاميذه الذي كان يتبعه لمدة ثلاث سنوات بتسليمه بقُبلة.

وفجأةً نرى أحد تلاميذه يرفع سيفًا ويقطع أُذن عبد رئيس الكهنة. ثم نرى يسوع يقول له: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ... تَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ؟».

ومع ذلك، نجد أنه في وقتٍ لاحق يتم محاكمة يسوع. لكنه صمَتَ ولم يفتح فاه. قاموا بضربه، وبصقوا عليه، وجرَّدوه من ملابسهِ؛ ومرةً أخرى، لا نرى أي ردّ فعل منه. سخَر الجنود منه.

وصرخ الناس بسخرية: «خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ ... خَلَّصَ آخَرِينَ، وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا!».

ماذا فعل يسوع عندما قبضوا عليه؟ لا شيء.

ماذا فعل يسوع عندما أهانوه؟ لا شيء.

ماذا فعل يسوع عندما صلبوه؟ لا شيء.

هل تظن أن أي شخص يشاهد هذا المشهد، من الممكن أن يقول: إن هذا الرجل لديه أي نوع من القوة؟ مَن سيستنتج أن هذا الرجل مُمتلئ بالروح؟ ومع ذلك لم نرَ له مثيل من قبل، ولن يكون هناك أبدًا إنسان مملوء بالروح، أكثر من هذا الرجل في هذه اللحظة.

من الخارج، نرى كل التناقض كما لعصا ذو قضبين. أما من الداخل، فحالة القلب تظل واحدة. **ماذا يعني أن نمتلئ بالروح؟**

> **إنه تأثير** أو سيطرة الروح القدس على كل ما أُحبه، وما أُفكر فيه، وما أفعله، بطريقةٍ ما، تجعلني أرغب أن أُمجِّد الله، وأسعى وأبحث عن ملكوت الله، وأحيا بقوة الله.

لماذا يسوع قلب موائد الصيارفة في الهيكل؟ لأن مجد الله كان يأكله من الداخل. لأن مجد الله، هو ما كان يُحبه؛ وما يُفكّر فيه، وبالتالي، فعل ما رأيناه. لماذا سمح يسوع للناس بصلبه؟ للسبب نفسه، الذي جعله يفعل العكس تمامًا في الهيكل. سأدَعهُ يقول ذلك

بدلاً عني، وقال: «تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا» (يوحنا ١٧: ١).

أحَّب يسوع شيئًا واحدًا فقط، وكان يفكر في شيء واحد فقط، حيث كان هناك شيء واحد فقط الذي يُحدِّد لماذا يفعل ما يفعل؛ تمجيد اسم الله من خلال الامتلاء بالروح.

يُقارن الكتاب المقدس: المُمتلئ بالروح، بحالة السُكْر. عندما يسكَر أحد، ويُهيمن عليه النبيذ، نجد أنه يقول أشياء لا يقولها أبدًا في حالته الطبيعية. نجد أنه أصبح لديه "قوة"، "شجاعة"، "جرأة". عندما يهيمن عليه تأثير الكحول نجد أن الشخص يشعر "بحرية".

الامتلاء بالروح هو شيء مُماثل. هو أن تحب ما لم تحبه أبدًا (مجد الله، وليس مجدك الشخصي).

هو أن تُفكِّر في ما لم تُفكر به أبدًا (في ملكوت الله، وليس في مملكتك الأرضية).

إنه أن تفعل ما لم تفعله أبدًا (على سبيل المثال: أن تجد نفسك هادئًا فى مواجهة شخص اعتاد أن يُثير غضبك).

الامتلاء بالروح يسمح لك أن تكون شخص، ليس كما أنت على حقيقتك!

هو أن تبدأ في الشعور والتفكير والتصرف في الاتجاه المعاكس لطبيعتك. لماذا؟ لأنك تخضع للهيمَنة وقيادة الروح القدس.

دعني أقول ذلك بطريقة أقرب إلى الإنجيل: ماذا يعني الامتلاء بالروح القدس؟ أن أكون ممتلئًا بالروح القدس، هو أن أُحب الله من كل قلبي، ومن كل عقلي، ومن كل روحي، وبكل قوتي، وأحب قريبي كنفسي .. وهكذا .

الطاعة هي العثور على المُتعة

عندما يفكر معظم غير المؤمنين في الطاعة، فإنهم يُفكرون فيها بطريقة سلبية. أفضل صورة لتمثيل هذا التصوُّر، هي معسكر الاعتقال النازي.

في معسكر الاعتقال، تطيع كل الأوامر التي تأمرك بها القوات. هناك، في جميع الأوقات، يُجبرك الحراس القساة على القيام بالكثير من الأشياء التي تكرهها (مثل خلع ملابسك أو العيش في السجن أو المشي في صف واحد أو حفر بئر أو تناول وجبة غير سارة تمامًا). أي أن الكثير من الناس يتصوَّرون الطاعة عمل فظيع ومرفوض، وإنكار للذات.

بعبارة أخرى، فإن

الطاعة هي أن أفعل ما لا أُريده لشخص لا أُحبه.

ولكن يا أحبائي، ليست هذه هي الطاعة المسيحية.

الطاعة المسيحية شيء آخر.

الطاعة المسيحية هي تغيير القلب، وتغيير الرغبات. إنها تَحوُّل خارق للطبيعة؛ لِأعمق عواطفنا ورغباتنا.

الله ليس حارسًا لمعسكر الاعتقال النازي. يجب أن لا تتصوَّر الله بهذه الطريقة، وأن لا تتفاعل معه من هذا المنظور.

الله هو فقط الصالح في هذا الكون!

الله يحبك محبة غير مشروطة، ومحبة أزلية! لقد بذل حياته من أجلك!

الطاعة هي أن أفعل ما أريد (أو ما بدأت أرغب فيه) لشخص أُحبه (أو بدأت أحبه). **الطاعة** هي رؤية صلاح الله، وتقدير قيمة الحياة فيه! وكما تقول رسالة يوحنا الأولى٥: ٣؛ عندما أكون مُمتلئًا بحب الله، (فقط عندما أكون مُمتلئًا بحبه) أرى أن «وَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً»! أي أنها ليست "صعبة"، وليست "تعجيزية"، وليست "عذاب".

يقول لنا يسوع في متى ١١: ٢٨- ٣٠: «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي .لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» [من الناحية النظرية، شيء ثقيل للغاية] "سهل، ويُخفف من أعبائي".

كيف تحدث هذه المفارقة؟ كيف كان حمل ثقيل يُسبب السعادة الآن؟

الجواب بسيط. كما حدث مع هدسون تايلور، عندما يكون المرء في حالة حب حقيقي، لا يبدو أن أي شيء يفعله هو تضحية أو جهد. هل هناك إنكار للذات؟ بالطبع هناك! ولكن كل شيء يتم بسرور وبفرح عميق، وبالتالي، لا يكاد يُفكر في الأمر.

الشخص الذي يعشق، يجد نفسه مدفوع بحب لحبيبته، حيث هناك القوة والقدرة على صنع أشياء غريبة الأطوار التي يُسميها الآخرون بسهولة: الجنون.

ما هي طاعة المسيح؟

طاعة المسيح، هي نتيجة حبي العميق له.

هل تعتقد أنني مُخطئ؟ هل سيساعدك إذا عرفت كيف أطاع يسوع؟ دَعهُ يُريك بنفسه. يقول يوحنا ٤: ٣٤: «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ». ماذا يقول يسوع؟ دعني أُترجمها لك. بالنسبة إلى يسوع، فإن إطاعة الله ليس واجبًا، إن **القيام بمشيئة الله هو فرح**. أن يفعل ما يقوله الله ليس عبئًا؛ إنه شيء يستمتع به، ويسعده، ويملأه.

هل تتذكَّر سياق يوحنا ٤؟ كان يسوع جائع، والتلاميذ ذهبوا إلى المدينة ليشتروا الطعام. أثناء انتظاره لهم، كان يتحدث إلى المرأة السامرية. وعندما عادوا «سَأَلُوهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، كُلْ» (يوحنا ٤: ٣١).

هل تدرك ما قد حدث وقتها؟ كان يسوع يستمتع بعمل إرادة الله، لدرجة أنه لم يكن يشعر بالجوع! (ألاَ يحدث الشيء نفسه معنا جميعًا عندما نندمج في فعل شيء ما يستلزم كل طاقتنا وتركيزنا، مثل العمل أو الانشغال بمشروع أو أي شيء مُشابه؟ نجتهد جدًا في هذا الشيء، لدرجة أننا قد نفقد شهيتنا!).

لا يا أحبائي، **الطاعة المسيحية، ليست هي أن أفعل ما لا أريده. الطاعة المسيحية تغيير ما أُحبه**. عندما يحدث هذا، وفقط عندما يحدث، سأقدر أن أفعل شيئًا لا يمكن تصوُّره على الإطلاق بالنسبة للإنسان. سأقول مع المسيح (من خلال عمله فيَّ): «طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ».

سؤال أخير: ماذا أفعل عندما لا أرغب في طاعة الله؟

من المُحتمَل جدًا أن تُفكِّر في هذا السؤال، وتقول: أنا أتفق مع ما كتبته؛ لكننا نعيش في عالم ساقط. ماذا عليَّ أن أفعل عندما لا تكون لديَّ رغبة في الطاعة؟ كيف أتصرف في الأوقات التي لا أستمتع فيها بيسوع والامتلاء بالروح، وكأنه شيء بعيد المنال؟ إنه سؤال مُحتمَل للغاية لأنها حقيقة نواجهها جميعًا. لقد كتبت الملحق ١ للرَّد بشكلٍ عادل على هذا القلق. أرجوك أن تقرأه الآن، وتتأمل في تطبيقاته على حياتنا اليومية .

ملخص موجز



ما هي الطاعة؟ الطاعة هي نتيجة التمتع بحب الله في المسيح. إن الطاعة، كما يقول الكتاب، هي شيء لا أستطيع فعله إلا إذا قام الروح القدس بتغيير دوافعي، ومَنَحني القوة للقيام بذلك.

لماذا أطيع؟ لأني محبوب، لأني أريد أن أبقى في حبه، ولأني أُريد أن أحب مَن أحبني. بهذه الطريقة، تتضمَّن الطاعة الكتابية ثلاثة جوانب:

- الدافع الذي يُولَد نتيجة التمتع بحب الله.
- قوة وُلِدَت من الامتلاء بروح الله.
- هدف مولود من الرغبة في إعطاء المجد لله.

لماذا أعصى كلام الله؟ لأنني فارغ وأبحث عن شيء ليملأ قلبي. الخطية تبدأ عندما أتوقف عن الشعور بالرضا الموجود في الله.

ما هو مفتاح الطاعة؟ مفتاح الطاعة، هو التوقف عن التركيز على تغيير سلوكي، والبدء في التركيز على التفكير في المسيح. **التغيير، هو نتيجة لتقديره.**

ما هو الملء بالروح القدس؟ هو أن الروح يؤثر على ما أُحبه وما أُفكر فيه، وما أقوم به. وهكذا؛ إنه يعمل في قلبي حتى أتوق لمجد الله، وأعطِ الأولوية لملكوت الله، وأستخدم قوة الله لأعيش حياتي اليومية.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمَسَت قلبك في هذا الفصل.
- لماذا تعتقد أنه من المهم للغاية أن نفهم أن الطاعة هي نتيجة؟ ما الآثار العملية التي تراها تترتب على هذه الحقيقة؟
- انظر مرة أخرى إلى الرسم البياني الذي يوضح ما يمكنك القيام به، وما لا يمكنك فعله. وفقًا لهذا الرسم البياني، لا يمكننا تغيير ما نحبه، ولهذا السبب نحتاج إلى عمل الروح. ما هي الآثار العملية لهذا الدرس في حياتك اليومية؟
- كيف يمكنك أن تُحدِّد بكلماتك الخاصة معنى الامتلاء بالروح؟ ما الذي يمكنك فعله حتى تحقق هذا؟

إذا كان عليك تحديد مجال ما في حياتك، تجد فيه صعوبة لطاعة الله، ماذا سيكون؟ (ضع في اعتبارك أن حرب اليوم قد تكون مختلفَة عن صراع الأمس أو غدًا. الفكرة هنا، هي التفكير في أحدث صراع لك).

- لماذا تعتقد، أنه من الصعب عليك أن تعيش في المسيح في هذه الحالة أو هذا المجال؟

قبل الإجابة على هذا السؤال، يُرجى قراءة الملحق:

- ما الذي يساعدك على استعادة شغفَك بالمسيح، عندما تشعر بالابتعاد عنه؟ وهل لاحظت أي شيء يتكرَّر قبل بُعدك عن الله؟ بمعنى؛ الشيء الذي يُسبب لك الابتعاد عنه عاطفيًا؟

* * *

الفصل الحادي عشر

مُنطلق جديد للخدمة

الخدمة هي نتيجة

إذا كنت قد قرأت الفصول السابقة، فلن تُفاجئك هذه العبارة؛ **خدمة الله هي نتيجة للاستمتاع به.** الطريقة الوحيدة لخدمة الله (بالطريقة التي يتوقعها ويرغبها) هي تقدير قيمته التي لا تُقارن ولا تُضاهى. هل تتذكَّر ما يفعله الحب؟ الحب يستجيب لِمَا يجده قَيِّمًا وجذابًا. إذا كنت موسيقيًا (أو إذا كنت قد تعرف أي موسيقى)، فأنت تعلم جيدًا ما أتحدث عنه. الموسيقيون "يعيشون" للموسيقى. يخصص جميع الموسيقيين، حتى الأكثر موهبة، ساعات وساعات من وقتهم، فقط للموسيقى. يتدرب الموسيقيون بلا كَلَل، ويُكرِّرون مقطوعاتهم مِرارًا وتكرارًا، ويقومون بتقوية صوتهم بعناية، وضبط أدواتهم بعناية، وبذل جهود لا تُصدَّق في "خدمة" الموسيقى.

باختصار، الموسيقيون "يُكرِّسون حياتهم" للموسيقى. لماذا يفعلون ذلك؟ الجواب ليس مُعقدًا، لأنهم يستمتعون بالموسيقى! لأنهم يعتبرونها جميلة، عظيمة وجذابة. إذا أردت أن أُعبِّر عنها بطريقة كتابية أكثر، سأقول: "يخدمون" الموسيقى لأنهم مفتونون بـ "مجد" الموسيقى. هل الآن ترى ما نتحدَّث عنه؟ ما هو ضروري "للعيش من أجل الله"؟ ما الذي يتطلَّبه الأمر "لتكريس حياتنا" له؟ ما الذي يجب أن يحدث حتى "أُكرِّس حياتي" لخدمته؟ الجواب ليس مُعقدًا أيضًا، قبل التمكُّن من خدمة الله، من الضروري أن نُقدِّره. قبل أن نُخصص نفسنا له، من الضروري أن نرى مجده. بمعنى آخر: إن خدمة الله هي نتيجة التمتع بالله.

الطريقة الوحيدة لخدمة الله حتى يُمَجَّد الله، هي أن نقوم بخدمته كنتيجة لتقدير مجد الله.

اسمحوا لي أن أوضح هذه الفكرة بطرح سؤال نادر: كم من المال ستكون على استعداد لدفعه لخدمة شخص آخر؟ نعم، لقد قرأت السؤال بشكل صحيح. ليس مقدار المال الذي تريد أن تأخذه مقابل تقديم خدمة لشخص ما، **ولكن** ما هو المبلغ الذي ستكون على استعداد لدفعه كي تخدم شخص ما. "ادفع مالاً لخدمة شخص ما؟ أي نوع من السؤال هو؟ هل أنت مجنون؟ هذه ليست الطريقة التي تعمل بها الحياة! لا يدفع المرء عند تقديمه خدمة، بل عكس ذلك تمامًا! تحصل على المال عندما تفعل شيئًا للآخرين. هذا صحيح. إذا كنت طيارًا أو مُصفف شعر أو سائق سيارة أجرة أو مهندسًا معماريًا أو محاميًا أو موظفًافي شركة. في العالم الواقعي، لا يدفع أي شخص للآخرين لفعل شيء لهم. تحصل على المال عندما تفعل أنت ذلك!

منذ بعض الوقت كنت أقرأ كتابًا لمؤلف مشهور، لكن بصراحة، كلما قرأت هذا الكتاب، قلَّت درجة استمتاعي به. بدا الأمر شاقًّا ومتكررًا، وغير مهم. عند مناقشته مع زوجتي أخبرَتني: "لماذا تستمر في قراءته؟ غَيِّر الكتاب. اقرأ شيئًا آخر". ومع ذلك، بما أنني لا أحب ترك الأشياء في النصف، فقد استمررت في الإصرار على الانتهاء منه. بعد ذلك، في الفصل الأخير فقط، عندما كنت على وشك إغلاقه إلى الأبد، قرأت عبارة جعلتني أسأل نفسي سؤالاً حطم قلبي إلى ألف قطعة. "ما الثمن الذي أنت على استعداد لدفعه لخدمة يسوع؟". لم أستطع إيقاف دموعي عندما فكَّرت في هذا السؤال. "ما هو الثمن الذي أرغب في دفعه للخدمة؟". "اليوم لا أحد يدفع حتى يقوم بخدمة شخص آخر. العكس تمامًا".

حتى في العالم المسيحي، يريد الجميع أن يحصلوا على رواتبهم، أو على الأقل الاعتراف بهم، عندما يخدمون الآخرين. (أشعر بإغراء شديد في الكتابة عن "التقدمات" التي يتلقاها بعض القساوسة من أجل الوعظ، أو بعض المرنمين الذين يقدمون حفلاً ما. ما سأقول، فقط هو إنني لا أوافق أبدًا على بعض الأرقام التي يتلقونها). تأمل بضع لحظات معي. دفع مال للخدمة؟ دفع مال للذي يعزف موسيقى يوم الأحد في الاجتماع؟ دفع مال لِمَا يقوم بظبط السماعات والأجهزة اللازمة لبدء الاجتماع؟ دفع مال لوضع الكراسي في صفوف

قبل الاجتماع؟ دفع مال لتنظيف مرافق الكنيسة؟ دفع مال لتنظيف الحمامات؟ أي نوع من الجنون هذا؟ هل تعرف ما اكتشفته، وحوَّل قلبي عند التأمل في هذا؟ اكتشفت أنني على استعداد لدفع ثمن الأشياء التي أعتبرها "أكثر" قيمة و"أكثر" أهمية في خدمة المسيح.

لقد اكتشفت أنه بالنسبة لتلك الأشياء "أنا لا أدفع"، لكن بالنسبة لأشياء أخرى، نعم! اكتشفت، على سبيل المثال، أنني على استعداد لدفع ثمن الجيتار الكهربائي الذي أُريد شراءه لابني. اكتشفت أنني على استعداد لدفع القسط العقاري للمنزل. اكتشفت أنني على استعداد لدفع تأمين سيارتي الشهرية. نحن جميعًا على استعداد لدفع ثمن مبلغ ضخم على الأشياء التي نعتبرها قَيّمَة! الملابس والأحذية والإنترنت والهاتف المحمول والتلفزيون والعطور ، وأشياء أخرى لا نهاية لها.

سأُكرر ذلك مرة أخرى: هل أدفع مالاً لخدمة يسوع؟ مَنْ الذي يقوم بهذا الجنون؟ بينما واصلت التأمل في هذا السؤال، أدركت حقيقة كاشفة للغاية. أنا فقط على استعداد لدفع ثمن ما أعتبره ذا قيمة. ثم، كما يقول لوقا عن الابن الضال: "عاد إلى نفسهِ"، وتوصَّل لحقيقة مؤلمة جدًا. (يُرجى قراءة هذه الكلمات بعناية). كلما فكَّرت في هذه العبارة، أدركت أنني لا أُقدِّر يسوع! الحقيقة المُحزنة، هي أنني لا أُقدِّر شخصه، ولا أعتبره ذا قيمة، ولا أُحبه (أو على الأقل، أنا لا أُحبه بما يكفي) ليستحق أن أدفع مالاً مقابل خدمته. ماذا عنك أنت؟

أنت تخدم بكرَم شديد ، وتضحية كبيرة

لِمَا تحبه وتجده يستحق تلك الجهود.

نحن جميعًا نخدم شيئًا ما. ولكن ليس فقط بأموالنا، بل بشكلٍ أساسي بتسليم قلوبنا! كما قلنا في الفصل السابق، فأنت عبد لِمَا تجده أعظم كنز وأعظم حب. أنت تستجيب لهذا السيد. سواء أعجبك ذلك أم لا، فأنت تخدمه! (رومية ٦: ١٦). يقول بولس في رومية ١٦: ١٨: «أَنَّ مِثْلَ هؤُلاَءِ لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ ...». ماذا تفعل إذا كنت تحب القلاع مثلي؟ تنفق أموالك، وقتك وطاقتك على زيارة تلك القلاع! تذهب في عطلة حيث توجد القلاع. تقوم بزيارة صفحات الإنترنت للتصفح عن القلاع. تشتري كتبًا تتحدث عن عظمة القلاع. (أشهد: لديَّ مجموعة كتب جيدة عن هذا الموضوع). وهكذا تجد نفسك تخدم أكبر شغف لديك، وما تعتبره "مجيدًا".

ماذا تفعل إذا كنت تحب كرة القدم؟ سأستخدم الكلمات النصيَّة التي أخبَرني بها صديق منذ فترة طويلة: "بالنسبة لي، كل جدولي الأسبوعي يدور حول مواعيد لعب فريقي. إذا كان عليَّ فعل شيء خلال الأسبوع، فأفعله قبل المباراة أو بعده؛ لكنني لا أُفوِّت أي مباراة. أنا أُنبهك يا نيكو: خلال هاتين الساعتين، لا تعتمد عليَّ في أي شيء". ماذا يقول صديقي؟ ما الذي يحدث في قلبه؟ ما هي نتيجة ذلك في قراراته العملية اليومية؟ يقضي حياته كلها في خدمة فريقه لكرة القدم. قراراته، والجدول الزمني الخاص به، وإتاحته للأمور الأخرى في الحياة، لا تتعارض مع ما يعتبره صديقي أعظم متعة. حتى لو لم يُصدِّق تلك الحقيقة أو يرفض قبولها، فهو عبد! قبل إدانة صديقي، اِسأل نفسك السؤال التالي: **ما الذي يدور حوله جدولك الزمني؟**

ماذا تعني خدمة الله من القلب؟

إن خدمة الله هي نتيجة محبته، وإيجاده جذابًا، والنظر إليه أنه مُميَّز.

الخدمة هي نتيجة رؤية الله جديرًا بمنحه كيانًا كاملاً. (تمامًا كما يفعل الموسيقي مع الموسيقى. تمامًا كما أحب القلاع. تمامًا كما يفعل صديقي مع فريق كرة القدم الخاص به. تمامًا مثلما تفعل مع مشاعرك وعواطفك).

خدمة الله هي نتيجة لتقدير مجد الله!

قبل أن أعطيك مثالاً من الكتاب المقدس لدعم هذه الحقيقة، انظر في هذه الأسئلة بعناية:

مَن هو الشخص الذي يَوَّد أن يفشل في خدمته؟ مَن يتقدم طواعية لخدمة الله، مع العِلم أن كل ما سيفعله سيكون عديم الفائدة؟ مَن هو القادر على الصراخ بشوقٍ عميق: "يا رب! أُريد أن أكون الشخص الذي تختاره عندما تسوء الأمور؟". مَن يريد هذا؟ مَن الذي يتوق إلى الرفض والمقاومة والاضطهاد من قِبَل الأشخاص أنفسهم الذين سيُقدِّم لهم خدمة؟ إشعياء ٦: ٨ يقول: «ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ قَائِلًا: مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟ فَقُلْتُ: هأَنَذَا أَرْسِلْنِي».

لماذا يرفع إشعياء يده كصبي صغير يريد أن يتم اختياره، وهو يصرخ: "أنا .. أنا .. أنا!". لماذا يعرض أن يُكرِّس حياته كلها للرب، عندما يُخبره الرب نفسه أن الناس الذين سيذهب إليهم، لن يسمعوا إلى كلماته؟ (إشعياء ٦: ٩، ١٠). لماذا "استجاب" لدعوة الله بتلك الطريقة؟ الجواب نجده في الآيات السابقة: لأنه **رأى مجد الله**. لأنه اختبر الإنجيل مرةً أخرى.

إشعياء ٦: ١- ٧ يقول: «رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ .السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلٍّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ. فَاهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَانًا. فَقُلْتُ: وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُود. فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ، وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِك».

ماذا حدث للتو؟ إشعياء قد التقى مع الله. (من المُفترض أن نجتمع بالله اجتماعًا شبيهًا بما اختبره إشعياء). عندما نجلس في محضر الله، يجب أن يحدث شيئان: أولاً، ننظر مجد الله. **ولكن** هل يتوقف الأمر عند النظر؟ إشعياء ليس مؤمنًا جديدًا. مجد الله ليس شيئًا جديدًا بالنسبة له. ومع ذلك، ما الذي جعل هذه المقابلة مُميَّزة ؟ لأنه **رأى مجد الله على مستوى جديد**. لقد حظيَ على فرصة الإعجاب بالله من جديد.

لم أتمنى أن تنفتح أعيننا لتقدير الله فوق القلاع، والموسيقى، وكرة القدم، والملابس، وسيارات المرسيدس أو أي شيء آخر يمكن أن يُقدمه لنا هذا العالم. ماذا حدث مباشرةً بعد ذلك؟ إشعياء رأى خطيته. لكن لا تتعجل. عُد وانظر في الملاحظة التي ناقشناها من قبل. إشعياء ليس شخصًا غير مؤمن. ليست هذه هي المرة الأولى التي "يرى" فيها خطيته. ومع ذلك، هذه هي المرة الأولى التي يراها **بهذه الطريقة!** عندما واجه الله، "رأى" أنانيته، وكبرياءه، وشفقته على نفسه، وعيوبه، وشهوته، وفساد دوافعه بطريقة لم يَرها من قبل.

(هل لاحظت التفاصيل؟ **خدمة "النبي" هي التحدُّث باسم الله**. إشعياء "تكلَّم" نيابة عن الله لفترة طويلة. ومع ذلك، أي جزء من جسده كان يحتاج إلى التطهير؟ شفتيه! إشعياء "تحدث" نيابة عن الله، ولكن حتى "كلامه" كان يحتاج إلى أن يكون طاهرًا. حتى خدمته ليست نقية!).

هل ترى المُفارقة؟ في هذا اللقاء مع الله لا يوجد شيء جديد؛ **لكن يوجد تقدير جديد لشيء معروف**. ماذا يحدث بعد ذلك؟ إشعياء يتلقى معجزة، وهي: الغفران. لقد تم تبريره.

قد صار نقيًا من جديد. كل خطيته قد غُفرت. حينئذٍ فقط، وبعد رؤية حقيقة قلبه، وإعادة تقييم المغفرة التي تلقاها، فإن الفرح الذي يختبره لا يمكن السيطرة عليه لدرجة أنه صرخ: "أرسلني!"، "أريد أن أخدمك!"، "أنا لا أهتم بما يجب القيام به، أريد أن أفعل ذلك!".

ما هي الخدمة الحقيقية؟

الخدمة الحقيقية، هي نتيجة لتجربة الإنجيل مرة أخرى.

ما هو الحب المسيحي؟

الحب المسيحي، هو وفرة الفرح التي يتم مشاركتها مع الآخرين.

الخدمة، هي ردّ فعل.

الخدمة، هي تسليم ذواتنا لله.

الخدمة، هي الاستعداد لتقديم تضحيات ضخمة،

مثل هدسون تايلور أو إشعياء. بعد كل شيء، فكّر في الأمر للحظة: مَن يحزن عندما يشتري ملابس تحمل علامة تجارية بثلث سعرها؟ لا أحد! ومع ذلك، هل أنفقت المال؟ بالطبع نعم! هل كلّفك ذلك؟ بدون شك! فلماذا لا تشعر بالحزن لشراء الملابس؟ في الواقع، لماذا تشعر بعكس ذلك؟ لماذا يُولَد الفرح؟ لأنك تدرك أن ما حصلت عليه (الملابس) ثمنه يفوق ما دفعته فعليًا. تنظر إلى الملابس وتشعر بالآتي: "لقد كان يستحق هذا كل العناء!".

لماذا فعل إشعياء ما فعل؟ لنفس السبب الذي تُنفق فيه أموالك على الملابس والهواتف المحمولة أو أي شيء يمنحك المتعة. لأنه استطاع "إدراك"، "تقدير"، "رؤية"، "الإعجاب" بعظمة الله وعظمة مغفرته التي يحتاجها بعمق. لأنه، عندما يتمتع المرء حقًا بالإنجيل؛ أي تضحية أو تسليم أو خدمة تهون أمامه. في الواقع، فإن العكس هو الصحيح، فهو يتمتع بأكبر امتياز.

«**بِالإِيمَانِ** مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، مُفَضِّلًا بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالْخَطِيَّةِ، حَاسِبًا عَارَ الْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ، لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ. **بِالإِيمَانِ** تَرَكَ مِصْرَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ غَضَبِ الْمَلِكِ، لأَنَّهُ تَشَدَّدَ، كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى. **بِالإِيمَانِ** صَنَعَ الْفِصْحَ وَرَشَّ الدَّمَ لِئَلاَّ يَمَسَّهُمُ الَّذِي أَهْلَكَ الأَبْكَارَ» (عبرانين ١١: ٢٤- ٢٨).

الخدمة هي معجزة

هل قرأت عنوان هذه الفقرة بعناية؟ خدمة الله (لمجد الله) هي معجزة! خدمة الله (حب الله) هو عمل خارق! خدمة الله (التمتع بالله) هو عمل لله! الخدمة، المفهومة من وجهة نظر الكتاب المقدس، هي نتيجة لعمل روحه، وهي ليست نتيجة لأفعال الكائن البشري. إنه ليس عملك أنت، بل عمله هو!

اسمحوا لي أن أُشارك مثالاً بسيطًا للغاية لتوضيح ما أعنيه. تخيَّل أنه في حديقة منزلك لديك شجرة كمثرى. لنفترض أنك لا تحب الكمثرى، وتريد أن تعطيك هذه الشجرة تفاحًا. ماذا تفعل لتحقيق هدفك؟ هل تسقي الشجرة؟ هل ترشيها بالمال؟ هل تترك الفروع في حالة سيئة؟ بالطبع لا! إذا فعلت ذلك، فستظل تحصل على الفاكهة نفسها كما كان من قبل. الكمثرى! إذا كنت تريد أن تبدأ الشجرة نفسها في إنتاج ثمار جديدة، فيجب أن يحدث شيء خارق في الداخل، في "قلبها" - أي في جذورها. المطلوب هو معجزة!

بنفس الطريقة، ما لم يكن هناك تغيير خارق تمامًا في داخلنا، فسنُنتج أنا وأنت "الفاكهة" التي تتوافق مع طبيعتنا. كيف كانت طبيعتنا؟ ما هو ميلك الطبيعي، وميلي الطبيعي؟ ماذا نفعل افتراضيًا؟ سألخصه في جملة واحدة: نستخدم الخدمة كوسيلة لاستقطاب حب مَن حولنا. لست متأكدا من هذا القبيل؟ فكّر فيما يلي:

لماذا تحاول الوصول إلى العمل مُبكرًا؟ لماذا تفعل ما يقوله لك مديرك في العمل؟ لماذا "تخدم" في عملك من خلال توفير قدر كبير من الوقت والجهد؟ لماذا، إذا لزم الأمر، تبقى بعد ساعات العمل؟ لماذا "تُضحي" بنفسك؟ لماذا تحب أن يطلبوك بالاسم؟ لأنك تفرح بما يقوله عنك مديرك وأنت تحب خدمته؟ أنا أشك في ذلك. أنت تفعل ما تفعله لأن عملك يمنحك شيئًا ما. (المال، المكانة، الشرف .. إلخ). أنت تفعل ما تفعله لأنك تحصل على شيءٍ ما. أنت تفعل ما تفعله، لأنك تحب ما يعطيك إيَّاه العمل. لا يمكن لأي شخص أن يتوقف عن التصرف وفقًا لطبيعته. ولا حتى في خدمة الله (متى ٦: ١؛ فيلبي ١: ١٥). قلبنا الأناني يُنتج ثمر أنانية. قلبنا المليء بالكبرياء ينتج ثمرًا مليئًا بالكبرياء. قلبنا المُتمركز حول الذات ينتج ثمارًا تتمحور حول الذات. لتغيير هذا القصور الذاتي، يجب أن تحدث معجزة. **عمل إلهي!**

اسمحوا لي أن أطرح سؤالاً آخر مُماثلاً للسؤال الذي طرحته في بداية هذا الفصل: متى كانت آخر مرة توسَّلت فيها لشخص ما للسماح لك بخدمته؟ نعم، إقرأ بشكل صحيح، متى توسَّلت لخدمة شخص آخر؟ أن أتوسل لأخدم شخصًا آخر؟ مَن يفعل ذلك؟ أعلم أن زوجتي ستحاول إقناعي بالتخلُّص من المثال الذي سأُشاركه معكم (تشعر بعدم الارتياح عندما أضعها كمثال جيد)؛ ومع ذلك، إذا كنت تقرأ هذه الكلمات، فذلك لأنه - بعد الكثير من العمل - تمكنت من إقناعها.

في الحي الذي نعيش فيه، هناك أيضاً إمرأة متقدمة في السن تخرج للتنزُّه مع كلبها أمام باب منزلنا كل يوم. شعرت زوجتي آني، منذ أن رأت تلك المرأة العجوز بعبء خاص تجاهها. تعيش هذه الجدة بمفردها، ولديها كتف مُصاب، ومن الواضح جدًا أنه من الصعب عليها أن تتدبَّر أمرها بنفسها.

مع مرور الوقت، أصبحت آني صديقتها حتى، قبل أسابيع قليلة، قالت لها بحنانٍ شديد: "أوَّد أن أذهب إلى منزلك لتنظيفه". أجابتها الجدة: "لا يمكنني أن أدفع لك يا ابنة". ثم قالت آني بابتسامة رقيقة: "لا. أنتِ لا تفهميني. أنا لا أُريد مالك. أُريد تنظيف منزلك دون أي مقابل". نظرت إليها المرأة بغرابة وقالت: "لكن لماذا تفعلين ذلك؟". أجابت زوجتي: "لأنني أحب الله، وأحبك أيضًا". هل تعرف ماذا كان ردّ فعل المرأة؟ "أنا أكره الله!". هل تعرف ماذا كان رَّد زوجتي؟ "ما من مشكلة. حتى لو كنت تكرهين الله، فما زلت أُريد تنظيف منزلك". وبالفعل قد تم. (أكثر من مرة، وبكل سرور!).

هل تعتقد أن زوجتي مُميَّزة؟ هل تعتقد أنها خارقة للطبيعة؟ هل تعتقد أنه أمر جيد للغاية؟ لا، ليس كذلك. إن حبه "غير العادي" هو نتيجة عمل "غير عادي". هل تعتقد أن قضيتك استثنائية؟ دعنا نواصل الأسئلة الغريبة.

هل سبق لك أن رأيت شخصًا مليونيرًا يتوسَّل إلى شخص فقير جدًا ليسمح له بخدمته؟ أبدًا. أليس كذلك؟ اِقرأ سفر أعمال الرسل معي.

«فَكَانَتْ تَسْمَعُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا لِيدِيَّةُ، بَيَّاعَةُ أُرْجُوَانٍ مِنْ مَدِينَةِ ثَيَاتِيرَا، مُتَعَبِّدَةٌ للهِ، فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا طَلَبَتْ قَائِلَةً: إِنْ كُنْتُمْ قَدْ حَكَمْتُمْ أَنِّي مُؤْمِنَةٌ بِالرَّبِّ، فَادْخُلُوا بَيْتِي وَامْكُثُوا. فَأَلْزَمَتْنَا». كانت ليديا مليونيرة.

في ذلك الوقت، كانت الأقمشة الأرجوانية تُستخدَم بشكل رئيسي في ملابس الملوك. كان مَن يبيع هذا النوع من القماش، هو بمثابة مَن يلبس نجوم هوليود العظماء، أو كونك صاحب متجر ملابس على طراز كريستيان ديور أو غوتشي أو فيرساتشي. هل لاحظت الأفعال التي يستخدمها لوقا عند سرد القصة؟ لقد توسَّلَت إليهم وناشدتهم: "تعالوا، امكثوا في بيتي".

على ما يبدو، في المقام الأول، رفض بولس ورفاقه دعوتها الكريمة. ومع ذلك، أصرَّت هذه المرأة كثيرًا على أنه، وفقًا للوقا، انتهى بها الأمر إلى أنها "ألزمَتهم". نداؤها يُظهِر رغبتها العاطفية والصادقة في الخدمة. لكن انتبه! لا تنخدع بالعبارة الشرطية. في اليونانية الأصلية، عندما تقول ليديا: "إذا حكمت أنني مؤمنة بالرب ..."؛ إنها لا تشك في إيمانها بالرب. في الحقيقة، إنها تفعل العكس، إنها تؤكد ذلك! يتفق المُفسرون لسفر أعمال الرسل على أن أفضل ترجمة لكلماته هي: "بما أنك تعلم أنني مؤمنة حقيقية بالرب ..."[1]. أو، "بما أنني مؤمنة حقيقية، دعني أخدمك! أُريد أن أفعل ذلك! أُحب أن أساعدك!" هل تستطيع رؤية ما يحدث؟ لم يوجه أحد مسدسًا لرأس ليديا ويُهدِّدها لتخدمهم. العكس تمامًا! كان عليهم أن يطيعوا كلامها حتى تصمت هي!

(أؤكد لك أن الشيء نفسه حدث مع زوجتي. كان لزامًا أن أطلب منها أن تتوقف عن تنظيف منازل المحتاجين. منزل الجدة، ليس هو الوحيد الذي قامت بتنظيفه!). ما الذي يجعل ليديا، زوجتي أو أي شخص يشعر بهذا النوع من الرغبة؟ النص نفسه يعطينا الجواب.

---

[1] إذا فكرت جيدًا، ستجد أنه في لغتنا نستخدم أيضًا الشرطية بهذه الطريقة. يمكن للأم التي توبخ طفلها أن تُخبره بسهولة: "إذا كان لديك آذان، فاستمع جيدًا لِمَا سأُخبرك به الآن ...". الأم، في هذه الحالة، لا تتساءل عمَّا إذا كان لابنها آذان أم لا؛ تفترض أنه شيء حقيقي وصحيح. نيَّتها في استخدام الشرطية هي الاستفادة من الخطابة. نحن جميعًا نفعل هذا طوال الوقت.

إن الشيء الرائع في اللغة اليونانية، بخلاف اللغة الأسبانية، هو أن لديها شكلًا نحويًا خاصًا للإشارة إلى هذا النوع من التركيبات. وبالتالي، ليس هناك شك حول ما كانت تقصده ليديا. يحدث الشيء نفسه، على سبيل المثال، في فيلبي ٢: ١، ٢ عندما يقول بولس: «فَإِنْ كَانَ وَعْظٌ مَا فِي الْمَسِيحِ. إِنْ كَانَتْ تَسْلِيَةٌ مَا لِلْمَحَبَّةِ. إِنْ كَانَتْ شَرِكَةٌ مَا فِي الرُّوحِ. إِنْ كَانَتْ أَحْشَاءٌ وَرَأْفَةٌ، فَتَمِّمُوا فَرَحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا،...». بولس لا يشك في هذه الأشياء، فهو يؤكدها! ستكون الترجمة "الأفضل" كما يلي: "نظرًا لوجود الحافز في المسيح، نظرًا لوجود الراحة، إلخ ..".

يُخبرنا لوقا أن هذا النوع من الخدمة غير طبيعي. ليس فعل طبيعي من ليديا (أو زوجتي). هذا النوع من الخدمة هو نتيجة عمل الله الخارق في حياتهم. تقول الآية ١٤ «فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ».

يُعبِّر الفعل الذي تم استخدامه من قِبَل لوقا هنا عن فكرة فتح شيء على نطاق واسع، كما هو الحال عند فتح ورقة مزدوجة على نطاق واسع. فتح الله قلب تلك المرأة حتى يتمكَّن من خلال تلك الفتحة أن يخترق، ليس فقط الإنجيل، ولكن المُخلِّص نفسه. لم تكن هي التي فعلت ذلك، ولم يكن بولس من خلال رسالته، بل كان الروح القدس، بحيث يكون مجد الخلاص للوحيد الذي يستطيع أن يُخلِّص: الله نفسه.

ما حدث في قلب ليديا في لحظة خلاصها، هو الشيء نفسه الذي يحدث داخل قلبنا في كل مرة نختبر فيها تغييرًا عميقًا. ما حدث كان عملاً إلهيًا! الخدمة المسيحية هي أكثر بكثير من مجرَّد "المساعدة في تنظيف المنزل" أو "دعوة شخص ما إلى منزلك" أو "القيام بأعمال حسنة" أو "تكريس نفسك للخدمة"؛ الخدمة المسيحية، هي فيض من الحب الخارق في قلبك.

ما حدث في قلب ليديا هو ما يقول بولس إنه يحدث في قلب كل مؤمن حقيقي في اليوم الذي يقبل المسيح فيه: «وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي، لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٥). هل ترى أن الخدمة المسيحية هي نتيجة أن الله يعطيك شيئًا ليس لديك: الحب! ولكن ليس فقط أي نوع من الحب: الحب الإلهي! حب مُشابه لمحبة الله. حب حقيقي، مليء بإنكار الذات، "محوره الآخر". **الخدمة المسيحية هي نتيجة "تغيير" القلب**. إنه تغيير يعمله الله (من خلال روحه) حتى نكون مُتحرِّرين من الميل الطبيعي إلى حب أنفسنا من خلال كل ما نقوم به. إذا نظرت عن كثب إلى نص أعمال الرسل، فسوف ترى ذلك بوضوح.

ما فعله الله في ليديا لم يكن لتغيير سلوكها؛ ما فعله الله بها هو تغيير قلبها. يُرجى الانتباه عن كثب للكلمات التالية: كانت ليديا بالفعل شخصية مطيعة! إذا قرأت سياق الآية، فسوف تدرك أنه عندما ذهب بولس لرؤيتها، كانت تطيع الله بالفعل. بحسب سفر أعمال الرسل ١٦: ١٣، كانت ليديا تُصلّي وترنم للرب، وتقضي يوم السبت مع نساء أُخريات

(وهذا يعني أن ليديا، وهي امرأة غير يهودية، قد اعتنقت الديانة اليهودية، واحتفظت بأحكام الشريعة). فما نوع العمل الذي قام به الله في قلبها إذا لم يكن تغييرًا في السلوك؟ يَرِد النص قائلاً: «فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ».

بمعنى آخر، فتح الله عينيها حتى "تستقبل" الإنجيل! الآن، اسمحوا لي أن أُقدم لكم تفاصيل مهمة حول هذا الفعل الذي استخدمه هنا لوقا؛ كاتب أعمال الرسل.

يمكن ترجمة "لتصغي" إلى: "إيلاء اهتمام وثيق"، "الاستجابة"، "الاستسلام إلى"، "أن تصبح مولعًا بشيء"، "تلقى بسرور". إن فكرة الفعل، باللغة اليونانية الأصلية، تُشبه "مَن يشاهد عرضًا جذابًا". إنه موقف مُشابه لنوع الاهتمام الذي ستعطيه لعرض سيرك. إن النظر إلى مثل هذا العرض، يُولّد رَّد فعل، وسرورًا مُمتعًا، وتقديرًا.

من المستحيل ببساطة "رؤية" مَن يقومون بالألعاب البهلوانية؛ عندما ترى ما يمكنهم القيام به، "تولي اهتمامًا وثيقًا"،"أنت تستجيب"، "أنت تُسلّم نفسك"، "تُغرَم"، "تتلقى ذلك بسرور". عندما ترى مثل هذا العرض لا يمكنك التوقف عن القول: هذا جميل! إنه لأمر مدهش! انه رائع! هذا ما يقوله لوقا عند استخدام هذا الفعل. فتح الله قلب ليديا لتتمكن من "تلَّقي" الإنجيل باعتباره أكثر الأشياء قيمة في الكون. وبعبارة أخرى، من خلال عمل روح الله، أصبح المسيح لؤلؤة غالية الثمن. النتيجة؟ لديها الآن شغف للخدمة! (مثل زكا، الذي لم يستطع التوقف عن العطاء! لوقا ١٩: ١- ١٠).

اسمحوا لي أن أتوقف للحظة، وأدخل في عقل ليديا. اسمح لي أن أعيد صياغة الطريقة التي فكَّرَت بها حتى قابلَت بولس. كان فكر ليديا شيئًا كهذا: "لكي يقبلني الله، يجب أن أكون مُخلِصة للناموس. يجب أن أُصلّي وأُرنم وأطيع وأخدم".

والآن، اسمحوا لي أن أعيد صياغة ما قاله بولس:

"الله يقبلِك، ليس بسبب اتباعك لقوانين الناموس،

بل يقبلِك مع العلم أنه لا يمكنك الوفاء بها.

يا ليديا .. هذا الإله الذي تحترمينه كثيرًا، جاء إلى عالمنا، وتجسَّد ومات من أجلك!".

عندما فتح الله قلبها لهذه الحقيقة، لم يكن العرض الذي رأته ليديا، مجموعة من الألعاب البهلوانية في سيرك، بل الله فتح عينيها لترى أن إله السماء المجيد تجسَّد ومات

من أجلك، ومن أجلي! (وهو العَرض نفسه الذي شاهده إشعياء، وعليك أن تشاهده أنت أيضًا). ما فهمته ليديا هو ما نقرأه في ١يوحنا ٤: ١٠ «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا»[٢].

هل تريد أن تخدم مثل ليديا؟ التحدي الذي واجهته هو ما زال أمامي وأمامك، ولكن المفتاح هو في السماح لهذا الواقع أن يأسرنا!

هل ترى كم تغيَّرَت ليديا؟ لكنها **لم تُغيِّر سلوكها، بل غيَّرت حبها والطريقة التي تُقدِّر بها لله!** انتقلت ليديا من فكرة الإيمان بالله، إلى اختبار وجود إله جميل! بدأت ليديا تخدم الله لتكتشف أن الله قد وهب حياته لخدمتها! انتقلت ليديا من طاعة الله إلى الشعور بالحب الذي في قلب الله تجاهها!

هذا الحب، الذي نختبره لأول مرة عندما نقبل المسيح، والذي يقول بولس عنه: إن الله يسكبه في قلوبنا من خلال الروح القدس (رومية ٥: ٥)، نفس الحب هو ما يجب أن نُقدِّرهُ ونعتز به مُجدَّدًا للخدمة! التمتع بهذا الحب هو ما يصنع الفارق الكبير. لا أقصد المحبة التي يجب أن نحب بها الله، لكن الحب الذي يمنحه هو لنا![٣].

---

[٢] من المَثير للاهتمام أنه، في إنجيل يوحنا، عندما يُقيِّم يسوع قلب الفريسيين، لا يقول: "المشكلة، هي أنك لا تحبني". في يوحنا ٥: ٤٣ يقول يسوع: «وَلكِنِّي قَدْ عَرَفْتُكُمْ أَنْ لَيْسَتْ لَكُمْ مَحَبَّةُ اللهِ فِي أَنْفُسِكُمْ». بالنسبة إلى يسوع، فإن المشكلة التي يواجهونها، ليست أنهم لا يُحبون الله، المشكلة لديهم، هي أنهم لم يكونوا قادرين على تقدير محبة الله لهم. (وهذا هو السبب في أنهم يرفضون المسيح وصليبه - الآية ٤٠). ما هي نتيجة هذا الرفض؟ يستخدمون خدمة الله كوسيلة لتمجيد أنفسهم. يقول يوحنا ٥: ٤٤ «كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟».

وبعبارة أخرى، بما أنك ترفض حب المسيح (الآية ٣٩)، فأنت تبحث عن هذا الحب في العالم مُتمنيًا أن تحصل على الحب والمجد والمكانة. يستخدمون مناصبهم ليشعروا بالأهمية والقيمة. يستخدمون الخدمة لتوليد سُمعة طيبة. هذا، حسب يسوع، هو الذي يطفئ ويُبطِل إيمانهم. «كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا، وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ..؟».

[٣] يشرح بولس هذه الفكرة في ٢كورنثوس ٥: ١٤، ١٥ أَنَّ «مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ».

في ترجمة أخرى لهذا الجزء نرى الآتي: إن حب المسيح "يُهيمن على حياتنا"،"يسيطر علينا"، "يُقيدنا"، "يحثنا"، "يُجبرنا". فكرة الفعل اليوناني هي: أن **حُب يسوع، هو الذي "يُحركنا"، "يدفعنا"، "يحفزنا" على التوقف عن العيش من أجل أنفسنا، وبدء العيش من أجله.** هل تفهم ديناميكية هذا التغيير؟ حبه هو المُحرك الذي يقودنا إلى التغيير. حبه يشعل الرغبة في العيش من أجله. حبه يملأ شغف الخدمة.

نقرأ في يوحنا الأولى ٤: ١٩: «نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا». بعبارة أخرى، **لا يمكننا أن نحب (لا الله ولا غيره)، إلا إذا كنا نختبر أولاً محبة الله لنا.** أي أن **حب الآخرين هو نتيجة التمتع بالحب غير المشروط الذي يسكبه الله فينا.** هل يمكنك أن تخدم دون تجربة هذا الحب؟ بالطبع يمكنك ذلك! ولكن إذا نظرت عن كثب إلى قلبك، فسوف تدرك أنه بعيدًا عن خدمة الآخرين، والشخص الوحيد الذي تخدمه هو: نفسك. ستجد أنه بعيدًا عن تقديم الحب للآخرين (على الرغم من أنك تخدمهم من الخارج)، ولكن داخليًا تمد يدك حتى تملأها بحب الآخرين.

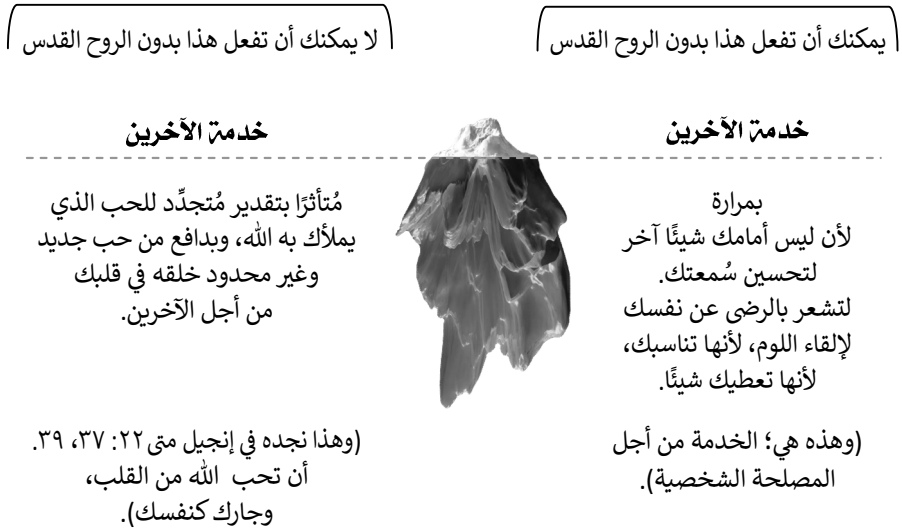

الخدمة الحقيقية، هي التي تولَد مدفوعة بالتمتع بحب الله لنا.
وهي التي تتم بقوة وحب الله (أي من خلال روحه القدوس).

كما يوضح الرسم البياني، فإن الفرق بين نوع واحد من الخدمة والآخر، كبير. يمكنك القيام بالأول، لكن لا أنت ولا أنا ولا أي أحد يمكنه فعل الثاني. خدمة الله بهذه الطريقة هي نتيجة لعمله بداخلك. إنها معجزة. إنه شيء خارق للطبيعة. إنه تغيير في المحبة وأعمق رغبات قلبك. إنه تغيير جذري. هو مثل أن تعطي شجرة الكمثرى ثمر تفاح. هل تستطيع رؤيته؟ **لا أحد يتغيَّر تغيُّرًا خارقًا، ما لم يكن هناك قوة خارقة تعمل في حياته.**

نعم، الشاب المبشر في الفصل الأول، يمكنه التوقف عن مقابلة الفتيات في عطلات نهاية الأسبوع، والخروج في جميع أنحاء العالم لمشاركة الإنجيل؛ ولكن ما لم يعمل الله بنفسه في قلبه، فمن المستحيل تغيير ما يجب تغييره: ما يُحبه قلبك. **لا أحد يتغيَّر حقًا، إلا إذا غيَّرَهُ الله.**

في هذا الوقت، كان يبلغ عمر أطفالنا: ثلاثة عشرة، وثمانية، وأربعة أعوام. بالنسبة لي ولزوجتي، كنا نرى أهمية أن يتعلَّموا من سن صغير كيف يساعدون في أعمال المنزل. منذ أن تعلَّموا المشي، علَّمناهم نحن كيف يقومون ببعض المهام المنزلية. [٢]

كل يوم يُرتبون سريرهم، يجمعون الصحون من على الطاولة، ويساعدون في تحمل المسؤوليات المختلفة للمنزل. (نعم، لقد كسروا كمية كبيرة من الأطباق، وأشياء أخرى ثمينة أثناء، هذه العملية. لكن كان الأمر يستحق ذلك). أطفالنا الثلاثة يفعلون ما نقول لهم. إنهم يخدمون ويساعدون، لكن شيئًا فشيئًا بدأت الحالة الحقيقية لقلبهم تظهر.

"بابا: توماس يستغرق وقتًا طويلاً لتنظيف الطاولة، ويترك كل ما هو ثقيلاً لي".

"أمي: ميكا أمس لم تنظف في دورها، والآن حان دورها". "لماذا يجب عليَّ أن أنظف طبق مانويل؟". "اليوم ليس دوري لأنظف الطاولة! يا لفرحتي! أطفالي يخدمون، لكن هل يجدون متعة في الخدمة؟ هل يجدون الفرح في عمل ما يفعلون؟ هل خِدمتهم ولَّدَت فيهم فَهم الحب الذي نحبه أنا وآني لهم؟ هل يحبون الله، لذلك يساعدون في مهام المنزل؟".

يقول سفر التثنية:

إن مُهمتي كأب، لا تتمثل في جعل أطفالي يطيعون ويخدمون،

بل مُهمتي كأب، هي أن أجذبهم إلى محبة الله أكثر وأكثر.

سفر التثنية ٦: ٦- ٩. يقول: «فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ (يجب أن تكون أولًا، هذه الكلمات حقيقة واقعة في حياتي، أقع في الحب مع الله). وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ» (مما يعني أنه من مسؤوليتي أن أحب الله يوميًا). مسؤوليتي كأب، ليست أن أجعل أولادي ينظفون الطاولة. لكن مسؤوليتي كأب، هي أن أُشجعهم أن يُحبوا الله من كل القلب، ومن كل

الـروح، وبكـل القـوة. (أسـتطيع أن أجعلهـم يفعلـون أول شيء، لكـن الله وحـده هـو الـذي يمكن أن يجعلهم يختبرون الثاني). ما أُفكر فيه دائمًا، ليس كيف أجعل أولادي ينظفون الطاولة، لكن ما أسأله لنفسي باستمرار هو: كيف أجعل أولادي يرون الله جذابًا؟ كيف أغريهم بالصليب؟ كيف أكون وسيلة لتشجيعهم على الوقوع في الحب معه أكثر؟ أُمنيتي هي أن يُحبوه، وليس ببساطة أن يخدموا!

للأسف، يرى الكثير من الناس الخدمة المسيحية، بنفس الطريقة التي يرى بها أطفالي مسؤولياتهم في المنزل؛ كالتزام. ومع ذلك، بالمعنى الكتابي؛ الخدمة المسيحية ليست فعل ما لا أريده. الخدمة المسيحية هي نتيجة تغيير الله لِمَا أحبه. يقول رومية ١٤: ٧، ٨: «أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ، وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ».

الخدمة المسيحية هي أكثر بكثير من مجرَّد تغيير في السلوك.

الخدمة المسيحية هي تغيير ما يجلب السرور إلى القلب.

فكِّر مرة أخرى في الشاب المبشر من الفصل الأول. تتذكَّره، أليس كذلك؟ قبل أن يقبل المسيح ويتغيَّر، أراد أن يكون "مشهورًا وناجحًا" من خلال جذب انتباه الفتيات؛ ولكن بعد أن قبل المسيح، بدأ يرغب في "أن يكون شعبيًا وناجحًا" من خلال تقديم الخلاص للنفوس. ماذا يعني أن تخدم الله؟ مشاركة الإنجيل مثل هذا الشاب المبشر؟ بالطبع لا! إنه شيء أعمق بكثير من ذلك. الخدمة، هي أن يحدث هناك تغيير في ما يريده قلبي. إنه، كما يقول بولس في الآية التي قرأتها للتو؛ التوقف عن العيش لنفسي، والبدء في العيش من أجله. بالطبع؛ **التغيير الحقيقي يؤدي إلى تغيير السلوك**. ومن المنطقي أن ينتهي بي المطاف بمشاركة الإنجيل مع مَن حولي. ومع ذلك، فإن التغيير الحقيقي، هو تغيير كنزنا. إنه تَغيير لِمَا يجلب لي السرور. إنه التوقف عن العيش لصالح نفسي، والبدء في العيش من أجله. تمامًا كما يقول بولس: «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْح (وليس الخدمة أو الإنجازات الروحية)» (فيلبي ١ : ٢١).

في الثلاثية الشهيرة J.R.R. Tolkien ، "Lord of The Rings"، هناك شخصية خاصة جدًا اسمها "جوليم" وهو وحش رهيب جدًا، والشيء الوحيد الذي يريده في حياته هو أن يكون

لديه خاتم ذهبي جميل. بالنسبة له، لا يوجد شيء في العالم أكثر قيمة من هذا الخاتم. هاجسه من الخاتم كبير جدًا لدرجة أنه يُسميه: "يا حبيبتي" مِرارًا وتكرارًا. (في بعض الترجمات الإسبانية يسميه "كنزي". باللغة الإنجليزية، "my precious". هذه الشخصية، التي كانت قبل امتلاك الخاتم رجلاً عاديًا، تحولت تدريجيًا إلى وحش زاحف بسبب هاجسه بخاتم.

ما يريد تولكين إظهاره من خلال "جوليم"، هو ما يحدث في قلوبنا عندما نستسلم بقلق شديد إلى "كنوزنا"؛ إلى أصنامنا. في القيام بذلك نصبح "جوليم". أُناس أصحاب قلوب وحشية ورهيبة. هل ترى ما أقوله؟ حتى فكرة خدمة الله لديها القدرة على تغييرك إلى وحش! بالطبع، من الخارج، سوف تبدو مُتدينًا جدًا، ومحترمًا ناكر للذات، ولكن داخليًا سوف يتدهور قلبك الأناني والفخور والمُتمركز حول نفسه، دون أن تُدرك! هل تتذكَّر متى ٧: ٢٢؟ «كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: (لاحظ مفاجأة هؤلاء) يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَ لَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟».

ما الذي يقوله هؤلاء الرجال؟ نحن نخدمك يا سيد. ولكن السؤال الأهم هو، هل أخدم الله؟ السؤال الأكثر أهمية هو: هل تغيَّر ما هو "ثمين" بالنسبة لي؟ هل أنا أكثر حبًا للسيد المسيح اليوم، مما كنت عليه بالأمس؟ هل أتوقف عن العيش لنفسي، لأني أتعلم الاستمتاع بحب الله لي؟

- **هل أجد فرحًا بما فيه الكفاية في المسيح، حتى أجد متعة في الخدمة؟**
- **هل أدرك حبه لي كشيء حقيقي؟**
- **هل حبه لي يُولِّد حبًا جديدًا للآخرين؟**

بينما كنت أكتب هذا الفصل، تلقيت رسالة بريد إلكتروني من صديق غير مؤمن من الأرجنتين عرض عليَّ مساعدته في استئجار منزل والدي الذي ورثته أنا وزوجتي بعد وفاته. اليوم، نعيش في أسبانيا منذ ما يقرب من ثماني سنوات. ومع ذلك، كان هذا أول بريد إلكتروني تلقيته من صديقي منذ أن انتقلنا هنا. رسالته كانت ودّيَّة وطيبة للغاية. في الواقع، إذا فكَّرت في الأمر لبرهة، فإن السبب وراء هذه الرسالة، هو "القيام بشيء من أجلي". إنه يُقدِّم عرضًا "لخدمتي". يريد "مساعدتي". لكن السؤال صاحب المليون دولار، هو نفسه

كما هو الحال دائمًا. لماذا يفعل ذلك؟ هل هو يُحبني؟ الجواب واضح جدًا. لا. يحب ما يمكنه الحصول عليه مني. تمامًا مثل الشاب المبشر. هل يريد أن يخدمني؟ نعم، هل يريد أن يساعدني؟ لا شك. لكن مَنْ يخدم؟ لمَنْ يعيش؟ ما هو "أثمن" شيء له؟ المال، وليس أنا شخصيًا.

لا تفهموني خطأ، أنا لا أدينه على ذلك. إن طريقة "المحبة" و"التقديم" و"المساعدة" هي الطريقة التي نحب بها جميعًا، ونخدم بها مَن حولنا. صديقي يستخدم صداقتنا لمحاولة كسب المال؛ أنا أستخدم زوجتي وأطفالي والخدمة والعديد من الأشياء الأخرى لمحاولة إرضاء غايتي الأنانية. هل لديك شكوك؟

تخيَّل للحظة أنك شاب يبحث عن فتاة للزواج. فكِّر في هذا: ما نوع الشخصية الذي تبحث عنه؟ فتاة قبيحة، وغير جذابة؟ إمرأة متكبرة، وعنيدة ومتقلّبة؟ شخصية أنانية، غير مُخلِصة، وتُفكّر فقط في نفسها؟ أنا أشك في ذلك. أشك في أنك عندما تجد شخصًا من هذا القبيل، تشعر أن مشاعرك تحركت لتقول: "أنت ... شخصية أنانية، غير مُسِرَّة وغير جذابة، ولكن لأجلك سوف أتخلَّى عن كل حبي الأناني والسَمج طوال حياتي!" لا أحد يفعل هذا. كلنا نتزوج مدفوعين بطبيعتنا الأنانية. وكلنا نحب ونخدم ونساعد غيرنا مدفوعين بالأنانية أيضًا. لتغيير هذه الديناميكية، لا نحتاج إلى بذل جهد، لكن لتغيير هذا الاتجاه، نحتاج إلى معجزة.

اسمحوا لي أن أعترف لكم بشيء: هل تعرف ما حاولت فعله في هذا الفصل؟ هل تعرف ما كان هدفي من كتابة ما كتبته؟ كان هدفي، هو إظهار الحقيقة الأكثر أهمية التي يجب أن يتعلَّمها أي شخص يخدم الله. الخدمة الحقيقية ليست صعبة، لكن الخدمة الحقيقية مستحيلة.

يقول بولس بوضوح في ٢كورنثوس ٤: ٧ «وَلكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ (ليس بولس فقط، بل أنا وأنت أيضًا)، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ للهِ لاَ مِنَّا».

لا أحد يستطيع أن يخدم الله، إلا إذا أدرك أنه لا يستطيع فعل ذلك.

- **هل يمكنك تغيير ما تحب؟** لا. الحب هو الجواب!
- **هل يمكنك تغيير الآخرين؟** لا. إذا لم تتمكن من تغيير نفسك، فبالطبع لا تتمكن من تَغيير الآخرين!

إن الخدمة الحقيقية تتطلَّب شيئين أساسين: الحب الحقيقي، والقوة الخارقة لتغيير الآخرين، وهما شيئان لا يملكهما أحد![٤].

في الخدمة نستقبل

تبدأ مقدمة هذا الكتاب بهذه العبارة: "**تغيير طريقة التغيير**".

كان هذا هو هدفي في جميع أجزاء الكتاب: لمساعدتك على إدراك أنك بحاجة إلى "تغيير الطريقة التي تتغيَّر بها". فكِّر في الأمر للحظة. ما هو أول ما يتبادر إلى الذهن عندما يُفكِّر شخص ما في خدمة الآخرين؟ الجواب الأكثر شيوعًا، هو أن "الخدمة هي مرادف للعطاء". نعم صحيح. الخدمة هي بذل، ولكن من وجهة نظر الكتاب المقدس، من أجل بذل أي شيء، فمن الضروري أولاً أن تتلقى. يقول الرسول بطرس: إن "مَنْ يخدم، يجب أن يفعل ذلك وفقًا للقوة التي يعطيها له الله". ما هو الأكثر أهمية بالنسبة لبطرس: العطاء أم الحصول على أشياء؟

يقول الرسول بولس: «وَلكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا، وَنِعْمَتُهُ الْمُعْطَاةُ لِي لَمْ تَكُنْ بَاطِلَةً، بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلكِنْ لاَ أَنَا، بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي». "كيف يتصوَّر بولس الخدمة؟" هل هي "بذل" أم "الحصول على"؟ يقول الرسول يوحنا: «وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ [أي ، من خلال الله]» (١يوحنا ٣: ٢١). يقول يسوع أيضا في إنجيل يوحنا ١٥: ٥: «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ **بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا**». تُشير هذه الآيات، وكثير

---

[٤] من المهم توضيح أن الخدمة الأصلية ليست حالة، إنها عملية. لا أحد يخدم الله وهو دائمًا "مُمتلئ بالله". صحيح أن الولادة الجديدة تنتج تغييرًا داخل قلوبنا وتمنحنا طبيعة جديدة؛ ومع ذلك، فإن الولادة الجديدة لا تلغي القديمة! (سيحدث ذلك فقط عندما نُمجَّد معه).

لهذا السبب، نحن أشجار تُنتِج أحيانًا "جوافة"، وأحيانًا تنتج "تفاحًا" (في الواقع، في معظم الوقت نُنتج مزيجًا من الاثنين معًا. وهكذا نحن نمتلئ بدوافع مختلطة). حتى اليوم الذي نعيش فيه مع المسيح، ستكون هناك حرب داخل قلوبنا. يجب أن نتذكَّر أننا نعيش في المسيح بالفعل، ولكن ليس بعد. نحن نتغيَّر بالفعل، ولكن التغيير الكامل لم يتم بعد. في أثناء هذا نعيش في توتر مستمر، بين ما يمكن أن نكون عليه في المسيح، وماذا سنكون عليه ذات يوم.

إذن، ماذا يجب أن نفعل عندما لا نشعر بفرح المسيح لخدمة المسيح؟ الشيء نفسه، الذي يجب أن نفعله عندما لا تكون لدينا رغبة في طاعته. كما في الملحق ١؟ **ما ينطبق على الطاعة، ينطبق أيضًا على الخدمة.** (إذا لم تكن قد قرأته بعد، فقد حان وقت قراءته: الملحق ١).

غيرها من الكلمات التي يمكنني اقتباسها بوضوح، إلى أن **أي عمل من أعمال الخدمة، يجب أن يتم من خلال الطاقة والقدرات التي يعطيها الله.** وبعبارة أخرى، قبل أن يكون لديك شيء لإعطائه، إنه أمر ضروري أن تتلقى أولاً! فَهم هذه الحقيقة ضروري للغاية لعدة أسباب، دعونا ننظر في بعضها معًا:

١- حب اللّه لخدمة اللّه

لماذا أحتاج إلى الحصول على قوة من فوق قبل أن أُعطي؟ لأنه، كما قلنا عدة مرات، لا يمكن لأحد تغيير ما يُحبه. في حين أن هذه الحقيقة واضحة للغاية، أوَّد أن أتحداكم للنظر في مسألة مهمة جدًا:

هل هناك وقت يتوقف فيه الحب عن أن يكون رد فعل؟

نعم هناك. الحب يتوقف عن أن يكون رد فعل، ويصبح فعلاً فقط، عندما يفيض القلب بالحب. بمعنى آخر، فقط عندما يكون الشخص مُمتلئًا تمامًا، وراضيًا تمامًا.

فكّر في الأمر للحظة: من وجهة نظر الكتاب المقدس، لا يوجد سوى شخص واحد في الكون بأسره، قادر على حب مثل هذا؛ الله! حقيقة الثالوث (اندماج الله الآب والله الابن والله الروح القدس في شخص واحد)، هي التي تجعل الله كائن يتمتع بالكمال والاكتفاء الذاتي. هو الوحيد الذي لا ينقصه أو يحتاج إلى شيء. إنه مختلف عن الجميع، ولا يحتاج لأي شخص (نفسه فقط) ليكون مُمتلئًا تمامًا، وراضيًا تمامًا. منذ الأزل وإلى أبد الآبدين، الآب في علاقة حب كاملة مع الابن، والابن مع الآب، والروح القدس معهما كليهما (متى ٣: ١٧؛ يوحنا ٥: ٢٠ ؛ يوحنا ١٧: ٢٤.. إلخ).

لهذا السبب، فهو الوحيد الذي يمكن أن يُحب بصدقٍ تام.
يمكن فقط لشخص لا يحتاج للآخرين، أن يُحب الآخرين حقًا،
ويعطيهم دون طلب أي شيء في المقابل.
ماذا إذن نحتاج حتى نقدر أن نُحب؟ نحتاج إلى ما يقوله
١يوحنا ٤: ١٣، نحتاج أولاً إلى "تلَّقي"، "اختبار"، "الشعور" بحبه؛
حينئذٍ نحصل على القوة للعطاء.

فقط عندما أمتلئ من حبه، يمكن أن أعطي حبًا كما يجب. فقط عندما أكون مُمتلئًا

بحبه، أحصل على القدرة للتوقف عن "التفاعل"، والبدء في "المبادرة". فقط عندما أكون ممتلئًا به، يمكنني أن أحب وأخدم مثله[٥].

٢- قوة اللّه لخدمة اللّه

لماذا أحتاج أن أنال قبل أن أُعطي؟ لأنني لا أملك القوة لتغيير الآخرين. يُعرِّف يسوع الخدمة المسيحية بطريقة مُميَّزة جدًا.

إن الخدمة الحقيقية لها علاقة بكيف نجذب الآخرين لطريقة عيشنا "غير الطبيعية"، والتي تدفعهم إلى التساؤل عن هذا السلوك. إنجيل متى ٥: ١٦ يقول: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ».

اسمح لي أن أسألك شيئًا. كيف تجعل الناس يتلَّقون حبك؟ هل من خلال خدمتك أو أي عمل جيد، بدلاً من التركيز على شخصك؟ هل تُتيح أنت لهم الفرصة حتى "يروا" الآب فيك؟ اسمحوا لي أن أضخم المشكلة أكثر: إذا كنت تقرأ الآية بعناية، فهي لا تتعلَّق فقط "برؤية" الله، بل يتم "تمجيد" الله بسبب أعمالك! يتعلَّق الأمر بالنظر إلى الله على أنه "رائع" و"جذاب" و"يستحق الإعجاب". يتعلَّق الأمر بكيف ينظر إليك زملائك في العمل أو في الجامعة، الذين يرون أسلوب حياة يكون تفسيره الوحيد هو: "هذا الشخص لديه إله حقيقي ورائع". هل ركزت في ما يقوله يسوع؟ **يجب أن تلهم حياتي مَن حولي، وتجعلهم يريدون هذا الإله!** هذا ليس فقط صعبًا، بل هذا مستحيلاً!

---

[٥] أوَّد أن أتحدَّاكم بهذا السؤال: هل محبة الله "تصاعدية"؟ أي هل يرى الله فينا شيئًا خاصًا أو جيدًا، فينشأ هذا الحب تجاهنا؟ أم حبه "تنازلي"؟ أي هل هذا الحب يولَد في شخصه، ويُحبنا على الرغم من أنه لا يوجد شيء خاص أو جيد فينا؟ على عكس ما يحدث مع البشر، فإن **محبة الله ليست نتيجة لِمَا يجده جذابًا**. هو الوحيد الذي لديه القدرة على تقديم هذا النوع من الحب. يقول الكتاب في سفر إشعياء ٤٣: ٢٥: «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ **لأَجْلِ نَفْسِي**، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا».

كما يذكر الكتاب أيضًا في أفسس ٢: ٥- ٧ «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ. بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُون. وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». **لماذا الله يحبني؟ ليس بسبب شيء صالح فيَّ، ولكن لأن هذه هي محبته غير المشروطة.** ليس لأنني أستحق هذا الحب، ولكن لأنه رائع في الحب.

قال لوثر في مناظرات هايدلبرغ: "**إلهنا لا يتحرك نحو ما يجده مُثيرًا ويستحق الإعجاب، ثم يحبه؛ لكنه يُقرّر أن يحب ما هو غير جذاب لبدء العمل عليه وجعله مُمتعًا**".

https://www.sermonaudio.com/saplayer/playpopup.asp? SID=117171021163

قبل بضعة أيام، كنت أتحدث مع زوجتي عن واعظ معروف تُحبه هي كثيرًا (يجب أن أعترف إني لا أتمسَّك به كثيرًا). أثناء حديثنا، بدأنا نتبادل آراء مختلفة حول نقاط قوته وضعفه. بينما كنا نتحدث عن شخص آخر، أدركت أن السؤال موجَّه بشكل غير مباشر نحوى. منذ أن أصبح هذا واضحًا جدًا، سألتها بصراحة: "يا عزيزتي، ماذا تَري فيَّ عندما أعظ؟". ردَّت هي بصوت عالٍ: "أرى مُعلِّمًا رائعًا". لا، لم تكن تمدح فيَّ، بل كانت تنتقدني. ما كانت تقصده زوجتي هو: "أرى مُعلِّمًا عظيمًا فقط". "أنت تعرف كيف تتواصل مع السامعين جدًا، لكنك تفتقر إلى القوة!". وهي طريقة أخرى للقول: "أنا لا أرى الروح القدس يعمل فيك، أرى قوتك أنت". كان جوابي: "قد تكوني على حق، شكرًا لصراحتك".

من الواضح جدًا، أنني بحاجة أن أقول مع يوحنا المعمدان: ينبغي أن ذاكَ يزيد، وإني أنا أنقص. إذن صلِّي لأجلي من فضلك. هل جرحني كلام زوجتي؟ نعم، قليلاً. ولكن الحقيقة أنها لديها كل الحق. حتى تكون واعظًا رائعًا، ليس عليك أن تكون مُصليًا فقط، بل يجب أن يكون لديك إله عظيم يعمل من خلالك.

يقول بولس في ١كورنثوس ٢: ١- ٥: «وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا
الإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ
بِشَهَادَةِ اللهِ، لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ
إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا. وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ،
وَخَوْفٍ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ.
وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ،
بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ
بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ».

عادةً ما تُخبرني زوجتي أنها تُصلِّي هذه الآية من أجلي. هل هذا يعني أننا يجب أن نكون وعاظًا سيئين، وألَّا نُقدِّم رسائلنا بأفضل طريقة ممكنة؟ لقد استخدم بولس أيضًا البلاغة، وكان يُعدِّل كلامه وفقًا لِمَن كان يتحدث معه. (أعمال ١٧: ١٦- ٣٤؛ ١كورنثوس ٩: ١٩- ٢٣). ما يعنيه هو أنه، ما لم يعمل الله من خلال كلماتنا، خدمتنا، أو أعمالنا؛ لن نتمتع بالقدرة على تحقيق الهدف الذي نبحث عنه (على الأقل من الناحية النظرية): أن يجد الناس الله

جـذابًا. أن يُمجِّـدوا الآب الـذي في السماء! كما يقـول المزمـور ١٢٧: ١ «إِنْ لَـمْ يَبْنِ الـرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلًا يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ، فَبَاطِلًا يَسْهَرُ الْحَارِسُ»[٦].

إلى أين أُريد أن آخذك بهذا؟ أُريد ان أسلِّط الضوء مرة أخرى إلى حاجتك ليسوع. نحن جميعًا نخدم بالنعمة. نحن جميعًا أوانٍ خزفية هشة. نحن جميعًا نطمع ونتمنى ما لسنا نملكه (٢كورنثوس ٤: ٧).

٣- نعمة الله لخدمة الله

لماذا أحتاج أن أنال قبل أن أُعطي؟ لأنه على عكس ما نعتقد عادةً، فإن خدمة الله تزيد من مديونيتنا له. هل قرأت الجملة الأخيرة بشكلٍ صحيح؟ إذا كان صحيحًا أن الله، من خلال روحه، هو الذي يعمل فينا حتى نحب ونخدم؛ في كل مرة نخدم الله نحن لا "نَرُد له دينًا" أو "ندفع ثمن شيء" لله مقابل ما فعله من أجلنا. لكن في كل مرة نخدم فيها (أو نُتمم إرادته)، ننال المزيد من النعمة منه!

فكّر فيما يلي: مَن الذي يُغيِّرنا؟ مَن الذي يُحوِّل قلبنا الأناني إلى قلب يجد متعة في حب الآخرين؟ مَن يعطينا القوة والقدرة حتى نطيعه؟ مَن يستجيب صلواتنا عندما نحتاج إليه؟ مَن يكون معنا وداخلنا عندما نُبشر؟ مَن الذي يعطينا الفرح، ويملأنا بروحه القدس عندما نخدم؟ مَن يعطينا مواهب خارقة للطبيعة؟ مَن يُرسل روحه ليسكن فينا؟

يجب أن ننظر إلى الحياة من العدسات الصحيحة. إن العيش يومًا بعد يوم في المسيح وبروحه، يجعلنا مديونين أكثر فأكثر له - أكثر بكثير من اليوم الذي نلنا فيه الخلاص! عندما نفعل شيئًا لا يمكننا فعله أبدًا بقوتنا، فإننا نتلقى المزيد من النعمة منه! إن خدمة

---

[٦] قال بطرس بعد أن استخدمه الله لشفاء الرجل الأعرج: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذَا؟ وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هذَا يَمْشِي؟» (أعمال الرسل ٣: ١٢). ماذا يقول بطرس؟ أنا لست شخصًا مُميزًا. لا يتعلَّق الأمر بقوتي، ولا يتعلَّق بطاعتي، بل يتعلق بقوة يسوع من خلال ما أقوم به. **الله لا يستخدمني بسبب قدراتي أو بسبب طاعتي.** الله يستخدمني على الرغم من عصياني، ومن خلال عطاياه .. أي نعمته!

صحيح أنه في بعض الأحيان، يستخدم مهاراتي كوسيلة لتمجيد اسمه. لكن في كثير من الأحيان، يستخدم افتقاري إلى القدرة على القيام بذلك.

الله ليست وسيلة لرَّد الجميل إلى ما يفعله في حياتنا، فالخدمة هي وسيلة لتلقي المزيد من النعمة منه. **الحياة المسيحية لا تدور حول ما يمكن أن نفعله من أجل الله، ولكن ما يمكن أن يفعله هو فينا، ومن أجلنا.**

كتب جون بايبر: "أي شيء فعلناه لله في الماضي فهو من خيره، نحن نفعله بالاعتماد على نعمته. الدين الوحيد الذي تُنتجه النعمة، هو "الدِين" المُتمثل في الاعتماد أكثر على النعمة في كل شيء يدعونا الله أن نكونه أو نفعله[٧]. يجب أن نُدرك ذلك. التبرير يُولّد دينًا لا يمكننا دفعه. التقديس يزيد من قيمة هذا الدين، والخدمة تُضاعفه!".

ما هي نتيجة هذه الطريقة في الخدمة؟

مَن يقوم بالعمل، ومَن يستحق المجد؟ هو شخص الله لكي يتمجد أكثر فأكثر، وليس نحن، بل هو. كما يقول بطرس: «إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ. وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ» (١بطرس ٤: ١١).

الخدمة تُولّد الفرح

أَوَّد توضيح شيء مهم. إن خدمة الآخرين هي نتيجة الفرح، لكن خدمة الآخرين تنتج أيضًا الفرح. قال السيد المسيح: «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أعمال ٢٠: ٣٥). هذا يعني أن الخدمة الحقيقية ناتجة عن الفرح الذي أشعر به في المسيح، لكن هذا يعني أيضًا أن الخدمة الحقيقية هي سبب يُولّد الفرح. كِلا الجانبين وجهان لنفس الواقع، من المستحيل إنكار ذلك. لقد خلقنا الله لخدمته، كما قالت الأم تريزا من كلكتا: "مَن لا يعيش للخدمة، لا يَصلُح للعيش". بما أن سفر التكوين ١: ٢٨- ٣١ يُعلّمنا، أن **الخدمة والعمل ليسا جزأين من السقوط، لكنهما جزء لا يتجزأ من خطة الله الأصلية**. هذا يقودنا إلى نقطة أخيرة، أوَّد أن أتناولها قبل الانتهاء من هذا الفصل:

خدمة الله ليست واجبًا أو عملاً، إنما خدمة الله، هي هويتنا.

---

[٧] إذا كنت ترغب في معرفة المزيد حول هذا المفهوم (الذي أطلق عليه بايبر "أخلاقيات المَدين")، فإني أُشجعك على قراءة الفصل الأول من كتاب "النعمة القادمة" الذي كتبه جون بايبر.

إذا سُئل شخص مسيحي، "أين تخدم الله؟". هل تعرف ما هو الجواب الأكثر نموذجية؟ في الكنيسة. هذه الإجابة هي طبيعية جدًا، وفي الوقت نفسه خاطئة جدًا. أنت لا تخدم الله في الكنيسة، بل أنت تخدم الله في كل مكان، أو إذا لم تكن تخدم الله، بأفعالك الطبيعية دون قصد، فأنت تخدم نفسك! يقول كولوسي ٣: ٢٣، ٢٤ «وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ».

إن الشخص الذي يخدم المسيح، لديه الرؤية أن يفعل كل شيء كما لو كان يفعله للمسيح نفسه. **الشخص الذي يخدم الرب لا يفرق بين ما يقوم به داخل الكنيسة، وما يفعله في الخارج. الذي يخدم المسيح يعمل كل شيء للمسيح.** الشيء الذي يُحدِّد إذا كان هذا الفعل معمولاً لله أو لمصلحة شخصية، ليس الفعل نفسه، ولكن الدافع من وراءه. يمكن أن أخدم في الكنيسة لمصلحتي الشخصية، أو أن أخدم خارج الكنيسة من أجل تمجيد الله ولملكوته. **المكان والفعل نفسه، ليس ذات أهمية كبيرة.**

أؤمن أن الكتاب المقدس يضعنا أمام تحدٍ كبير؛ أن نُغيِّر المفاهيم المترسّخة بشدة في عقولنا. الخدمة ليست شيئًا أقوم به، لكن الخدمة هي هوية. الهدف، ليس هو القيام بأشياء لخدمة الآخرين، ولكن الهدف هو أن أصبح شخصًا جديدًا؛ أن أصبح خادمًا. أن أتحوَّل إلى شخص يجد المتعة في الخدمة! لذلك من اللازم أن أُغيِّر الطريقة التي أرى بها الخدمة.

هل أنا خادم ؟ أم أتصرف كخادم؟ (عندما يناسبني الأمر).

هدف المؤمن الحقيقي، ليس هو أن يخدم في الكنيسة أو في مجالٍ ما (على الرغم من أنه شيء ضروري)، **ولكن**

هدف المؤمن هو أسمى من هذا بكثير. هو هدف أكبر وخارق للطبيعة.

هدف المؤمن الحقيقي من الخدمة، هو أن يُقدِّم لمَن حوله منفعة نابعة من حب حقيقي لمصلحتهم، بدافع نقي يُقدِّم خدمة.

الخدمة للمؤمن الحقيقي، هي رغبة صادقة في البحث عن أعظم خير لهم، والاشتياق المقدس إلى مصلحتهم (فيلبي ٢: ٤).

الهدف للمؤمن الحقيقي، هو أن يكون، على عكس صديقي من الأرجنتين، وكيل عقاري لمجد الله ولصالح جيرانه، وليس لكسب المال. الهدف هو أن يصبح،

على عكس حالة الجمود في القلب، زوجًا يجد متعة أكبر في خدمة زوجته، أكثر من كونها تخدمه. الهدف هو أن تصبح، على عكس مشاعر قلبك، الشخص الذي يستخدم عمله (أو دراساته) لصالح العالم الذي وضعه الله فيه؛ وليس لصالح حسابك المصرفي ورفاهيتك. هل تتذكَّر كلمات يسوع في يوحنا ١٥: ١١؟ «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ، وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ».

كم هو رائع! اختبار نفس مستوى الفرح الذي عاشه يسوع! لكن أين؟ متى؟ فقط ساعة ونصف، مرة واحدة في الأسبوع عندما نذهب إلى الكنيسة يوم الأحد؟ بالطبع لا! يجب أن تكون فرحة المسيح حاضرة يوم الأربعاء الساعة العاشرة صباحًا في منتصف اجتماع عمل. يوم الاثنين في الساعة الثالثة بعد الظهر أثناء مساعدة المرضى في المستشفى. يوم الجمعة أثناء مدارس الأحد في فصل أطفال الصف الرابع. يوم السبت في الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً أثناء تغيير حفاضات الأطفال. إذا لم يكن لديّ قلب مليء بالبهجة لخدمة الآخرين (والأسوأ من ذلك هو أن أعتقد أنني أخدم الله لأنني أُقدِّم خدمة ما في الكنيسة)؛ فأنا أعيش مخدوعًا، مُفتكرًا أنني شخص أنا لست عليه حقًّا!

لا يمكن أن تقتصر خدمتك على ما تفعله في الكنيسة. لا يمكن تقسيم ما تفعله بين مصلحتك الشخصية، وخدمة الله. وكأنك تنفصل من حياتك الروحية لمدة أربعين أو خمسين ساعة في الأسبوع الذي تعمل فيه. إذا قمت بذلك، فستخصص سبعين في المائة من وقتك لشيء آخر غير تمجيد الله! عملك، ومنزلك، والشارع، هو المكان الذي تخدم فيه الله والآخرين (أو لا تخدم فيه).

هل ما أقوله يعني الاستغناء عن الخدمة في الكنيسة؟ بالطبع لا! ما أقوله هو أنه إذا كنت تخدم فقط في الكنيسة، فذلك لأنك لست خادمًا، فأنت ببساطة تتصرف كخادم.

فكِّر في الأمر للحظة، ما هي متطلبات الكتاب المقدس لتكون قائدًا في الكنيسة؟ أن تخدم أولا في المنزل! تخدم شريك حياتك! تخدم أطفالك! تخدم جيرانك! تخدم في عملك! يقول ١تيموثاوس ٣: ١- ٧ «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: إِنِ ابْتَغَى أَحَدٌ الأُسْقُفِيَّةَ، فَيَشْتَهِي عَمَلًا صَالِحًا. فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِيًا، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ،غَيْرَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلاَ ضَرَّابٍ، وَلاَ طَامِعٍ بِالرِّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ

حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلاَ مُحِبٍّ لِلْمَالِ، يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا، لَهُ أَوْلاَدٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللهِ؟ غَيْرَ حَدِيثِ الإِيمَانِ لِئَلاَّ يَتَصَلَّفَ فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ .وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ فِي تَعْيِيرٍ وَفَخِّ إِبْلِيسَ».

هل لاحظت، كم من هذه الخصائص لازمة للخدمة في الكنيسة؟ سأُجيب بدلاً عنك. واحدة فقط "أن تكون قادرًا على تعليم الآخرين في الإيمان". بينما جميع الأشياء الأخرى، هي خصائص مبنية على أساس يومي؛ في المنزل، في العمل، مع جيرانك، ومع أصدقائك.

كل ما تفعله، هو إنما خدمة للّه أو خدمة لنفسك.

قلبك مِلك لشيءٍ ما. للمسيح أو لرغباتك الأنانية (رومية ١٦: ١٨). قلبك هو الذي يعطي، وليس أفعالك! يمكن أن تكون أفعالك جيدة ومحترمة ومفيدة للغاية (مثل صديقي الذي أرسل لي رسالة البريد الإلكتروني)، ولكن ما يُحبه قلبه حقًا، هو ما يخدمه حقًا. كيف يمكنني معرفة ما إذا كنت أخدم المسيح أم أخدم نفسي؟ **عندما لا أفصل خدمتي عن حياتي الخاصة.** عندما لا أُفكّر "هنا نعم" و "هنا لا" (هنا جئت إلى "الراحة" أو هنا أتيت إلى "العمل"). عندما تكون الخدمة شيئًا لا أفعله، وتصبح حقيقتي وهويتي.

اسمح لي أن أُقدم لك نصيحة عملية تمثل مساعدة كبيرة في تقييم كيف أعيش حياتي العملية:

كيف يشعر معظم الناس عندما يعودون إلى منازلهم بعد يومٍ طويل في العمل؟ الإرهاق. هذا طبيعي تمامًا. لكن السؤال الأعمق هو: هل من الصواب الشعور بهذا التعب؟ إذا كان ما أشعر به هو التعب الجسدي، نعم، من المحتمل أن يكون صحيحًا. ولكن إذا كان ما أشعر به هو التعب "العاطفي" (على الرغم من أن المُسمَّى الأكثر دقة هو أن نُسمّيها التعب "الروحي")، فعلى الأرجح لا. فكّر فيما يلي: ماذا يقول هذا التعب عن كيف قضيت يومي؟ هل عشت يومي في الجسد (بقوتي لتحقيق أهدافي) أم عشت اليوم في الروح (بقوته هو لتحقيق أهداف أسمى)؟

فكّر في الأمر. إذا كنت قد عشت يومي في المسيح، ومن أجل المسيح، فلماذا أشعر بهذه الطريقة؟ إذا كنت بحاجة إلى "الانعزال" أو مشاهدة التلفزيون أو قراءة مجلة أو

القيام بأي شيء آخر "يُسبب لي السعادة"، فما الذي أقوله حول "مستوى المُتعة" الذي أشعر به في المسيح عندما أعمل؟ لا شيء[٨]!

بمعنى آخر، لقد عشت يومي في المكتب أو في العمل كشخص غير مؤمن. قَلِق، مشحون، مضغوط، أحمل على كتفي ثِقل المسؤوليات والضغوط التي يواجهها جميع المؤمنين وغير المؤمنين. لقد عشت في حالة من انعدام الأمن وعدم اليقين، وأحتاج إلى السيطرة عليها. إنني أشعر بالمرارة والغضب بسبب الظروف التي كان عليَّ أن أعيشها، ولم يكن للمسيح أي تدخل في هذه الحقيقة التي واجهَتني! لقد تم وضعه جانبًا. لم يتدخل، وتم تجاهله بالكامل.

هل شعرت بما أقوله من قبل؟ عظيم! من الطبيعي أن تكون قد مرَرت بكل هذا من قبل، لكن لا تيأس. الحل هو أن تمر بتغيير عميق، وليس تغيير أسلوب حياتك. ومفتاح التغيير العميق، هو تقييم دوافعك (حدِّد "الكنز" الذي يدفعك للعيش بهذه الطريقة) وتستعيد فرحة المسيح (تذكَّر أنه يُحبك، ويريد تغييرك).

يوم شاق في العمل	يوم شاق في العمل
أشعر بالفراغ	أشعر بالملء
أعمل بدافع الحصول على شيء، وليس تقديم ما عندي.	أعمل بدافع التقديم، وليس الاستقبال.
لقد انفصلت عن المسيح، لذلك أستخدم مواهبي وقدراتي لتعويض ما يمكن أن يُقدّمه لي المسيح.	أجد الكفاية في المسيح. أشعر بحبه ووجوده معي، ورعايته. لذلك أستخدم مواهبي وقدراتي، حتى أخدم العالم الذي وضعني فيه الله.
أستغل مَن حولي.	أخدم أي شخص.
أبحث عن الأمان والاستقرار والنجاح والهيبة والمال.	أبحث عن الأمان والاستقرار والنجاح والهيبة والمال، ولكن أبحث عن الله أكثر من كل تلك الأشياء. وأتغيَّر شيئًا فشيئًا، حتى أرغب في خدمة مَن حولي.
النتيجة: إرهاق نفسي وروحي.	**النتيجة**: أجد سلامًا وطاقة مُتجددة، عندما أعود إلى المنزل.

[٨] هل ما أقوله يعني، أنه من الخطأ مشاهدة التلفزيون أو القراءة عند العودة إلى المنزل بعد العمل؟ بالطبع لا! أنا نفسي أفعل ذلك في بعض الأحيان. ما أقوله هو شيء أعمق. ما أعنيه هو أنه ربما لا ينبغي أن تختبر هذا المستوى من التعب الروحي، إذا كان روح الله هو مصدر قوتك وفرحك طوال اليوم.

أن أعيش يومي بشكل فعَّال،
هو أن أستمتع بحب الله، حتى يؤثر هذا على كل ما أقوم به.

الملخص

هل تتذكَّر كيف بدأت هذا الفصل؟ بحقيقة؛ أن لا أحد على استعداد لدفع ثمن الخدمة. لا، هذا غير صحيح. هناك شخص واحد كان على استعداد للقيام بذلك. يقول متى ٢٠: ٢٨ «كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ». لقد جاء السيد المسيح للخدمة، ولم يدفع المال ليخدم؛ بل دفع أعلى تكلفة يمكن دفعها؛ لقد دفع حياته ثمن خدمته لك ولي أنا.

إذا كان هناك شخص لا يستحق أن يخدم من قِبَل المسيح بهذه الطريقة، فأنا وأنت على رأس القائمة. «وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا [لا نستحق مثل هذه الخدمة!]» (رومية ٥: ٨).

ما الذي يتوقعه هو منا؟ أن "نَرُد الجميل"، وندفع له ثمن خدمته؟ لا.

إنه يتوقع منا أن نكون مُنبهرين ممَّا فعله. ولكن، لا تقلق. عندما ينكسر قلبك إلى ألف قطعة حينما تفكر في هذه الحقيقة، عندما تقمع نفسك للتأمل في كيف كان يخدم، سوف تخدم أيضًا مثله .. بفرح!

«نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ،
الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ،
احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ.
فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هذِهِ
لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُم» (عبرانيين ١٢: ٢، ٣).

ملخص موجز



الخدمة هي النتيجة:

فقط عندما أستمتع بالله، يمكنني أن أخدم بفرح حقيقي.

الخدمة معجزة:

فقط عندما أختبر حبه غير المشروط، أبدأ بتبَّني حب غير عادي للآخرين. لا تختزل الخدمة المسيحية في تقديم منفعة للآخرين. لكن الخدمة المسيحية تنطوي على تغيير في ما يجلب السرور للقلب. هي أن أشعر بحقيقة القول: «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ».

الخدمة هي أن أنال:

فقط عندما أكون مُمتلئًا بروح الله، يمكنني أن أخدم كما هو متوقع مني (بقوته ومجده). الخدمة، بعيدًا عن رَّد الجميل لله، مقابل ما فعله من أجلي، تزيد من ديوني له.

الخدمة هي هوية:

ليست مجرَّد شيء أقوم به، بل الخدمة تَصِف ما أنا عليه.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غَيَّر هذا الفصل أو أكد طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمسَت قلبك في هذا الفصل.
- كيف تُعرِّف الخدمة الحقيقية؟ كيف يمكن أن تخدم بطريقة حقيقية؟
- ما الذي يجب أن يفعله شخص يتوق إلى خدمة الله أكثر؟
- كيف تقدر أن تُفرِّق بين الخدمة في الجسد، والخدمة في الروح؟ ما هي الخطوات التي يجب أن يتبعها مَن يريد أن يخدم بقوة الروح القدس؟
- هل أنت خادم في مجال عملك أو دراستك؟ هل تخدم في المنزل؟ إذا كانت الاجابة لا، إذن لماذا تظن أن الأمر ثقيل على قلبك؟ ما هي أكبر رغبة لديك أو هدف، تجد نفسك تفكّر فيه، عندما تكون في عملك أو جامعتك أو المنزل .. الخ؟

* * *

الفصل الثاني عشر

حافز جديد للبحث عن الله

البحث عن اللّه

هل هو نتيجة أم غاية ؟ أم الإثنان معًا!

البحث عن الله هو نتيجة العثور على الشبع والفرح معه سابقًا، كما أنه أيضًا وسيلة للعثور عليه مُجدَّدًا. يقول ١بطرس ٢: ٢، ٣ «وَكَأَطْفَال مَوْلُودِينَ الآنَ، اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ، إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ذُقْتُمْ أَنَّ **الرَّبَّ صَالِحٌ**». هل تستطيع أن ترى الديناميكية المزدوجة؟ نحن نبحث عن الله، ونسعى لحضوره **(هذا هو هدفنا)**، وذلك هو نتيجة أننا قد اختبرنا صلاحه **(هذا هو السبب)**.

لماذا من المهم التفريق والنظر في السببين؟ بسبب الميل الخفي واللاواعي للقلب الذي يطرحه متى ٦: ١. هل تتذكر ما تحدَّثنا عنه في الفصول الأولى؟ إنه حتى خلال رحلة بحثك عن الله، وعندما تُدرب نفسك في الاختبارات الروحية، سواء كان الصوم أو الصلاة أو العطاء، خلال جميع تلك الأفعال التي قد تبدو من الخارج أنها لله، من دون وعي، قد تكون دوافعها من الداخل أنانية ومُتمحورة حول الذات. الجميع (نعم، أنت وأنا أيضًا) لدينا الرغبة في البحث عن الله حتى ننال القبول أمامه، أو الشعور بالرضا عن أنفسنا أو إثبات قيمتنا. هل تتذكر كلمات د. مارتين لويد جونز، حول تعريف الخطية؟

"لتشكيل فكرة دقيقة عن مفهوم الخطية، يجب علينا أن نتخيَّل قديسًا عظيمًا، رجل استثنائي في إخلاصه وتفانيه لله. دعونا نتخيَّلَهُ راكعًا على ركبتيه في محضر الله. وهو هكذا،

فإن "الأنا" تُحاصره، والإغراء أن يُفكِّر ويعبد نفسه بدلاً من عبادة الله، يشتد جدًا. هذا، وليس أي شيء آخر، هو الصورة الحقيقية للخطية ..".

لن أنسى أبدًا الكلمات التي أخبرني بها صديق منذ عدة سنوات. سألته عما كان يتعلَّمه أثناء خلوته مع الله. كان ردُّه: "أنا أتعلَّم أن أُصلِّي أقل". في البداية، ما قاله أرعبني. تتعلَّم أن تُصلِّي أقل؟ ومع ذلك، بمجرَّد أن فهمت ما يعنيه، لم أستطع التوقف عن التفكير في الأمر لأسابيع عدة. كان قصده ببساطة، رائعًا. ماذا كان يقصد؟

اسمح لي بتقديم مثال شخصي لك لشرح ذلك. لقد تفرغت للخدمة لأصير مُرسَلاً منذ أكثر من خمسة عشر عامًا. ما هو الشيء المُفترَض أن يفعله أي شخص متفرغ للخدمة أو مسيحي حقيقي عندما يستيقظ في الصباح؟ أن يُصلِّي! ومع ذلك، ماذا يحدث إذا طلبت الله ولم أجده؟ ماذا يحدث عندما أحاول أن أُصلِّي، ولا تتعدى صلاتي حتى السقف؟ كيف أشعر؟ بالفرح؟ بالسعادة؟ بأنني مقبول لدى الله؟ بأنني محبوب بالحب نفسه اللا محدود الذي لدى الآب للابن؟ (يوحنا ١٥: ٩). لا! أشعر بالإحباط. أشعر بالحزن. أشعر بالفشل. لماذا؟ بسبب المشكلة التي أثَرتها للتو. لأنني أقترب من الله لأكتسب حبه، وأنا لا أقترب منه كنتيجة لأن حبه يملأني ويُذهلني. لأنني أقترب من الله لأعطي، وليس لأستقبل. لأنني أميل إلى الاقتراب من الله مدفوعًا بالشعور بالولاء تجاهه أو لأشعر بالرضا عن نفسي أو بسبب الشعور بالذنب الذي يأتي من عدم الصلاة. ليس من الطبيعي بالنسبة لي أن أقترب من الله نتيجة للفرح الذي أتوق إلى استمراره.

هل تعرف ما هي بعض الأفكار التي تمر عبر رأسي؟ (بالتأكيد أنت أيضًا تفكر بها حتى إن لم تكن مبشرًا). أي نوع من المسيحيين يجب أن أكون، إذا وجدت صعوبة في قضاء وقت في الصلاة كل صباح في محضر الله؟ كيف يمكن أن يستخدمني الله، إذا لم أتمكن من الجلوس في محضره لمدة نصف ساعة بعد كل تلك السنوات من الإيمان؟ ما هو نوع القوة التي آمل أن أخدم بها اليوم، إذا كنت لا أُصلِّي؟ كم هو عدد الكتب الذي قرأته للمبشرين العظماء الذين اعتادوا الاستيقاظ في الساعة الرابعة صباحًا للصلاة؟ لكن .. أنا .. أنا .. أنا .. هل لاحظت؟ مَنْ الذي أضع التركيز عليه؟ شخص الله أم نفسي؟ في حب الله لي أم في حُبي له؟ نعم، أنا أقترب من الله، **لكن، هل أقترب من الله، نتيجة لكوني محبوبًا من الله أم أقترب إليه لأني أُحبه؟**

كان صديقي على حق، يجب أن أتعلَّم أن أُصلي أقل. هذه هي الخطوة الأولى للبحث عن الله. يجب أن أتعلَّم الحقيقة الرائعة، وهي أني لا أحتاج أن "أقنع" الله بي، ولا أحتاج أن "أشتري" حبه، وإنني لست بحاجة أن "أُقدم ذبائح" لأثبت شيئًا فيَّ، حتى يبارك حياتي أو الخدمة.

ما قاله لي صديقي قبل بضع سنوات، هو الشيء نفسه الذي يقوله يسوع في إنجيل متى ٦: ٧، ٨ «وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلًا كَالأُمَمِ، فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ». إلى مَنْ يتحدث يسوع؟ إلى المؤمنين! عندما تُصلُّون (يا مؤمنون)، يجب ألاَّ تكونوا مثلهم! يجب أن لا تفكروا كما يفكر غير المؤمنين.

ما يعنيه صديقي، وما يقصده يسوع، هو أن هناك فكرًا داخليًا (فينا جميعًا) يدفعنا إلى ممارسة التدريبات الروحية كوسيلة "لكسب النقاط" أمام الله. "أعلم أنني يجب أن أُصلّي، لكن لست أشعر بالرغبة في القيام بذلك". لكنني أيضًا أشعر بالذنب أو أشعر أنني لست شخصًا روحيًا بما فيه الكفاية إذا صلَّيت لفترة قصيرة، "النتيجة؛ أكرِّر صلاتي دون جدوى". ماذا يعني هذا؟ أُصلّي أكثر مما يجب أن أُصلّي. لكن المفتاح لفهم هذه الديناميكية، هو التفكير في سبب قيامي بذلك. يسوع يعطينا الجواب.

سبب "الصلاة أكثر من اللازم"، هو عدم معرفة قلب الآب. هو ضعف فكري وإيماني تجاه لاهوت الله. هو أن نعتقد أن إله الكتاب المقدس يجب أن "نرشيه". هو أن نُفكر أن الآب السماوي يجب أن "نكتسبه". نظن أن علينا "استرضاءه". انتبه جيدًا لِمَا يقوله يسوع: **الله ليس كما "نتخيَّلهُ"، ليس كما نفكر فيه، ونؤمن به.**

تأمل لبضع لحظات في شخصية الله التي يصفها يسوع. يقول: «أَبَاكُمْ يَعْلَمُ». ماذا يعني أن الله "يعلم" ما نحتاجه قبل أن نسأله؟ هذا يعني أنه يهتم بكل ما يحدث لك! إنه يهتم بكل تفصيلة! إنه يعرف كل ما تمر به! إنه يريد أن يتدخل في ظروفك، وأن تدخُّله (أو عدم تدخله) مشروط بصلاحه، حيث "يعرف" هو الأفضل لك. اهتمامه هو دليل على حبه.

هل لاحظت التفاصيل الصغيرة؟ من المُثير للاهتمام أن النص لا يقول: الآب يعرف ما سنطلبه (رغم أنه يعرفه). لكن يقول النص: "لأن الآب يعلم ما نحتاجه". ينصَّب التركيز على معرفة الله لاحتياجاتنا وفهمها، كأب مع طفل صغير.

لا يحتاج ابني مانويل، الذي يبلغ من العمر أربع سنوات اليوم، أن يطلب مني أن أعدّ له وجبة الإفطار كل صباح. لا يحتاج أن يطلب مني أن أربط له حزام الأمان عندما نركب السيارة. لا يحتاج لتذكيري أن أغطيه ببطانية في فصل الشتاء. أنا أعرف جميع هذه الأشياء! أنا أعرف احتياجاته. أنا جزء لا يتجزأ من جميع أيامه. أُدرك وأتصوَّر هذه الاحتياجات قبل أن يطلبها مني بوقت طويل! (في كل ليلة شتاء تقريبًا أستيقظ لأغطي "كتاكيتي الثلاثة الصغار" - كما أسميهم - لأني أعلم أنه في كل ليلة، في الثالثة صباحًا عادةً ما يركلون البطانية ويتعرُّون في البرد. أنا أحبهم! ودائمًا أبحث عن راحتهم!).

لكن لا. إله الكتاب المقدس مختلف. إنه أب أفضل مني ومنك. كما يقول يسوع نفسه: «فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!» (متى ٧: ١١).

صديقي كان على حق؛ يجب أن أتعلَّم أن أُصلي أقل. لماذا؟ لأن كثرة الصلاة شيء خاطئ؟ بالطبع لا! يمدح الإنجيل الاستمرارية والانتظام[1]. تعلُّم "الصلاة أقل" لا يعني قضاء وقت أقل مع الله. ولكن ببساطة يعني؛ أنه **يجب عليَّ أن أتعلم البحث عن الله، ليس كوسيلة للحصول على حبه، ولكن كنتيجة لاختبار محبته المُذهلة وغير المشروطة.**

دعني أعطيك مؤشرًا عمليًا يمكن أن يساعدك في تحديد ما إذا كنت تبحث عن الله للسبب الصحيح. بعد الانتهاء من وقت تعبُّدك، ما الذي يجعلك تشعر بالرضا والطمأنينة؟ هل تشعر بالسعادة لأنك قضيت وقتًا مع الله، أو لأنك تمكَّنت من تقدير محبة الله؟ بمعنى؛ هل تشعر بالرضا لأنه من اللازم قضاء وقت في محضر الله (ممَّا يُشير إلى أن التركيز كان يتمحور حولك أنت) أو تشعر بالرضا لأنه، حتى إذا "وجدت الله" أو "لم تشعر بوجوده" فهو لا يزال يُحبك (مما يدُّل على أن التركيز كان عليه)؟

---

[1] من المهم عدم الخلط بين المُثابرة والانتظام (الذي يشجعه الكتاب المقدس)، مع التكرار العبثي. **الأول** يُعبِّر عن أشواق القلب، ولذلك أكرّر الطلب نفسه لأنني أُريد ذلك حقًا. **أما الثاني** فيُعبِّر عن الانفصال عن القلب: أُكرر الجملة نفسها "مثل الببغاء"، دون التفكير كثيرًا، ودون تدخل حقيقي من شخصيتي. ولذلك، أنا أفعل ذلك حتى أصل لصورة الكمال، كوسيلة للشعور بالرضا، لأنه عمل جيد أو لإقناع الله أن "الخير" و"التضحية" في الصلاة يستحقان استجابته.

يقول سفر الجامعة ٥: ١، ٢ «احْفَظْ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللهِ، فَالاسْتِمَاعُ أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِيمِ ذَبِيحَةِ الْجُهَّالِ (أي أولئك الذين ينفصلون عن قلوبهم حين يصلون)، لأَنَّهُمْ لاَ يُبَالُونَ بِفَعْلِ الشَّرّ. لاَ تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلاَ يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلاَمٍ قُدَّامَ اللهِ، لأَنَّ اللهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الأَرْضِ، فَلِذلِكَ لِتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً».

هل تفرح عندما تبحث عن الله؟
أم تفرح عندما تشعر بحُبه الذي يأسرك؟

لماذا يا رب يَصعُب عليَّ أن أوجه قلبي فقط نحوك؟ لماذا يشغل ذهني باستمرار العديد من الأشياء الصغيرة التي أُريد القيام بها، والكثير من الناس الذين أعرفهم، حتى خلال الساعات التي أشعر فيها بالحرية التامة لأكون معك ولا شيء غيرك؟ لماذا يتجوَّل عقلي في العديد من الاتجاهات، ولماذا يرغب قلبي في الأشياء التي تجعلني أنحرف؟ ألست أنت تكفيني؟ لماذا ما زلت أشك في حبك وتعاطفك ورحمتك ونعمتك؟ لماذا ما زلت أتساءل في داخلي؛ إذا كنت ستعطيني كل ما أحتاج إليه! إذا ثبَّت عيني عليك أنت وحدك؟

أرجو أن تتقبل انحرافي عنك، وتعبي، وتيهاني، وتجوالي دون إيمان. أنت تعرفني أكثر ممَّا أعرف أنا نفسي. تُحبني بحب أكبر من الحب الذي أستطيع أن أحبه لنفسي. أنت تُقدِّم لي أكثر مما أتمنى أو أطلب أو أفتكر. انظر إليَّ، راقب تيهاني وكل ما أصابني من اضطراب داخلي، ودعني أشعر بحضورك في خضم صراعاتي. ومع ذلك، أخشى من هذا: أخشى أن ترفضني. لكنني أعلم - بمعرفة الإيمان - أنك تريد أن تملأني بحبك. كل ما تطلبه، هو أن لا أختفي عنك أو أهرب منك أو أتصرف كما لو كنت شريرًا.

الوسائل التي يستخدمها الله حتى يُغيِّرني

أنا وأنت لدينا الهدف نفسه في الحياة. سبب عيشنا هو إرضاء عطش قلبنا. نعم، واحد يستخدم القلاع، والآخر يستخدم التلفزيون. واحد يستخدم كرة القدم، والآخر يستخدم العمل. واحد يستخدم الإجازات، وآخر يستخدم الملابس أو الجمال الخارجي. لكن عندما ننظر إلى ما هو تحت السطح، سنجد أن جميع البشر يبحثون عن الشيء نفسه؛ **ملء القلب**. يسأل جون بايبر فيما يتعلَّق بهذا، السؤال التالي:

كم تثق في عبارة "أنا كافٍ لشبع روحك"؟ **يجب أن نثق في المسيح لأنه طلب منا أن نثق فيه**، من خلال نعمته المُتمثلة في عطاياه، والوعود التي يَنعم بها علينا. إذن ما هي؟ إن أفضل ما يُقدمه الله لنا هو: نفسه، والتي كشف عنها في المسيح يسوع الذي جاء لملء قلوبنا، وفرحنا. ما الذي يعنيه أن نثق في شخص يقول: «... مَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا».

(يوحنا ٦: ٣٥)؟ أو ما معنى أن تثق في شخص يقول: "إن جمالي ومجدي يظهران في شبع قلبك"؟ هذا يعني؛ أن الثقة يجب أن تثبت وتحتضن هذا الشبع.

التدريبات الروحية:

١- التأمل. ٢- القراءة اليومية في الكتاب المقدس. ٣- قراءة الكتب المسيحية. ٤- الصلاة الشخصية. ٥- الصوم. ٦- الاستماع إلى وعظات. ٧- الاعتراف والتوبة. ٨- التبشير. ٩- المؤتمرات الروحية. ١٠- الخدمة. ١١- العبادة. ١٢- الوداعة الروحية. ١٣- حفظ آيات الكتاب المقدس. ١٤- مذكرة يومية لِمَا يُكلّمني الله فيه. ١٥- الكنيسة أو المكان الذي يجمع المسيحيين.

لماذا نبحث عن الله؟

لأنه هو الحياة! لأن فيه حياة! لأن رؤيته تُشبع قلوبنا وتُغيرها! (٢كورنثوس ٣: ١٨) كما سنرى في بقية هذا الفصل، ترك الله لنا وسائل مختلفة لتعميق علاقتنا به، ولتلائم هذا الواقع الرائع. هذه الوسائل، التي تُسمَّى عادةً التدريبات الروحية، هي أدوات يستخدمها الله ليُعلن لنا عن ذاته وليُغيرنا. لكن قبل أن ننتقل إلى هذه النقطة، من المهم للغاية فَهم حقيقة تبدو متناقضة، ولكنها ليست كذلك. لا أحد يتغيَّر بسبب تلك التدريبات الروحية، لكن لا أحد يتغيَّر دون الاستفادة منها. ما الذي أقصده؟ أفضل طريقة لشرح ذلك، هي من خلال قصة مأساوية ربما تعرفها.

تدور القصة حول رجل كان يغرق في وسط المحيط. فصرخ هذا الرجل وسأل الله: "يا رب نجني!". ثم أرسل الله سفينة، ولكن عندما رموا له حبلًا لرفعه، رفض الرجل التمسك بالحبل. فصرخ مرة أخرى: "يا رب، نجني!". ثم، أرسل الله له طائرة مروحية، ولكن مرة أخرى رفض المساعدة. وهكذا، عدة مرات، حتى مات غريقًا. عندما يصل إلى السماء، نجد هذا الرجل غاضبًا من الله، ويؤمن أن الله لم يهتم بمساعدته.

أظن أن الهدف من القصة واضح جدًا، أليس كذلك؟ الله يستخدم وسائل بالفعل! لكي ينقذنا؛ يستخدم الله الوعظ أو الكلمة «كَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟» (رومية ١٠: ١٤).

لتغييرنا، يستخدم الله التدريبات الروحية. هل يمكن أن يقوم الله بمعجزة إنقاذنا دون أن يُبشرنا أحد؟ بالطبع يمكن! هل يمكن أن يعمل الله معجزة تغييرنا دون سماعنا لكلمته أو أي من الوسائل التي يستخدمها عادةً؟ بالطبع يمكن! لكنها ليست الطريقة التي يفعلها عادةً. الله لا يمسّنا بعصا سحرية ويُغيِّرنا. الله يستخدم وسائل للقيام بذلك.

في الحقيقة، **الله يشركنا في عملية تغييرنا**. كيف؟ حيث نتحمل مسؤولية استخدام هذه الوسائل. لا يمكنك الصراخ، "يا رب، غيِّرني! "، وتتوقع منه أن يلمسك بعصا ويُخلّصك بطريقة سحرية، ويُحررك من كل صراعاتك.

إذا لم أستيقظ مبكرًا لأُصلي، وأقرأ في الكتاب المقدس؛ إذا كنت أخفي، وأقاوم مشاركة الصراعات الروحية مع شخص ناضج؛ إذا قررت أن أُشاهد التلفاز بدلاً من التقاء مجموعتي الصغيرة، فأنا أتعامل مع الموقف بشكل طفولي ووَهمي، مثل الرجل الذي يغرق في وسط البحر. لا أرغب حقًا في التغيير، أُريد الساحر أن يلمسني بعصا!

أنت مسؤول عن عملية تغييرك
نعم.
أنت لا تقدر أن تغيِّر ما تحبه،
ولكن ما تقدر أن تفعله، هو أن تعرض قلبك
وتكشفه أمام الذي يقدر أن يُغيرك.

قد أكدت طوال الكتاب مِرارًا وتكرارًا أنه لا يمكنك تغيير نفسك، وقد يبدو أنني الآن أتعارض مع نفسي. اسمحوا لي أن أستخدم مثالًا آخر لتوضيح كيف تعمل هذه الديناميكية:

سنقول: إن الله يعطيك وصية غريبة إلى حدٍ ما، حيث يطلب منك أن "تُبلّل نفسك بمياه الأمطار". بمجرد سماع هذا الأمر، ماذا تفعل؟ إذا كنت تفكر في ذلك، ستجد أنه لا يوجد شيء يمكنك القيام به (لا يمكنك أن تجعل الأمطار تسقط من السماء!)؛ ولكن، من ناحية أخرى، هناك شيء يمكنك القيام به:

إذا كنت داخل منزلك، يمكنك الخروج! إذا كنت في منطقة صحراوية، فيمكنك الذهاب إلى مكان تتساقط فيه الأمطار عادةً. هل تستطيع أن تجعلها تمطر؟ بالطبع لا! ولكن إذا بقيت داخل منزلك تحت السقف وبين الجدران، فلن تشعر بالبلَل أبدًا!

هل تريد التغيير؟ إذن مسؤوليتك هي أن تعرض نفسك! لا، لا يمكنك تغيير نفسك، ولا يمكنك تغيير ما تُحب. ولكن يمكنك استخدام الوسائل التي أعطاها لك الله. إذا وثقت في سيادته، يستخدم هذه الوسائل ويُغيرك. هل تستطيع رؤيته الآن؟ **لا أحد يتغيَّر فقط من خلال التدريبات الروحية، لكن لا أحد يتغير دون الاستفادة منها أيضًا.**

وسائط النعمة

هي التي يستخدمها الله لاستعادة وتجديد وزيادة فرح المسيح وتقديره.

اسمحوا لي أن أُغيِّر المَثَل. دعنا نقول إنك تريد أن تصبح أسمر اللون. ماذا تفعل؟ الجواب واضح جدًا: تُعرِّض نفسك لأشعة الشمس، حسنًا دعنا نقول بأنك تذهب للخارج وتفعل ذلك. هل يكفي هذا ؟ هل حصلت على ما تريده؟ إذا قمت فقط بتعريض نفسك للشمس لمدة يوم أو يومين، فماذا سيحدث للون بشرتك؟ شيئا فشيئا سوف يتلاشى.

الشيء نفسه ينطبق على قلبك. وعظة واحدة في الأسبوع ليست كافية لـ"إشباع" قلبك الفارغ! ما تحتاجه (إذا كنت تريد حقًا الوقوع في حب يسوع) هو الالتزام بكشف قلبك باستمرار أمامه. هل تتذكَّر ما يقوله سفر الأمثال ٤: ٢٣؟ «فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ».

لا شيء في الحياة يجب أن يستغرق وقتًا وطاقة وجهدًا، أكبر من الاهتمام بقلبك.

هل لاحظت تطرف الجملة الأولى؟ رعاية قلبك أهم من كسب المال، من الذهاب إلى العمل، من الترفيه أو حتى عائلتك! تقول الآية حرفيًا، إنه يجب أن يكون له الأولوية "فوق كل شيء تُقدِّره"؛ خاصةً "الكنز" أو "أي شيء آخر غير قَيِّم". لماذا يُصدِر الكتاب المقدس مثل هذا التصريح الجذري؟ لأن كل ما تفعله (سواء كان عملك أو راحتك أو عائلتك) يتأثر بما يُحبه قلبك أكثر.

أحد الأشياء التي كلَّمني الله فيها هذا الأسبوع، هي كيف أستخدم عائلتي. بالأمس سألتني ابنتي: "أبي: لماذا تلعب كرة القدم لفترة طويلة مع الأولاد، ومعي تلعب قليلاً جدًا؟". ماذا تظن؟ هل لأنني أُحبهم أكثر من ابنتي؟ بالطبع لا! لكن السبب هو أنني أحب نفسي أكثر من الثلاثة! الحقيقة المُحزنة والمؤلمة، هي أنني ألعب مع الأولاد أكثر، لأنني أستمتع بأنشطة الرجال أكثر من أنشطة النساء.

هل تستطيع رؤية أن كل ما نقوم به، حتى أكثر الأنشطة اليومية والبريئة في الحياة، تتأثر بما يأسر قلوبنا (في حالتي، أرغب في أقصى حد من المتعة، وأُريد أن أقلل الملَل إلى الحد الأدنى). ماذا يقول الكتاب المقدس عن ما يجب أن نفعله؟ احفظ قلبك. كيف نفعل ذلك؟ بطريقتين: تعريض القلب لِمَا يمكن أن يُحفزه على تجديد حبنا لله (وللآخرين)، وحماية القلب من كل ما يمكن أن يغريه للعيش من أجل نفسه.

أهم واجب بالنسبة لي:

هو أن أحفظ قلبي بعيدًا عن كل ما يمكن أن يُضعِف شهيتي لله،

وأفتح قلبي أمام كل ما يمكن أن يزيد من جوعي له.

احفظ قلبك

في إنجيل متى ٥: ٢٩، ٣٠ يُعلِّم يسوع مبدأ في غاية الأهمية لحماية القلب: «فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّم. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ».

أعلم أنك تعرف الآية، لكن هل ركزت في التفاصيل؟ يسوع لا يُجيب على السؤال: ماذا عليَّ أن أفعل عندما أشعر بالضعف أمام الشهوة؟ أي، ما ينبغي أن يكون رَدِّي عندما أشعر بالإغواء. (يقول الكتاب: إنه عندما أواجه الشهوة، **يجب أن أهرب!** مثل يوسف مع زوجة فوطيفار في سفر التكوين ٣٩: ١٢، أو كما يُخبر بولس تيموثاوس في ٢تيموثاوس ٢: ٢٢ «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا .. »).

في هذا السياق، يُجيب يسوع على السؤال: ماذا عليَّ أن أفعل لتجنب السقوط؟ أي: كيف يجب أن يكون حالي قبل الوقوع في أي شهوة. وصية يسوع واضحة للغاية، لا بد لي أن أتخلَّص من أي شيء قد يقودني إلى السقوط.

هل ترى أن يسوع يتحدث عن موقف افتراضي؟ شيءٌ ما في المستقبل.

انتبه إلى كلماته:

وِفقا له، هناك شيئان يجب عليَّ القيام بهما. **من ناحية**، يجب عليَّ "الانفصال" أو "**قطع**" تلك الأنشطة أو الأشخاص أو العادات الجيدة (نعم، الجيدة) التي أُمارسها في يومي، والتي

تغويني وتغريني لعمل الخطية. ممَّا يعني أنه لا بد لي من تحديد تلك الأنشطة والتوقف عن ممارستها. قد تكون بعض الأمثلة مثل: التلفزيون، Facebook، الهاتف المحمول، الحفلات، العلاقات التي أعرف أنها تؤثر بشكل سيئ عليَّ .. إلخ؛ البدائل لا حصر لها. (الصورة التي يستخدمها يسوع قوية للغاية: يجب عليك "**بترها!**" - أي أن الألم الذي ستشعر به عندما تترك هذا الشيء، هو كما لو أنهم قطعوا عضوًا من جسدك! إنه مؤلم كثيرًا!).

ومن ناحية أخرى يقول يسوع: إنه يجب أن "**تُلقها عنك**"؛ أي لا بد لي أن أُلقي بها إلى أقصى حد ممكن. وبعبارة أخرى، يجب أن أتخذ التدابير اللازمة حتى لا أكون قريبًا منها، ومن ثم أُعرِّض قلبي مرة أخرى للسقوط[٢].

أتذكَّر أنه عندما كنت أعزب وأعيش في الولايات المتحدة، شاركت مجموعة من الشباب في حضور حفل. عندما سألت أحد أصدقائي عما إذا كان يريد المجيء معي، كانت إجابته: "أُريد أن أذهب، ولكني أعلم أنني يجب ألاَّ أفعل ذلك. إذا ذهبت، عندما أعود إلى المنزل، سأقضي الليل أُفكِّر في أشياء لا ينبغي لي أن أفعلها. كان ردُّه تجسيدًا لمتى ٥: ٢٩".

---

[٢] إذا تأملت بالنص، فسوف تدرك أن يسوع، بلا شك، يتحدث عن أشياء جيدة أو على الأقل أشياء مُحايدة. العين ليست سيئة! ولا أيدينا سيئة! المشكلة هي أنها يمكن أن تكون وسيلة للخطية - أي أنها ليست خطأً في حد ذاتها، لكنها قد تغويني حتى أسقط في الخطية.

من الواضح أن "العين" و"اليدين" يُمثلوا "أي شيء" مناسب للسقوط. أن تحمل ورقة وقلمًا لتحسب نفقاتك، يمكن أن تكون فرصة للسيطرة على حياتك. يمكن أن تكون مشاهدة مسلسل تلفزيوني فرصة للسقوط في العادة السرية. يمكن أن يكون الخروج مع أصدقائك غير المؤمنين مناسبة للسُكْر. هل من السيئ الحفاظ على ورقة وقلم أو مشاهدة التلفزيون أو الخروج مع أصدقائك؟ ليس بالضرورة. النقطة المهمة هي التمييز، إذا كان الأمر يضرني بشكلٍ ما! المسألة هي إذا كان أي من هذه الأشياء يقودني إلى الابتعاد عن الله، وبيع قلبي لشيء يضر بحياتي الروحية. يقول بولس في ١كورنثوس ٦: ١٢ «كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوافِقُ. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لكِنْ لاَ يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ».

مفتاح التمييز هو إذا كان هناك شيء يمثل حجر عثرة، يجب أن أكون صادقًا مع نفسي وأطرح سؤالين: **أولاً**: هل هذا مفيد؟ هل هذا الشيء يُقربني من الله؟ أم أنه يبعدني عنه؟ **ثانيًا**: هل يُهيمن ويسيطر عليَّ، كما لو كان مخدرات؟ فإن أحد الأشياء التي يصعب علينا الاعتراف بها، حتى لو أنكرنا ذلك، هي حقيقة أن تسيطر علينا ممارسات وعادات أو علاقات معيّنة ليست سيئة في حد ذاتها، ولكنها تسيطر علينا، وتُهيمن علينا.

كن صادقًا مع نفسك. إنها ليست سيئة في حد ذاتها، ولكن هل تهيمن عليك؟ سأل أذكى رجل عاش على هذا الكوكب: «أَوَ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلاَ تَكْتَوِي رِجْلاَهُ؟» (أمثال ٦: ٢٨). (في الفصل التالي، سوف نُحلّل بالتفصيل الفرق بين الخطية، وسبب الخطية. وبذلك، ستجد أن هناك فرقًا كبيرًا بين كليهما، وسنوضح عدة مفاهيم).

كان يعلم ضعف قلبه، لذلك اتخذ صديقي قرارًا جذريًا. «فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ». لماذا لم يذهب إلى الحفل؟ محاولة لاسترضاء حب الله؟ بالطبع لا! صديقي لم يكن يحاول كسب حب الله، صديقي كان يحاول حماية حبه لله. صديقي كان يفعل ما يقوله سفر الأمثال ٤: ٢٣؛ كان يعلم جيدًا ضعف قلبه، لذلك كان يحاول الاعتناء به![٣].

في هذا السياق، من المهم أن أُحذرك من شيءٍ هام. لا يتعثر الجميع بالأشياءنفسها، ولا نحتاج جميعًا إلى وضع "حواجز" أمام الأشياء نفسها. أو بعبارة أخرى، ما قد يكون سبب للسقوط بالنسبة لي، قد لا يكون عثرة لك، والعكس صحيح (١كورنثوس ٦: ١٣).

هل تتذكَّر ما قلناه في الفصل العاشر؟ الخطية هي ما تُضعِف عقلك، أو تدمر ضميرك، أو تُعيق إحساسك بالله، أو تسرق حبك للأشياء الروحية. فقد يكون هذا الشيء حجر عثرة لك، على الرغم من أنه شيء جيد في حد ذاته. ما الذي يندرج تحت هذه الفئة؟ أي شيء! المسلسل التلفزيوني، ألعاب الفيديو، الحمية الغذائية، صداقة مُعثِرة، شغفك بكرة القدم، شراء شيء تريده كثيرًا، وأشياء أخرى لا نهاية لها. السؤال، هو التفكير في الوصية التي تركها يسوع على مَحمَل الجد والتفكير فيها، فما الذي يُطفئ شغفي بالله اليوم؟ وبالتالي، هل يجب أن أقوم بإزالته من حياتي؟[٤].

---

٣ مثال آخر مُشابه للقرار الذي اتخذه صديقي، هو البرامج التي يمكن تحميلها لتحمي الهاتف المحمول أو الكمبيوتر من الإعلانات والمواقع الإباحية. لا يمكن لتلك البرامج أن تُغير قلبك، لكنها يمكن أن تحميك! إذا كنت تعتقد أنك تغلَّبت على معركتك مع الشهوة لأن لديك الآن برنامج يمنع ظهور هذه الصور على شاشتك، فأنت مخطئ (يقول متى ٥: ٢٨ أن المعركة تقع في قلبك، وليس في هاتفك المحمول!).

من ناحية أخرى، **إذا كنت تعتقد أنك قوي بما فيه الكفاية حتى لا تحتاج إلى مساعدة خارجية، فأنت تخدع نفسك.** (لذلك، "**إذا كنت تعتقد أنك حاذق، كن حذرًا، لئلا تسقط**" - ١كورنثوس ١٣: ١٢). لديك قلب فاسد، وأنت تعيش في عالم ساقط. **تحتاج مساعدة!** لماذا نستخدم هذا النوع من "المنبهات أو الحواجز"؟ لأننا ندرك ضعفنا. لأننا نعرف محدوديتنا. لأننا نعترف كم هو سهل أن نستسلم للخطية. وفي النهاية، نحن نفعل ذلك لأننا قد تذوَّقنا حب المسيح، ولا نريد أن "نُطفئ" الروح الذى يسمح لنا بتقدير شخصه، والاستمتاع به.

٤ هل من الممكن اقتلاع أو "قطع" شيء مؤقت؟ بالطبع نعم! من الممكن. على سبيل المثال، في وقت مُعيَّن من حياتك أن تشعر بالوحدة، فتلجأ إلى الدخول في علاقة غرامية مع شخصٍ ما (ربما لأنك تحاول أن تملأ قلبك به / بها، أو لأنك انتهيت للتو من علاقة أخرى، ولكنك تحتاج إلى أن تنضج روحيًا، وما إلى ذلك). ومع ذلك، هذا لا يعني أنه يجب أن تبقى أعزب مدى الحياة. يمكن قول الشيء نفسه عن التصفح على صفحات الفيسبوك، أو ألعاب الفيديو، أو مشاهدة التلفزيون في الليل أو أي شيء آخر.

المفتاح هو اكتشاف ما إذا كان القلب عبدًا لهذه الأشياء أم لا، وإذا كان مكتفيًا بحب المسيح، حتى لا يميل إلى "بيع نفسه" لتلك الاشياء الزائفة. الصورة التي تتبادر إلى ذهني، هي صورة فنجان من البورسلين، على عكس كوب من البلاستيك. =

- **ما هي النشاطات أو الأماكن أو الأشخاص أو العادات التي تقتل شغفي بالله، وتفتح شهيتي لِمَا يُقدمه العالم؟**
- **ما الذي يمكن أن أفعله حتى أقلعها وألقيها بعيدًا؟**
- **كيف تعمل الحياة: مبدأ الزرع والحصاد**

أوَّد أن أُحلّل بإيجاز، واحدة من أكثر الفقرات التي أُسيء فهمها وتعليمها في العهد الجديد بأكمله. تقول رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦: ٦- ١٠:

«وَلكِنْ لِيُشَارِكِ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْكَلِمَةَ الْمُعَلِّمَ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ .لاَ تَضِلُّوا! اَللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً .فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ .فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ».

إذا قرأت جيدًا، فسوف تُدرك أن هذا المقطع يبدأ وينتهي بوصية. أوَّد أن ألخص هذه الوصية بهذه الطريقة: "كن كريمًا في مشاركة كل ما تملك حتى أموالك لفعل الخير للآخرين". في الآية السادسة، يذكر بولس أنه يجب علينا مشاركة "كل شيء جيد" (أي ممتلكاتنا) مع أولئك الذين يُعلّموننا، بينما في الآية العاشرة، يجب أن نفعل ذلك مع الجميع (سواء كانوا مؤمنين أم لا) - أي أن النص يبدأ وينتهي بالطريقة نفسها؛ مع عمل خارجي. ومع ذلك، إذا قرأنا الآيات من سبعة إلى تسعة، فسوف ندرك أن تتميم هذه الوصية هو نتيجة لشيء أعمق بكثير. **إنه نتيجة عمل داخلي** يحدث في قلب الشخص الكريم.

= ماذا أفعل بكوب من الخزف؟ أُغطيه، أحميه، أتعامل معه بعناية خاصة. لماذا؟ لأنني أدرك تمامًا قيمته وهشاشته - أي ضربة يمكن أن تُسبِّب أضرارًا كبيرة.

ماذا أفعل بكوب من البلاستيك؟ أشرب فيه دون عناية أو حذر كبير. أعطيه لأطفالي! لماذا؟ لأنهم إذا ألقوا به على الأرض، أو إذا سقط منهم البلاستيك بقوة بما يكفي لحماية الكوب من الكسر دون مشكلة. الأمر نفسه ينطبق على القلب. هناك أشياء يمكنني أن أتعامل معها دون عناية كبيرة. (بالنسبة لي مثلا: السرقة، إنها ليست معركة خطيرة لِأنتصر عليها). ولكن، هناك العديد من الأشياء الأخرى التي أحتاج فيها إلى التعامل مع قلبي كما لو كان مُصنَّعًا من الخزف. **عندما تعرف ضعف قلبك، فإنك تُدرك أن يسوع على حق، فهناك معارك يجب عليَّ الفوز بها قبل مواجهتها.**

اِقرأ بسرعة، يبدو كأن هذا الجزء يقول: "إذا كنت تتصرف بشكلٍ جيد، فسيكون ذلك خيرًا لك؛ ولكن، إذا كنت تتصرف بشكلٍ لا يصح، فسوف تسوء الأمور بشكلٍ كبير، وقد ينتهي بك إلى جهنم". (أو لقراءة الآية بشكل أسوأ من ذلك: "كلما زادت الأموال التي تعطيها للآخرين، كلما منحك الله المزيد من المال. وكلما قلّ المال الذي تُقدمه للآخرين، قلّ المال الذي ستحصل عليه"). لا، هذا ليس ما يقوله بولس.

يتحدث هذا الجزء عن تداعيات العيش في الجسد، ومن أجل الجسد، وما هي نتائج العيش في الروح، ومن أجل الروح. ببساطة، إن نتيجة العيش للجسد لا ترغب في مشاركة كل الأشياء الجيدة التي باركني الله بها مع الآخرين (أي الأنانية، وكنتيجة لذلك: البؤس). في حين أن نتيجة العيش من أجل الروح، يجب أن تتحول إلى شخص يتمتع بالعطاء والكرَم (أي أن يصبح أكثر سخاءًا، ومفيدًا، ونتيجة لذلك، يجد حياة حقيقية).

اسمحوا لي أن أُقدم توضيحًا لِمَا أعنيه. دعنا نقول: إنه عيد ميلادك، وتريد أن تخطط لاحتفال خاص للغاية. هذه المرة، قرَّرت عدم الاهتمام بالنفقات، وتعيين أفضل طاهي في العالم لإعداد كعكة شوكولاتة ضخمة لجميع ضيوفك. كذلك فعلت مع كل التفاصيل، قرَّرت زيارة الشيف الشهير لترى كيف يَعِّد الكعكة الخاصة بك. وبالفعل دخلت مطبخه، ووجدت كل شيء مُدهشًا. أثاثه فاخر، كل الأجهزة في حالة ممتازة، والمكونات من أفضل نوعية، ويبدو أن كل شيء يلمع. بينما تراقب كيف يقوم الطاهي بإعداد الكعكة، تبدأ في تخيُّل كيف ستبدو هذه الكعكة عندما ينتهي منها. ومع ذلك، بينما يمزج المكونات الأخيرة، تركض إلى الجانب الآخر من المطبخ وتقول، "انتظر لحظة". ثم تُحضِر حفنة من الزيتون وتقول للطاهي: "ضع هذا على الكعكة". فيوقفك الطباخ بيده، وينظر إليك بوجهٍ مرتاب و يُخبرك: "ماذا تفعل؟"؟ ثم تركض مرة أخرى، وهذه المرة تجلب قطعة من لحم الخنزير المطبوخ، وتحاول إضافته إلى الكعكة.

مرة أخرى، يوقفك ويقول: "هل أنت مجنون؟ ماذا تفعل؟ لا يمكنك وضع ذلك على كعكة الشوكولاتة". ثم تقول: "لحظة. الزيتون لذيذ، أ ليس كذلك؟ لحم الخنزير المطبوخ لذيذ، أليس كذلك؟ أنت طاهي يجب أن تعرف ذلك"، أجاب: "نعم". "كِلا الأمرين جيدان للغاية، لكن لا يمكنك وضعهما هنا. أنت ستُدمر كعكة الشوكولاتة بأكملها". ثم تقول: "إنه عيد ميلادي. إنها كعكة الشوكولاتة الخاصة بي. يمكنني أن أفعل ما أريد".

النتيجة؟ أو بالأحرى، العاقبة؟ كارثة، ينتهي بك المطاف بتخريب كعكة الشوكولاتة الخاصة بك. لا يمكنك التظاهر "بجَني" نتيجة جيدة، إذا كنت قد صمَّمت على "زرع" هذا النوع من المكونات. ما الذي يُعلّمهُ غلاطية؟ بالضبط الشيء نفسه.

> "**أن أزرع في الجسد**" يعني استخدام جميع الموارد المُتاحة لي لإيجاد الحياة والفرح خارج المسيح، معتقدًا أن هذا سيجلب لي السعادة. **إنه الرغبة في السيطرة على حياتي**. أن أفعل كل ما أريد حتى أشعر بالشبع.
>
> **العيش في الجسد، هو أن أتخذ جميع قراراتي، وأستخدم كل ما عندي من بركات** (المال والجهد والإبداع والوقت والأحلام، وما إلى ذلك) **للحصول على ما يجلب السعادة**. إنه تكريس ساعات وساعات للتلفزيون، إلى الرغبة في السيطرة، للخصومات في محلات الملابس، للعمل أو أي نشاط آخر (جيد أو سيئ) يُقلل أو يقضي على شهيتي لله.

ما هي نتيجة الزرع "في الجسد"؟ ما هو "حصاد" العيش هكذا؟ مثل خلطة كعكة الشوكولاتة مع لحم الخنزير أو الزيتون. ستُدمر قلبك.

نتيجة الزرع في الجسد ، هي تحوُّلي إلى شخص غير سعيد.

وفقًا لكلمات بولس؛ النتيجة هي "فساد" القلب (انظر الآية الثامنة). والنتيجة هي تحوُّلي الي شخص أناني، مليء بالكبرياء، ومُنشغل بالتفكير في مصلحتي، مُحاط بالقلق، وشديد الاحتياج، وأكثر وأكثر حساسية تجاه "آلامي" و"احتياجاتي" الشخصية؛ وعلى العكس من ذلك: أقل وأقل حساسية لآلام واحتياجات الآخرين. بعبارة أخرى: **أتحوَّل إلى شخص يفتقد وجود الله في حياته.**

يقول "جون سكوت": **إن الزرع في الجسد** (أي بالدوافع الخاطئة) **هو محاولة لإشباع طبيعتي الساقطة، محاولة لتدليلها، احتضانها والاعتناء بها بدلاً من صلبها**. البذور التي نزرعها، هي في الأساس أفكار وحقائق. وفي كل مرة نسمح لأذهاننا بوجود ضغينة، أو تقديم شكوى، أو إيواء خيال نجس، أو التمحور حول النفس، فإننا نزرع للجسد. في كل مرة نُقرِّر أن نخرج مع أصحاب سوء، مع العلم أننا لا نستطيع مقاومة تأثيرهم الخبيث. في كل مرة نبقى في السرير مع العلم أننا يجب أن ننهض للصلاة. في كل مرة نقرأ فيها كتبًا إباحية.

في كل مرة نخاطر فيها ونفقد السيطرة، نحن نزرع للجسد. يزرع بعض المسيحيين للجسد كل يوم، ولا يزالون يتساءلون: لماذا لا يَجنون القداسة؟

القداسة هي حصاد. يعتمد كليًا على ما نزرعه، وأين نزرعه.

إذن، ماذا يعني أن تزرع للروح؟ العكس تمامًا. الزرع "في الروح" يعني الاستفادة من جميع البركات التي يُقدمها الله، واستخدامها حتى يتسنَّى لك الحصول والامتلاء بنعمته. هو استخدام كل ما عندي من إبداع وجهد ومال وطاقة وأفكار في السعي إلى أن يصبح المسيح أعظم متعة في حياتي. وهذا يعني كشف قلبي أمام جميع الوسائط المُتاحة لي، لإيجاد الحياة والفرح في شخص يسوع. ببساطة، هو **أن أعيش نمط حياة مختلفة، حيث أعرض قلبي باستمرار على مَنْ يمكن أن يُغيِّرهُ**[٥].

مبدأ "الزرع في الجسد"، هو الموافقة على كل ما يُطفيء ويُقلِّل من جوعي للّه.

مبدأ "الزرع في الروح"، هو الموافقة على كل ما يُعزز ويزيد من جوعي للّه.

ملاحظة لا مفر منها:

أحتاج إلى بناء عادات جديدة.

ما سأكتبه الآن سيكون له معنى أكبر، بعد دراسة رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦. هناك أشياء قليلة في حياتك أكثر أهمية من عاداتك. يقول المَثَل الشهير: "اِزرع فكرًا، وسوف تجني فعلاً. اِزرع فعلاً، وسوف تجني عادة. اِزرع عادة، وسوف تجني شخصية. اِزرع الشخصية، وسوف تجني مصيرًا".

هل تلاحظ التشابه بين هذا القول، والجزء في غلاطية ٦ الذي قمنا بتحليله للتو؟ هل تريد أن تعرف أي نوع من الأشخاص سوف تكون في غضون سنوات قليلة؟ يرتبط الجواب

---

[٥] هل يجب أن أبحث عن الله، حتى عندما لا أشعر بالرغبة أو أُريد القيام بذلك؟ على الرغم من أن المبادئ نفسها التي تنطبق على الطاعة، تنطبق أيضًا على هذا السؤال (انظر الملحق ١)، دعني أُجيب بطريقة مختصرة وموجزة. بالطبع نعم! يجب أن لا "تُجبر" نفسك على البحث عن الله خوفًا من الله؛ أو خوفًا من فقدان حبه أو بركاته لحياتك، ولكن يجب عليك "إجبار نفسك" على البحث عن الله لاستعادة التقدير والحب المفقود. **الدافع هو المفتاح**. هذا يُحدِّد ما إذا كنت تحاول "شراء" محبة الله ونعمته، أو إذا كنت يائسًا من القضاء على العمى الروحي، و"الانغماس" في فيض نعمته مرة أخرى.

كما يقول بولس، هناك أوقات يجب عليَّ فيها أن أقمع جسدي وأستعبده (١كورنثوس ٩: ٢٧). فكّر في كم مرة نقترب فيها إلى الله دون الرغبة في البحث عنه، وهل بعد ذلك نتقابل معه في اختبار حقيقي، ونستعيد شغفنا بشخصه مرةً أخرى؟

بشكل وثيق بالعادات التي تتبناها اليوم. هل تبحث عن الله بانتظام؟ هل تُعرِّض نفسك لأشعة الشمس كل يوم؟ هل خلوتك معه جزء من روتينك اليومي؟

يشترك العالم المادي والروحي في العديد من أوجه التشابه. إذا لم أعتَد على تنظيف أسناني بالفرشاة، فسوف ينتهي بي الأمر إلى تسوُّس الأسنان وتشوهها باللون الأصفر. إذا لم أُمارس الرياضة بانتظام، فسوف ينتهي بي الأمر إلى تراكم الدهون التي ستؤدي إلى مشاكل في الدورة الدموية والقلب. إذا كان لديَّ نظام غذائي يعتمد على الهامبرجر والكوكا كولا والآيس كريم؛ لا أستطيع التظاهر بأنني بصحة جيدة! العادات الجيدة تعطيك صحة جيدة. لكن العادات السيئة يجب التخلُّص منها في أسرع وقت. **من السهل رؤية قانون الزرع والحصاد في العالم المادي**، أليس كذلك؟ **مفتاح التغيير، هو تطبيق المبدأ نفسه على الحياة الروحية.**

لا يمكن أن تغيرك عاداتك، لكن دعها للشخص الذي يمكنه تغييرك.

أكبر عدو للشعور باللهفة لله ليس السم، ولكن كعكة الشوكولاتة. إن ما يطفيء شهيتنا للروحيات ليس وليمة مع الأشرار، ولكن الانغماس المستمر لمدة ساعات بما يُقدِّمه العالم. إنه ليس هذا الفيلم الإباحي، ولكن رشفات التفاهة المستمرة التي نتجرعها كل ليلة. على الرغم من كل الشر الذي يمكن أن يفعله الشيطان، عندما يَصف الله ما يفصلنا عن حبه، فإنه ينتهي دائمًا بكونه شيئًا بسيطًا، مثل امتلاك قطعة أرض أو فدان مليء ببقر أو زوجة (لوقا ١٤: ١٨- ٢٠)؛ الأشياء اليومية. إن أكبر عدو لمحبة الله لا يكمُن في البلايا، بل في بركاته وعطاياه لنا. الشهوات المُميتة لا توجد في السم الواضح، **ولكن** تدور في المُتع البسيطة التي نجدها في العالم. لأنه **عندما نستبدل الله بمتعة صغيرة، بالكاد نستطيع التمييز بينها وبين عبادة الأصنام**، وهي أيضًا غير قابلة للشفاء تقريبًا.

قال يسوع: إن هناك أشخاصًا يستمعون إلى كلمة الله، وتستيقظ بداخلهم الرغبة في معرفته من القلب. **لكن** بعد ذلك، «يَذْهَبُونَ فَيَخْتَنِقُونَ مِنْ هُمُومِ الْحَيَاةِ وَغِنَاهَا وَلَذَّاتِهَا» (لوقا ٨: ١٤). في مكانٍ آخر قال: «وهُمُومُ هذَا الْعَالَمِ وَغُرُورُ الْغِنَى وَشَهَوَاتُ سَائِرِ الأَشْيَاءِ تَدْخُلُ وَتَخْنُقُ الْكَلِمَةَ فَتَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ» (مرقس ٤: ١٩).

ملذات الحياة وإغراء الأشياء الأخرى، ليست سيئة في حد ذاتها. إنها ليست رذائل، بل هى عطايا الله. هي غذاؤك مع البطاطس، والقهوة، والحدائق العامة، والقراءة، والديكور،

والسفر، والاستثمار، ومشاهدة التلفزيون، وتصفح الإنترنت، والتسوق، وممارسة الرياضة، والإدخار، والدردشة. وكل هذا يمكن أن يصبح بديلاً قاتلاً عن الله.

كيف أفسد شهيتي لله؟ بالحفاظ على العادات التي تأخذني بعيدًا عنه.

كيف أزيد من جوعي لله؟ بتطوير العادات التي تُقربني منه.

انفتاح القلب

على عكس ما سعيت للتأكيد عليه في هذا الكتاب، فإن التدريبات الروحية ليست اتجاهات القلب، بل أنشطة! إنها أفعال أو عادات مقدسة تسعى إلى كشف القلب للشخص الذي يمكنه تغييره. إنها طرق للحصول على "المطر". إنها طرق مختلفة "للحصول على الثمار"[٦]. يُعرِّفها دونالد ويتني بهذه الطريقة: "هي وسائط يَعدّها الله حيث نجلب بها أنفسنا أمامه، لنختبرها، ونتحوَّل إلى تلك الصورة عينها. إذا كان من الممكن مقارنة الرب بنهر ماء نقي من الحياة، ستكون التدريبات الروحية، هي الطرق التي نأتي بها إلى هذا النهر لنشرب منه، ونغمر أنفسنا فيه، ونسبح فيه، ونتغذى منه، ونستحم فيه، ونروي أنفسنا منه".

في ١تيموثاوس ٤: ٧ يكتب بولس لتيموثاوس: «رَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى». الفكرة التي يريد الرسول بولس توصيلها لتلميذه، هي أنه لكي يصبح "روحيًا"، من الضروري أن يتم تدريبه. أحتاج إلى توليد عادات جديدة. لماذا؟ لأن حبي لله على المحك!

ممارسة التدريبات الروحية لا تعطيني الحق لكسب أو استحقاق مواهب الله. وهذا لا يعني أن الله يباركنا، لأننا نمارس هذه التدريبات.

---

[٦] على الرغم من أنه من الصعب تصديق ما سأقوله، لكن من المهم إدراك أن التدريبات الروحية ليست جزءًا من ثمار الروح القدس. (ثمار الروح هي: المحبة، والفرح، والسلام، والصلاح، إلخ .. ثمر الروح ليس الصلاة، والصوم، وقراءة الكتاب المقدس، وما إلى ذلك). بهذا لا أقصد أنه لا ينبغي أن يحفزهم الروح القدس (لقد أكدت هذا الاحتياج في كل الكتاب)؛ ما أعنيه هو أن **التدريبات الروحية هي ثمر قرارات شخصية**. إنها نتيجة "قمع جسدي واستعباده" (١كورنثوس ٩: ٢٧). أي أنها أفعال، وبالتالي، فإن الكتاب المقدس يركز على ممارسة ضبط النفس، وتأديب النفس لممارسة التدريبات. هل يساعدونني على تقدير وإدراك حب الله؟ بالطبع نعم! هذا ما شرحته في بداية هذا الفصل. لكن **من مسؤوليتي أن أكون مجتهدًا في تطبيقها.**

سأل أحدهم لاهوتيًا مشهورًا: "هل تُصلي من أجل النهوض مبكرًا، حتى تجلس في خلوة مع الله؟" كان ردّه : "لا. أنا أضبط المنبه، وأنهض بمفردي".

السؤال هو: بعد اختبار صلاح الله في الإنجيل، كيف يمكنني زيادة استمتاعي به إلى أقصى حد، عندما أشعر في كل لحظة من حياتي بإغواء لتحويل مواهبي المفيدة إلى آلهة بعيدة عنه؟ مثل المال، والإجازات، والأسرة، والعمل، والملابس، والتلفزيون، وما إلى ذلك. بأية أسلحة سأخوض معركة الإيمان، وأحمي قلبي من عواطف الآخرين، والشهوة الغادرة؟

الجواب على هذا السؤال هو: **التدريبات الروحية**. إنها "الأسلحة" التي تركها الله لي لخوض **معركة، لا يمكنني الفوز فيها إلا بالاعتماد عليه**. دعونا ننظر لفترة وجيزة في بعضٍ منها[٧].

١ – التأمل

أعرف ما يخطر على بالك الآن، ولقد فعلت ذلك عن قصد. من المؤكد أنك ستندهش من أني لم أبدأ بالقراءة اليومية للكتاب المقدس، وأني لم أمنح أولوية لكلمة الله. لقد فعلت ذلك بقصدٍ كامل. نيَّتي ليست التقليل من أهمية الكلمة، نيَّتي هي "إزعاجك" قليلاً بحيث تُفكر، ولماذا يمكن أن يكون لممارسة هذا التدريب قيمة كبيرة. يقول بول تريب:

"لا أحد يؤثر على حياتك أكثر من نفسك، لأن لا أحد يتحدث إليك أكثر من نفسك". سواء كنت تدرك ذلك أم لا، فأنت في حديث مع نفسك لا نهاية له، والأشياء التي تقولها لنفسك تُشكل الطريقة التي تعيش بها. أنت تتحدث باستمرار عن هويتك، وروحك، ووظائفك، وعاطفتك، وعقلك، وشخصيتك، وعلاقاتك، وما إلى ذلك. أنت باستمرار تعظ نفسك بشيء من الإنجيل. **إما** أن تُبشر روحك بإنجيل مُعادٍ للعدالة والقوة والحكمة التي تؤمن بها، **أو** تُبشر روحك بالإنجيل الحقيقي لحاجة روحية عميقة ونعمة كافية. أنت

---

[٧] **توضيحان اثنان**. **أولاً**: في هذا الفصل لن نفحص جميع التدريبات الروحية. أعتقد أن الكثير من اللاهوتيين والأدباء المسيحيين قد كتبوا في ذلك الشأن، وبالتالي، سأذكر فقط بعض الجوانب الرئيسية التي قد لا تقرأها في كتب أخرى. **ثانيًا**: لا يوجد إجماع في الفكر بين الكُتَّاب المسيحيين فيما يتعلَّق بالذي يجب اعتباره تدريبات روحية، وأي منها لا ينبغي أن يكون. لقد وضعت قائمة خاصة تجمع بين التدريبات التقليدية المقبولة، وأضفت المزيد من التدريبات المعاصرة التي طبَّقتها في حياتي الروحية، ووجدتها رائعة.

يشجعنا الرسول بولس على فحص كل شيء، والاحتفاظ بما نراه مناسبًا. إذا كنت ترغب في قراءة المزيد حول هذا الموضوع، أوصي بقراءة "التدريبات الروحية للحياة المسيحية" من إعداد دونالد ويتني، و"فرح الانضباط" بقلم ريتشارد فوستر. (قد تختلف مع بعض النقاط في كتاب فوستر، ولكن - كما قلت سابقًا - استخدم التمييز الخاص بك للاحتفاظ بما تؤمن به).

تكرز بإنجيل يشجع الوحدة والإعاقة، أو تكرز بالإنجيل الحقيقي الذي يؤكد حضور المسيح في كل مكان، وعنايته وقوته.

ما هو التأمل المسيحي؟

هو الدخول في حوار داخلي عن حقائق الله التي تعرفها بالفعل. إنها لتوليد عادة "التخيُّل" حول عظمة الله، وكل ما قاله لنا. أنا لا أتحدث عن تفريغ عقلك من كل شيء، والبدء في التفكير في أي شيء يخطر على بالك. فأنا أتحدث عن التأمل في الآثار المُترتبة على تصديق كل ما تؤمن به؛ حتى المعرفة التي لديك عن الله تصبح متعة.

اِسمح لي أن أعطيك مثالًا لتوضيح ما أعنيه: إذا كنت في مسابقة تلفزيونية، ويُخبرك مُقدِّم العرض: "لقد ربحت مليون يورو!"؛ على الفور سيبدأ قلبك بالضرب بسرعة أعلى، وسيبدأ عقلك في "تخيُّل" أشياء أو التفكير في أحلام اليقظة حول الآلاف من الآثار المترتبة على هذه الحقيقة على حياتك.

إذا كان يحتاج ابنك إلى إجراء عملية جراحية، ولم يكن لديك أموال لتغطية تلك العملية، فستبدأ في البكاء. إذا كنت تريد الذهاب في إجازة إلى البحر الكاريبي، فستبدأ في التفكير في الرمال البيضاء والمياه النقية الصافية. إذا كنت ترغب في التقاعد ولم يكن لديك القدرة على القيام بذلك، يمكنك أن تتخيَّل لحظة احتضان زوجتك وأطفالك وأحفادك، وإخبارهم بالدموع في عينيك، أنه يمكنك القيام بذلك أخيرًا. عندما يخلق القلب حقيقة، عندما يؤمن حقًا بالحقيقة، لا يمكن أن يتوقف عن التفكير في هذه الحقيقة، وكل الآثار المترتبة عليها.

إذا قلت لك: إن المسيح مات من أجلك (لقد صُلب ومات)؛ وإنه يريد أن يكون الله أباك (وهو الخالق ملياري مجرة وكل ما فيها)؛ ويتوق إلى أن يكون قائدك الروحي (الوحيد الذي يعرف الماضي كله، والحاضر كله، والمستقبل كله)، وهذه الحقائق (وغيرها) لا تشجعك على التأمل في قوته، والتفكير في آثارها المدهشة وتداعياتها ونتائجها على حياتك، فما رأيك فيما يحدث؟

الجواب بسيط: أنا أؤكد الحقيقة، لكنني لا أُصدقها حقًا. (يبدو الأمر كما لو أخبرتك الآن؛ أنك ربحت مليون يورو، لكن هذا لا يؤثر عليك لأنك لا تُصدقني!). على عكس

ما يحدث في مسابقة تلفزيونية، ما يحدث غالبًا في داخلنا، هو أن "**قوة**" أو "**مستوى**" **الواقع الذي نملكه لحقائق عن الله في قلوبنا، فقير للغاية أو معدوم**. ما هو سبب هذه المشكلة؟ أن الخطية تُضعِف رؤيتنا الروحية (أفسس ٤: ١٨). ما هو الحل لهذه المشكلة؟ (مشكلة نعاني منها جميعًا!): **التدريب على التأمل**.

لا يسعى التأمل إلى إدخال معلومات جديدة، بل **يسعى التأمل (من خلال مساعدة الروح القدس) إلى دعمنا لنكون قادرين على تصديق الحقائق التي نعرفها بالفعل، بشكل أعمق**. هذا هو بالضبط سبب الصلاة التي يُصلّيها بولس للمؤمنين في أفسس ٣: ١٤- ١٩:

> «بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ. لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ».

هل تلاحظ ما يُصلّيه بولس؟ أن يفهموا ما يعرفوه بالفعل. أن يعرفوا ما سمعوه من قبل. لماذا؟ لأن الروح القدس قادر على منحنا عمقًا آخر للحقائق التي نعرفها بالفعل حتى نصل إلى مستوى الامتلاء الذي لا يمكننا حتى تخيُّله!

حتى لو كنت لا تُصدِّق ذلك، فأنت تعرف بالفعل كيف تتأمل. أنت تفعل ذلك منذ يوم ميلادك تقريبًا. حتى لو كنت تعتقد أن الأمر ليس كذلك، فإننا نتأمل جميعًا طوال الوقت! المشكلة هي أننا نتأمل في الأشياء الخطأ. مَن لا يفكر في الجنس؟ مَن لا يتخيَّل نفسه وهو يُغير هذا الجزء من جسده الذي لا يجده جذابًا؟ مَن لا يفكر في السيارة التي يرغب في شرائها أو في الإجازة التي يحلم بالاستمتاع بها؟ مَن لا يتقلَّب في سريره وهو يتأمل في خياراته (أو عدم وجودها) لشراء منزل أو تغيير وظيفة؟ نحن جميعًا نتخيَّل! نحن جميعًا نتأمل! **ما يجب تغييره هو الموضوع الذي نتأمل فيه. هذا هو الانضباط!**

من التمرينات البسيطة التي ساعدتني على تطبيق هذا الانضباط، هو استخدام حقيقتين في غاية الأهمية من الإنجيل: (أنا خاطئ عظيم، والله مُخلِّص عظيم) كدليل

ليقودني للتأمل وقراءة الظروف اليومية التي أمُرّ بها في حياتي. على مدار اليوم، أُفكر عادةً عن كيف يكشف هذا الموقف أنني أعيش لإرضاء ملذاتي؟ (هذا السؤال مفيد عادةً عندما لا تسير الأمور بالطريقة التي أُريدها). من ناحية أخرى، يُذكّرني رد فعلي، أن الله مختلف عني. في الحقيقة، هو عكسى؛ ولا يريد إدانتي، بل يتوق أن يُعانقني لأشعر بحبه الذي لا ينتهي؟ أحاول أن أتأمل في ظلام قلبي، وعلى الفور، أسعى إلى أن أُبهَر مرة أخرى بشخصية الله التي لا توصَف.

الهدف من التأمل،
هو أن يُصيبني الذهول من عُظم خطيتي،
وعظمة نعمة الله.

أين يمكن أن أتأمل؟ ومتى يجب أن أتأمل؟ يقول كاتب المزامير: «لكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَارًا وَلَيْلًا.! ».

إذن الإجابة: اليوم كله. لهذا يُعتبر انضباطًا! إنها عادة يجب أن أُطورها. إنها ممارسة يجب أن أبدأ في دمجها في جميع مواقف حياتي؛ حتى أبسط الأيام. ليس لديَّ ما يكفي من المال؟ ماذا يعني أن الله يعلم ويريد أن يهتم بي؟ (شجع قلبك بهذه المعرفة). هل أواجه مرضًا؟ هل لديَّ امتحان؟ أشعر بالخوف؟

ما فائدة أن أعرف أن خالق الكون يعرف عدد شعر رأسي؟ تحدَّث مع قلبك، وبشِّرهُ بهذه الحقيقة. هل أشعر بالإغواء لأُرضي مَن حولي؟ هل أخشى المواجهة؟ مَن قال إنني سأجد دائمًا الطاقة لأحب أقرب الناس لي «إِنَّ أَبِي وَأُمِّي قَدْ تَرَكَانِي وَالرَّبُّ يَضُمُّنِي» (مزمور٢٧: ١٠)؟ (ذكّر نفسك بآيات الإنجيل!).

التأمل يُحوِّل المُعتقَد إلى راحة، والحقائق اللاهوتية إلى شعور ملموس، والإيمان إلى واقع. لا يتعلق الأمر بفهم حقائق الكتاب المقدس، بل يتعلق بحقائق الكتاب التي يتم نقلها إلى قلبي؛ اختبارها، تذوقها، إنه عن الحقائق التي تبدو "رائعة"، وتلمس عواطف قلبي[٨].

---

[٨] إذا كنت ترغب في قراءة قصة كلاسيكية عن التأمل، أوصي بكتاب "ممارسة التمتع بوجود الله"، الذي كتبه الأخ/ لورنزو.

٢ – القراءة اليومية للكتاب المقدس

بعد أن تعرَّفنا على أهمية التأمل، أُريد أن أؤكد سريعًا أنه من المستحيل زيادة حبي لله إن لم يزدَد انفتاح قلبي على كلمته. في القيام بذلك، نحن لا نسعى إلى معرفة أعمق عن الله، بل نبحث عن الله نفسه.

كيف نُعمِّق حبنا لله؟ أنت تعرف بالفعل الجواب. العودة لاختبار الإنجيل مرة أخرى. كما حاولت التأكيد على التأمل، فإن الهدف الرئيسي من قراءة الكتاب المقدس، ليس الحصول على معلومات جديدة (على الرغم من أن الحصول على معلومات جديدة مهم للغاية)، لكن الهدف الرئيسي هو أن تؤدي المعلومات إلى إحداث تغيير حقيقي في القلب. يقول عبرانيين ٤: ١٢، ١٣ «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا».

هل لاحظت أهمية قراءة الكتاب المقدس؟ لأرى ما يراه الله بالفعل! لتنكشف رغبات القلب الحقيقية! لتأتي إلى النور أشواقي وآمالي العظمى! لِأكتشف دوافعي المَخفية! تقول الآية: إنه لا يوجد شيء "مَخفي عن الله". وهذا يعني أنه يعرف بالفعل ما أُحبه. إذن مَن هو الذي يعاني من المجيء إلى النور؟ أنا! ما الذي أحتاجه؟ أقرأ كلمته بحيث "تخترق" قلبي في العمق! عندما تخترق الكلمة قلبي، ينفصل إلى نصفين. ماذا أفعل حينئذٍ؟ في هذه الحالة، أتعرَّف على رغباتي العميقة. هذا يساعدني على التمييز بين دوافعي النجسة، ودوافعي النقية.

يقول الكتاب المقدس في العدد ١٢، "القلب"، وهذا يعني أنه يسمح لي أن أرى ما أُحبه! (الفكرة نفسها يُعبِّر عنها يعقوب ١: ٢٤ حيث يقول لنا الكتاب: إن هدف التعرُّض للكلمة، هو أن يدرك المرء "هويته الحقيقية"). ماذا يحدث عندما ينكشف قلبي؟ أدرك مرة أخرى، كم أحتاج إلى الله وعمله؛ وبعبارة أخرى؛ أُقدِّر الإنجيل مرة أخرى.

أعرف أنك في هذه اللحظة قد تُفكر: "جيد جدًا. لقد اقتنعت. أحتاج إلى قراءة الكتاب المقدس يوميًا. كيف أفعل ذلك إذن؟ أقرأ، ولكن لا أخرج باستفادة كبيرة من قراءتي". لقد كتبت الملحق ٢ لمساعدتك في هذا الصدَد. ما هي محتويات هذا الملحق؟

سوف يمنحك ذلك أدوات عملية لقراءة الكتاب المقدس بهدف مزدوج: **أن تركز على القلب، وتركز عليه بطريقة تتمحور حول المسيح.** (للاستفادة من هذا الملحق، أنصحك بقراءته بهدوء، ودون تسرُّع)[٩].

٣- قراءة الكتب المسيحية

كما يُقال دائمًا: "قُل لي ما قرأته، وسأُخبرك مَن أنت". القليل من الأشياء تؤثر على قلوبنا، أكثر من الأفكار الجيدة في كتاب جيد. كتب جون بايبر: "أنا أتفق مع مارتن لويد جونز ، على أن النضال من أجل إيجاد وقت وطاقة للقراءة، هو صراع من أجل الحياة نفسها".

أعلم أن معظم خدام الكلمة يشجعون دائمًا على قراءة الكتاب المقدس (وأنا أتفق معهم بكل تأكيد)، لكنني أُدرك أيضًا، أن الكثير من الناس يقرأون الكتاب المقدس دون فهمه تمامًا أو (كما أوضحت في الملحق ٢) دون تفسير مناسب (الذي يركز على القلب والصليب). لتعويض هذا الجانب، أعتقد أن قراءة الكتب التي تتمحور حول المسيح، يمكن أن تساعدك على تطوير نظرة صحيحة أكثر للعالم، وفي الوقت نفسه، تسمح لك بالاستمتاع بالله حتى تتعلَّم الحصول على أقصى استفادة من الكتاب المقدس.

إذا كان ما أقوله يبدو كهرطقة، تذكَّر أن الهدف الرئيسي من البحث عن الله، ليس في قراءة الكتاب المقدس، بل في مقابلة حقيقية معه. (في الملحق ٣، ستجد "قائمة بالكتب الموصى بها". هناك يمكنك العثور على مراجع ممتازة للتغذية على التعليم الصحي والراقي)[١٠].

---

٩ **هام**: إذا كنت تقرأ هذا الكتاب مع شخص آخر أو مع مجموعة صغيرة من كنيستك، فإنني أوصي بأن تأخذ يومًا إضافيًا لدراسة الملحق ٢ بالتفصيل، وعندما تنضم إلى مجموعتك، أنصح بقراءة مقاطع مختلفة من العهد الجديد، حتى يتم تطبيق المبادئ الثلاثة التي تم شرحها في هذا الملحق.

١٠ تأمل في ما يلي: إذا بدأت الانتظام في قراءة خمس عشرة أو عشرين دقيقة يوميًا، فستتمكن من قراءة كتابًا شهريًا. (يتضمن ذلك عدة أيام من "النعمة" حيث لا يمكنك القيام بذلك لأسباب مختلفة).

فكِّر في الأمر! اثنا عشر كتابًا في السنة. إذا قمت بذلك خلال خمس سنوات، فستكون قد قرأت ستين كتابًا! (هذا يعني أنه في غضون خمس سنوات فقط، سيكون لديك إمكانية تعريض قلبك للعديد من أعظم المفكرين في تاريخ المسيحية. ما هو نوع التأثير الذي تعتقد، يمكن أن تُحدِثه هذه الممارسة على حياتك الروحية؟).

٤ – الاستماع إلى الوعظ الذي يتمحور حول المسيح

أنا مقتنع بأن الوصول إلى الإنترنت قد أتاح لنا إمكانية الاستمتاع بواحدة من أعظم بركات القرن الحادي والعشرين، وهو إمكانية الاستماع إلى خدمات ورسائل أي واعظ في العالم. بصراحة، هناك القليل من الأشياء التي أثرت في حياتي الروحية، ولكن ليس بمقدار تطوير عادة الاستماع إلى خدمات لوعاظ جيدين. حتى الآن، أستمع إلى خدمة في اليوم الواحد. كيف أفعل ذلك؟ اخترت قِسًا يعجبني (ستجد أسماءهم في الملحق ٣)، وأستمع إلى ستين أو سبعين خدمة لهذا المُتكلم حتى أدخل إلى "عقله" وأبدأ في التفكير كما يُفكّر، و"أتصوَّر" الله كما هو يتصوَّر. بمجرَّد أن أشعر بالملَل ورغبة بتغيير المُتكلِّم، أختار واحدًا آخر، وأفعل الشيء نفسه مرة أخرى.

كيف أجد الوقت الكافي للاستماع إلى العديد من الرسائل؟ إنه أمر سهل للغاية، الحقيقة هي أنني أحاول الاستفادة من "الأوقات الميتة". أحب أن أفعل ذلك في كل مرة أمارس فيها الرياضة وخاصةً الجري، أو عندما أقود سيارتي إلى الكنيسة.

هل لديك فكرة عن عدد العظات التي يمكن أن تسمعها إذا كنت تقود إلى عملك نصف ساعة في اليوم؟ دون بذل الكثير من الجهد، يمكنك سماع أكثر من ٥٠٠ خدمة في السنة! إذا استمعت لعظة واحدة أثناء ذهابك إلى العمل، وواحدة أخرى في طريقك إلى المنزل لمدة ثلاثين دقيقة، فستصل إلى عشر خدمات في الأسبوع الواحد. (اِضرب عدد الخدمات الأسبوعية العشر في اثنين وخمسون أسبوعًا في السنة، وستحصل على العدد النهائي).

لكن تخيَّل أنك تفعل ذلك نصف الوقت فقط. عند الذهاب إلى العمل، تسمع رسالة، وتعود من العمل وأنت تسمع الموسيقى (أو إذا كنت تستخدم وسائل النقل العام، فيمكنك أن تتحدث عن المسيح إلى أحد الركاب أو تقوم بحفظ الآيات في الطريق). ببساطة، باستخدام هذا "الوقت الميت"، سوف تكون قد استمعت إلى خمس رسائل، أكثر مما تسمع في عام كامل في كنيستك!

هل تعتقد حقًا أن هذا الروتين لن يكون له تأثير كبير على حياتك الروحية؟

مفتاح الانتظام على هذه التدريبات الروحية،
هو دمجها داخل جدولي اليومي.

٥ ـ الصلاة

هل لديك مشكلة في الصلاة؟ لا تقلق، أنت لست الوحيد. أجد نفسي في كلمات د. مارتين لويد جونز:

"في كثير من الأحيان، أجد من الصعب عليَّ أن أبدأ بالصلاة في الصباح .. لم اكتشف أي شيء أكثر أهمية من تعلُّم تهيئة الظروف التي يمكن للمرء أن يُصلِّي فيها .. مثل قراءة شيء تأمُّلي. فهو بمثابة قيمة كبيرة. لا أقصد شيئًا عاطفيًا، بل أقصد شيئًا يتضمَّن عنصرًا حقيقيًا من العبادة .. اِبدأ بقراءة شيء يُريح روحك .. عليك أن تتعلَّم أن تشعل روحك .. عليك أن تتعلم كيف تستخدم المُحرِّك الروحي".

أنا شخصيًا أقرأ دائمًا شيئًا قبل الصلاة (على سبيل المثال كتاب "رحمة جديدة كل صباح" للكاتب بول تريب). أحتاج إلى "إشعال" قلبي قبل التحدُّث إلى الله. لا أحب أن أُصلِّي لمجرَّد فكرة أنني يجب أن أقوم بذلك، بل أحب أن أُصلِّي لأنني أتوق إلى ذلك. لذلك أجد أن قراءة شيء مُلهِم يساعدني[١١]. كتب J. C. Ryle:

"الصلاة والخطية لا يمكن أن يعيشا في نفس القلب. **إما أن تغلب الصلاة الخطية، أو أن تخنق الخطية الصلاة** .. الاجتهاد في الصلاة هو سر التقديس .. أنا شخصيًا أعتقد أن العادات المختلفة في الصلاة، تصنع الاختلاف في تسع عشرة حالة من أصل عشرين حالة. وأعتقد أيضًا، أن كل هؤلاء المؤمنين الذين لا يبرزون في العالم الروحي، هو لأنهم يُصلُّون قليلاً، على العكس من ذلك، الأتقياء يبرزون لأنهم يُصلُّون كثيرًا".

---

[١١] أنا أفهم ما قاله سورين كيركيجارد: "يا رب، اِجعلني إنسانًا ذا رغبة واحدة". هذا ما نسعى إليه عند الصلاة؛ قلب هدفه الوحيد، هو العثور على مصدر الحياة والفرح في شخص المسيح.

يُعرِّف جون بايبر الصلاة في سفر أيوب ٤٠: ٣، ٤ على أنها طلب إلى عريسنا السماوي. ثم يُفكِّر في إمكانية أن نطلب من زوجنا الأرضي القيام بزيارة إلى بيت الدعارة. نقرأ في يعقوب ٤: ٢- ٤ «تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ. تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُم. أيها الزناة والزوانيْ».

"المفتاح هو في كلمة" "الزنا". لماذا يدعونا "زناة"؟ عندما نطلب شيئًا لمُتعتنا الخاصة؟ لأن **الله هو عريسنا، والعالم هو اللص الذي يشجعنا على إعطاء محبتنا له بدلاً من الله**. وهكذا دون أن ندري، يتحول حب العالم إلى خطية .. "جون بايبر، الجوع لله، ص٨٠".

٦ – الصوم

فكِّر في إمرأة هادئة للغاية، جميلة وخجولة، وانطوائية. ما الذي يجب أن يحدث لهذه المرأة لتصبح شخصية شجاعة وجريئة وغير مُكبَّلة؟ فكِّر للحظة، فالعملية ليست معقدة كما يظن المرء.

انظر التغيير الذي يحدث لها لكي تتغير في غمضة عين، إذا حدث أن فقدت ابنها في وسط حشدٍ كبير، أو إن خطفه شخص ما. أؤكد لك شيئًا ما. إذا كانت تواجه مشكلة في التحدُّث من قبل، فستتحدث الآن إلى الجميع، وستسأل في لهفة عما إذا كان أي شخص قد رأى طفلها الصغير. إذا كانت شخصية رزينة وهادئة وخجولة لبدء محادثة، فستكون الآن جريئة ومُتهورة وصريحة. ستضع هذه المرأة جانبًا، جميع الإجراءات الرسمية، وستبذل قصارى جهدها لاستعادة طفلها، في يأس، ولكن بالحرص التام. يحدث شيء مُشابه مع الصوم.

يقول لنا مزمور٦٣: ١- ٥ «يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ، لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ. كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ. لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ. هكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيّ. كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيْ الابْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي».

من خلال الصوم نُعبِّر عن جوعنا لله.

مثل أي شيء آخر، الصوم يصرخ: "الله، أنا مشتاق لإيجادك مرة أخرى!".

ما هو الصوم؟

ببساطة، الصوم هو الامتناع عن الطعام من أجل البحث عن الله بجوع أكبر. الصوم ليس التوقف فقط عن الأكل والاستمرار في التصفح في صفحتك الخاصة على Facebook، بل الصوم ينطوي على فصل وتخصيص ذلك الوقت للقاء مع الله. هو أن تمنع نفسك من تناول الأطعمة المادية، لتكريس الشهية لتلبية احتياجاتك الروحية.

أثناء الصوم، يتوقف المرء عن الأكل لأنه لا يجد الشبع. ولكنه ليس جوعًا من أجل الطعام، بل الجوع لاختبار الله. أي أن الصوم يقول: لا لشهيتنا الطبيعية، ليقول: نعم لأعمق شهية للقلب؛ أن يجد الشبع في شخص الله.

الصوم هو تعبير عن قلب غير راضٍ.
إنه الصراخ الصامت للروح الجائعة.
إنه إرادة ذاتية لشخص قد تذوَّق الحياة،
ويريد أن يتذوَّقها مرة أخرى.

ما الأشياء التي يجب أن أصوم عنها؟ أي شيء يستعبد شهيتك له أو يُضعِف من شهيتك لله. يمكنك الصوم عن شاشات التلفزيون، وFacebook، ووقت الفراغ، وممارسة الرياضة، وتناول الطعام في المطاعم، ويمكنك حتى الصوم عن الكلام! (لديَّ صديق أستاذ كان يحب أن يشارك بكلمة في اجتماع المُعلّمين الأسبوعي، فقرَّر الصوم عن الكلام وعدم التفوُّه بشيء في هذه الاجتماعات لمدة عام). كما كتب بايبر: "سنفعل أي شيء، ونحرم أنفسنا من أي شيء، وبأية وسيلة، يمكن أن نحمي أنفسنا من الآثار الضارة لملَذَّاتنا البريئة، والحفاظ على حنيننا إلى الله. لن نحرم أنفسنا من الطعام فحسب، بل من أي شيء آخر".

الصوم ليس رفض ما هو مُضر،
لكن الصوم يتمثل في رفض ما هو مشروع لاختيار الأفضل: الله[١٢].

٧- المرجعية والمُساءلة

كل يوم أربعاء، أُقيم أنا وشيوخ كنيستنا اجتماعًا أسبوعيًا لمناقشة مختلف تحديات الخدمة في كنيستنا. هل تعرف ما هو أول شيء نفعله في كل مرة نجتمع فيها؟ نشارك صراعنا مع الخطية وخطايانا. نعم، نحن الثلاثة نفتح قلوبنا على مصراعيها، وبدون محاولة تبرير السقوط أو تمويهه، نُعبِّر بصراحة عن أكثر صراعات نجد فيها صعوبة منذ آخر مرة رأينا فيها بعضنا البعض. من خلال القيام بذلك، نحاول "وضع اسم وتفسير" لسقطاتنا. ماذا أقصد؟ نكون مُحدَّدين وواضحين للغاية بشأن زلاتنا، ونتجاهل تعميم الأشياء. بماذا نعترف؟ كل ما يتطلَّبه الأمر! حياتنا الجنسية، تعاملنا مع عائلتنا، أحلك

---

[١٢] اسمحوا لي أن أُقدِّم لكم اقتراحًا عمليًا: اشترِ لنفسك كتاب "الجوع لله" لجون بايبر، وخلال وقت الصوم، اِقرأ فصلاً من هذا الكتاب، ثم اقضِ بعض الوقت في الصلاة لتبحث فيه عن الله. اِسمحوا لي أن أكون أكثر تحديدًا. أقترح الصوم في أي يوم من أيام الأسبوع عن وجبة الغداء؟ (نعم، يمكنك القيام بذلك في المكتب أو في الشارع أو في ورشة العمل، لِمَ لا؟). نظرًا لأن الكتاب يحتوي على سبعة فصول، ستحتاج فقط إلى سبعة أسابيع للقيام بذلك.

أفكارنا (الحسد، الكبرياء، المرارة، الغضب، إلخ). القاعدة بسيطة جدًا. ما الذي يجب أن أن نُشاركه مع الآخرين؟ ما لا أُريد مشاركته مع أي شخص! (بقية الأشياء يمكنك أنت والله إصلاحها وحدكما). لماذا؟ لأن ما لا أريد مشاركته هو ما يربطني ويستعبدني ويمنعني من العيش في النور.

رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٦: ٢ تقول: «اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ». كيف سيحمل شخص آخر "عبء" ما لم أُشاركه؟ يقول الكتاب في يعقوب ٥ : ١٦ «اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا. طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا».

ما هي الصلاة الفعالة؟ إنها تلك الصلاة التي أقوم بها لشخص آخر بعد أن شاركني بزلاته! أي الآن بعد أن عرفت ما هو "العبء" الخاص به لأنه اعترف لي به، يمكنني أن أُصلّي من أجله بطريقة "فعالة" ومُستنيرة. (من الناحية المنطقية، يوضح النص أن هذه علاقة ثنائية الاتجاه، حيث أُشارك أيضًا صراعاتي معه. هنا لا يوجد "خادم" و "مخدوم"، بل نتحدَّث عن شخصين يحتاج كلاهما إلى الترميم والشفاء).

كيف يساعدنا الاعتراف[١٣]؟

من نواح كثيرة، ولكن دعني أذكر أهم اثنين:

أولاً: يساعدنا على منع السقوط من جديد. أنا وأنت نعلم جيدًا أن هناك خطايا واتجاهات في قلوبنا أصبحت عادات. تتكرر مِرارًا وتكرارًا. لقد صلَّينا، صُمنا، حاولنا التوقف عن السقوط فيها؛ ولا شيء يحدث، ولا يزالون هناك. الاعتراف، كما رأينا في ملحق الطاعة، هو عكاز يمكن أن يساعدنا على الطاعة عندما لا نريد ذلك. مَن الذي يسعده "أن يتعرَّى" أمام الآخرين ويشاركهم بأكثر سقطاته سرًا؟ إن معرفة أنك ستضطر للقيام بذلك، يمكن أن يساعدك في أوقات الضعف. نعم، أنا أُدرك أنها ليست أكثر الدوافع التي تركز على المسيح، لكنني أدرك أيضًا أننا لا نزال نزني في قلوبنا. كما قلت في

---

[١٣] الكاتب لا يقصد الاعتراف لشخصية كهنوتية، وهي من جانب واحد، لكنه يُشارك فكرة الاعتراف المُتبادل بين المؤمنين معًا للارتقاء بحياة القداسة. وهذا الرأي، رغم أنه جديد على مسامعنا، فهو لا يُفرَض علينا، لكن يُرجى امتحانه في ضوء كلمة الله. **(الناشر)**.

الملحق، إنه عكاز مؤقت، نحن نستخدمه في أوقات الضعف أو عندما يكون لدينا منطقة مُعيَّنة نناضل فيها (والتي تختلف حسب كل شخص)، وهذا "العبء" لا يمكننا التغلُّب عليه دون مساعدة. لماذا نفعل ذلك؟ ليغفر الله لنا؟ بالطبع لا! نحن نفعل ذلك لأننا ندرك أن لدينا قلبًا ضعيفًا، ونريد الاعتناء به لتقديمه فقط إلى حبيبنا الحقيقي. نحن نفعل ذلك، كما رأينا في متى ٥: ٢٩، لأننا نريد "التخلُّص" من أي إغواء يمكن أن يضر بالعلاقة الخاصة التي تربطنا بيسوع.

ثانيًا: الاعتراف يساعدنا على تقدير الإنجيل مرة أخرى، كما كتب ريتشارد فوستر: "لقد أعطانا الله مؤمنين ليكونوا إخوتنا في المسيح حتى يساعدونا على فهم وجود الله وغفرانه الحقيقي لنا". هل أنا الوحيد الذي يشعر بذلك، أم هل تأتيك لحظات عندما تحتاج إلى شخص آخر من اللحم والدم لتذكيرك بمغفرة الله الكاملة والتامة؟ يمنحك "الاعتراف" هدية صديق "راعٍ" يُذكِّرك بأنك محبوب ومقبول في المسيح[١٤]. **من ناحية أخرى**، هناك ميزة أخرى للامتيازات العظيمة للاعتراف، وهي أنه من خلال مشاركة خطيتك، أصبح لديك الآن شخص يعرف صراعك بالتفصيل، ويمكنه تقديم النصائح لك بمعرفة السبب، ويعطيك منظورًا جديدًا حول سبب صراعك مع ذلك، وكيفية التغلب عليه[١٥].

---

[١٤] أحد أساسات حركة الإصلاح البروتستانتي هو "كهنوت كل مؤمن". في رفض الكنيسة الكاثوليكية لهذا الفكر، فقَدنا قيمة هذه الحقيقة الثمينة. لكن الاعتراف المُتبادل يُذكّرنا بتلك الحقيقة. كما يقول ١بطرس ٢: ٩ «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ». ليس فقط يمكننا أن نعظ بعضنا البعض، ولكن يجب علينا فعل ذلك.

[١٥] إذا كنت لا تعترف عادةً بزلاتك لشخص آخر، فأنا أعلم أنك قد تفكر: "ليس لديَّ مَن أثق فيه. من ناحية أخرى، ماذا لو أخبرت صراعاتي العميقة لشخص آخر، ثم قام بنشرها؟" (هذه المشكلة موجودة بين كثير من الكنائس. الكل يعتقد أن وضعهم فريد، وأنه لا يوجد شيء يمكن القيام به حيال ذلك).

الحقيقة هي أن لدينا جميعًا "أسبابًا جيدة" لعدم مشاركة نضالاتنا. السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا هو: ما إذا كنا نهتم بسُمعتنا أكثر من قداستنا. ما أكثر الأشياء التي نحبها: رأي الآخرين أم شركتك مع الله؟ نعم، من الممكن أن يقوم شخص ما بنشر سِرّك. قد حدث ذلك مرة واحدة معي. (وأعتقد أنني شاركت خطاياي الشخصية مع أكثر من خمسين شخصًا في عدة قارات حول العالم). اقتراح عملي؟ حاول مشاركة شيء ليس عميقًا مع شخص تثق به، وانتظر لترى كيف يتفاعل. إذا وجدته جديرًا بالثقة. يمكنك الوثوق فيه تدريجيًا، والاعتراف بصراعات أعمق. إذا شعرت أنه لا يعرف كيف يتعامل مع مشاكلك أو أنه قد أباح بسِرّك، كرر العملية مرة أخرى حتى تجد شخصًا مناسبًا. وكما يقول سفر الجامعة ٤: ٩، ١٠: «اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ، لأَنَّ لَهُمَا أُجْرَةً لِتَعَبِهِمَا صَالِحَة. لأَنَّهُ إِنْ وَقَعَ أَحَدُهُمَا يُقِيمُهُ رَفِيقُهُ. وَوَيْلٌ لِمَنْ هُوَ وَحْدَهُ إِنْ وَقَعَ، إِذْ لَيْسَ ثَانٍ لِيُقِيمَهُ». لكن دعني أُخبرك سرًا. لا أحد سيقترب اليك ليُشجعك على الاعتراف له. عليك أن تقوم بالمبادرة! المفتاح لبدء ممارسة هذا التدريب، هو أن تبدأ بنفسك.

٨ – الخدمة

أعلم أني قد كرَّست فصلاً كاملاً للخدمة، لكن أريد فقط في هذه اللحظة أن تفكر في حقيقة ذات صلة وثيقة للغاية. لماذا تعتقد أن يسوع قال: «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ؟» (أعمال ٢٠: ٣٥). لماذا يكون الشخص أكثر سعادة عندما يعطي، من عندما يتلقى؟ فكِّر في الأمر للحظة قبل قراءة المزيد. ما هو الشيء المُميّز في الأَخْذِ؟ أوَّد أن ألخص الإجابة في ثلاث جُمَل:

القليل من الأشياء، تجعلك تُشبه الله أكثر من خدمة الآخرين.

القليل من الأشياء، تجعلك تختبر الله كخدمة الآخرين.

القليل من الأشياء، تجعلك تختبر فرح الله كخدمة الآخرين.

هل لاحظت العلاقة بين هذه الجُمَل الثلاث؟

اسمحوا لي أن أشرح هذا الاتصال الثلاثي بطرح سؤال: كيف ستفكر في الله إن لم يتجسَّد يسوع المسيح؟ تأمل لبضع ثوانٍ: أي نوع من الآلهة كنت ستعبده، إذا كان كل ما تعرفه عنه، هو ما كُتِبَ في العهد القديم؟ أعتقد أن السؤال عميق للغاية، ويستحق إجابات متعددة، لكن اسمحوا لي أن أوضح جانبًا من جوانب الله، لا يمكن معرفته بدون يسوع.

الله لديه قلب خادم. يقول يوحنا ١٣: ٤، ٥ «قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا».

ماذا يُظهِر لنا يسوع عن قلب الله في هذا المشهد؟ **أن الله يجد السرور في الخدمة.** فكِّر في الأمر. مَن الذي "يجعل شمسه تشرق على الخاطئ والبار؟ مَن يجعل السماء تُمطِر على الصالحين والمُذنبين؟". الله يفعل ذلك. ما الذي يُقدمه لنا؟ إنه يخدمنا! ماذا يفعل عندما يستجيب طلباتنا؟ إنه يخدمنا! ليس ذلك فحسب، بل يُظهِر أيضًا رغبته في خدمتنا من خلال أمره لنا بالمواظبة على الصلاة! أي أنه يطلب منك أن تطلب منه أن يخدمك! أي نوع من الآلهة يفعل هذا؟ يمكن أن تستمر قائمة الطرق التي يخدمنا بها الله بدون أية أنانية، لكنني متأكد من أنك حصلت على هذه الفكرة.

الآن دعنا نقرأ مرة أخرى كلمات يسوع: «كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلَ فَرَحُكُمْ» (يوحنا ١٥: ١١). هل تستطيع أن ترى العلاقة بين قلب الله، وسعادته بالخدمة، وأمره لنا لنكون مثله، والنتيجة النهائية: «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ؟». العطاء يجعلك تحب الله! العطاء يسمح لك أن تشعر بما يشعر به الله عندما يخدمنا!

الله يجد الفرح في الخدمة

⇩

الله يريدني أن أخدم

⇩

مَن يخدم الآخرين، يصبح مثل الله: إنه يختبر مُتعة العطاء.

ما هو الذي نستنتجه من هذا الاتصال الثلاثي؟ عليك أن تجعل الخدمة تدريبًا. عليك أن تختار نشاط خدمة منتظم (أقترح أسبوعيًا) حيث يمكنك الالتزام بخدمة الآخرين. هل تقبل اقتراحًا عمليًا؟ أنصحك باختيار نشاط داخل الكنيسة، ونشاط خارجها؛ في منطقتك، في مجتمعك أو في بعض المراكز الاجتماعية. لماذا واحد بالخارج، وواحد في الداخل؟ لعدة أسباب، لكنني سأُعطيك اثنين فقط:

لقد دعانا الله أن نبارك العالم، وليس فقط الكنيسة؛ أن نحب الآخرين، وليس فقط الإخوة. هل تتذكَّر قصة السامري الصالح؟ مَن هو جاري؟ هو ذاك مَن ليس مِن مجتمعي أو من دائرة قريبة. في حالتنا؛ غير المؤمنين. كما قال يسوع: «أَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟» (متى ٥: ٤٦، ٤٧). من ناحية أخرى، إذا لم نخدم الناس خارج الكنيسة، فكيف سنُظهِر لهم حب الله؟ كيف سنتحدَّث معهم عن الله الذي نزل من السماء وتجسَّد ليموت من أجلهم، إذا لم نُضحي براحتنا لنُحبهم بطريقة عملية، ونُخبرهم عنه؟

٩ – مشاركة الإنجيل

أوَّد أن أنهي هذا الفصل بالتفكير بإيجاز عن التبشير. كما لاحظتم للتو في الخدمة، أُريد أن أُريكم العلاقة الثلاثية القائمة بين دعوة الله للتبشير؛ اختبار الله في التبشير، واختبار

"الفرح الإلهي" الذي يدعونا إليه. في الجزء المعروف لوقا ١٥: ١-٣٢، شارك يسوع بثلاثة أمثال: رجل يفقد خروفًا ضالاً. إمرأة تفقد درهمًا. وأب يفقد أحد أولاده. هل تتذكَّر ماذا فعل الرجل عندما وجد الخروف الضال؟ حفلة! دعا جميع أصدقائه وجيرانه، وقال: «افْرَحُوا مَعِي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ!».

هل تتذكَّر ما فعلته المرأة عندما وجدت عُملتها؟ احتفالاً! دعت جميع صديقاتها وجيرانها لتُخبرهم حرفيًا بنفس الكلمات التي قالها الرجل في القصة السابقة: «افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ!».

هل تتذكَّر ما فعله الأب عندما وجد ابنه؟ رتب حفلة عظيمة! «فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ» (لوقا ١٥: ٢٢).

هل لاحظت أن كل الأفعال المذكورة أتت بصيغة الجمع؟ الحفلة ليست له ولابنه فقط، ولكن الحفلة تشمَل جميع أقاربه وخدَمه! هل ترى ما أقصده؟ القصص الثلاث تخدم الهدف نفسه. عندما يتوب شخص ما، هناك الكثير من البهجة في قلب الله، لدرجة أن أقرب مثال إنساني لهذا الموقف، هو حفلة يستمتع بها الله، ليس وحده، ولكن مع الجميع.

لكن انتبه!

ليس أي نوع من الحفلات! الفكرة هنا تُشبه حفلاً أُقيم في بلد فازَ بكأس العالم، أو بفكرة رجل يفوز في الانتخابات ويدعو الجميع لتناول العشاء، أو بفرد من العائلة قد أُصيب بسرطان وشُفيَ منه بمعجزة. يحتفل الجميع معًا، لأن الجميع يتشاركون في الفرح! فرحة الراعي، والمرأة، والأب، كبيرة ومُميَّزة للغاية، بحيث لا يستطيعون عدم مشاركتها! ولكن متى يبدأ الحفل السماوي العظيم؟ «أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ، أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ». هل انتبهت لكلمات الآية؟

الله لا يبدأ الحفل بتسعة وتسعين بارًا، أو عندما يَكملون مائة؛

يبدأ الله الحفل، عندما يتوب خاطئ واحد!

هل يمكنك رؤية قيمة توبة شخص واحد لله؟ هل تستطيع أن ترى فيض الفرح الذي يُنتجه شخص واحد في قلب الله؟ هل هذه هي الصورة التي لديك عن الله؟

لكن دعني أُكمِل المشهد.

تخيَّل الآن صورة لمُتسوِّل: فكِّر في شخص عاش في الشارع لسنوات. فكِّر في شخص لم يستحم منذ شهور، ولم ينظف أسنانه بالفرشاة، وله شعر خشن ورائحة كريهة للغاية، لدرجة أنه لا يمكنك الاقتراب منه دون تغطية أنفك. هكذا كان حال الابن الضال. ومع ذلك، يقول الكتاب: «وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ». الفعل اليوناني يُشير إلى استمرار العمل. الفكرة هنا هي: "وقبَّلَهُ، وقبَّلَهُ، وقبَّلَهُ! ولم يتوقف عن تقبيله!".

أنا أسألك مرةً أخرى: هل هذه هي صورتك عن الله؟ إله يجد الكثير من الفرح في مُعانقة الخاطئ التائب، حتى تفيض مشاعره، لدرجة أنه لا يستطيع التوقف عن تقبيله! هل تُدرك أن الفرح الذي يشعر به، هو الفرح الذي يريد مشاركته معك؟ هناك جانب واحد من جوانب السعادة التي يشعر بها الله عندما يتوب شخص ما، بحيث لا يمكنك الشعور به إلا عند الكرازة، وربح نفس واحدة لله (فليمون ١: ٦).

هناك فارق بسيط، سِمَة من سِمَات قلب الله لا يمكنك أبدًا تجربتها، إلا إذا كنت اختبرت الكرازة (الشيء نفسه ينطبق على التلمذة). كما قال أحدهم ذات مرة: "**أنت لم تَعِش حياتك بالكامل، حتى يتم استخدامها من قِبَل الله لإنقاذ حياة شخص أخر**".

مارِس مشاركة الإنجيل مع أصدقائك وجيرانك.

استمع إلى دعوة مَن يقول: "اتبعني. وسأجعلك من صيادى النفوس .. لقد أخبرتكم بهذه الأشياء، حتى يكون فرحي فيكم، ويكون فرحكم كاملاً".

ملخص موجز



قلب الله يختلف عمَّا أتخيَّله.

لا أحتاج أن "أفوز" بحبه .. إن الله يُحبني كأب يحب ابنه، بسبب عمل ابنه يسوع المسيح على الصليب.

خلاصة القول:

- يجب أن أتعلَّم أن أبحث عن الله، مُتذكِّرًا كم هو عظيم حبه لي، وليس بهدف إثبات كم هو عظيم حبي له.
- يدعوني الكتاب المقدس إلى حماية قلبي من كل ما يمكن أن يسد شهيتي لله، وأيضًا أن أكشف قلبي أمام كل ما قد يزيد من جوعي له.
- لا أحد يُغيِّر قلبه بسبب عاداته، لكن لا أحد يُغيِّر قلبه دون وجود عادات جيدة. لا يمكنك التلاعب أو إجبار الله على القيام بشيء ما من خلال سلوكك، لكنك مسؤول عن تعريض قلبك للوسائط التي يستخدمها عادةً لتغييرك. أنت تُقرِّر أين "تزرع"، لكن الله هو الذي يعمل على نمو البذرة.
- "**الزرع في الجسد**" يعني استخدام جميع الموارد المُتاحة لي لإيجاد الحياة، والارتياح خارج المسيح مُعتقَدًا خطأ؛ أن هذا سيجلب لي السعادة.
- "**الزرع الروحي**" يعني الاستفادة من كل الوسائل التي يُقدمها الله، واستخدامها حتى أتمكن من الحصول على نعمته وملئها.
- **التدريبات الروحية**، هي أدوات يستخدمها الله للكشف عن نفسه وتغييري. الممارسة المنتظمة لهذه التدريبات، أمر حاسم للغاية، للنمو الروحي.

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- كيف غيَر هذا الفصل أو أكدَ طريقة فهمك لكيفية حدوث التغيير؟
- لخص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمسَت قلبك في هذا الفصل.
- لا يمكنك فعل أي شيء لتغيير نفسك، لكن يمكنك أن تُغير الظروف حتى تُهيئ المجال لله كي يُغيِّر قلبك. كيف تُفسر هذه الديناميكية، من حيث إن الله هو الذي يُغيِّرنا، لكننا مسؤولون عن التغيير؟
- هل هناك أي شخص أو نشاط أو عادة يجب عليك القضاء عليها من حياتك لحماية قلبك؟ ماذا يعني التخلّي عن هذا؟ لماذا تعتقد أنه من الصعب عليك أن تترك تلك العادة، أو هذا النشاط؟
- ماذا يعني أن تزرع في الجسد، وأن تزرع في الروح؟ ما هي الطرق التي تستخدمها في كِلتا الحالتين؟
- كيف يمكنك تحديد التدريبات الروحية؟ أي منها تجده أكثر نفعًا؟ لماذا؟ ما هو التدريب الذي تعتقد أن الله يطلب منك البدء في ممارسته؟

* * *

الفصل الثالث عشر

روح جديدة لمواجهة الصراعات

الصراع يساعدنا على التغيير

من بين الوسائل المُتعددة التي يستخدمها الله لتغييرنا، نجد الصراعات على رأس القائمة. من الأشياء التي يمكن أن تساعدنا على أن ننضج هي: الخلافات؛ ولكن، في المقابل، قد تقودنا بعض الأشياء إلى "التدهور" أو "افتقاد النضج اللازم".

يمكن للصراع أن يجلب مستوى جديدًا من الضوء إلى حياتك (مما يسمح لك برؤية المشاعر الخفية التي لم تَرها من قبل) أو يمكن أن يزيد من مستوى العمى لديك (خداع وإقناع قلبك بأن المشكلة خارجك). **وجود صراع، أو المرور بوقت مِحنة، لن يتركك كما أنت.** سوف تنمو في فهم أعمق لكيف يعمل قلبك الزاني، وكيف تتعامل معه، أو سوف تؤكد لنفسك أن العمى الروحي الخفي يربطك ويُقيدك.

ما هو الصراع؟

الصراع هو اختلاف في الرأي بين شخصين أو أكثر بشأن مسألة مُعيَّنة. على سبيل المثال: أُريد ضبط المنبه في الساعة السابعة، بينما تريد زوجتي ضبطه عند الساعة السادسة والنصف. أُريد أن أكون أكثر مرونة مع الأطفال، بينما تعتقد هي أنه يتعيَّن علينا أن نكون أكثر صرامة. الصراع هو اختلاف في الرأي. هذا أمر طبيعي جدًا، وجود مثل هذا الاختلاف ليس مرادفًا للخطية. ومع ذلك، فإن اختلاف الرأي حول قضية ما، يمكن أن

يتصاعد (وغالبًا ما يحدث) إلى شيء أكثر خطورة ويتحوَّل إلى خطية. بهذا المعنى، قد يكون من المفيد للغاية التحدُّث عن نوعين من الصراعات: **الخلافات والصراعات.**

الخلاف، هو الفرق الذي يتم التعامل معه بشكل صحيح. هي تؤمن بـ "أ"، بينما أنا أؤمن بـ "ب"، وبعد الحوار، نتوصَّل إلى قرار يرضي الطرفين. (لاحظ: كِلا الطرفين، وليس واحد فقط). **أما الصراعات،** هي اختلاف في الرأي ينطوي على نوع من الرَّد الخطأ. هي تؤمن بـ "أ"، بينما أنا أؤمن بـ "ب"، وبما أنه لم يتم حل الاختلاف في الفكر، يستجيب أحدهما أو كلاهما (عادةً كلاهما) بشكلٍ غير صحيح.

صراع	إختلاف
اختلاف مُضرّ.	**اختلاف صحي.**
اختلاف في الرأي، يتم التعامل معه بشكل مؤذٍ.	اختلاف في الرأي، يتم التعامل معه بشكل صحيح.
كِلا الطرفين يستجيبان بطريقة خاطئة[1].	كِلا الطرفين يستجيبان بطريقة سليمة.

ما هي بعض الخصائص التي تميز الخلاف عن الصراع؟

عندما يكون لديَّ خلاف، يمكنني التعبير عن رأيي دون الإضرار بالشخص الآخر. عندما اختلف مع شخص، نتناقش سويًا دون أن أؤذيه. **في الخلاف، هدفي هو تسوية اختلاف الرأي الذي يفصلنا. لكن في النزاع هدفي هو الفوز.** عندما أختلف مع شخصٍ ما، يجب أن أتحقق؛ هل الروح القدس يسيطر عليَّ، فتكون طريقتي في مناقشة وجهة نظري ليست عدوانية - أي أنني لا أرفع صوتي، ولا أستخدم كلمات مؤذية، ولا أستخدم السخرية لقول

---

[1] في حالة حدوث صراع، فهذا يعني أن هناك دائمًا اثنين من الجناة. إذا كان شخص ما لا يريد الجدال، فلا يمكن للشخص الآخر أن يرفض. هناك دائمًا اثنان من المشاركين. قد يكون هذا الشخص مسؤولاً أكثر من الآخر، لكن إذا تصاعد الخلاف وتحوَّل إلى نزاع، كِلا الطرفين يُصبحان مسؤولين، ويجب أن يركز الطرفان على مساهمتهما الخاصة في الصراع (على الرغم من أن خطيتي "أقل خطورة" من خطية الآخر).

من الناحية المنطقية، على الرغم من أنها ليست الأكثر شيوعًا، هناك أيضًا احتمال أن يستجيب أحد الطرفين بشكل مقدس، والآخر لا يستجيب. في هذه الحالة، فإن الشخص الذي يستجيب بشكل جيد، سيكون لديه خلاف (ليس خاطئًا)، وبينما الشخص الذي يستجيب للاختلاف بشكل غير صحي سيكون لديه صراع (خاطئ). يذكر الكتاب المقدس مثالاً واضحًا للغاية، وهو عندما يواجه قادة الكنيسة عضوًا مُذنبًا في الكنيسة (متى ١٨: ١٥- ٢٠). هناك خلاف. القادة لا يُخطئون، لكن الشخص الذي لا يتوب، يكون تصرفه خطأ.

"حقائق" مُمَوَّهة (أفسس ٤: ١٣). في الواقع، في الخلاف، إذا لم يتم حل اختلاف الرأي، فإنني أُقدِّم هدية للشخص الآخر للتفكير بشكل مختلف عني، وحبي لا يتغيَّر له – أي أننا نوافق على عدم الاتفاق. في الصراع، يحدث عكس ما قرأته للتو.

صراع	إختلاف
أُعبِّر عن وجهة نظري المؤذية للآخر.	أُعبِّر عن رأيي دون أن أؤذي أحدًا.
هدفي، هو الفوز.	هدفي، هو أن أصل إلى حل وسَط.
أميل إلى الكذب أو المُبالغة.	لا أنحاز إلى أية فكرة أو جانب في النقاش.
عادةً ما أقوم بتصريحات قاطعة لإثبات وجهة نظري.	أسأل حتى أفهم رأي الآخر.
أميل إلى رفع صوتي أو الصراخ أو التحدُّث بسخرية.	لا يرتفع صوتي.
أستخدم كلمات مؤذية، وكلمات سيئة.	أكون حَذِرًا كي لا أقول شيئًا قد أندم عليه.
لا أسمح للشخص بالتعبير عن نفسه، بل أُقاطعه.	لديَّ المقدرة للاستماع بشكلٍ كامل إلى الآخر.
أعتقد أنني أعرف دوافع الآخر، وبالتالي أحكم أنه مُخطئ.	أقبل حقيقة أني لا أعرف كل ما في قلب الشخص الذي أتناقش معه.
أجعل الشخص الآخر يشعر بالذنب، وأدينه.	أنا لا أدين مشكلة الآخر.
أُثير النزاعات القديمة، وأذكر كل ما هو"قديم".	أركز على المشكلة الحالية.
اختلاف الرأي يُبعدنا روحيًا.	الاختلاف في الرأي يجعلنا أقرب روحيًا.
إذا لم يتم حل الفرق، نشعر بمرارة.	ما زلت أُحب الآخر، حتى إذا لم يتم حل الاختلاف.
أتوق لذكر ما حدث للآخرين.	أحمي سُمعة الشخص الآخر، ولا أفصح عن اختلافنا.

يُعرِّف ديفيد بوليسون ما هو الصراع بطريقة لطيفة وكوميدية: "ما هو الصراع؟ هو عندما تُسيء إليَّ عن طريق انتقاد أفعالي، وأرُدّ أنا من خلال كشف كل ما ارتكبته أنت من جرائم، وشرح كيف أن كل إخفاقاتي هي خطأك. عندما أقول: "أنا ما أنا عليه الآن، بسببك أنت". وهكذا أنت تعترف بخطاياي، بينما تعفي نفسك من ذنوبك".

ما الذي يُسبّب الصراع؟

لماذا نتجادل؟ لماذا نتخاصم؟ يعطينا الكتاب المقدس الجواب بوضوح، وبشكلٍ قاطع؛ يعقوب ٤: ١- ٢ يقول: «مِنْ أَيْنَ الْحُرُوبُ وَالْخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ؟ أَ لَيْسَتْ مِنْ هُنَا: مِنْ لَذَّاتِكُمُ الْمُحَارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ؟ تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنَالُوا. تُخَاصِمُونَ وَتُحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ، لأَنَّكُمْ لاَ تَطْلُبُونَ».

أطلب منك أن تركز على اثنين من التفاصيل الهامة لهذا الجزء:

أولاً، يعقوب يكتب للمؤمنين. عندما يقول إنهم "يقتلون" و"يشنُّون الحرب"، فإنه لا يقول حرفيًا، إن شخصًا من الكنيسة يأخذ سكينًا ويحاول الهجوم بها على أخيه. كما أنه لا يقول حرفيًا، إن هناك حزبًا من الكنيسة عاكف على جانب، والجزء الآخر على الجانب الآخر، وكلاهما يُهجمان على بعض. يستخدم يعقوب صيغة مُبالغة للتأكيد على هذه الحقيقة القاسية، كما لو كانت الكنيسة في حربٍ حقًا؛ إنهم يُقاتلون.

ثانيًا، من المهم أن ننظر بالتفصيل إلى الكلمة اليونانية التي تُترجَم إلى "لذَّات". اللغة اليونانية لديها المرونة النحوية في القدرة على الجمع بين كلمتين لإنشاء كلمة جديدة. في هذه الحالة، يستخدم يعقوب كلمة، إذا تُرجِمَت حرفيًا، ستكون "**رغبات مُفرَطة**". أي "الرغبة في أكثر من ذلك". "الرغبة المُفرَطة" هي شغف أُطلِقَ العنان له، شوق أصبح غير قابل للكبح، مثل الحصان لا يمكنك السيطرة عليه. ما يقوله يعقوب هو: **تنشأ الخصومات عندما يتم التحكُّم في قلبي برغبة (جيدة أو سيئة) لا أُريد أن أكبحها.**

لماذا نتقاتل؟

يعقوب لا يقول: "أنت تُقاتل لأن الشخص الآخر عنيد، أو لأن هرموناتك ليست تحت السيطرة، أو لأن بركانًا من الغضب يتحكَّم فيك، أو لأن البشر لديهم هرمون عدواني مُنصهر في تاريخنا التطوري، أو لأن والدك كان يغضب بالطريقة نفسها، أو لأنه لم يتم تلبية احتياجاتك الأساسية". يقول يعقوب، أنت تحارب بسبب "شغفك الذي يهاجم كل كيانك. تطمع ولا تجد شيئًا في المقابل". تحليل الكتاب المقدس مباشر وصريح في هذه النقطة: أنت تحارب لأنك لا تحصل على ما تريد .. أنت تحارب لأنك ترغب شيئًا تُحبه وتتوق إليه وتتمناه، لكنك لا تجده.

أوَّد للحظة، أن أكشف عن فكرة شائعة اعتدنا أن نسمعها، ربما دون التأمل فيها، نحن نقبلها بشكل غير صحيح. فكِّر فيما يلي: واحدة من أكثر العبارات تكرارًا في أي خصام هي: "لقد أغضبتني". تأمل لبضع ثوان في هذه الجملة. ماذا تقول؟ أنا شخصيًا أترجمها: "أنت سبب غضبي. أنت السبب في أنني تصرفت بهذه الطريقة. إذا لم تكن قد فعلت ما فعلته، لَمَا غضبت بهذا الشكل". إن فَهم رسالة يعقوب ٤: ١ هو أن تفهم أن لا أحد "يُجبرك" على التفاعل بشكل سيئ؛ أتصرف بشكل خطأ لأنني آثِم، وقرَّرت الرَّد بهذه الطريقة.

لن أنسى أبدًا مقابلة تلفزيونية قاموا بها مع طفلين منذ عدة سنوات. في ذلك الوقت كنت في سن المراهقة، وكنت أعيش مع عائلتي في الأرجنتين. في ذلك الوقت، كانوا قد فتحوا للتو أول مركز تسوُّق في المدينة التي أعيش فيها. على كل حال، كان شيئًا جديدًا وجذابًا للغاية. في الواقع، في يوم الافتتاح، تجمَّع الآلاف من الناس في وقت مبكر لزيارته. جاءت المقابلة التلفزيونية بعد أسابيع قليلة من الافتتاح الكبير. وسط احتفالات هذا المكان الجديد المليء بالناس، والمليء بالمحلات الجميلة المليئة بالعروض الجذابة، قبضوا على طفلين يبلغان من العمر ثمانية أو تسعة أعوام كانا يسرقان، ولأنهما كانا قاصرين، لم يتمكنوا من أخذ أي إجراء قانوني أكثر من تهديدهما، والسماح لهم بالرحيل.

بعد الحادث، أجرى مراسل حديثًا مع الأطفال، وسألهم عن سبب قيامهما بذلك. لن أنسى أبدًا إجابتهما. قال الطفلان: "كان من السهل للغاية السرقة، لدرجة أننا لم نتمكن من مقاومة ذلك". فكِّر فيما قاله هذان الطفلان للتو. أنا أترجمها: "ليس خطأنا، إنه خطأ المركز التجاري حيث إنه كبير جدًا، ومليء بالناس، ولا يمكنهم اللحاق بنا". "إنه خطأ المهندس الذي لم يضع الكاميرات". "إنه خطأ صغر حجمنا، حيث يمكننا التسلُّل بسهولة دون أن يلاحظ أحد". لحظة! لا أحد أجبرهما على السرقة، ولكن هما قرَّرا القيام بذلك بكامل إرادتهما!

ماذا ستقول لو قال مغتصب: "هذا ليس خطأي، إنها ترتدي ملابس مُثيرة". لحظة! لم يُجبرك أحد على فعل ما فعلته. ربما كانت تلك الفتاة ترتدي ملابس مثيرة (أو لا)، لكن الكثير من الناس رأوها ترتدي تلك الملابس ولم يفعلوا بها شيئًا. لكن أنت قرَّرت أن تطلق الجماح لرغباتك! هذا ما يقوله يعقوب ٤: ١، لا أحد يجبرني على التفاعل بشكلٍ سيئ. أتعامل مع موقف "مُغرٍ" بشكل خطأ، لأنني آثِم.

في بداية زواجنا، كنت أختلف أنا وزوجتي على حجة تدور دائمًا حول الموضوع نفسه: هي لا تعتذر عندما تجرحني. كان الوضع مؤلمًا للغاية. كنت أرى أنه ظلم، كيف كل مرة أعتذر أنا بسرعة عندما أجرحها، بينما عندما تجرحني هي، كان من الصعب عليها أن تعتذر. في الواقع، لم تفعل ذلك في معظم الأوقات.

في البداية، كنت أتسامح مع ذلك، وكنت أتحلَّى بصبر، وأنا أحاول أن أشرح لها أن ما كانت تفعله ليس صحيحًا، لكن سرعان ما وصلت إلى نقطة شعَرت فيها بالألم، لدرجة أنني بدأت أصرخ وأرفع صوتي عليها. في كل مرة كان يتكرَّر هذا الأمر، كنت أشعر بألم شديد. وفي كل مرة كان ينتهي بي الأمر غاضبًا منها ("لأنني سمحت لنفسي" أن أصرخ) ، وغاضبًا من نفسي (بسبب الصراخ)، وغاضبًا من الله (لأنه سمح بهذا الوضع مُجدَّدًا).

تفاقم الأمر حتى وصل إلى أعلى درجاته، لدرجة أنني قرَّرت أن ألجأ إلى أخصائي مشورة مسيحيًا، أحترمه كثيرًا حتى أطلب المساعدة منه. أتذكَّر كيف أخبرته بالألم الذي كنت أشعر به، والدموع في عيني: "كل ما أُريده هو أن تعتذر لي عندما تجرحني. لا أكثر. لا أُريدها أن تكون مثالية. لا أريدها أن تتوقف عن مضايقتي. لا أقول إنها يجب أن تتوقف عن تلك الخطية. أنا فقط أطلب أن تعتذر لي عندما تجرحني".

بعد أن فتحت قلبي إلى المرشد، اعتقدت أنه كان سيبتسم لي، ويقول: "شيء مؤلم. أنا أفهمك. يا لك من زوج مثالي". ومع ذلك، لم يكن هذا ما فعله. بدلاً من ذلك، أخبرني: "لا يمكننا فعل أي شيء لزوجتك. لقد أخبرتها بالفعل أن ما تفعله هي، يؤلمك، وهي تعلَم أنها خطية. لكن دعنا نتحدث الآن عن مسألة غضبك". في تلك اللحظة فكَّرت: "نتحدَّث عن غضبي؟ ماذا يقول هذا الرجل؟ ألم تسمع ما قلته للتو؟ زوجتي هي المشكلة، وليس أنا!".

ثم سألني سؤالاً تركني بلا كلام، ودون إجابة: "**كيف سيكون ردّ فعل المسيح في مثل هذا الموقف؟**". أعتقد أنني كرهت هذا الرجل لمدة أسبوعين بعد انتهاء الجلسة. كان من المستحيل لي أن أقبل أن زوجتي لم تكن مسؤولة عن غضبي. بعد كل شيء، إذا كانت قادرة على طلب المغفرة "لن أواجه مشكلة"، و"سأكون أفضل زوج في العالم".

استغرق الأمر مني عدة سنوات لكي أقبل أن مشكلة غضبي لم تكن خطأ زوجتي، بل خطأي أنا. نعم، كان عليها أن تتعلَّم الاعتذار (كلنا نتفق على ذلك)، لكن كان عليَّ أن أتعلَّم

ألَّا أصرخ وأغضب. هل ترى المغزى؟ لا أحد يدفعني إلى الغضب، أشعر بالغضب لمجرَّد أنني آثِم. **يجب أن أقبل أنني المسؤول الوحيد عن كل ردود أفعالي الغاضبة**. أنا أعرف ما تُفكِّر فيه.

هل من الخطأ انتظار الاعتذار من زوجتي عندما تُخطئ؟ بالطبع لا! هذا أمر طبيعي، ويقول الكتاب المقدس عنه: المشكلة هي عندما أقوم بتحويل رغبة (حتى لو كانت رغبة جيدة) إلى مطلب مُلِّح. هل تتذكَّر كيف يعمل القلب؟ قلبنا يحب. وما أحبه في لحظة غضبي، ليس هو المسيح، بل نفسي (ورغبتي في أن تطلب مني زوجتي المغفرة) فوق المسيح. كما كتبت في بداية الفصل، أُخطئ، عندما تتحكَّم رغبة في قلبي (جيدة أو سيئة) لا أقدر أن أكبحها.

أحب حقًا المثال الذي يستخدمه بول تريب لتوضيح هذا المفهوم: خُذ زجاجة مليئة بالماء. انزع الغطاء، وهزها. ماذا سيحدث؟ يبدأ الماء بالتدفق في كل مكان. لماذا؟ (معظم الناس يستجيبون بالطريقة نفسها). لأن الزجاجة اهتزت؟ الجواب: غير صحيح. يخرج الماء لأن الزجاجة كانت مليئة بالماء. إذا كانت فارغة أو ممتلئة بكوكاكولا، فهل ستخرج المياه؟ بالطبع لا! قال يسوع: «لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ .جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ» (مرقس ٧: ٢١- ٢٣).

دعني أطرح عليك سؤال: ماذا سيحدث إذا فعلت مع المسيح كما فعلت مع الزجاجة؟ كيف سيكون رد فعل يسوع عندما "نهزه"؟ كيف كان ردُّه عندما تعرَّض للإهانة والاعتداء؟ كيف كان ردُّه عندما بصقوا عليه، وأساءوا مُعاملته، وصلبوه على خشبة؟ كان ردُّه: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا ٢٣: ٣٤). هل ترى ما نتحدث عنه؟ كان الصراع مع زوجتي، وسيلة استخدمها الله ليُريني أنني لست مثل يسوع. كل ما تَطلَّبَهُ الأمر، هو أنهم "غربلوني" قليلاً (لوقا ٢٢: ٣١)[٢].

---

[٢] كتب الفيلسوف المسيحي كورنيليوس بلانتينجا: "**لا أحد أكثر خطورة من الضحية**". (Jr. Sin Grand Rapids: Cornelius Plantinga, Challenge Books) ماذا يقول؟ يميل الضحايا إلى إلحاق الأذى بمَن حولهم. أي أن الضحايا =

لفهم كيفية التعامل مع الصراع، **من الضروري للغاية فهم الفرق بين إطار الصراع، والعامل المُسبِّب**. إطار الصراع هو الظروف الخارجية التي تُغريني للرَّد بطريقة غير صحيحة. ومع ذلك، فإن سبب الصراع هو أنني قرَّرت طوعًا أن أُخطئ. لا يمكن لإبنتي العودة من المدرسة، وتقول لي: "أبي، حصلت على درجة سيئة لأن مدرس الرياضيات أجبرنا على الامتحان". على الرغم من أنها تحتوي على جزء من الحقيقة، إلا أن هذه العبارة غير صحيحة. ابنتي لم تنجح في الاختبار لأنها لم تدرس (هذا هو السبب!). الامتحان هو الإطار، إنها الوسيلة التي تكشف أن ابنتي لم تدرس. من المؤكد أنه في فصل ابنتي، كان هناك فتيان وفتيات آخرون درسوا، والذين أخذوا الامتحان نفسه، حصلوا على درجات جيدة. هل ترى الفرق؟

المُسبب	الإطار
ردّ فعلي الخاطئ للظروف التي تعرَّضت لها.	الظروف الخارجية التي تُولِّد الصراع.

في هذه اللحظة، بينما أكتب هذا الفصل على مكتبي في المنزل، سمعت للتو ابنتي ميكايلا تتجادل في غرفتها مع مانويل؛ شقيقها الأصغر. (وهذا ما أُسميه أنا بالسيادة الإلهية). وبعد عشر دقائق، عُدت الى هنا لأكتب مرة أخرى. ماذا فعلت؟ اقتربت إلى ابنتي بحنان كبير، وسألتها: "ماذا حدث يا ابنتي الصغيرة؟". "أتجادل مع مانو". "لماذا؟". "لأننا كنا نلعب لعبة، وأخذ هو زهرتي". "وماذا فعلتِ أنتِ؟". "لقد دفعته". "لماذا

= يجدون مُبرِّرًا لإيذاء مَن حولهم، وشن هجوم عليهم. وهذا أمر خطير للغاية! إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فهذه هي بالضبط الحُجة التي يستخدمها الإرهابي. يقول الإرهابي: "لقد فجَّرنَاهم، لأنهم قتلوا أطفالنا". لا يوجد شيء أكثر خطورة من الضحية.

ماذا يقول المُعتدي؟ أعتدي على مَن حولي، لأنني تعرَّضت للإيذاء. لقد ضُربت، لذا أضرب أنا أيضًا. ومع ذلك هذا لا يُبرِّر أفعاله! هناك أشخاص تعرَّضوا للإيذاء، ولا يُسيئون معاملة الآخرين. هناك أشخاص تعرَّضوا للضرب، ولم يضربوا في المقابل. هل عانيت من الظلم؟ بالطبع نعم! هل كان لديك سبب مُقنع؟ ربما تمامًا. لكن هذا لا يمنحك الحق في رد السوء.

الضحية تشعر بأن لها ما يُبرِّرها للهجوم؛ وهذا أمر خطير جدًا. من المؤكد أنك لست قاتلاً مُسلَّحًا أو إرهابيًا، ولكن عندما تُبرِّر عدوانك بسبب إصابتك، فإنك تتصرف بنفس النمَط. فِكْر الضحية هو: "أشعر أنه يحق لي أن أؤذيك، لأنني قد تأذيت من قبلك". لذلك أسألك: كيف تتعامل مع شخص، بعد أن تعرَّض للأذى؟ تذكَّر. لا أحد أكثر خطورة من الضحية.

استخدمتي العنف معه يا حبيبتي"؟ "لقد أخبرتك بالفعل يا أبي، لأنه أخذ الزهرة، وأنا كنت أُريد أن ألعب بها". "ما الذي قد حدث للتو في رأيك، يا حبيبتي؟".

سكتت في لحظة تأمل، ثم قالت: "لقد صنعت كنزًا من الزهر". "نعم يا ابنتي الصغيرة. ومَن يجب أن يكون أعظم كنز لكِ؟". رفعت إصبعها الي فوق لتُشير إلى الله. "ميكا، ما كان أكبر كنز لديكِ؟". "الزهر، يا أبي". "ماذا عليكِ أن تفعلي؟". "أسأل مانو ويسوع المغفرة". "نعم، يا حبيبتي، وعلينا أيضًا أن نطلب من الله مساعدة، ليكون هو أعظم كنز لكِ". هل تريدين أن نُصلّي معًا؟ "نعم يا أبي".

هل تستطيع رؤيته؟ ما تسبَّب في الصراع، لم يكن أن الأخ الأصغر أخذ الزهر. تلك الحادثة كانت الإطار. ما سبَّب الصراع، كان استجابة ابنتي الخاطئة؛ كان هذا هو السبب الحقيقي. تعرف ابنتي تمامًا (لأننا أخبرناها مرات عديدة) أنه إذا فعل شخص ما شيئًا لا يعجبك، فلديها طريقتان صحيحتان للتعامل مع الخلاف: يجب عليها أولاً التحدث مع الشخص وإخباره أنها لا تحب ما فعله (بمصطلحات الكتاب المقدس؛ واجه الخطية). وإذا كان الشخص لا يستمع إليها أو يواصل القيام بذلك، فيمكنها التحدُّث معي أو مع والدتها حتى نتدخل (بعبارات الكتاب المقدس؛ نداء إلى السلطة الصحيحة). ومع ذلك، إذا قرَّرَت أن تغضب عليه وتدفعه أو تؤلمه، فهي التي اختارت أن تُخطئ، وتحتاج إلى مَن يُرشدها.

هل ما فعله ابني الأصغر كان صحيحًا؟ بالطبع لا! (في الواقع، تحدثت إليه أيضًا). لكن المعركة بين الاثنين حدثت، لأنها جعلت الزهر أعظم كنز لها (وأخطأت بإيذاء أخيها الصغير، للحصول على الزهر). لا تستطيع ابنتي إلقاء اللوم على ابني مانويل في هذا الاتجاه، وعليها تَحمُّل مسؤولية أفعالها.

أنت وأنا أيضًا: الصراعات هي حقائق نواجهها كل يوم، وفي جميع الأوقات. يُعَدّ تعلُّم كيفية التعامل معها بشكل صحي (ومساعدة الآخرين على إدارتها بشكل صحي) أحد أهم قضايا التغيير[٣].

---

[٣] إذا تأملت للحظة، فالمفهوم الذي نقوم بتحليله هنا، قد تم التعبير عنه بالفعل بطريقة أخرى في الفصل الثالث: "أنا دائمًا أفعل ما أحبه أكثر". إذا كنت تلعب كرة القدم، وزميلك في الفريق لم يُمرِّر الكرة لك، نتيجة لذلك قمت أنت بتوبيخه بشكل عنيف. لا يمكنك تبرير نفسك بالقول: "لقد أهنته لأنني كنت وحيدًا في الملعب، وهو لم يُمرِّر الكرة لي، عِلمًا بأنني قلت له ذلك عشرات المرات". =

الكلمة التي يستخدمها الكتاب المقدس لوصف ما نتحدث عنه هو: "**تجربة**". «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ». (١بطرس ٤: ١٢؛ انظر أيضا يعقوب ١: ١٢).

"التجربة" هي موقف صعب يستخدمه الله للكشف عمَّا يوجد في قلوبنا. كما في حالة اختبار الرياضيات، يهدف الاختبار إلى تسليط الضوء على ما لا يمكن رؤيته بطريقة أخرى. في حالة الطالب، فإنه يوضح ما إذا كان قد درس أم لا. في حالتنا، يُظهِر ما إذا كنا سنستجيب كالمسيح، أم أننا سنرُد بالخطية. الفرق الكبير بين المَثَلين، هو أن المُعلّم يضع امتحانًا حتى يتمكَّن من معرفة ما إذا كان الطالب قد درس أم لا. لكن **في حالتنا الروحية مع الله، يجعلنا نجتاز اختبارًا حتى نتمكَّن نحن من رؤية الحالة الحقيقية لقلبنا. إنه يعرف النتيجة بالفعل! لكن أنا الشخص الذي ليس لديه أي ضوء حيال ذلك.**

كيف يتناسب الإغراء مع هذه الديناميكية؟ الإغراء فكرة. إنها فكرة أو اقتراح أو عرض. الإغراء هو دعوة للتفاعل بالطريقة التي يتوقعها الله منا تحت الاختبار. ما يفعله الإغراء هو أن يُقدِّم لي بديلاً؛ مسارًا مختلفًا. الإغراء هو، في جوهره، فكر. إنها فكرة شريرة، إمكانية، مفهوم تجريدي يُفكر فيه قلبنا، ويأمل في تنفيذه.

من أين تأتي الإغراءات؟

من الشيطان، ومن العالم (أي، أنا أفكر في التمثُّل بطرق العالم)، ومن الاستسلام لطبيعتنا البشرية (أي لذَّاتنا. يعقوب ٤: ١). من هذه المصادر الثلاثة، نحصل على هذه الأفكار غير الصحيحة أو البدائل المُحتمَلَة للاستجابة على هذا النحو الخاطئ. لذلك يقول الكتاب المقدس: إن الله يختبرنا، ولكنه لا يغرينا أبدًا. يستخدم الله مواقف صعبة في حياتنا (تجارب) ، لكن الله لا يُقدِّم لنا أفكارًا خاطئة عن كيفية التغلُّب على تلك التجارب (فهو لا يغرينا)، بل في الواقع، هو يوفر لنا مخرَجًا في المسيح لخوض هذه التجربة! (١كورنثوس ١٠: ١٣). هذا هو السبب في أن الكتاب المقدس يقول أيضًا: إنه

= سيرُد عليك يعقوب ويقول: "لا! لقد أهنته لأنك تريد الكرة، لدرجة أنك على استعداد أن تُخطئ للحصول عليها". أنت فعلت ما تريد القيام به. تحوَّلَت رغبتك (الجيدة) إلى "رغبة مُفرَطة". لهذا السبب أهَنته. المشكلة في عواطفنا غير المُنضبطة، أنها عادةً ما تختبئ، وتجد مُبرّرات في لحظات التجربة.

يمكننا أن نفرح في التجارب (يعقوب ١: ٢)؛ لأنه إذا أردنا، **ففي المسيح**، يمكن للتجارب أن تؤدي إلى نمو وتغييرات عميقة! وهذا هو هدف الله النهائي في استخدامها[٤].

الإطار	تجربة أو ظرف صعب نمرّ به يستفزنا.	هو شيء خارجي.
الإغواء	فكرة معاكسة لِمَا يريده الله.	هو شيء مُجرَّد.
السبب	رد فعل خاطئ نابع من قلبي.	هو شيء داخلي.

ما هو الغضب؟

تخيَّل أنك تسير في مركز تجاري، وعند الذهاب إلى محل ملابسك المُفضَّل تجد قميصًا جميلاً عليه خصم يصل إلى خمسة وسبعين في المائة. تدخل إلى غرفة القياس لتُجربه وتجده مثاليًا. تذهب إلى الخزنة للدفع، وبدون التفكير كثيرًا، تقدم بطاقة السحب الفوري لتدفع بها إلى البائع. تأخذ الفاتورة من البائع، وتجد أنه قد أضاف لك خمسين بالمائة أكثر على السعر المكتوب. في اندهاش غريب، تسأل البائع عما يحدث، ثم يُجيبك: "الأمر هو أن الخصم لا ينطبق إلا إذا كنت تدفع نقدًا. إذا كنت تدفع عن طريق البطاقة، يتم المحاسبة على السعر الأصلي، وإضافة خمسين بالمائة أخرى. أنا آسف. نسيت أن أذكر ذلك". في سخط، تقول للمحاسب: "لا، شكرًا. أنا لا أريدها". ومع ذلك، فإن البائع يُجيب: "لقد دفعت التكلفة. للأسف، لا يمكن استرجاع القميص". ماذا سيكون ردّ فعلك؟ مثلي تمامًا: الغضب!

ما هو الغضب؟ الغضب هو استجابة عاطفية لقلبنا، عندما نرى شيئًا غير عادل يحدث. في الأصحاح الخامس من سفر نحميا، نجد أن الغالبية العظمى من شعب إسرائيل، كانت تعاني من تدهور اقتصادي هائل. كان الوضع فظيعًا. وقد تسبَّب في مجاعة، اضطر الكثيرون إلى رهن مزارع الكروم ومنازلهم ليتمَكَّنوا من الحصول على الحبوب وإحضار الطعام لعائلاتهم. ومع ذلك، لم يكن هذا أسوأ شيء.

---

[٤] إذا فهمت ما هو "التغيير العميق"، يمكنك أن تتخيَّل أن الغرض من التجارب، هو ليس أن أكون أقوى، بل الغرض من التجارب، هو أن أكون أكثر اعتمادًا على الله. **أثق أكثر بنعمة الله، وأثق أقل بنفسي.**

كانت الضرائب والمصالح التي فرضها النبلاء على الناس مقابل هذه الحبوب مرتفعة للغاية، لدرجة أن الكثيرين قد وصلوا إلى حد الاضطرار إلى بيع أطفالهم كعبيد لدفع ديونهم. (حاول أن تضع نفسك في مكانهم: بيع طفلك حتى لا تهلك عائلتك كلها). عندما عَلِمَ نحميا بهذا يقول: «فَغَضِبْتُ جِدًّا ...» (نحميا ٥: ٦).

هل يمكنك رؤية ما حدث للتو؟ الغضب، هو الطريقة التي نتفاعل بها عندما نرى شيئًا خاطئًا. مجموعة من الناس يستفيدون من شخص آخر. يتقاضى النبلاء مصلحة باهظة، لدرجة أنهم يجبرون الناس على العيش في خرابٍ كامل.

انظر إلى الكلمات النصيَّة لنحميا عندما عَلِمَ بهذا الموقف: «فَشَاوَرْتُ قَلْبِي فِيَّ، وَبَكَّتُّ الْعُظَمَاءَ وَالْوُلاَةَ، وَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ تَأْخُذُونَ الرِّبَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَخِيهِ. وَأَقَمْتُ عَلَيْهِمْ جَمَاعَةً عَظِيمَةً» (نحميا ٥: ٧). يقول الغضب: "أنا ضد ذلك. أنا مُتمرِّد على ما قمت به. إن ما تفعله ضد الناس غير صحيح". يحدث الغضب عندما ألاحظ شيئًا، وأستنتج: "هذا أمر مهم .. وهذا ليس صحيحًا". إنه ردّ فعل على شيء تتصوَّر أنه مُسيء، وتريد القضاء عليه. إنه كراهية لشيء مهم بما يكفي، لتوليد رَدّ فعل داخلك.

كما يقول ديفيد بوليسون: الغضب له جانبان:

أولاً، ينطوي الغضب دائمًا على مشكلة أخلاقية. عندما أغضب أقول: "هذا الأمر خطأ، ويجب أن يتغيَّر". نراه لاحقًا في الفصل نفسه على حد تعبير نحميا نفسه: «لَيْسَ حَسَنًا الأَمْرُ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ» (نحميا ٥: ٩). ليس صحيحًا أن زوجتي لا تطلب مني المغفرة. ليس صحيحًا أنني صرخت فيها. ليس صحيحًا أنهم لا يسمحون لي باسترجاع القميص. ليس صحيحًا أن النبلاء والحكام يتقاضون مبالغ باهظة. لأن الغضب ينطوي على مشكلة أخلاقية، كلما غضبت، أضع نفسي في منصب قاضٍ. لماذا؟ لأنني أحكم على عمل شخص آخر. لا مفر من هذا.

من الناحية المنطقية، هذا ليس بالضرورة شيئًا سيئًا، لكنه شيء خطير للغاية. كما سنرى لاحقًا، **يجب امتلاء قلبي بالروح القدس، حتى يكون قادرًا على التعامل مع هذا الموقف بالقدر الصحيح من الحب والعدل** (غلاطية ٦: ١، ٢).

ثانيًا، الغضب يكشف دومًا عن مبادئ وقِيَمي. عندما أغضب أقول: "هذا مهم بالنسبة لي، وهو يحتاج للتغيير"، كما حدث لنحميا: "القلب يَثور من الغضب داخلنا" ولا يمكننا التزام

الصمت. ما حدث مهم للغاية بالنسبة لي، ولا أقدر أن التزم الصمت أمامه. إذا فكَّرت في الأمر للحظة، ستجد أن ليس كل الأشخاص يغضبون من الأشياء نفسها. إذا كنت، على سبيل المثال، تسخَر من وزني، ربما سوف أعتبر الأمر مُضحِكًا وأضحك معك. ومع ذلك، إذا سخرت من زوجتي أو أطفالي، فلن أتفاعل بنفس الطريقة. وزني ليس مهمًا بالنسبة لي (على الرغم من أنه بالنسبة للآخرين يمكن أن يكون شيئًا ذا قيمة هائلة)، لكن عائلتي أهم!

يُظهِر الغضب (الذي تم تحليله جيدًا) قِيَمي، وما أحبه وما هو مهم بالنسبة لي. هل لاحظت أنني وضعت بين قوسين "تحليله جيدًا"؟ في كثير من الأحيان، يبدو أن غضبنا هو لسبب واحد، ولكن في الواقع هو لأسباب عدة.

على سبيل المثال، يمكن أن أغضب عندما يتشاجر أولادي معًا؛ ولكن لماذا أغضب؟ هل أغضب لأنني أشاهد التلفزيون وعليَّ أن أقوم لتأديبهم؟ (يعني أنا أغضب لأنني أُقدِّر راحتي).

هل أغضب لأن أطفالي تسبَّبوا في ضجة في المركز التجاري، وأحرجوني أمام الجميع؟ (أقصد، أنا غاضب لأن صورتي قد تشوَّهت).

هل أغضب لأنهم يلعبون بصوتٍ عالٍ، ولا يتركونني لأنام الظهر قليلًا يوم الأحد؟ (أي أنا أغضب لأنني أُقدِّر راحتي)، أو هل أغضب لأنهم لا يُمجِّدون المسيح، وأنا أتوق لإعادة بناء علاقتهم معه بسرعة؟ (أغضب لأنني أُقدِّرهم).

كما رأينا منذ بداية الكتاب، فإن مفتاح اكتشاف ما يُحفز غضبي، هو أن أسأل نفسي السؤال: **لماذا؟** عليَّ القيام بذلك، سوف تكتشف أن غضبك يُظهِر دائمًا ما تُحبه حقًا.

> **في كل مرة تغضب، أنت تكشف قِيمَك.** ومع ذلك، لا يتم التعبير عن القِيَم فقط من خلال الكلمات. في كل مرة تصمت فيها عن شيء ما، تُعبِّر عنه ضمنيًا عن قِيمَك. كل ما تختاره، سواء التحدُّث أو الصمت يُظهِر ما هو مهم بالنسبة لك. ردود الفعل العاطفية والقرارات، تُعلن دائمًا عن القِيَم والمبادئ.

عندما يكون هناك شيء ما يهمك حقًا، فإنك تشعر بالإثارة [كما يظهر لنا نحميا]. في كل مرة تغضب (وفي كل مرة لا تغضب) تكتشف ما يُحبه قلبك ...

نحن كبشر لدينا القدرة التقييمية الفطرية. نحن نُقيِّم كل شيء. لأنفسنا، للآخرين، الطقس، والحيوانات، والأفكار، والعشاء، والله، والأسعار، والأحداث التي نراها في الأخبار .. نوافق أو نرفض باستمرار ما نلاحظه. لا يمكننا الهروب من هذا، لأن الله قد صمَّمنا بهذه الطريقة. يُعبِّر الغضب بكل بساطة، عن قوة المشاعر عن تقييمنا السلبي لشيء ما.

كلما زاد اهتمامنا بشيءٍ ما، زاد تقديرنا له، وزاد مستوى الشعور بالاشمئزاز. إذا كان هناك شخص يقود سيارته وهو سكران واصطدم بسيارتي، فمن المؤكد أن هذا سيغضبني كثيرًا. أمر طبيعي. لماذا؟ لأنني أحب سيارتي وأُقدِّر قيمتها. ولكن إذا كان سائق مخمور دهس أحد أطفالي، فسوف أختبر مستوى أعلى من الغضب. قيمة أولادى أغلى وأعلى بكثير، ولا تُقارَن حتى بقيمة السيارة! يوضح هذا المثال جانبين أساسيين للغاية حول طبيعة الغضب.

جوانب أخرى مهمة

الغضب ينطوي دائمًا على ردّ فعل عاطفي. عندما أكون غاضبًا، فإن مشاعري تتورَّط دائمًا. أو دعني أقول: إنه بدون مشاعر لا يوجد غضب. نرى ذلك بوضوح في قصة نحميا (يقول الكتاب المقدس: إنه كان غاضبًا "بطريقة رائعة")، ونراه أيضًا في مثال ابنتي. **الغضب هو عاطفة**. (ضع نفسك في مكان نحميا. كيف لن تشعر "بشيء" عندما يتم بيع صبي أو فتاة ضمن العبيد؟).

أنا مقتنع بأن فَهم هذا الجانب من الغضب، هو حاجة ماسة لمعظم المسيحيين. لماذا؟ لأنه بين المسيحيين، الغضب هو العاطفة التي تُنتِج الارتباك والشعور بالذنب الهائل. يميل قلبنا إلى التأرجح بين قضبين غير صحيحين على قدَم المساواة. من ناحية، نقمع الغضب (الذي يُعبِّر عن المشاعر التي نشعر بها)، ومن ناحية أخرى، نُعبِّر عن الغضب بشكل خاطئ (نعطي القيادة للمشاعر).

ردود الفعل هذه غير صحيحة. ومع ذلك، فإن محاولة تعريف الغضب المسيحي على أنه ردّ فعل، تنفصل عنه العواطف تمامًا. هو تشويه لطبيعة الغضب ذاتها، وعدم الفهم لها. عندما نشعر بالغضب، نشعر بالألم، بل نشعر بألم شديد. **يمكن التعبير عن هذا الألم بشكل جيد أو بطريقة خاطئة، لكن تجاهله سيكون خطأً كبيرًا.**

المفتاح هو إدراك أن هناك مشاعر صحيحة وشرعية، بينما هناك مشاعر أخرى ليست كذلك. الشعور بالألم هو شيء، بينما الشعور بالرغبة في إلحاق الألم بغيري هو شيء أخر تمامًا. الشعور أن لا أحدًا يفهمني، مختلف عن الشعور باليأس لإثبات وجهه نظري. الشعور بالإحباط مختلف تمامًا عن الشعور بالكراهية تجاه شخص. الرغبة في أن يُصلح الشخص الضرر الذي ألحَقَهُ بي (كما كان يتمني نحميا في نحميا ٥: ١١) مختلف تمامًا عن عدم مغفرتي له، حتى يعتذر عن الضرر الذي ألحَقَهُ بي. الرغبة في إثبات براءتي، مختلفة تمامًا عن الرغبة في الانتقام وإذلال الشخص الذي آذاني. هناك مشاعر صحيحة، وهناك مشاعر غير صحيحة.

هذا يقودنا إلى التأمل في جانب آخر رئيسي. الغضب ليس شيئًا سيئًا (أفسس ٤: ٢٦). فَكِّر مرة أخرى في قضية نحميا، لكن هذه المرة، دعني أتقدَّم خطوة واحدة لأقوم بمراجعة مختصرة للسياق. شعب إسرائيل كان يقع تحت العبودية في بابل. الجميع كانوا أسرى وعبيدًا في بابل. الحكام والشعب معًا. في لحظة مُعيَّنة يترك الجميع بابل، ويقومون جميعًا برحلة خطيرة جدًا ويتحدون كلهم، نظريًا، لفترة طويلة لإعادة بناء أسوار أورشليم لتمجيد اسم الله. (لاحظ صيغة الجمع عندما يقول الكتاب: «عَبِيدِكَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَخَافَةَ اسْمِكَ» (نحميا ١: ١١).

علاوة على ذلك، يجب على الجميع القتال ضد أعدائهم أثناء بناء الجدار؛ العظماء والولاة، والشعب سويًا (نحميا ٤: ١٦- ٢٣). ومع ذلك في يومٍ واحد، يتغيَّر كل شيء.

بعد كل ما قد مرُّوا به معًا، قرَّرَت مجموعة منهم (أولئك الذين لديهم مال أكثر!) أن يستغلوا مجموعة أخرى (أولئك الذين لم يكن لديهم شيء تقريبًا)، ووصل مستوى أنانيتهم إلى درجة أنهم لم يهتموا، حتى إذا وصل الحال أن إخوتهم سيضطرون إلى بيع أبنائهم وبناتهم كعبيد. (هل يمكنك تخيُّل شخصًا يقوم بذلك، بعد أن حارب معك جنبًا إلى جنب. بعد أن خاطَرت بحياتك الخاصة للدفاع عن أبنائه وبناته؟!).

اسمحوا لي أن أُعبِّر عنها بشكل مختلف: سيكون من الخطأ إن لم يشعر نحميا بنار تحرقه! ستكون خطية إن لم يشعر بالألم ورفض ما فعله العظماء والولاة. هل تدرك ما هي أكثر طريقة لكراهية شخص ما؟ إنها ليست الغضب، بل اللامبالاة، حيث لا تهتم

بما يحدث لهم. ما حفَّز غضب نحميا، هو العكس تمامًا. الدافع وراء غضبه هو حبه للناس، وكراهيته الشديدة تجاه ما فعله العظماء والولاة. هل ترى ما نتحدَّث عنه؟

الغضب الصحي يكره الخطية دون أن يكره الخاطئ. (كما يفعل الله).
يمكن (وينبغي) أن يشعر بالغضب تجاه الفعل الخاطئ والمُذنِب لشخصٍ ما؛
لكنه يستطيع، وينبغي أن يستمر في حب الشخص، على الرغم من أفعاله.

ريبيكا مانلي بيبيرت تقول: "فكِّر في ما نشعر به عندما نرى أن شخصًا نحبه يعاني من ضررٍ ما أو علاقة مؤذية. هل سنتعامل بتساهل وسطحية كما نفعل مع شخص غريب؟ على العكس من ذلك، سنقف بصرامة ضد ما يُدمر أحبائنا".

حب المُدمنين للمخدرات هو مثال جيد. إنها واحدة من أكثر التجارب المُحبِطة التي قابلتها على الإطلاق (.. تقول ريبكا:) أشعر بغضب شديد. أرغب أن أمسكهم بيدي وأصرخ: "ألا يمكنك أن ترى؟ ألا تستطيع أن ترى ماذا تفعل بك المخدرات؟ في كل مرة أراك، تتغير إلى شخص آخر أنا لا أعرفه". "لم أكن غاضبَة لأنني أكرههم، بل أغضب لأنني أُحبهم. لو لم أحبهم لكنت، رحلت عنهم في سلام". لكن الحب يكره ما يُدمر الحبيب. فكلما أحَّبَ الأب الابن، كره الخمر والكذب وعدم الأمانة التي يراها في حبيبه.

هل تعرف أية شخصية في الكتاب المقدس كانت أكثر غضبًا؟ الله! الآن يمكنك أن تفهم السبب. يغضب الله لأنه يُحبنا. يكره الله الخطية فينا ويكرهها، لأنه يتوق إلى منحنا الأفضل. يشعر الله بالغضب لأن الخطية تُدمرنا، لأنها تُجرِّدنا من الإنسانية، لأنها تمنعنا من الاقتراب منه، فهو مصدر كل الخير (إشعياء ٥٥: ١- ٣؛ يوحنا ٤: ١٤).

الغضب ليس مشاعر خلقها الشيطان، بل الغضب مشاعر خلقها الله.
الله لديه القدرة على الغضب، وأعطانا القدرة على الغضب.
مشكلة الغضب الكبيرة، مثلها مثل أي مشاعر أخرى،
هي أن لديها القدرة على التحوُّل إلى خطية.

لكي أشرح كيف يعمل الغضب الخاطئ، أحتاج إلى تكرار شيء، حاولت التأكيد عليه في جميع أنحاء الكتاب. مشكلتنا الكبيرة، ليست هي الرغبات ذاتها، مشكلتنا الكبيرة، هي عندما نريد الأشياء بشكل غير متناسب. مشكلتنا، هي أننا نحب الأشياء كثيرًا. نحن نأخذ شيئًا

مشروعًا (مثل الرغبة أن تعتذر لي زوجتي عندما تُخطئ)، ونُحولها إلى وثن يتحكَّم فينا. وبذلك، تخرج عواطفنا عن السيطرة، وتصبح غير متناسبة أيضًا.

بعبارة أخرى، فإن حب شيء ما، قد يُنتج فينا غضبًا غير صحيح. حب شيء ما بطريقة مُفرَطة (حتى لو كان شيئًا جيدًا)، ينتج عنه غضب لا يتماشى مع حجم المشكلة. إذا كسر شخص ما إشارة المرور واصطدم بسيارتي، ثم قرَّرت أن آخذ بندقية وأطلق النار عليه، فقد عبَّرت عن غضبي بشكل غير صحيح. ولكن، فكِّر في الأمر: لماذا عبَّرت عن غضبي بشكلٍ خطأ؟ لأنني تفاعلت مع المشكلة بشكل غير مناسب. ولكن، لماذا كان ردّ فعلي مُبالَغًا فيه؟ هذا هو السؤال الكبير!

السبب في أن ردّ فعلي غير متناسب مع حجم المشكلة، هو أنني أُحب سيارتي بشكلٍ مُفرَط. **عندما أعطي شيئًا حجمًا أكبر من أهميته، أتصرف بطريقة خاطئة**. أعلم أنه من السهل جدًا فهم هذه النقطة في مثال مُبالَغ فيه مثل هذا. لكن التحدي الكبير، هو رؤيته في مواقف صغيرة تحدث كل يوم.

لماذا نغضب بشكل غير صحيح؟ لأننا نحب شيئًا ما أكثر مما يجب أن نحبه. **المشكلة الأعمق ليست في الغضب في حد ذاته، المشكلة الأعمق هي في داخل قلبي**. إذن ماذا يجب أن أفعل، إذا كنت أُصارع مع الغضب؟ كيف أتغيَّر؟ أعدّ الأرقام حتى عشرة، فيهدأ غضبي؟ أحاول ألاَّ أصرخ؟ لا مفر. لن يحدث تغيير عميق إلا عندما أكتشف أنني أحب شيئًا أكثر ممَّا أحب يسوع. لديَّ "رغبات مُفرَطة" في أشياء مشروعة (مثل أن تعتذر زوجتي عندما تُخطئ). أحتاج إلى القول بألم: "يا رب، لم أستجب مثلك. أنت لم تكن أعظم كنز لي في تلك اللحظة. لقد استبدلتك بشيء تمنَّيتُه بشكلٍ مُفرَط. نعم، لقد تسبَّب في إيذائي، لكنني كنت المُخطئ. لقد استسلمت إلى مشاعري. أحتاج إلى مغفرتك".

هذه القناعة، الراسخة بداخلي، هي ما تجعلني أحتاج إلى مغفرة المسيح مرة أخرى (ومن ثم، أنال قوة جديدة لمُسامحة الآخرين). عندما تحتضني بحبك غير المشروط، لا أعود بحاجة إلى ما أشتاق إليه كثيرًا. لماذا؟ لأنني قد غيَّرت كنزي، ووجدت الرضى والشبع الحقيقي فيك.

تباين بين الغضب المقدس، والغضب غير المقدس

الغضب غير المقدس	الغضب المقدس
يشعر بالرغبة في إيذاء الآخر. يُعبِّر عن مشاعره في سخط، ولا يقدر أن يُسامح الآخر. دون أن يدري يجد نفسه، في لحظة الغضب، يكره الآخر. يريد الانتقام. لا يَعُد يُفكِّر كثيرًا في ما قام به، ولكن في كيفية إلحاق الألم بالآخر.	يشعر بالألم، لكنه لا يستحوذ على عواطفه أو يَخفيها. يشعر بالضعف، ويكون صادقًا مع شعوره. إذا كان الجرح كبيرًا جدًا، فبدلاً من التعبير عنه بإيذاء شخص آخر، يأتي أمام الله، ويطرح عواطفه في الصلاة[٥].
يشعر برفض قوي للشخص الذي أخطأ. ألمه شديد لدرجة أنه غير قادر على الاستمرار في حب الشخص الذي ألحَق به الضرر. يكره الخطية والخاطئ. يجد مُتعة في التفكير عن كيف يمكن إيذاء الآخر.	يشعر برفض قوي لخطية الشخص الآخر. يؤلمه ما فعله كثيرًا، ولا يجد عذرًا لهذا الفعل. فقلبه ليس مصنوعًا من الحجر، لكنه يرفض الخطية وليس الخاطئ. على الرغم من شعوره بالأذى، إلا أنه قادر على الاستمرار في حب الآخر، رغم ما فعله به.

---

[٥] هناك العديد من المواقف التي يكون فيها الجرح الذي نتلقاه كبيرًا جدًا، والعواطف تكون مُلتهبة للغاية. في هذه الحالة، يوصي الكتاب المقدس بأمرين: **أولاً**، لديك حرية التعبير عن أسوأ مشاعرك لله. لا تخجل، فهو يعرفها بالفعل! الاعتراف بها في الصلاة سيساعدك كثيرًا. الكتاب المقدس مليء بالمزامير (التي أسميها "مزامير الغضب") حيث "يتقيأ المرنم" كل ما يشعر به أمام الله (وبعد القيام بذلك، ينتهي في النهاية بطلب العفو عن خطيته أو عبادة الله).

على سبيل المثال، في المزمور ١٠٩: ٦ يُخبر داود الله: «فَأَقِمْ أَنْتَ عَلَيْهِ شِرِّيرًا، وَلْيَقِفْ شَيْطَانٌ عَنْ يَمِينِهِ.إِذَا حُوكِمَ فَلْيَخْرُجْ مُذْنِبًا،وَصَلاَتُهُ فَلْتَكُنْ خَطِيَّة. لِتَكُنْ أَيَّامُهُ قَلِيلَةً، وَوَظِيفَتُهُ يَأْخُذْهَا آخَرُ.لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَامًا وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَة. لِيَتِهْ بَنُوهُ تَيَهَانًا وَيَسْتَعْطُوا، وَيَلْتَمِسُوا خُبْزًا مِنْ خِرَبِهِمْ. لِيَصْطَدِ الْمُرَابِي كُلَّ مَا لَهُ، وَلْيَنْهَبِ الْغُرَبَاءُ تَعَبَهُ.لاَ يَكُنْ لَهُ بَاسِطٌ رَحْمَةً، وَلاَ يَكُنْ مُتَرَأِّفٌ عَلَى يَتَامَاهُ. لِتَنْقَرِضْ ذُرِّيَّتُهُ. فِي الْجِيلِ الْقَادِمِ لِيُمْحَ اسْمُهُمْ!».

ثانيًا، ينصح الكتاب المقدس أن تتحدَّث عن ذلك مع مسيحي آخر ناضج. (أعني مع شخص حكيم وناضج عن حق، وليس مع صديق). الشيء المثالي، هو التحدُّث مع مرشد أو قائد. الهدف ليس التنفيس عن مشاعرك، ولكن الهدف، هو الحصول على المساعدة والمشورة الخارجية للتعامل مع الموقف بحكمة (غلاطية ٦: ١).

سواء كان ظالمًا أو مظلومًا يتحوَّل إلى ظالم لأنه يُحوِّل رغبته إلى مطلَب يلزَم تلبيته. يشعر أنه يحق له إلحاق الأذى بالآخر. يجد تبريرًا لعدوانه، نظرًا لاعتقاده أنه على صواب أو قد تعرَّض لضررٍ بالغ.	الغضب المقدس لديه سبب مشروع، ولديه المقدرة على عدم تحويل رغبته إلى مطلَب يجب تلبيته. إنه لا يغض الطرف عن أخطاء وخطايا الآخرين، بل يواجه عندما يستلزم الأمر. ومع ذلك، يحاول أن يكون موضوعيًا، ويهتم بمعرفة إذا كان الآخر أعمى تجاه خطيته أو غير حساس.
يتمركز فقط على مصلحته الخاصة. يريد شيئًا، وعندما لا يحصل عليه، لا يستطيع أن يرى موقف الآخر. بالنسبة له (على الأقل في ذلك الوقت) تتلخص حياته في ضرورة إنهاء الصراع بالطريقة التي يتوقعها. يقول الغضب المُتمركز حول الذات: "أنا الله! سيتم تنفيذ كل شيء حسبما أُريد. أُمنياتي هي الشريعة الإلهية، وإذا انتُهِكَت إرادتي السيادية، فسيتم مُعاقبتك. لديَّ خطة لمملكتي الصغيرة، ولا شيء ولا أحد سيعوقني لأُتممها".	يتمركز أولاً حول التمتع بالله، ونتيجة لذلك، يمكنه التركيز بشكل صحي على مصلحته الفردية ومصلحة الآخرين. لا يعني أنه ينكر نفسه، بل هو يُفكِّر جيدًا في نفسه. ماذا يعني هذا؟ إنه يعلم أن "الحياة ليست في فعل ما أُريد، بل **يجد الحياة في المسيح**". لذلك، **يضع الله أولاً**. بمجرَّد أن ترسخ هذه الحقيقة في القلب، يمكنه الآن الموازنة بين ما يفيد ملكوت الله، ونفسه، والآخرين.
يُعبِّر عن الألم بطريقة غير صحيحة. يتردَّد بين المواجهة مُستخدما العدوان اللفظي أو العدوان العاطفي (شكل من أشكال العقوبة).	يُعبِّر عن الألم بطريقة سليمة. يعرف أن الطريقة التي نُعبِّر بها عن الحقيقة، هي في نفس ذات الأهمية مثل الحقيقة نفسها.
يعتقد أنه على حق، ويريد أن يُثبِت ذلك مهما كان الثمن. لا يعطي الفرصة أبدًا لقبول أنه قد يكون مُخطئًا. عندما يتحدَّث، فهو "مُحامٍ" عظيم (لديه أسباب وأدلة على كل شيء)؛ عندما يكون صامتًا، فهو "عالم نفس" عظيم (يعتقد أنه يفهم أسباب الآخر). عندما يواجه، فهو غير قادر على إدراك دوره في الصراع.	على الرغم من أنه يظن أنه لم يُخطئ، إلا أنه يُقبِل على الخلاف "بأيدٍ مفتوحة" - أي أنه على استعداد ليرى إذا كان أخطأ والآخر لديه جزء من الحقيقة، ولكنه لا يتصرَّف كدُمية يتحكَّم فيها الآخرون. يعرف أن الواقع وتصوُّره للواقع لا يتطابقان دائمًا. يتقبَّل الموقف دون تقديم أعذار.

يحكم على الدوافع. على الرغم من أنه لا يرى ذلك أو لا يقبله، إلا أنه يتولى دور الروح القدس. كيف؟ يتظاهر بأنه يعرف دوافع وأسباب الآخر. يُسمِّي الكتاب المقدس هذا الفعل بخطية "ادعاء معرفة الحقائق".	يركِّز في الحديث على الحقائق الملموسة. عندما يحاول تمييز الدوافع التي تصرَّف بها الآخر، بالطريقة التي تصرَّف بها في أرض الواقع، يُناشد التفكير، ويطرح الأسئلة، وليس لديه تصريحات قاطعة.
يطلب تغييرات فورية. نظرًا لأنه يركز بشكلٍ مُفرَط على ما يريد، فهو غير قادر على تذكُّر أن لا أحد يتغيَّر بين عشية وضحاها.	لا يطلب تغييرات فورية. يريد أن يتغيَّر الشخص الآخر، لكنه يدرك أنه لا ينبغي أن يطلب ذلك، وأن التغيير يستغرق وقتًا.
يتحدث عن غضبه مع الشخص الخطأ. نظرًا لأنه لا يريد أن يواجه الذي أذاه (بدافع الخوف أو الكبرياء)، فإنه يتحدث عن الأمر مع الآخرين (ثرثرة).	يتحدث عن غضبه مع الشخص المناسب. يقوم بمواجهة الشخص الذي أذاه بحب، ولا يفضح الأمر أو يُعلِّق على الأمر أمام الآخرين.
لا يقدر أن يغفر. نظرًا لأنه قد حوَّل الرغبة إلى إله يعبده (يرى أن الشخص الآخر "لمَس" معبوده)، فهو لا يملك القدرة على تجاهل الخطأ. إنه يشعر أن شيئًا غاليًا لا يُقدَّر بثمن قد تم الاستغناء عنه. على الرغم من أنه يُنكر ذلك. فالحقيقة بالنسبة له، هي الشيء الذي قد تم سلبه منه، هو أغلى من يسوع نفسه.	قادر أن يغفر. بما أنه لا يمكن لأحد أن يسلب أعظم كنز له (يسوع المسيح)، فأي شيء يفعله الآخر لا يُقَارَن بكنزه الأعظم. يشعر في قلبه بسرعة بالحنان **عندما يتذكَّر الغفران الإلهي الثابت الذي يتلقاه**. هذه الحقيقة تتيح له تقديم الغفران للآخرين.
التعبير عن الغضب كما يتوقع منَّا الكتاب، لا يتطلَّب عزيمة وإرادة قوية، بل يتطلَّب قوة خارقة لا تأتي إلا من الروح القدس.	

قبل الانتقال إلى النقطة التالية، أوَّد أن نتأمل في جانب رئيسي أخير حول الغضب غير المقدس. لا يتم التعبير عن الغضب الخاطئ دائمًا بالطريقة نفسها. بشكلٍ عام، نحن عادةً ما نتأرجح بين طرفين. من ناحية، هناك أشخاص ينفجرون عادةً عندما يغضبون؛ ومن ناحية أخرى، هناك أشخاص آخرون يصمتون عادةً عندما يكونون غاضبين. قد يبدو على الشخص الذي يصمت أنه ليس غاضبًا، لكن في الواقع، هو يخفي أو يُنكر غضبه (حتى من نفسه).

إذا فكَّرت في الأمر للحظة، في المُلاكمَة، هناك طريقتان للدفاع عن النفس من ضربة تأتي من الخصم. تلقي ضربة أخرى (ما يفعله الأشخاص ذوو الشخصية "القوية") أو تجنُّب الضربة (ما يفعله الأشخاص ذوو الشخصية "الضعيفة"). كلاهما (نعم، كلاهما!). هي ردود خاطئة، وتعمل كآليات دفاع غير صحيحة. (فكِّر في الأمر: الشخص ذو الشخصية القوية حقًا، هو الشخص الذي يمتلك القوة الكافية لتلَّقي الضربة دون التهرُّب منها أو إعادتها؛ ذلك الشخص مثل يسوع (متى ٥: ٣٩).

مَن يُعبِّر عن غضبه مثل "الجبل الجليدي"	مَن يُعبِّر عن غضبه مثل "البركان".
يحتفظ بغضبه في الداخل.	ينفجر[٦].
لا يقول ما يُفكِّر فيه عادةً.	يَبوح بكل ما يُفكِّر فيه، دون أن يستخدم أي "فلتر" لكلامه.
يحسب كل خطوة أو كلمة يتفوَّه بها.	مُتهور للغاية.
يشعر بالمرارة.	يصرخ ويرفع صوته كثيرًا.
قد يستمر الغضب لعدة أيام.	يُفكِّر في الغضب على أنه "لحظة".
عادةً ما يستغرق وقتًا أطول ليغفر.	عادةً يغفر للآخر أسرع.
رغم أنه لا يدري بأن لديه ميل لانتقاد الآخر.	رغم أنه لا يدري بأن لديه ميل لانتقاد الآخر.
يستخدم الصمت والمسافة لمُعاقبة الآخر.	يستخدم الكلام لمُعاقبة الآخر.

[٦] من الجدير بالذكر، هو التفكير في كيف يشعر الشخص الذي "ينفجر" بانتظام في شريك الحياة. عندما أكون معه، أشعر أنني "أمشي على قشر البيض" لا أعرف متى سينفجر البركان. إنه مُتقلِّب جدًا، ومُخيف جدًا، ومُسيطر جدًا. لا أشعر بالأمان معه فهو ظالم وقمعي. أشعر بالخداع، وإذا لم أكن حريصة، فأنا أعلم أنه سيضربني. نعم، أشعر بالغضب، لكن خوفي وألمي يفوزان في المعركة ضد غضبي. لا أجرؤ أبدًا على التعبير عن غضبي حتى في أصغر الخلافات.

في بعض الأحيان، لا أعرف حتى ما أريد: أكل البيتزا أم السمك؟ لا أجرؤ على التفكير في ما أرغب أو حتى التعبير عنه. فقط أدَّعي أنني لا أهتم. أنا لا أعرف ما هو الشيء الصحيح لأفعله. أشعر بالشلل والعجز واليأس من العيش في بيئة من العداء المستمر. في بعض الأحيان، أعتقد أنه خطأي، وهو بالضبط ما يتهمني به. لو كنت مختلفة، فلن يكون عدوانيا أو عنيفًا معي. ومع ذلك، في لحظات التعقل، أدرك أنه يتم التلاعب بي من قِبَل غضبه، وأنه لا يوجد أي عذر لمعاملته لي. تمت ترجمته وتكييفه من: David Powlison, Good & Angry, pp. 31-32.

عادةً جميعًا نتفاعل بالطريقتين وفقًا للسياق الذي نحن فيه، وفقًا للشخص الذي نتصارع معه .. إلخ؛ ولكن، بشكلٍ عام، هناك واحد من هذين الاتجاهين يسود عادةً في استجابتنا غير الصحيحة.

كيف نتفاعل عندما لا نحصل على ما نريد؟

كيف نتفاعل في صراعٍ ما؟

كما قلت أعلاه: "أن تكون قويًا" هو التعامل مع الصراع كما فعل يسوع. (بدون التصرف كبركان أو كجبل جليدي). أن لا أنكر مشاعري، ولا أترك الآخرين يُخطئون أو ينتهكون حقي، لكن لا أستجيب بعنف. أن تكون قويًا، هو الرَّد بشكلٍ صحيح. يتحدث الكتاب المقدس عن ثلاثة أنواع من الاستجابة بشكلٍ صحيح. نظرًا لأننا لا نستجيب دائمًا بالطريقة نفسها، أوَّد تشبيهها بإشارة المرور: الأخضر: عندما يُحركنا الله لمواجهة خطية الشخص. الأصفر: عندما يُخبرنا أن ننتظر. الأحمر: عندما يكون من الأفضل تجاهل الخطأ، ومُسامحة الشخص دون لفت النظر إلى خطئه.

دعنا نُحلّل كل اتجاه لفترة وجيزة.

المغفرة	التجاهل أو التغاضي عن الفعل.	(أمثال ١٩: ١١)
الانتظار	انتظار اللحظة المناسبة.	(يعقوب ١: ١٩، ٢٠)
المواجهة	مواجهة الشخص بما قد فعله.	(متى ١٨: ١٥)

الضوء الأحمر: تجاهل ما قد حدث.

على الرغم من أنه في جميع الحالات الثلاث، يجب أن أسامح الشخص الذي يؤلمني، لكن هناك أوقات يجب أن أُسامحه فيها، دون الإشارة إلى ما فعله بشكل سيئ. يقول سفر الأمثال ١٩: ١١ «تَعَقُّلُ الإِنْسَانِ يُبْطِئُ غَضَبَهُ، وَفَخْرُهُ الصَّفْحُ عَنْ مَعْصِيَةٍ». ما هي بعض الأسباب التي تجعل الله يطلب مني القيام بذلك؟

أولاً: قد يكون الشخص الذي أخطأ، ليس في وضع يسمح لي بمواجهته. يقول الكتاب المقدس: إن مواجهة شخص مُصاب بالعمى، في بعض الأحيان يؤدي إلى المزيد من

النقاش، ومزيد من حدة الصراع. يقول سفر الأمثال ٩: ٧، ٨ «مَنْ يُوَبِّخْ مُسْتَهْزِئًا يَكْسَبْ لِنَفْسِهِ هَوَانًا، وَمَنْ يُنْذِرْ شِرِّيرًا يَكْسَبْ عَيْبًا. لاَ تُوَبِّخْ مُسْتَهْزِئًا لِئَلاَّ يُبْغِضَكَ. وَبِّخْ حَكِيمًا فَيُحِبَّك[٧]». هل هذا يعني أنه لا ينبغي عليَّ مواجهة شخص أعرف أنه سيتفاعل بشكل سيئ؟ بالطبع لا!

الحقيقة هي أن قلة قليلة من الناس تتفاعل بشكل جيد عند مواجهتها. إذا كان هذا هو الحال، فلن نواجه أي شخص أبدًا! ما يعنيه ذلك، هو أنه يجب عليَّ التمييز بين ما إذا كان الله "يضع النور في اللون الأحمر" في هذه اللحظة بالذات مع هذا الشخص بعينه.

على سبيل المثال، قد لا يكون من المناسب مواجهة زميل في العمل غير مؤمن أهانني حين طلب مني أن أفعل شيئًا له. (لا أعرف أصدقاءك غير المؤمنين، لكن أصدقائي عادةً يهينون أنفسهم طوال الوقت). ومع ذلك، إذا كان صديقًا مؤمنًا، فمن الأفضل أن أذكر ذلك له.

أتذكَّر موقفًا كنت أعمل فيه مع مدير مؤمن ارتكب الخطأ نفسه بشكل مُتكرِّر. في كل مرة كنت أواجهه فيها، كان يرُد عليَّ بشكل عنيف جدًا. حتى جاء الوقت حيث لم يكن لدينا سوى القليل من الأيام المتبقية لمواصلة العمل معًا، وكان الله واضحًا جدًا في إخباري بأنه يجب عليَّ إطلاق هذا الرجل، والتوقف عن توبيخه. الله يوجهنا في لحظات، ولا يضع لنا قوانين ثابتة.

ثانيًا: قد لا أكون في وضع يتيح لي مواجهة الشخص الآخر. يقول سفر الأمثال ١٧: ١٤ «اِبْتِدَاءُ الْخِصَامِ إِطْلاَقُ الْمَاءِ، فَقَبْلَ أَنْ تَدْفُقَ الْمُخَاصَمَةُ اتْرُكْهَا».

في كثير من الأحيان، أجد نفسي في حالة غير مناسبة لمواجهة الآخرين، أو ببساطة لست أنا الشخص المناسب للقيام بذلك. ربما تكون مشاعري مُلتهبة جدًا، وربما تكون

---

[٧] من المُثير للاهتمام، التأمل فيما يقوله الجزء الثاني من هذه الآية؛ "وبخ حكيمًا". هذا يعني أن التوبيخ الذي يمكن أن يتحمَّله الشخص، يتناسب مع نضج هذا الشخص. كلما كنت حكيمًا، كلما قبلت التوبيخ.

سأسألك: هل ترحب بمَن يوبخك؟ متى كانت آخر مرة قام شخص ما بتوبيخك؟ وفقًا لهذه الآية، إذا كان الأمر قد مضى منذ وقتٍ طويل، فذلك ليس لأنك نضجت، ولكن العكس تمامًا؛ ذلك لأنك مستهزئ تتفاعل بشكل سيئ عندما يجرؤ أحد على مواجهتك .

دوافعي غير صحيحة، وربما تكون دوافعي هى الانتقام وليست المساعدة .. إلخ. ماذا يمكنني أن أفعل في مثل هذه الحالة؟ من الأفضل في بعض الأحيان عدم قول أي شيء، أو كما سنرى أدناه، من الأفضل في بعض الأحيان؛ الانتظار.

ثالثًا: ربما يريد الله أن يعمل على تشكيل شخصيتي، ويُعلّمني أن أكون أكثر شبهًا بالمسيح. كما يقول ١بطرس ٢: ٢٠- ٢٥ (اقرأ هذا الجزء إذا كنت تعاني من المشكلة نفسها). جزء من دعوتنا هو المُعاناة غير العادلة. لقد صمَت يسوع ولم يفتح فاه، وأحيانًا (ليس دائمًا)، علينا أن نسير على خطاه. إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فإن مُسامحة الآخرين هو ما يجعلني أتحوَّل إلى صورة المسيح. (تأمل في هذه الفكرة. أعتقد أنها مهمة جدًا).

ماذا يعني أن أسامح شخصًا أذاني؟

أولاً: إنه ينطوي على قرار اختياري لتحمُّل المُعاناة وتكلفة حل المشكلة. تخيَّل أنك أخذت سيارتي لتقضي بها مشوارًا، وحطمتها في حادث. سنفترض أنه، لسببٍ ما، لا يغطي التأمين تكاليف الضرر. ماذا أفعل؟ لديَّ ثلاثة خيارات: يمكنني أن أطلب منك أن تدفع ثمن تصليح السيارة بأكمله. يمكننا تقسيم المبلغ علينا. أو أُسامحك ولا أطلب منك مشاركة أو دفع ثمن السيارة. في كل خيار من الخيارات، يجب دفع تكلفة الضرر من قِبَل شخصٍ ما. **الغفران يعني: أنني على استعداد لدفع تكلفة خطية شخص آخر.**

من المهم ملاحظة، أنه ليس جميع الأضرار التي تحدث لنا، تستلزم المال أو أضرار اقتصادية. يمكن لأي شخص أن يلحق الضرر بسُمعتك، أو كرامتك، أو عملك، أو يسلب منك حريتك، أو يسرق منك فرصًا، أو النوم، أو الفرح، أو يُسبب لك الألم العاطفي أو الجسدي، وما إلى ذلك. لا يمكنك وضع تكلفة لكل ضرر؛ ومع ذلك، فهناك تلف تسبَّب في تكلفة للشخص الذي تأذَّى. **الغفران هو عكس الاعتذار**. العذر، هو اعتبار كأنه لم يحدث شيء. الغفران هو أن أقول: "نعم، حدث شيءٌ ما، لكنني على استعداد لتحمُّله".

ثانيًا: الغفران يعني أنني تمكَّنت من شفاء قلبي الجريح مُتذكرًا الغفران المستمر الذي يُقدمه لي الآب. كيف أُسامح؟ كيف أتسامح مع ألم الجرح؟ تأمل في التكلفة التي تحمَّلها المسيح ليغفر خطيتي (متى ١٨: ٢٣- ٣٣). فقط، الإنجيل لديه القدرة على إنارة قلبي لأتوقف عن رؤية نفسي كضحية لخطية الآخرين، والبدء في رؤية كيف أن خطيتي

أدَّت إلى موت ابن الله. عندما يتم عكس هذه المعادلة (أتوقف عن رؤية نفسي كمظلوم، وأبدأ في رؤية نفسي كظالم)، يجد قلبي راحةً وشفاءً عميقًا، وأكون بصحة جيدة. يمكنني أن أسامح أي شخص ألحق بي الضرر.

أخيرًا: ينطوي الغفران على التخلّي عن الاحتفاظ بسجِّل الضرر أو استخدامه في المستقبل (١كورنثوس ١٣: ٥). عندما أُسامح شخصًا ما، ليس لي الحق في أن أذكر له هذه الخطية مرة أخرى. إن التغاضي عن ضرر، يعني أنني قرَّرت عمدًا ألَّا أتحدث عنه، ولا أُفكر فيه أكثر، ولا أسمح له أن يُشعرني بالمرارة. إذا كنت لا أستطيع أن أنسى الضرر بهذه الطريقة، أو إذا كان من الصعب جدًا تجاهله، أو إذا كانت الإساءة جزءًا من نمط شرير في حياة الشخص الآخر، فمن الأفضل التحدث إلى الشخص بطريقة محبة وبناءة.

إشارة المرور الصفراء: انتظار اللحظة المناسبة.

تخيَّل أنها ليلة الجمعة. يصل الزوج إلى منزله مُستنزَف جدًا من العمل. يُخبره مديره في الشغل أن راتبه قد تم تخفيضه. يمرح الأطفال بصوتٍ عالٍ ويهرولون في كل جانب من غرفة الطعام. تصل عائلة زوجته. ينبح الكلب لأنه يريد أن يذهب في نزهة. على الزوج أن يُغير ملابسه بسرعة، ويذهب إلى حفلة. ومع ذلك، تُصمِّم الزوجة على إخباره أن هذا الصباح كانت المرة الألف التي لم يُلقِ فيها القمامة. يقول سفر الجامعة: إن هناك وقتًا لكل شيء. وللمواجهة أيضًا.

أحد أكبر التحديات في المواجهة، هو وجود ما يكفي من التمييز (والصبر) لمعرفة ما إذا كان هذا هو الوقت المناسب للتحدث مع شخص ما عن خطأه، أم لا.

نعم، صحيح أنه في متى ٥: ٢٣، ٢٤ يحثنا يسوع على حل الخلاف بسرعة[٨]. صحيح أيضًا أن بولس في أفسس يقول: «لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ». ومع ذلك، هذا لا يعني

---

[٨] في الموعظة على الجبل، يستخدم يسوع عددًا كبيرًا من الأمثلة والتشبيهات لإيصال الحقائق الروحية التي يريد توضيحها. على سبيل المثال، عندما يقول: «بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا». لا يقول يسوع، إنه فقط عندما يصفعك شخص، تُحوِّل له الجانب الأخر.

ماذا إذا قام شخص ما بصفعك على الخد الأيسر أو في المعدة أو على الأنف؟ لكنه يُشير إلى اتجاه معيَّن، **وهو عدم المقاومة**، وليس إلى الفعل الحرفي. =

أنه دائمًا، وفي جميع المواقف يجب أن أواجه الشخص في نفس اليوم الذي يُخطئ فيه. ما يعنيه بولس في أفسس، هو أنه لا ينبغي عليَّ أن أنام الليل مع غضب شرير في قلبي، أي دون أن أغفر! (لقد قلت ذلك بالفعل في البداية، في الحالات الثلاث، يجب أن نغفر للشخص).

لكن هناك العديد من الحالات، حيث من الأفضل الانتظار. ومن الأمثلة المتطرفة محاولة مواجهة شخص تحت تأثير المخدرات أو شخص مخمور، وغالبًا ما يصبح عدوانيًا. في كثير من الأحيان، الشخص الذي أخطأ للتو، لا يكون على استعداد لتلقي المواجهة في الوقت الذي "أنفجر فيه"، لكنه يكون أكثر استعدادًا بعد ذلك، عندما يكون أكثر هدوءًا. من الممكن أيضًا أن يمر الشخص بوقت عصيب جدًا (مثل وفاة أحد أفراد أسرته أو طرده من وظيفته)، وفي هذه الحالة، يكون من الحكمة الانتظار لإظهار خطئه.

عليك أن تتذكَّر حقيقة أساسية: ما الذي تبحث عنه عند مواجهة شخص ما؟ الغرض من المواجهة مزدوج: من ناحية، أَظهِر للشخص خطيته حتى لا يُعيدها مرةً أخرى (يُطلِق الكتاب المقدس على هذا "**التقويم**")، ومن ناحية أخرى، دعوة ليعود إلى الله، والشخص الذي قد ألحق به الضرر (يصف الكتاب المقدس هذا "**بالمصالحة**"). ضع في اعتبارك دائمًا: إذا تحدثت في هذا الوقت، فهل سأحقق هذه الأهداف؟

أخيرًا: هناك سببًا آخر وراء إرشاد الله لي للانتظار، وهو بسبب حالتي العاطفية والروحية بعد وقوع الضرر. هناك عدة مرات أكون فيها ببساطة غير جاهز. يقول يعقوب ١: ٢٠ «لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ». تقول ترجمة أخرى: "لأن الشخص العنيف، لا يستطيع فعل ارادة الله". وآخر: "لأن الرجل الغاضب، لا يفعل ما هو صحيح أمام الله". ماذا يقول يعقوب؟ عندما تكون غاضبًا بمرارة (البركان أو الجبل الجليدي)، فمن المستحيل لك أن تتصرف بطريقة عادلة وصحيحة - أي أنه من المستحيل حل النزاع كما يتوقع الله منا. بمعنى آخر؛ الغضب يدمر قدرتك على النظر إلى الواقع بموضوعية واتخاذ قرارات حكيمة وصحيحة عندما تكون في هذه الحالة. إذا واجهت شخصًا ما، فسوف

= نجد الشيء نفسه في إنجيل متى ٥: ٢٣، ٢٤، حيث يأمر: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ». أعتقد أن التفسير الأكثر دقة لهذا الجزء، هو فهم أن يسوع يتحدَّث عن اتجاه داخلي للقلب، يتمثل في وجود الرغبة في حل الصراع في أسرع وقت ممكن، وليس أن تتم المصالحة دائمًا في اليوم نفسه الذي يحدث فيه الخلاف.

تفعل ذلك بشكلٍ خاطئ! (كم مرة تندم على الأشياء التي قلتها بعد لحظة غضب؟). إذن ما هو الأفضل؟ الانتظار. اغفر أولاً للشخص في قلبك، ثم واجهه (أمثال ١٤: ٢٩).

إشارة المرور الخضراء: مواجهة الشخص.

عندما يدخل الجراح إلى غرفة العمليات، فإنه يغسل يديه، ويعقم نفسه، ويضع القفازات، والقناع، والملابس الخاصة، ويغطي حذائه. أما في الغرفة التي يستعد فيها المريض بعناية، تتأكد الممرضات من أن الأجهزة تعمل بشكل مثالي، وأن الأدوات في مكانها الصحيح، وأن كل شيء يتم التحكم فيه لسلامة نجاح العملية. عندما يقترب الطبيب من المريض، فإنه يفعل ذلك بعناية فائقة، وهو حساس للغاية عند لمس جرح المريض. لماذا؟ لأن الشخص في حالة ضعف هائل. هكذا أيضًا عندما تأتي لحظة المواجهة، حيث في كل مرة يجب أن أتذكَّر أنني أتعامل مع جرح مفتوح. تمامًا مثل الجراح، يجب أن أكون رقيقًا وحساسًا.

عندما يتحدَّث الكتاب المقدس عن الطريقة التي يجب أن نواجه بها شخصًا ما، فإن الكلمة التي يمكن أن تُلخص كل تعاليم الكتاب هي: **الوداعة** (غلاطية ٦: ١). التحلّي بالوداعة هو القدرة على وضع نفسي أمام أقدام الشخص الذي أواجهه - أي أن أشعر بما يشعر به، وأفكر بما يفكر فيه في اللحظة التي أُريه فيها خطيته. رغم أنه يمكن قول أشياء كثيرة حول كيفية القيام بذلك، أُريد أن أترك لكم أربعة اقتراحات عملية:

- عليَّ التعبير عن ألمي، بالطريقة نفسها التي أرغب أن يُعبِّر بها الآخرون، إذا ما تسبَّبت أنا في ألم لهم (متى ٧: ١٢).
- عليَّ أن أُعبِّر عن ألمي، مُتذكرًا أنني أيضًا أتسبَّب في ألم للآخرين (رومية ٣: ٢٣).
- عليَّ التعبير عن ألمي، مُتذكرًا أنه يمكنني أيضًا الوقوع في الشيء نفسه (غلاطية ٦: ١).
- عليَّ أن أُعبِّر عن ألمي، وأنا على استعداد أن أُدرك أنني قد أكون مُخطئًا (إرميا ١٧: ٩).

متى يتوجَّب الأمر مواجهه شخص ما؟ على الرغم من أنه قد يكون هناك أكثر من ذلك، اسمحوا لي أن أُقدِّم لكم سببين كتابيين بمثابة مرشد لتلك المواقف[٩]:

---

[٩] الروح القدس هو المسؤول في النهاية عن توجيهنا لمواجهة الآخرين. ومع ذلك، اسمحوا لي أن أُقدم بعض النصائح، إذا كانت المواجهة شيئًا جديدًا بالنسبة لك. بالتأكيد جميعنا لدينا ساعة نُفضِّل فيها معالجة الاختلافات. إذا كنت "بركانًا"، فستواجه على الأرجح الآخرين في لحظة غضبك، بينما إذا كنت "جبلاً جليديًا" فمن الأرجح =

السبب الأول واضح للغاية: عندما ترى خطية حقيقية في مؤمن آخر، إنجيل متى ١٨: ١٥ يقول: «وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ». أن أبقى صامتًا عندما يُخبرني الكتاب المقدس أن أتكلم، ذلك خطية. ولكن كيف يمكنني التأكد من أنني يجب أن أفعل ذلك؟ نفس الجزء يعطيك الجواب. عندما يكون دافعي هو مساعدة أخي المؤمن - أي أن "أربحه" وأسترجعه. إذا لم يكن الدافع هو مساعدته، فعندئذٍ ينبغي عليَّ أن أصمت.

السبب الثاني للمواجهة: هو عندما يتم بناء "جدار" بينك وبين الشخص. في متى ٥: ٢٣، ٢٤ يقول المسيح: إنه إذا علمنا أن شخصًا ما لديه شيء ضدنا ، فمِن واجبنا أن نحاول حل المشكلة. ماذا يحدث إذا لم يقبل الشخص الآخر هذا التوبيخ؟ ماذا يحدث إذا لم أكن أُريد المواجهة؟ بولس يعطينا الجواب في رومية ١٢: ١٨ «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ».

توضح الآية أنه في بعض الأحيان المُصالحة غير ممكنة (حتى بين المؤمنين)[١٠]. ومع ذلك، بقبول هذا، يجب ألاَّ ننسى أهم نقطة يريد بولس تسليط الضوء عليها. يجب أن أتأكد بضمير حى أني فعلت كل ما في وسعي لتحقيق المُصالحة. إذا كان بإمكاني أن أقول نعم، وبصراحة، وإذا كان الآخرون يعرفون الوضع (من الأفضل أن يكون قائدك أو راعي الكنيسة)، ويوافقون أيضًا أنك قد فعلت كل ما في مقدرتك، إذن يمكن أن يكون لديك صراع مع شخص لم يحل.

أخيرًا: كيف يجب أن أعتذر عندما أجرح شخصًا آخر؟ اسمحوا لي أولاً أن أُخبركم كيف لا أفعل ذلك: "سامحني إذا كنت قد فعلت شيئًا ضايقك أو إذا شعرت بالإهانة مني". هل ارتكبت أنت شيئًا خاطئًا أم لا؟ لماذا تشك في فعلك؟ في الحقيقة أن السؤال للمغفرة

= أنك ستصمت. هناك مبدأ بسيط يمكن أن يساعدك مؤقتًا: "تحدَّث، عندما تشعر بالإغراء في الصمت. اُصمت، عندما تجد الرغبة في التحدث". يمكن أن نُسمِّي هذا التدريب "بتدريب الصمت" (للبركان) و"تدريب التحدُّث" (للجبل الجليد).

مع مرور الوقت، وبالتأكيد، بعد الكثير من التجربة والخطأ، ستجد توازنًا صحيًا. لمزيد من التفاصيل حول كيفية حل النزاعات، والتعامل مع المناقشات، أوصي بكتاب "Peace Maker" (صانعو السلام) من تأليف "كين ساندي".

[١٠] كما قلت سابقًا، حتى لو كان الشخص لا يريد التصالح معي، يمكنني، ويجب أن أُسامحه على ما فعلَهُ بى. على الرغم من أن المصالحة شيء يشمل الطرفين، فإن المغفرة شيء يمكنك القيام به بمفردك مع الله.

بهذه الطريقة، يجعل الشخص الآخر يشعر "بالإهانة" أكثر "لكونه شديد الحساسية". أحتاج لتحمُّل مسؤولية خطأي. الاعتراف هو أن "أقرّ بخطأي". في اليونانية يعني أن أُردِّد "نفس ما يقوله الآخر". لصياغتها بكلمات مُعاصرة: "أنا أتفق معك، ما فعلته كان خطأ". إحدى الطرق المتواضعة للقيام بذلك، هي ببساطة، القول: "هل تسامحني على ...؟".

مفتاح حل الصراع

الاستجابة بطريقة جيدة في أي صراع، ليس أمرًا صعبًا، بل إنه أمر مستحيل. لا يَعُد أي شيء مما كتبته في هذا الفصل ذا أية قيمة، إذا لم تسمح لهذه الحقيقة بالترسخ في قلبك. لا أنت ولا أنا يمكن أن نعيش بالطريقة التي ناقشناها هنا. كل هذه النظرية عديمة الفائدة، إذا لم أكن مُمتلئًا بالروح، ومُستمتعًا بالمسيح لكونه لؤلؤة كثيرة الثمن.

مفتاح العيش بهذه الطريقة، هو إدراك أنني لا أستطيع فعل ذلك (بدون مساعدة خارقة للطبيعة). تُظهِر المناقشات والصراعات إحدى الحقائق وأكثرها وضوحًا، والتي يمكن للمرء أن يراها في الكتاب المقدس، وفي الحياة: **يُولَد الصراع من قلب غير مُشبَع**. لذلك، يتم القضاء على الصراعات فقط، عندما يكون القلب مُمتلئًا مرة أخرى.

مفتاح القضاء على الصراعات، هو ايجاد الشِبَع. يجب أن أُدرك أنني أسعى لإشباع قلبي "بالمخلوقات"، لكن الحقيقة، هي أنه لا يمكن أن أشبعه إلا "بالخالق".

يجب أن تمر بالعملية المؤلمة التي مرَرت بها مع زوجتي: التوقف عن النظر كأن المشكلة لا علاقة لها بك، والتركيز على مشكلتك الخاصة. عندما تفعل ذلك، على عكس ما تصرخ عواطفك، ستكتشف ظن قلبك الخفي، لكنك ستجد أيضًا إلهًا يُعانقك بحب على الرغم من ذلك. وعندما تشعر بدفء حضنه، لن تحتاج إلى المُجادلة، لأن قلبك سيكون قد وجد شبعه الحقيقي.

ملخص موجز



ما هو الصراع؟

يُولَد الصراع مع اختلاف في الرأي. لا توجد مشكلة في وجود خلاف بين طرفين، ولكن عندما يتحول الخلاف إلى صراع، تنشأ المشكلة.

لماذا نتصارع؟!

على الرغم من أن هناك مواقف تُغرينا أن نخطئ، فإن السبب الذي يجعلنا نُخطئ، هو ردّ فعلنا المُذنب. لم نحصل على الشيء الذي نحبه أو نريده، لذا نُقرِّر أن نخطئ للحصول عليه.

ما هو الغضب؟

إنه الطريقة التي نتفاعل بها عندما نحب أو نهتم بشيءٍ ما، ونجد أن هذا الشيء قد أصابه ضررًا أو خللاً. أهم مشكلة في الغضب، هي أن أكون صادقًا مع نفسي، وآخذ بعين الاعتبار: لماذا أغضب؟ ما الذي يؤلمني حقًا؟

كيف يجب أن أرُد في صراع؟ كإشارة المرور، لديَّ دائمًا ثلاثة خيارات:

- أسامح الشخص الذي تجاوَز حقي.
- أنتظر الوقت المناسب لأواجهه.
- أواجه الشخص الذي أخطأ في حقي.

.. .. ..

أسئلة للتأمل والمناقشة في مجموعات صغيرة

- لخص في جملة أو جملتين المفاهيم التي لمسَت قلبك في هذا الفصل.
- انظر مرة أخرى إلى القائمة التي تُميِّز بين الخلاف والصراع. مع أي نقطة تُصارع أكثر في حياتك الروحية؟ لماذا تعتقد أنك تقع كل مرة في هذه المشكلة؟
- ما هو الفرق بين إطار النزاع، وسبب النزاع؟ هل تواجه صعوبة في تحمُّل ردود أفعالك؟ ما رأيك في أن الله يريد أن يُعلِّمك شيئًا من خلال هذه التجارب؟
- صِف في كلماتك الخاصة "ما هو الغضب"؟ ما الذي يُميِّز (في رأيك) الغضب الصحيح عن الخطأ؟
- في أي ظروف تغضب عادةً؟ مع مَن؟ إذا قمت بتحليل غضبك بصِدق، لماذا تغضب بسهولة؟ ما الذي يكنزه قلبك في تلك اللحظات؟
- إدارة الصراع بشكل جيد، له علاقة بتعلُّم المواجهة بحب. ما الذي يصعب عليك فعله: أن تواجه أم أن تصمت؟ لماذا؟ ما الذي تعتقد أن الله يتوقعه منك، عندما تواجه مَن آذاك؟ ما هو المفتاح للاستجابة كما يتوقع الله منا؟

* * *

الخاتمة

هل تغيَّرت طريقتك في التغيير؟

أجد نفسي طموحًا جدًا وأنا أكتب هذا الكتاب حيث هدفي منه، إن جاز لي القول، هدفًا لا نستطيع تحقيقه، إلا إذا كان بفضل قوة غير عادية. **هدفي من كل كلمة كتبتها، هو لتغيير أمران مستحيلان:**

أولاً: **قلبك** (ما تحب وتتوق إليه أكثر)، **ثانيًا**: **نظرتك للعالم** (طريقتك في قراءة وتفسير الحياة).

إذا توجَّب عليَّ تلخيص كل هذا في جملة واحدة، فسأضعها على هذا النحو التالي: "**أُريد أن أساعدك على تغيير الطريقة التي تتغيَّر بها**"، وهي تنطوي على تغيير في نظرتك إلى العالم. ماذا أعني بنظرتك للعالم؟ أقصد مجموعة من المعتقدات التي من خلالها تنظر وتراقب وتُفسر كل ما يحدث لك.

إنها العدسات التي تستخدمها لقراءة كل شيء في الحياة. على الرغم، من أنه من الضروري التعبير عنها بهذه الطريقة، فإن **نظرتك للعالم هي فهمك للعالم**. إنها طريقتك للإجابة على الأسئلة الأساسية والمحورية في الحياة.

على سبيل المثال: ما الذي أعيش من أجله؟ لماذا نرى هذا العالم ساقط وفاسد؟ ما هي المشكلة الحقيقية للإنسان؟ ما هو الحل؟ في حالتنا، ما هو التغيير الحقيقي؟ كيف نحصل عليه؟ ماذا يمكنني أن أفعل لأتغير؟ كيف يمكنني معرفة ما إذا كنت قد اختبرت تغيير حقيقي أم لا؟ يمكن تلخيص نظرتك إلى العالم، والتي أحاول تغييرها من خلال هذا الكتاب، من خلال الجدول.

إذا فكَّرت في الأمر للحظة، فإن هذه الصورة تنطبق تمامًا على كل شيء: لتقديم المشورة، لمعرفة الطريقة التي تقرأ بها الكتاب المقدس. كيفية مواجهة التجارب، واتخاذ القرارات، وتربية الأطفال، والتلمذة، حتى صراعك مع أية خطية، وإلى طريقتك في الوعظ .. إلخ.

إن التحدي الكبير الذي يواجهك، هو اكتشاف كيفية تطبيق هذه الحقائق في وضعك الخاص. عندما تفعل ذلك، ستلاحظ حدوث شيء رائع: سيبدأ تغيير الطريقة التي تتغيَّر بها. (إذا كنت تريد مثالًا عمليًا عن كيفية القيام بذلك، فكِّر في الفصل الذي قرأته للتو. عند النظر في النقاط الثلاث في المُخطط، ستلاحظ أنني حاولت تطبيق هذه النظرة العالمية على حل النزاع).

المشكلة	لا تقع المشكلة في ما أفعل، بل في ما أرغب فيه.	يجب أن يكون التركيز على القلب (مرقس ٧: ٢١).	لا أستطيع تغيير ما أُريد، لهذا أواصل فعل الأشياء التي أقوم بها (كل ما حوَّلته إلى "وثن" يحفز أفعالي).
الحل	الحل، هو أن أُعيد تقدير احتياجي الضروري للإنجيل (ما زلت أزني روحيًا).	يجب أن يكون التركيز على عمل المسيح (الذي يغفر لي)، وعمل الروح القدس (الذي يُعطيني القوة) (٢كورنثوس ٣: ١٨).	لا شيء لديه القدرة على إظهار فكري الروحي، سوى مقابلة حقيقية مع الله، والتي أيضًا تفتح عينيَّ لأرى محبة الله وقبوله لي، على الرغم من ذلك.
النتيجة	**نتيجة التقابل مع الله، هي تغيير ما استمتع به، وبالتالي يتحوَّل الله إلى أعظم كنز لي.**	يجب أن يكون التركيز مُتمحور حول التفكير فيما إذا كنت أحب الله والناس أكثر، وليس فقط إذا تغيَّر سلوكي (متى ٢٢: ٣٧- ٣٩).	عندما تتغيَّر رغباتي، تتغيَّر حياتي أيضًا. حيث أمتلئ بالروح، وأبدأ في تمجيد الله في كل ما أقوم به.

نصيحة عملية

دعني أُعطيك نصيحة عملية: تغيير نظرتك إلى العالم، هو عملية تستغرق وقتًا طويلاً. تحتاج العديد من المفاهيم التي رأيناها في هذا الكتاب أن ترسخ في عقلك، وتتغلغل في أعماق قلبك.

هذا يعني، أنه على الرغم من أنك فهمتها وقبلتها على أنها صحيحة، يجب أن يمر وقت قبل أن تصبح جزءًا منك، وتندمج في نظرتك للعالم. بطريقةٍ ما، يجب أن يحدث شيء مُشابه لِمَا يحدث عند تحضير الشاي. إذا كنت تريد أن تمتص جميع محتويات كيس الشاي، فعليك ترك الكيس في الكوب لفترة طويلة. لا يمكنك إخراجه على الفور، والتظاهر بأن الماء قد امتص جميع المحتويات بالكامل. الشيء نفسه ينطبق على كل شيء درسناه في هذا الكتاب. كيف يمكن أن "ترسخ" المفاهيم التي رأيناها، وتأملنا فيها بعمق كبير؟

الطريقة العملية هي إعادة قراءة هذا الكتاب مع مجموعة صغيرة من كنيستك أو مع شخص ما تُتلمذه شخصيًا. القيام بذلك، سيسمح لك بإعادة التفكير في كل من الأفكار التي قُمنا بتحليلها، وبعد أن تتحدث عن محتواها مع شخص / أشخاص آخرين، ستضطر إلى التفكير في كيفية دمج هذه الحقائق في حياتك اليومية، وفك شفرتها. أحد الأشياء التي اكتشفتها كأستاذ في علم اللاهوت، هو أنك تتعلم شيئًا ما (شيئًا معقدًا) عندما يتعيَّن عليك تدريسه للآخرين. حيث تبقى دون خيار!

قراءة هذا الكتاب مع الآخرين، بمثابة نعمة لحياتك، وستكون أيضًا بركة رائعة للآخرين. استفِد منه!

كلمة أخيرة

كان اليوم الذي تزوجت فيه، واحدًا من أسعد لحظات حياتي كلها، لكن في الوقت نفسه، كانت واحدة من أصعب الأوقات التي مررت بها في الحياة. قبل أسبوعين فقط من زواجنا، توفى أخي الأكبر فجأةً بسبب تمدُّد الأوعية الدموية.

لن أنسى أبدًا المُحادثة التي أجريتها مع والدي عندما سألته عمَّا إذا كان يعتقد أنه يجب علينا المضي قُدمًا في موعد حفلنا، أو إذا كان من الأفضل تأجيله. على الرغم من أنه كان مُحطَّم للقلب تمامًا، عندما سألته هذا السؤال، استجمَع قواه بطريقة عجيبة، وأخبرني بكلمات صارمة: "لا مفر! أنت لن تؤجل حفل زفافك، لأنه سيكون أسعد يوم في حياتك!". فوجئت، خاصةً بسبب القناعة واليقين اللذان كان يتحدث بهما. ثم أضاف: "فكِّر في الأمر يا بُني: ماذا كان سيريد أخوك الأكبر أن تفعل؟".

وبالفعل استمر حفل الزفاف، وكانت لحظة مجيدة من نوعها. كما يمكنك أن تتخيَّل، لقد كان وقتًا عاطفيًا للغاية بسبب مجموعة من العوامل التي يَصعُب التعبير عنها. ومع ذلك، من بين كل تلك العواطف واللحظات التي حدثت في ذلك اليوم، هناك صورة لا يمكنني إخراجها من ذهني أبدًا. أتذكَّر اللحظة التي بدأت فيها زوجتي في السير نحو الأمام، بينما وقفت في انتظارها وهي في روعة من الجمال.

أتذكَّر كيف كنت أنظر إليها، بينما كانت هي تقترب بابتسامة بشوشة على وجهها، والتوتر يملأ عينيها. أخذت أُكرِّر لها دون توقف: أنتِ جميلة .. أنتِ جميلة .. أنتِ جميلة .. لم ترَ عيني أية فتاة أو أي شخص في الكنيسة سواها هي فقط. كما لو كانت عيني مسحورة بجمالها الفائق الوصف. كان العالم كله ينهار، أما أنا وجدت السلام والحب كله في شخصها.

هل تفهم الآن لِمَا استخدمت هذا التشبيه؟ لأن المسيح هو العريس، وأنت تُمثل عروسه التي تسير في الموكب متجهة إليه (أفسس ٥: ٢٥- ٣٣؛ ٢كورثوس ١١: ٢) (سفر الرؤيا ٢١: ٢). ما يشعر به العريس تجاه عروسه، هو جزء صغير جدًا من صورة ناقصة وغير واضحة لِمَا يشعر به المسيح تجاهك، مع اقتراب يوم فرحكم.

إنها صورة صعبة للتخيُّل، أليس كذلك؟ كيف يمكن أن ينظر الله إلينا بهذه الطريقة؟ كيف يمكن أن يراني جميلاً؟ بل كيف يمكن أن يدعوني جميلاً؟ هذا هو أبعد شيء من ما أنا عليه! السبب الوحيد الذي يجعل الله ينظر إلينا، ويُعاملنا بهذه الطريقة، هو "البكر الأكبر"؛ يسوع المسيح (عبرانيين ٢: ١١).

على الرغم من أن القياس غير مناسب، لكنني أُشبهه بأخي الأكبر الذي جعل الزفاف ممكنًا. لقد مات المسيح بدلاً عنك، وبقيامته ألبَسك ثيابًا بيضاء. لقد بذل نفسه من أجلك، وبذلك، أعطاك جماله وقداسته. تركه الآب على الصليب، حتى تنال أنت القبول الكامل. هذا هو بالضبط سبب كل ما يشعر به الآب، ويراه ويُخبره عن ابنهِ، ويراه ويُخبره عنك.

كيف يرى الآب يسوع، وبالتالي كيف يرانا نحن؟ «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مرقس ١: ١١). أو، كما نجدها في ترجمة أخرى بمعنى: "أنت ابني الحبيب، وتعطيني فرحة عظيمة". هل تبحث عن التغيير؟ دَع هذه الحقيقة تخترق قلبك وتأسر كيانك. ليس لديك إله عادي، بل لديك صديق سماوي. إله مُحب، إله مُغرَم بك، وعلى وشك أن تُزف إلى ابنه (رؤيا ٢١: ٢). "عِش في ملء اليقين أنك مقبولًا تمامًا عند الله .. لأنني مُت من أجلك .." (يوحنا ١٥: ٩). استمتع بحبه وبقبوله لك. حفل الزفاف الكبير قادم.

* * *

ملحق ١

ماذا أفعل عندما لا أُريد أن أطيع الله؟

ماذا عليَّ أن أفعل عندما لا أستمتع بيسوع؟ ماذا يجب أن أفعل عندما أحاول اختبار الإنجيل، ولكن لا يزال يبدو وكأنه شيء بعيد؟ هل، على سبيل المثال، أحتاج أن أغفر لشخصٍ ما، لم أغفر له حتى الآن؟ أو أن أقرأ الكتاب المقدس وأُصلّي، حتى لو لم أكن أُريد ذلك؟ للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نتذكَّر واحدة من أهم الحقائق اللاهوتية: نحن نعيش فيما يمكن أن نقول عنه: "أمر قد حدث، لكنه لم يَكمُل بعد".

نعم، لقد أتى الله بالفعل ليُعلن نفسه للعالم، وأولئك الذين آمنوا به. ولكن، مع ذلك، لم يستَعِد بعد، كل الأشياء، ولم يتم بعد، تمجيدنا (تغييرنا الكامل والمُنتظَر). فترة الانتظار هذه، تجعلنا نعيش في توتر مستمر بين ما يمكن أن نكون في المسيح، وماذا سنكون ذات يوم. يجب ألاَّ نُطالب، في هذه الفترة، بوعود محفوظة لنا، ستتم عندما نكون في بيت الآب. بالتأكيد، سيكون لدينا لحظات مختلفة من الإحباط، قلة الشهية، وحتى من الشعور بالابتعاد عن الله. سيكون لدينا دائمًا دوافع مختلطة، وعمى روحي عند السعي لطاعته. **كيف، إذن، يجب أن نستجيب في مثل هذا الموقف؟** أوَّد أن أُقدم لكم خمس نصائح عملية للغاية:

أولاً: يجب أن أعترف ببلادة قلبي. الكتاب المقدس واضح جدًا. حسب متى ٢٢: ٣٧- ٤٠، الله يريد كياننا الداخلي بأكمله. وهذا يشمَل أيضا مشاعرنا، عواطفنا ورغباتنا. إذا لم أَعُد أشعر أن الله يأسر قلبي، فهو يستحق أن أعترف له بحالة قلبي. يمكننا (وينبغي) أن نذهب إليه بوضوح، ونُخبره كيف نشعر.

ثانيًا: يجب أن أسأل الله أن يعطيني القدرة على رؤية "جماله" مرة أخرى. عندما تريد حقًا شيئًا ما، يقول لنا الكتاب: "اِسألوا" و"اطلبوا" و"اقرعوا" (متى ٧: ٧- ١٢). يؤكد لنا

يسوع أن الله مستعد لتلبية هذه الأنواع من الطلبات. (بالتأكيد، إذا كان الأمر يتعلق بالاستمتاع بشخصه!)؛ الإصرار، مثل قصة الأرملة التي كانت تُطالب بإنصاف القاضي لها من خِصمها، له قيمة عظيمة عند الله (لوقا ١٨: ١- ٨).

المواظبة على الصلاة، هي وسيلة لإظهار أننا نحب الله حقًا ونفتقده. حدث شيء مُشابه مع الصوم. كما يقول جون بايبر في كتابه "الجوع لله" (كتاب أوصي بأن تقرأه في أوقات عدم الفرح): "يولَد الصوم المسيحي من حنين إلى الله".

لا نصوم لأننا جائعون لشيء لم نختبره، ولا نشعر بشدته لأننا لم نتذوَّق المسيح. **ولكن** يولَد هذا، لأننا قد اختبرنا فرح المسيح بطريقة رائعة من خلال الروح القدس، والآن لا يمكننا أن نكون راضين حتى يأتي اكتمال الفرح. الصوم الجديد، **الصوم المسيحي، هو الجوع للشعور بملء الله** (أفسس ٣: ١٩).

دعني أُشجعك، وأُذكِّرك بحقيقة عظيمة: شعورك "بغياب الله"، هو دليل على أنك قد اختبرته بالفعل. كونك جائعًا له، هو علامة على أنك استمتعت به. وافتقاده، هو دليل على أنه في يوم ما كان قريبًا.

هذا ما يُعبِّر عنه داود في مزمور ٦٣: ١- ٥ «يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ، لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ. (ماذا يقول داود؟ **أنا لا أجدك، لكنني أشتاق للاستمتاع بك مُجدَّدًا! لن أتوقف عن البحث عنك حتى أتذوَّقك مرةً أخرى)** كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ. (ماذا يقول؟ "على الرغم من أن الأمر ليس كذلك الآن، فقد كان هناك وقت سابق (عندما كنت في قدسك) حيث كنت قريبًا، حيث رأيتك حقًا، ورأيت جمالك". لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ. (أي، **"أعلم أنه لا يوجد شيء يمكن أن يملأ قلبي مثلك، وأنا أعلم أنك الأفضل في هذا الكون)**. هكَذَا أُبَارِكُكَ فِي حَيَاتِي. بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ (أي - لهذا السبب، سأواصل البحث عنك، وأطلب منك فتح عينيَّ) كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي، وَبِشَفَتَيْ الابْتِهَاجِ يُسَبِّحُكَ فَمِي» (لهذا أثق في أني سأجدك مُجدَّدًا في مرحلةٍ ما).

"عدم رؤيتي لله" هو الدليل على أنني وجدته في مرحلةٍ ما. **أن تكون "عطشانًا"، هو علامة على أنه يعمل.** قلبك يعرف بالفعل؛ إذا كان الله معك، فلن تحتاج إلى أي شيء آخر في هذه

الحياة. **ولكن إذا لم يكن الله معك، على الرغم من أنك تمتلك كل شيء، ففي الحقيقة ليس معك شيء.** لا تتوقف عن البحث عنه، إنه يستحق العناء.

ثالثًا: يجب أن أتأمل؛ لماذا فقدت شغفي بالله؟ لماذا أصبح قلبي باردًا؟ لماذا لا أقدر أن أغفر؟ لماذا فقدت حماسي لقراءة الكتاب المقدس والصلاة؟ ما الذي يُسبِّب لي المزيد من الفرح والسعادة اليوم؟ ما الذي أُخصصه لوقتي وأفكاري وأحلامي؟ الإجابة بصراحة على هذه الأسئلة، سوف تسمح لك باكتشاف ما يجذب قلبك بعيدًا عن الله. بمعنى آخر، سيسمح لك بتحديد ما يُطفئ، أو يشبع رغبتك في الله.

يجب أن نتذكَّر أننا كبشر، دائمًا نَحِّن ونبحث عن شيءٍ ما؛ يبحث القلب دائمًا عن سبب للعيش. قد يختلف هذا السبب في غضون دقائق. في لحظة مُعيَّنة، قد يكون سبب تحفيزي للعيش، هو مشاهدة مباراة كرة قدم. في لحظة أخرى، أن أثبت صحة رأيي في صراعٍ ما، وبعد بضع دقائق، أعيش لإظهار أنني شخص روحي. إن قلوبنا تخدعنا باستمرار (إرميا ١٧: ٥)، لذلك **لا نُدرك في كثير من الأحيان، ما الذي يُبطئ نمونا الروحي**. يبدو الأمر كما لو كان لدينا ثقل غير مَرئي، مرتبط بأقدامنا ونحاول المشي. نحن نُدرك أننا لا نستطيع المضي قُدمًا، لكننا غير قادرين على رؤية ما يوقفنا.

سؤال: "**لماذا؟**" يساعدنا على جعل هذا الثقل مَرئي، ويُحدِّد المشكلة الجذرية. إنه يساعدنا على أن نرى، على سبيل المثال، أن السبب في أننا لا نستطيع أن نُسامح، هو أن سُمعتنا قد تحطمت، وهذا يجلب لنا المرارة (عبادة كبريائنا). ربما لا نشعر بقراءة الكتاب المقدس أو الصلاة، لأننا نذهب إلى الفراش في وقت متأخر كل ليلة حيث نسهر لمشاهدة مسلسلنا التلفزيوني المفضل (عبادة المتعة الشخصية). أن نسأل أنفسنا "**لماذا؟**" يساعدنا على تحديد أين يذهب حبنا وشغفنا في هذه الحياة. رؤية زنى قلبنا، هو بداية التغيير. لماذا؟ لأنه فقط عندما أرى مرضي، أذهب إلى الطبيب للحصول على المساعدة.

رابعًا: يجب أن أستمر في تعريض قلبي للإنجيل. إذا كنت شاحبًا، وأردت أن أتلوَّن ببشرة سمراء، ماذا أفعل؟ أعرِّض نفسي لأشعة الشمس! عندها فقط سأحصل على لون البشرة الداكن. الشيء نفسه ينطبق على القلب. إذا كان مُتحجرًا، فيجب تعريضه مرة أخرى لمَن يمكن أن يُليِّنه.

من أكثر الأشياء التي أستمتع بالقيام بها في وقت فراغي، هو مشاهدة ألبومات صور عائلتي. يمكنني قضاء ساعات في فعل ذلك. لماذا؟ لأن رؤية أطفالي وهم حديثي الولادة، أو تذكُّر شهر

عسلي، أو التعامل في صور والداي وأخواي عندما كانا صغيرين، يساعدني على تذكُّر وتقدير كم أنعَم الله عليَّ. القليل من الأشياء تجلب السعادة إلى قلبي، مثل التصفح في ألبومات الصور. إنها تُولّد الامتنان، وتُحرك مشاعرى، وتلمس قلبي، وتجعلنى أبكي.

عندما أفتح قلبي لهذه الصور، أتذكَّر كل الذكريات الجميلة. قلة الفرح في الله، هي مشكلة فقدان الذاكرة. إنها مشكلة النسيان. الحل؟ أحتاج إلى الحقيقة أن تأسر قلبي مرة أخرى. أحتاج أن أعود وأُقدِّر جمال الحقيقة مرة أخرى.

في الجزء الشهير فى رومية ١٢: ١، ٢ يقول بولس: إن **"تجديد الذهن" هو مهمة ثابتة.** لا أحد يستطيع البقاء على قيد الحياة بعِظة واحدة في الأسبوع. لذلك أنا أسألك: ما الذي يستخدمه الله عادةً لمنحك الفرح؟ القراءة في الكتاب المقدس؟ حديث عميق مع صديق؟ الاستماع إلى الوعظ الجيد على يوتيوب؟ قضاء وقت طويل بمفردك في خلوة مع الله؟ الاستماع إلى الترانيم التي تُركز على المسيح؟ قراءة الكتب المسيحية؟ التحدُّث إلى مرشد روحي أو قسيس؟ (إن التحدُّث عن نضالاتك الروحية، ومشاركتها علنًا مع شخص ناضج مستعد للاستماع إليك دون الحكم عليك، ولكن يمكنه أيضًا أن يُخبرك بالحقيقة بالحب، يساعد ولو بقدر قليل). إذا كان قلبك مُتحجرًا، فمن مسؤوليتك أن تُعرِّضه لمَن سيُليِّنهُ. استخدم أيًّ من هذه الطرق، أو العديد من الطرق الأخرى التي يمكن أن تساعدك في تقدير المسيح مرة أخرى (لذلك استخدمت الفصل الثاني عشر لتعميق هذا المفهوم).

أخـيرًا، يجب أن أفعل ما لا أريد أن أفعله، وأنا واثق من أنه في الوقت المناسب، سوف يُنعش الله البهجة في داخلك.

يوضح تيم كيلر هذا المفهوم: "إفترض أن طائرًا صغيرًا يسقط من العش داخل جحر ثعالب. لا يزال الطائر الصغير غير قادر على الطيران، ولكن هناك فتحة صغيرة عند قاعدة الشجرة يمكن أن يهرب منها. نجد الثعلب يستعد لمطاردة الطائر المسكين. فماذا يفعل الطائر الصغير؟ بالطبع، يجب عليه القفز في الحفرة لتجنُّب خطر وشيك. لكن مع مرور الوقت، نجد أن الشيء الوحيد الذي يفعله الطائر هو القفز. إذن فلن يتعلم أبدًا ما قد صُمّمَ من أجله: **الطيران**. وفي النهاية سوف تصطاده الحيوانات المفترسة التي يجب الهرَب منها".

يجب أن نطيع الله ببساطة، لأن هذا حقه، ونحن مديونون له بذلك. ولكن على المدى الطويل، فإن **أفضل طريقة لتشكيل حياتنا**، والهروب من التأثير المُميت للخطايا التي تُحيط بنا، **هي تحفيز القلب بالإنجيل.**

لقد دعانا الله أن نرفع الأجنحة كالنسور (إشعياء ٤٠: ٣١) - أي: أنه يتوقع منا حياة لا يمكن تفسيرها إلا بشكل خارق للطبيعة. لا أدَّعي أننا سنعيش دائمًا على هذا المنوال، ولكن نعم، بنعمته، يمكننا التقدُّم تدريجيًا في هذا الاتجاه، ويجب ألاَّ نكتفي بأسلوب حياة لا يولَد من حب صادق لله.

يقول سي .اس. لويس: بدءًا من حقيقة أن الشيء في حد ذاته صحيح، وكلما أعجبك هذا الفكر، وقلَّت الرغبة في "محاولتك لتكون جيدًا"، كان ذلك أفضل. الرجل المثالي لن يتصرف أبدًا مدفوعًا بشعور بالمسؤولية، لكنه **دائمًا يريد الشيء الصحيح أكثر من الخطأ**. المسؤولية ليست سوى بديل عن الحب (لله وغيره من الناس)، مثل العكاز، هو بديل للساق. معظمنا يحتاج إلى عكاز في بعض الأحيان. لكن بالطبع، من الغباء استخدام العكازات، عندما تتمكَّن أرجُلنا (حبنا وشغفنا وعاداتنا، وما إلى ذلك) من القيام بدورها الأساسي.

نعم، في بعض الأحيان، يجب أن نطيع حتى إذا كانت الرغبة غير موجودة، ويبدو أن شغَفنا بالمسيح شيءٌ بعيد. لكن، فوق كل شيء، يجب أن نستند على الوعود التي قطعها لنا السيد المسيح على الصليب، حتى نُدرك أن «قدرته الإلهية قد وهبَت لنا كل ما هو للحياة والتقوى» (٢بطرس ١: ٣)، وأن القوة نفسها التي عملت "في المسيح عندما أقامه من بين الأموات، وأجلسَهُ عن يمينه في السماويات"، هي تحت تصرُّفنا.

هذا هو أمَلنا؛ قوته هو، وليست قوتنا نحن.

لا محدوديته، وليس إخلاصنا. حبه هو، وليس جهدنا لاكتسابه.

كما قال جون أوين: "إن شريعة الله، الخوف من الموت، الجحيم والعقاب، وخوف الرب، يجب أن تترسخ في قلبي. ومع ذلك، يتم التغلُّب بسهولة على هذه الأحكام، حيث إنها ذاتها لا تقف بحزم ضد هجمات الإغواء أو العثرة. نتعدى هذه الأحكام كل يوم. القلب المُسلَّح بمخافة الله سينجح لفترة من الوقت ضد الإغواء، ولكنه يمكن أن يستسلم سريعًا. لذلك **يجب أن تكون هذه الأحكام مصحوبة بمحبة لله**".

ماذا تحتاج لتكنزه في قلبك، حتى تتغلَّب على العثرة؟

- تحتاج إلى اختبار محبة الله المُعلَنة في المسيح.
- تحتاج إلى معرفة الغرض الأبدي من نعمته.
- تحتاج إلى اختبار فرحة الخلاص في دم المسيح وموته من أجلنا.
- اِملأ قلبك بسرور الامتيازات التي اكتسبناها من موت وقيامة المسيح، حيث قد قبلنَا، وتبنَّانا، وبرَّرنا.. إلخ.
- اِملأ قلبك بأفكار تدور حول جمال القداسة، النعمة التي وهبها لنا السيد المسيح، الغرض الأعظم من موته «لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أفسس ١: ٤). سوف يتمتع القلب المستعد لتلَّقي هذه النِعَم أثناء سيره مع الله، بسلام وأمان من الانحرافات أو العثرات.

ماذا أفعل عندما لا أريد أن أطيع الله؟

- ♦ يجب أن أعترف ببلادة قلبي.
- ♦ يجب أن أسأل الله بإصرار أن يفتح عيني لرؤية مجده.
- ♦ لا بد من التأمل في الأسباب التي جعلتني أفقد شغفي بالله، وما حلَّ محله.
- ♦ يجب أن أعرِّض قلبي للإنجيل.
- ♦ يجب أن أفعل مشيئة الله، حتى في الأوقات التي لا أرغب فيها في ذلك.

مُعضلة كبيرة

يقول الكتاب المقدس بوضوح: إن الشخص المؤمن يُخطئ. «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا» (١يوحنا ١: ٨). ومع ذلك، يقول الكتاب المقدس أيضًا: إن الشخص الذي يُخطئ، ليس مؤمنًا حقيقيًا. «مَنْ قَالَ: «قَدْ عَرَفْتُهُ» وَهُوَ لاَ يَحْفَظُ وَصَايَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيهِ» (١يوحنا ٢: ٤). كيف يتم حل هذه المفارقة؟[1].

---

[1] لدينا جميعًا لحظات من العصيان والبُعد. لدينا جميعًا فترات نبتعد فيها تمامًا عن ينبوع الماء الحي، هذا طبيعي. (كان الملك داود، على سبيل المثال، بعيدًا عن الله، لمدة عام كامل، وهو يخطئ مع بثشبع، ويأمر بقتل زوجها). =

بمعنى آخر، كيف أعرف ما إذا كنت مسيحيًا حقيقيًا، يعصى أحيانًا، أو إذا كنت شخصًا يعتقد أنه مسيحي، وهو في الحقيقة ليس كذلك؟

على الرغم من أن هذا السؤال يتطلَّب شرحًا موسعًا (ليس لديَّ مجال لإعطائه)، وأن كل حالة مختلفة (ما يمكن أن يساعد شخص ما، قد لا يساعد آخر).

أوَّد أن أُشارك توضيحًا بسيطًا للغاية (وهميًا للغاية)، ولكنه ذات قيمة مفيدة جدًا:

تخيَّل خنزيرًا صغيرًا! ما الذي تشتهر به الخنازير؟ أكل القمامة، والاتساخ. دعنا نقول: إننا نقوم بتخدير هذا الخنزير، ونفتح صدره، ونقوم بعملية زرع لقلب خروف. ماذا سيحدث عندما يستيقظ هذا الخنزير الصغير؟ تدريجيًا، سوف يبدأ في الحصول على رغبات الخروف! يبدأ في تناول العشب، ويستمتع بالنظافة .. إلخ. من الخارج، سيبقى خنزيرًا، لكن داخليًا سيكون له قلب جديد، قلب مليء بالرغبات الجديدة. نعم، لأنه لا يزال خنزيرًا، من وقت لآخر، سوف يتعثر ويأكل قمامة مرة أخرى.

وإذا لاحظ المرء ذلك بشكل سطحي، فلن يختلف كثيرًا عن أقرانه. **ولكن**، داخليًا، في القلب، سيكون هناك فرق كبير. بدلاً من الفرح، سيشعر بالألم. بدلاً من الشبع، سيشعر بالفراغ. بدلاً من الاستمتاع بآلام التجربة، سيشعر بإحساس عميق من الفراغ. كيف يمكنني معرفة ما إذا كان قلبي قد تغيَّر؟ **أعرف ذلك من خلال الألم الذي أشعر به، عندما أبتعد عن يسوع؛ (كنزي العظيم).**

نعم، الخطية لا تزال تغوينا. نعم، ما زالت الخطية تُقيدنا. نعم، الخطية هي حقيقة لا نزال نكافح معها. في الواقع، لا تزال الخطية تُنتج قدرًا كبيرًا من المتعة (لهذا السبب نختارها مرة تلو الأخرى!). ومع ذلك، فإن المتعة التي توفرها محسوسة، ويُنظَر إليها على أنها متعة عابرة، وغير كاملة، وغير مُرضية.

= ومع ذلك، فإن ١يوحنا ٢: ٤ يُحدثنا عن أسلوب حياة من العصيان والبُعد. هذا هو، للشخص الذي لديه وسيلة للعيش غير الإنجيل. إذا تحدثت إلى هذا الشخص، فسيقول شيئًا مثل هذا: "نعم ، أعلم أنني أُخطئ مرةً واحدة، من حين لآخر. لكنها ليست خطية رهيبة. لا يوجد أحد مثلي. لا يبدو لي أنني أعيش بعيدًا عن الله". هذا النوع من المواقف، هو ما يُشير إليه يوحنا، وما يُسميه العمى أو الخداع الذاتي (١يوحنا ١: ٨ ؛ ٢: ٩ ؛ إلخ). أقول: إنني أعرف الله، لكنني لا أُمانع أن أخطئ، وأعيش بعيدًا عنه.

يختبر المؤمن الحقيقي حقيقة داخلية تخلق الفارق الكبير. يمكن للمؤمن الحقيقي أن يقول لنفسه بكل صِدق: لا يمكن مقارنة مستوى اللذة التي تُقدمها الخطية، بمستوى الفرح الذي أجده عندما أكون قريبًا من المسيح.

كيف أعرف أنني مسيحي حقيقي؟

لأن لديَّ رغبة صادقة في عدم الابتعاد عنه مرة أخرى.

بالنسبة للمؤمن الحقيقي،

الطاعة تجلب الفرح، بينما العصيان لا يجلب السعادة. في **الحقيقة**، إنه العكس، حيث تجعلك تشعر بالبُعد عن هويتك الحقيقية للحياة.

بالنسبة للمؤمن الحقيقي،

لا شيء يُقارَن بالقرب من المسيح. المؤمن الحقيقي ليس شخصًا لا يُخطئ أبدًا، إنه **شخص يتمنى بصِدق ألاَّ يخطئ مرة أخرى.** كما قال أحدهم: ما زلت أستمتع بالخطية، لكني أكره السرور الذي تُسبِّبهُ لي.

بعض العلامات

ما هي العلامات الأكثر إثارة للقلق، بأنني قد لا أكون مؤمنًا حقيقيًا؟

على الرغم من أن هناك ما هو أكثر من ذلك، إلا أنني سأذكر شيئين أكثر وضوحًا:

الأول: هو الافتقار إلى التوبة الحقيقية، **والآخر**، هو العمى الروحي.

ماذا يعني عدم وجود ندم حقيقي؟

هو أنني أرفض بشكل منهجي تحمُّل مسؤولية خطيتي، وعندما "أقبل" ذلك، عادةً ما يكون لديَّ دوافع مُتمحورة حول الذات للقيام بذلك. (يمكنك إلقاء نظرة على الفصل الرابع، عندما رأينا الفرق بين الندم والتوبة.

يمكنك أيضًا إلقاء نظرة على إنجيل متى ١٨: ١٧ لترى كيف يؤهل يسوع الشخص الذي يقاوم التوبة)، وفي الوقت نفسه، يتعلَّق العمى بالاعتقاد الخاطئ بأنني بخير. **لا يوجد أحد أبعد عن الله، مِن مَنْ يعتقد أنه بخير.** إذا كنت تواجه مشكلة في قبول ذلك، فكِّر في قصة الفريسي والعشار بعناية في انجيل لوقا ١٨: ٩- ١٤.

أخيرًا: ما هي العلامة الأكثر وضوحًا على أنك مؤمن حقيقي؟

على الرغم من أنني أرغب في التعمق في هذه النقطة، إلا أنني سألخصها في جملة واحدة:

المؤمن الحقيقي هو شخص، مع مرور الوقت شيئًا فشيئًا،
يصبح لديه العديد من المطبَّات، والارتفاعات، والانخفاضات،
مع إخفاقات كبيرة في تاريخه. ولحظات الشك وعدم الثقة،
حتى مع دورات الخطية التي يبدو أنه غير قادر على كسرها،
لكن يمكنه أن يقول بإخلاص: "على الرغم من كل هذا،
فقد بدأت أشعر في قلبي أن الله هو أبي، فاديَّ، صديقي،
طبيبي، راحتي، مرشدي، ملكي، ربي، وحبيبي،
وكل شيء في هذه الحياة".

* * *

ملحق ٢

دليل عملي لقراءة وصايا الكتاب المقدس

إنني أدرك تمام الإدراك أن أحد الأسباب الرئيسية لعدم قراءة الكثير من الناس للكتاب المقدس، هو ببساطة أنهم لا يفهمون مضمونه. حسنًا، في كل مرة أقرأ فيها أنا أو أنت الكتب المقدسة، مهمتنا الأساسية هي محاولة تفسيرها بشكلٍ صحيح، حتى نجد المعنى الأصلي الذي أراد المؤلف أن يعطيه لكلماته. (عندما نتواصل، شفهيًا أو كتابيًا، نريد جميعًا أن نفهم القصد وراء الرسالة. لا أحد يحب أن يُسَاء فهمه).

أشار جوردون في، ودوغلاس ستيوارت، في كتابهما التفسيري :

"لا يمكن أن يعني النص ما لم يعنيه على الإطلاق. لإعادة صياغة الكلام بطريقة إيجابية، فإن **المعنى الحقيقي لنص الكتاب المقدس بالنسبة لنا ، هو ما قصده الله أصلاً عند تعبيره لأول مرة**".

من المُفترض أن يتم دراسة الكتاب المقدس من خلال منهَجية مُعيَّنة، وهي تتألف من اتباع ثلاث خطوات معروفة:

الخطوة الأولى: الملاحظة.

يحاول القارئ الإجابة على السؤال: ماذا يقول هذا الجزء؟ تمامًا مثل المُحقِّق الذي يدرس قضية، هكذا يجب أن نكون نحن أيضًا عند قراءة أي نص من الكتاب المقدس. حيث نحاول جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات.

الخطوة الثانية: التفسير .

الغرض منه، هو توضيح معنى النص من خلال الإجابة على السؤال: ماذا تعني هذه الفقرة؟ أي بعد جمع كل المعلومات التي استطعناها في الخطوة الأولى، نحاول الآن النظر في معانيها، وما أراد المؤلف أن يُخبر قُرَّاءه الأصليين بما كتبَهُ.

أخيرًا الخطوة الثالثة: التطبيق.

يجب طرح السؤال التالي: ماذا عليَّ أن أفعل وِفقًا لِما فهمته من هذا الجزء؟ أي كيف **ينبغي أن أعيش في ضوء ما قرأته**. نظرًا لحجم الموضوع، سأسترسل في تحليل الخطوتين الأوليين.

أعتقد أن هناك الكثير من الكتب الجيدة التي يمكن أن تساعدك في تفسير الكتاب المقدس، إذا كان هذا شيئًا جديدًا بالنسبة لكَ[1]. ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بتطبيق الكتاب المقدس في حياتنا، أعتقد أن هناك موارد قليلة للغاية تركز على كيفية مساعدتنا في دراسة الكتاب المقدس، حتى نتمكن من اختبار تغييرات عميقة حقيقية. على الرغم من أنه يمكن قول الكثير عن كيف نُطبق الكلام بطريقة عملية، إلا أنني سألزم نفسي في هذا الملحق على مساعدتك على تعلُّم كيف يمكنك ربط أية وصية تقرأها في الكتاب المقدس بشخص المسيح، وتطبيقها على حياتك.

أعتقد أن السؤال الأساسي الذي يجب طرحه على أنفسنا هو: كيف يؤثر الإنجيل (أو الصليب) على فهمي لهذه الوصية؟ إذا كنا قد وصلنا للخطوة الثالثة، فهذا يعني أننا قد جاوبنا على سؤال : ما الذي يجب أن نفعله وِفقًا لهذا الجزء؟ بشكلٍ صريح، أو ضمنيًا على الأقل، نحن نأمل أن نُجاوب على هذه الأسئلة، معتمدين على الجهد الإنساني.

كما أكدت في جميع أنحاء الكتاب، فإن **جهدنا، دون أن يرتبط بالمسيح من خلال روحه، لا يمكن أن يُغيِّرنا**. دعنا نأخذ "الكذب" كمثال. إذا قرأت آية تقول إنه لا ينبغي أن نكذب، أصل إلى أن تطبيق الآية هو "يجب أن أتوقف عن فعل ذلك" أو أن "لا بد لي من السعي للتوقف عن الكذب" إذا أُتيحت لي الفرصة للكذب. فان التطبيق الذي توصَّلت إليه، ينطبق على شخص غير مؤمن، وليس على شخص مؤمن. لماذا؟ لأنني لم أشرك المسيح في عملية التغيير!

---

[1] لهذا أوصي بكتاب "هوارد ج. هندريكس". تفسير الكتاب المقدس: مقدمة (ويستون: باتموس، ٢٠١١).

هل من الضروري أن يكون الله داخل القلب للتوقف عن الكذب؟ بالطبع لا! كثير من الناس لا يكذبون. العديد من شهود يهوه يقولون الصدق دائمًا. كثير من المورمون لا يفعلون ذلك عادةً. **إذا لم أَقُم بطلب السيد المسيح في مساعدتي لتطبيق الحقيقة التي توصَّلت إليها، فلن أتمكن من عيش هذه الحقيقة وفقًا لمعايير المسيح.** (من خلال مجده ولمجده. تذكَّر الفصل التاسع).

أين، إذن، يمكننا استخدام نهج أكثر دقة للنص؟[٢].

الجواب بسيط: يجب أن نتعلَّم كيف قرأ يسوع الكتاب المقدس. لا أحد أفضل منه ليُعلِّمنا كيف نقرأ أي جزء من الكتاب المقدس. يستخدم الرب يسوع هذا النهج بشكل واضح وصريح في الموعظة على الجبل، وعلى وجه التحديد، في متى ٥: ٢١- ٥٨ (أرجوك اِقرأ هذا المقطع، إذا لم تكن على دراية به). في هذا الأصحاح، يستشهد يسوع بست وصايا من العهد القديم (الأعداد ٢١؛ ٢٧؛ ٣١ ؛ ٣٣ ؛ ٣٨؛ ٤٣)، ثم يشرح ببساطة معنى كل وصية. ما الذي نتعلَّمه من تفسيره للوصايا (أي من طريقة قراءته للكتاب المقدس)؟ كيف لاحظ يسوع، وفسَّر وطَبَّق الوصايا؟ قبل أن أُريك بعض الاستنتاجات، اِسمح لي أن أُشاركك بجزء موجز من المقابلة الهاتفية التي أجريتها مع الدكتور جون هندرسون، والتي ألهَمَتني أن أكتب ما ستقرأه بعد ذلك.

عندما كان يَعِظ يسوع على الجبل، فهو لم يُعطِنا وصايا جديدة ، لكنه أعطانا تفسيرًا صحيحًا. (أي، وسيلة صحيحة لتفسير الكتاب المقدس). لقد كان يسوع واضحًا جدًا في قوله: إن ما يُدَرسّه ليس وصايا جديدة ، ولكن نفس الوصايا القديمة، لكن بتُفسَيّر أدق وأوضح . بعبارة أخرى ، ما يقوله يسوع هو: "هذا ما قصده الله عندما قال يجب ألاَّ تقتل ..." (الآية ٢١). "هذا ما قصده الله عندما قال: يجب ألاَّ تزني ..." (الآية ٢٧). "هذا ما قصده الله عندما قال يجب أن تحب قريبك ..." (الآية ٣٣). إنه شيء أعمق بكثير من مجرَّد عدم قتل شخص ما. إنه شيء أعمق بكثير من مجرَّد عدم الزنى مع امرأة، بغض النظر عن ديانتها أو جنسيتها. إنه شيء أعمق بكثير من مجرَّد حب قريبي. **كان هدف الله هو الوصول إلى القلب، وليس مجرَّد إحداث**

---

[٢] أوَّد أن أوضح أن الطريقة التي أقترحها هنا، ليست شيئًا جديدًا. يجب أن تكون حذرا من أي شخص يُقدم تفسيرًا جديدًا أو وحيًا جديدًا. الطوائف تبدأ بهذه الطريقة. يسوع هو مُعلّمنا. الشيء الجديد الوحيد في هذه الطريقة، هي محاولة التعبير عنها بطريقة بسيطة وواضحة، بحيث تكون بمثابة أداة لدراسة الكتاب المقدس بشكلٍ أفضل.

تغييرات في السلوك الخارجي. كان هذا هو قصده منذ البداية مع موسى، ولم يكن هذا شيئًا جديدًا كشفه يسوع. هذه هي الطريقة التي ينبغي أن نُفسر بها تلك الوصايا.

ما أظهره لنا يسوع، من الناحية التفسيرية، هو أن:

الوصايا كان ينبغي أن تكون بمثابة مشرط قادر على شق القلب إلى نصفين، وليس سُلمًا لمحاولة الوصول إلى محبة الله أو السماء.

في ضوء ما يمكن أن نلاحظه في تفسيرات يسوع، يمكننا أن نستنتج أنه في كل مرة نقرأ فيها وصية، نواجه ثلاث حقائق أساسية:

يُذكِّرنا كيف يجب أن نعيش.

يُذكِّرنا أننا لا نستطيع أن نعيش كما يحق لإنجيل المسيح بمجهودنا الشخصي.

يُذكِّرنا أننا نحتاج إلى يسوع حتى نعيش كما يجب.

أولاً: سنسترسل في مثال الكذب، عندما نقرأ جزءًا يتحدَّث عن الخداع، فإننا نواجه ما يتعيَّن علينا القيام به. **خطة الله الصالحة والرائعة، هي أن يعيش أولاده دائمًا في النور**. ومع ذلك، من خلال دراسة بإخلاص وبمساعدة روح الله، تُدرك قلوبنا أنه لا يزال لدينا صراعات هائلة مع هذه الخطية. ما زلنا نكافح مع الخداع، مع محاولة تقديم صورة أفضل عن أنفسنا، مع إخفاء بعض المعلومات التي يمكن أن تضر بنا .. إلخ. عندما نسأل أنفسنا: ما هو الكذب حقًا؟ نحن ندرك أن كل هذه الأشيا، وكثير غيرها، هي طرق خفية للكذب، ولا تزال موجودة فينا.

ثانيًا: بعد فحص دقيق لِمَا يكشفه لنا الكتاب المقدس، نحن نواجه حقيقة أنه - بغض النظر عن مدى صعوبة المحاولة - لا يمكننا أن نعيش كما يتوقع منَّا الله. عندما تسأل نفسك: لماذا أكذب في هذا الموقف؟ تأتي إلى إدراك دوافعك الحقيقية. يمكن أن تدور حول وجود صورة مُتدينة أمام الآخرين، أو عدم الرغبة في خسارة المال في موقف معيَّن، أو أن يظنون أنك غير ذكي بما فيه الكفاية .. إلخ.

> من خلال اكتشاف الدافع الحقيقي، نكشف عن أصنامنا الخفية، ونفهم أننا، بدلاً من حب المسيح، نحن نحب أنفسنا كثيرًا، لدرجة أننا كنا على استعداد لفعل أي شيء من أجل الحصول على ما نريد.

أخـــيرًا: عند رؤية الدوافع الحقيقية لقلبنا، نواجه حقيقة أننا نحتاج إلى مغفرة المسيح وقوته، لنعيش حسب ما يتوقع منا. نحن نكذب، لأننا لا نُحبه من أعماق قلوبنا. نحن نكذب، لأن قلبنا قد ابتعد عنه بطريقةٍ ما. نحن، لأننا توقفنا عن تقدير السيد المسيح كأعظم دافع لنا للحياة، قُمنا بتغيير شخصه بمعبود آخر. في إدراك هذه الحقيقة، وقبول فقرنا الروحي، نحتاج إلى التذكُّر بأن يسوع قد مات من أجل هذه الخطية، وأنه لا يزال يُحبنا بثبات.

عندما يحدث هذا، نعود إلى الاستمتاع بالمُخلِّص مثل ما فرحنا به في يوم قبولنا الخلاص، وبطريقة مُشابهة لِمَا حدث في ذلك اليوم. يحتل روح الله (الذي كان حزينًا)، مرةً أخرى جزءًا في قلبنا، حيث يُحَوِّل المسيح مرة أخرى سبب عيشنا، ويمنحنا القدرة على العيش، ليس فقط حسب الوصايا، ولكن أيضًا بروحه القدوس. وهكذا، فإن السؤال الكبير الأخير الذي نطرحه على أنفسنا في تطبيق أية حقيقة كتابية، هو ما إذا كان يمكنني الاستمتاع بحب المسيح على الرغم من ما فعلته؟ هل أستطيع أن أرى أنني بحاجة إلى أن أمتلئ بروحه لأعيش ما يطلبه مني؟

باختصار، هناك ثلاثة أسئلة كبيرة يجب أن أُجاوب عليها عند التفكير في تطبيق تعليمٍ ما من الكتاب المقدس. في هذه الحالة، دعنا نتأمل في: الكذب.

	ثلاثة أسئلة يجب الإجابة عنها عند تطبيق أي تعليم كتابي	ما الذي أبحث عنه في الإجابة؟
١	ما هو الكذب؟	يسمح لي باكتشاف روح التعليم الذي يُعلن عنه الكتاب.
٢	لماذا أكذب؟	يسمح لي أن اكتشف قلبي الزاني والآثِم.
٣	هل أقدر أن أشعر بمحبة الله لي، عندما أكذب؟	يسمح لي باكتشاف جمال الإنجيل والكلمة.

دعني أعطيك مثالاً. أنا أُحذرك. إذا قرأته بسرعة ستبدو فكرة جيدة، ولكن بعد النظر فيها بالتفصيل، سترى أنها غير مُكتملة. (أقول ذلك مرة أخرى، إنها فكرة صحيحة، لكنها

غير مكتملة). في كتابه "تحديات القيادة المسيحية"، يشارك جون ستوت (الذي أحترمه كثيرًا) مبدأين قَيِّمَيْن للغاية، مُستندا إلى كولوسي ٣: ١٧؛ ٣: ٢٣. **الأول** يقول: «وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْل أَوْ فِعْل، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ». **أما الثاني** فيقول: «وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ». ما يقصده ستوت هو: "بحسب الآية الأولى، يجب أن أُعامل جاري كما لو كنت أنا يسوع المسيح. **ولكن** وفقا للآية الثانية، يجب أن أُعامل جاري كما لو كان هو يسوع المسيح". في وقتٍ لاحق من كتابه، يقول ستوت مرة أخرى:

"وفقا لهذه الآيات، فإننا نتعامل مع الآخرين باسم المسيح: نحن نُمثل يسوع. نحن سفراؤه على الأرض. نتعلَّم أن نفكر في الناس كما كان يُفكِّر هو عنهم، ونتعلَّم أن نعامل الناس كما كان هو يُعاملهم: نكرم النساء كما هو أكرمهم، ونحب الأطفال كما هو أحبهم، ونُظهِر التعاطف مع أولئك الذين يحتاجون إليه كما فعل. ونتواضع ونغسل أقدام الآخرين كما فعل هو. ويبقى السؤال في كل موقف هو: **ماذا سيفعل يسوع في مثل هذا الموقف؟**"

يُكمِل ستوت فكرته بالإشارة إلى أنه، وفقًا لكولوسي ٣: ٢٣، يتم عكس الأدوار:

الاحترام والتعاطف اللذان يجب أن تُظهرهما للناس، ليسوا بمثابة الاحترام الذي كان يسوع ليُعطيه فحسب، بل بمثابة الاحترام والتعاطف الذي سيحصل عليه المسيح نفسه ..

هذا هو المبدأ الذي يمكننا تطبيقه في كل ما نقوم به: إنه من السهل والمُمتع تنظيف الغرفة إذا كنا ننتظر زيارة من يسوع المسيح بنفسه. يمكننا إعداد وجبة طعام شهية إذا كنا، مثل مرثا، في انتظار أن يأتي يسوع لتناول الطعام معنا. من الممكن أن تخدم طالبًا كما لو كان هو المسيح. من الممكن أن تكتب رسالة كما لو كان المسيح سيقرأها. من الممكن القيام بزيارة افتقاد لأسرة كما لو كان يسوع هو الذي يعيش هناك.

فهم طريقة دراستنا، وتطبيقنا لحقائق الكتاب المقدس، هو أن نفهم أن هذه الملاحظات من ستوت هي ثمينة جدًا، لكنها أيضًا غير مُكتمَلة. يمكننا طرح سؤالين رئيسيين، بعد أن تعرَّفنا على طريقة تفسيره.

الأول هو: ماذا سيفعل يسوع لو كان مكاني؟

والثاني هو: كيف أفعل ذلك كما لو كان من أجل يسوع؟

ومع ذلك، هناك سؤال ثالث يجب أن نسأله لأنفسنا. هذا هو السؤال الأساسي لنكون قادرين على عيش هذين المبدأين!

كيف أفعل ذلك من خلال يسوع؟

الأسئلة الثلاثة ضرورية! إذا جاوبنا فقط على الاثنين الأولّين، فقد أظهرنا ما يتعيَّن علينا القيام به، **ولكن** لم يتم المُجاوبة على كيف يتعيَّن علينا القيام بذلك من خلال روحه.

النهج الذي نتبعه لتفسير الكتاب المقدس، يجب أن يُذكِّرنا بأن كلا المبدأين اللذين شاركهما ستوت، يستحيلان أن نعيشهما! مَن يستطيع أن يحترم الآخر، كما لو كان يخاف يسوع المسيح نفسه؟ مَن يستطيع أن يعامل الآخرين حقًا، كما لو كانوا يسوع نفسه؟ كِلا المبدأين لا يمكن تحقيقهما. كِلا المبدأين ليسا من الصعب تطبيقهما، بل كِلا المبدأين مستحيلان للعيش. لهذا السبب، نحتاج إلى الإجابة على سؤال يُذكِّرنا بأننا بحاجة إلى ما لا نملكه: **المغفرة والقوة**. بمعنى آخر: **من المستحيل أن تعيش مثل المسيح بدون المسيح** (يوحنا ١٥: ٥).

دعنا نأخذ فقرة من رسالة يعقوب لنستعرض مرةً أخرى، كيفية استخدام هذه الأسئلة الثلاثة عندما نواجه أية وصية أو تعليم كتابي.

يقول يعقوب ٢: ١ «يَا إِخْوَتِي، لاَ يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَبِّ الْمَجْدِ، فِي الْمُحَابَاةِ». التعليم في هذه الآية واضح للغاية. **يجب ألاَّ نُظهِر الفروق في التعامل مع الآخرين**. ومع ذلك، فإن تأملنا في هذه الوصية بشكلٍ سطحي، يمكن أن نصل إلى الاستنتاج الخاطئ بأننا نعيش هذه الوصية بفاعلية تامة. فلنطرح السؤال الأول الذي اقترحناه سابقًا: ما هي حقًا المُحاباة؟ التأمل في هذا المفهوم، يجب أن يُولِّد فينا شعورًا عميقًا بالإيمان (كما يجب أن يحدث في كل مرة ندرس فيها الكلمة بعناية، ونحاول تطبيقها حقًا. يعقوب ١: ٢٣- ٢٥).

إن إظهار المُحاباة لا ينطوي أبدًا على جماعة أو شخص معيَّن. إنها معاملة الآخرين بشكلٍ أفضل أو أسوأ، وفقًا لجنسهم أو لون بشرتهم أو خلفيتهم الثقافية أو مركزهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو النضج الروحي، أو الطائفة التي يَنتمون إليها، أو أية فئة أخرى يتصوَّرها العقل. إنه إرضاء الشخص الذي يمكنه، بطريقة أو بأخرى، أن يفيدني بمنفعة. وعلى العكس من ذلك، هو أن أتجاهل الشخص الذي لديه القليل ليُقدمه لي.

هو الشعور بالاستياء الداخلي تجاه مجموعة أو شخص معيَّن. إنه الارتباط القوي بمجتمع معيَّن مع مَن تُحبهم. إنه تقسيم الناس إلى فئات في ذهني، ومعاملتهم كما

تستحق كل فئة. كل هذه الأشياء والكثير غيرها، تنطوي على الوقوع في هذه الخطية. إن النظر إلى روح الوصية يواجهنا بحقيقة؛ أننا بعيدون عنها أكثر ممَّا كنا نظن. ومع ذلك، يجب أن لا ينتهي تحليل النص وتطبيقه هنا.

إذا طرحنا هذا السؤال فقط، فسنتأمل فقط، في الجوانب المُتعلِّقة بالسلوك، من خلال طريقة عيشنا للوصية، لكننا لم نقترب من القلب والمكان الذي تعيش فيه الأسباب والدوافع التي تدفعنا إلى العيش هكذا. لهذا السبب، يجب أن نسأل السؤال الثاني:

"**لماذا أصارع مع المُحاباة؟**".

عندما نُجيب على هذا السؤال، سنواجه فقرنا الروحي بشكل أكثر وضوحًا. ما الذي يُحفزنا على التصرف بهذه الطريقة؟ الوضع الافتراضي الذي فرضه يعقوب ٢: ٢- ٣ يظهر هنا بوضوح. على عكس ما قد يفكر فيه البعض، بعد قراءة سريعة للفقرة، فإن قراءة هذه الآيات بعناية، ستقودنا إلى استنتاج أن المشكلة لا تتمثل في إعطاء شخص ما أفضل ما عندي وشخص آخر لا . بعد كل شيء، شخص سيحصل على أفضل ما عندي! لكن تَكمُن المشكلة في سبب إعطاء شخص ما مكانًا وآخر لا .

الفكرة هي: "أعطيك هذا المكان لأنك غني، بينما أعطيك أنت هذا المكان لأنك فقير". المشكلة هي أن هناك مصلحة أنانية ومتمحورة حول الذات وراء هذا العمل.

يُشير بعض المُفسرين، أن الرجل الذي يُشير إليه يعقوب، هو الذي كان يرحب بالزائرين الأثرياء في الهيكل، ويجعلهم يجلسون في أفضل مقاعد، حيث من خلال شعورهم بتلقي المُعاملة الحسنة والرفيعة، يعطون تقدمة أفضل. **على جميع الأحوال،** سواء كان هذا أو ذاك هو السبب وراء مُحاباتهم، فمن الواضح أن هناك خطة خفية في قلب الشخص الذي يُحدِّد للناس أماكنهم. قلبك يُعامل شخصًا ما جيدًا، لأنك (بوعي أو بغير وعي) تتوق للحصول على شيء من ذلك الشخص. كما نرى في هذا المثال، **تُظهِر المُحاباة ما هو مهم لقلبنا** (في هذه الحالة، على الأرجح؛ المال).

يجب أن نسأل أنفسنا: **لماذا نعامل الناس بشكلٍ مختلف؟** يمكن أن تختلف الإجابة، ولكن لا محالة من الهروب من خداع قلبنا حقًا (والذي لا علاقة له بحُب الشخص نفسه). يمكننا إظهار مُحاباة من أجل المكانة والهيبة التي نحصل عليها من معاملة شخص ما

بشكلٍ جيد، وارتباطنا بهذا الشخص، بينما في المقابل، يمكن أن نُسيء معاملة شخص آخر "لنفصل" أنفسنا عن هذا الشخص، بسبب السُمعة التي قد تُصيب اسمنا. يمكننا أن نُظهِر مُحاباة بسبب حب القوة التي يمكن أن يمنحها لنا شخص معيَّن ذو تأثير ، أو بالمقابل، يمكن أن نتجاهل شخصًا ما بسبب العار الذي قد تُسببه العلاقة معه. يمكننا إظهار المُحاباة من أجل حب جنسنا أو ممتلكاتنا أو لأسباب أخرى كثيرة.

إن القضية الأساسية، هي أن نُدرك، أن الطريقة التي نتعامل بها مع شخصٍ ما، تُحددها ما يُحبه قلبنا (وثن القلب) أكثر ممَّا يُحدده الشخص نفسه. إذا كان قلبنا محكومًا اليوم بحب المال، فسنتعامل مع الأثرياء بطريقة خاصة، وسنتجاهل الفقراء. لكن إذا سيطر غدًا على قلبنا مظهر التقوى في المجتمع المسيحي، فسنفعل عكس الشيء تمامًا! الشخص نفسه الذي تعامَلنا معه بمودَّة أمس (الأغنياء)، اليوم سوف نتجاهله. والشخص نفسه الذي تجاهلناه بالأمس (الفقراء)، اليوم سوف نُعامله بمودَّة واحترام. لماذا؟ لأن **ما يحكم قلوبنا يُحدِّد أفعالنا الخارجية**. كما يقول ديفيد بوليسون: "**تسود رغباتنا على حياتنا، حيث تتنافس مع الله نفسه على السيادة**".

إن مواجهتنا لهذا الواقع، يجب أن تُولِّد فينا قناعة بالخطية. وإدانة الخطية، تُولِّد فينا تصورًا جديدًا لمدى احتياجنا إلى الغفران وقوة المسيح لنكون مختلفين. وبالتالي، تُبرز الحاجة إلى طرح سؤال ثالث: هل يمكنني رؤية حب يسوع حتى يغفر لخاطئ أعمى مثلي؟ من خلال إعادة اكتشاف حاجتي إلى يسوع، سيسمح لي الروح القدس باختبار عدم محدودية الله مرة أخرى. سوف يُغيِّر أولاً ما يُحبه قلبي حقًا، ويُصبح المسيح حبي الأول. وبالتالي إيجاد أكبر قدر من السرور في شخصه، لن أعود بحاجة إلى الحصول علي الهيبة أو المال أو القوة التي كنت أبحث عنها في الناس حولي. بهذه الطريقة فقط، سوف أتوقف عن التعامل مع الآخرين بمُحاباة. بهذه الطريقة فقط، لن يتغيَّر سلوكي فحسب، بل أيضًا قلبي.

باختصار: عندما أتأمل في تطبيق نصٍ ما، بشكل صريح أو ضمني، تُخبرنا كل فقرة ثلاثة أشياء.

فمن ناحية، يُعلِّمنا ما يجب علينا فعله (مع كل النتائج التي تنطوي عليها الوصية حقًا).
من ناحية أخرى، تواجهنا حقيقة أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك (من خلال إجبار أنفسنا على التفكير في سبب طاعتنا لهذه الوصية، نواجه دوافعنا الحقيقية والخدعة، بما يُحبه قلبنا حقًا).

وأخيرًا: يدفعنا هذا إلى الجري إلى المسيح ليغفر لنا، وليعطينا القدرة على تتميم وصاياه من خلال القوة التي يمنحها روحه .

١	ما هي المواقف اليومية التي أتعثر فيها عادةً؟	ما الذي ينطوي عليه تطبيق هذه الآية؟
٢	ما الذي أُحبه اليوم، والذي يدفعني إلى العصيان؟	لماذا لا أقدر أن أُتمم هذه الوصية؟
٣	اُطلب منه أن يملأك بقوة روحه، حتى تقدر أن تعيش ما يكشفهُ لك.	هل أقدر أن أشعر بحب الله، حتى إن لم أُتمم تلك الوصية؟

* * *

ملحق ٣

قائمة الكتب الموصى بها

الهدف من قائمة الكتب والمؤلفين هذه، هو وجود مراجع كتابية ومحورية حول المسيح، حيث يمكنك دائمًا الذهاب إليها لتعميق إيمانك. بالتأكيد يمكن تحسين القائمة وإضافة كتب أخرى. من الممكن أيضًا وجود آراء مختلفة حول الأعمال الأخرى والمؤلفين. ما لا جدال فيه، هو أن كل ما تجده هنا، سيكون عقيدة سليمة لتُغذي حياتك الروحية بعمق. هذه القائمة لا تعكس رأيي الشخصي فقط، بل لقد تشاورت مع القساوسة والقادة من مختلف البلدان والثقافات المختلفة لإعداد القائمة. استمتع بها!

♦ **الكتب العشرة التي يجب على كل مسيحي قراءتها**:

هذه الكتب العشرة قد لا تكون أفضل ما كُتِب، لكن هناك عشرة كتب أساسية يجب قراءتها لتتمكّن من فهم الكتاب المقدس والمسيح، حول الجوانب الأساسية للحياة المسيحية. إذا لم تقرأ أيًا منها، يمكنك أن تبدأ من هنا!

1- Tim Keller -The Prodigal Son
3- Paul Trip -Sex and Money
4- Paul Trip -War of Words
5- José de Segovia -El asombro del perdón
6- Kim Sande -The Peace Maker
7- Jonathan Edwards -Religious Affections

8 - John Owen -Triumph over Temptation

9 - John Piper -When I don't desire God

10 - C.S. Lewis -Mere Christianity

كتَبَ تيم تشيستر (Tim Chester)؛ كتابًا بعنوان "يمكنك التغيير" (You Can Change). في الواقع نتكلم أنا وتشيستر نفس اللغة. الحقيقة، هي أني قد اقتبست عدة مرات من كلامه. إذا كنت لا تزال ترغب في مواصلة التعمق في كيفية التغيير، فإنني أوصي به.

♦ **أفضل عشرة مؤلفين مسيحيين**:

على الرغم من أن القائمة قد تكون أطول، إلا أن كل مؤلف من هؤلاء المؤلفين ممتاز، وموصى به تمامًا. أشخاص كتابيون، ولديهم لاهوت سليم وعملي جدًا. اِقرأ جميع الكتب التي يمكنك العثور عليها لأيٍ منهم. لن تندم.

1- Tim Keller
2 - Paul Tripp
3- John Piper
4- C. S. Lewis
5- Jonathan Edwards
6- John Owen
7- Philip Yancey
8- A. W. Tozer
9- John Stott
10 - Martyn Lloyd Jones

في مرحلة ما من حياتك، يجب أن تقرأ شيئًا لهنري نووين (Henri Nouwen). هو كاتب كاثوليكي لديه الكثير من القرَّاء، ويستشهد به عدد لا يُحصى من المؤلفين الإنجيليين. على الرغم من أنه قد كتب كتابًا أو كتابين في العقيدة الكاثوليكية، والتي تدور حولها الأقاويل، إلا أنهما يحتويان على كلام يحترم. اتبع نصيحة الرسول بولس: «اِمتحنوا كل شيء، وتمسكُّوا بالحَسَن!».

♦ **عشرة كتب لتنمو في حياتك الروحية**:

1- Donald S. Whitney. Spiritual Disciplines for the Christian Life

2- Richard Foster. Celebrating the Disciplines

3- A. W. Tozer. The Persuit of God

4- C.S. Lewis. The Screwtape Letters

5- J. I. Packer. Knowing God

6- El hermano Lorenzo. La práctica de la presencia de Dios

7- David Platt. Radical

8- John Owen. The Mortification of Sin

9- Philip Yancey. What's so Amazing About Grace

10 - Tim Keller. The Freedom of Self-Forgetfulness

كتَبَ جون بونيان (John Bunyan) في عام ١٦٧٨ كتابًا بعنوان(The Pilgrim's Progress). إذا لم تسمع عنه، فأنصحك أن تقرأه. إنه كتاب كلاسيكي عن الحياة الروحية.

شيءٌ آخر كتبَهُ كل من: Dallas Willard؛ Tim Chester العديد من الكتب الممتازة عن الحياة الروحية. اِبحث عن أعمالهم إذا كنت مهتمًا بالموضوع.

♦ **ثلاثة كتب ثمينة عن الصلاة**:

1- Tim Keller. Prayer

2- Philip Yancey. Prayer, Does it make any Differene?

3- Andrew Murray. With Christ in The School of Prayer.

كتَبَ جون بايبر (John Piper) كتابًا رائعًا بعنوان "جوع الله"(A Hunger for God). هذا الكتاب سوف يُحفزك على الصلاة والصوم بطريقة فريدة من نوعها. بلا شك، سوف يوقظ رغبة عاطفية وجديدة لمحبة الله ومقابلته.

♦ **مصدران أساسيان لدراسة الكتاب المقدس**:

١ـ ماكس أندرس (Max Anders) ثلاثون يومًا لفهم الكتاب المقدس:
30 Days to Understanding the Bible (ممتاز لإلقاء نظرة عامة على الكتاب المقدس بأكمله).

٢ـ هوارد. ج. هندريكس(Howard. G. Hendricks) لتفسير الكتاب:
(Living By the Book) (سوف يعطيك أدوات لدراسة الكتاب المقدس).

♦ **خمس سِيَر ذاتية لتلهمك**:

1- Howard y Geraldine Taylor. Spiritual Secret
2- Richard Wurmbrand. Tortured for Christ.
3- Oswald Smith. David Brainerd His Message For Today
4- Halaran Popov. Tortured for His Faith
5- George Muller. Man of Faith and Miracles

♦ **أربعة مؤلفين موصى بهم للإرشاد الكتابي**:

1- Paul Tripp
2- David Powlison
3- Elyse Fitzpatrick
4- Edward T. Welch

إذا كنت ترغب في فهم قلبك من وجهة نظر كتابية، إذا كنت ترغب في تقديم المشورة للآخرين، أو إذا كنت تريد أن تكون طبيبًا نفسانيًا، أنصحك بقراءة جميع الكتب التي يمكنك قراءتها من كتب هؤلاء المؤلفين الأربعة. يوجد اليوم الكثير من الالتباس فيما يتعلَّق بالمشورة والمساعدة الذاتية، وعلم النفس المسيحي وغير المسيحي. هؤلاء المؤلفون موثوق بهم تمامًا. أوصي بقراءة "Instruments in the Redeemer's Hands:" بقلم Paul Trip. كتاب آخر موصى به للغاية هو كتاب Edward T. Wlech - When People are Big and God is Small

♦ **أفضل ستة كتب عن تربية الأطفال**:

1- Paul Tripp. Grace-Filled Parenting
2- Elyse Fitzpatrick. Give Them Grace
3- Gary Thomas. Sacred parenting
4- Tedd Tripp. Shepherding a Child's Heart
5- Tedd Tripp. Instructing a Child's Heart
6- Paul Tripp. Age of Opportunity (للمراهقين).

مصدر آخر مفيد للغاية، هو سلسلة من ستة محادثات صوتية سجلها هنري كلاي Henry Clay بعنوان "التلمذة في الأسرة" The Family Legacy إنه يتعامل بشكل أساسي مع كيفية تربية الأطفال. المحادثات عملية وتوضيحية للغاية. يمكنك البحث عنها عبر الإنترنت تحت هذا العنوان، والاستماع إليها مجانًا.

- **أفضل ستة كتب عن الارتباط والزواج**:

1- Paul Tripp. What did you Expect?
2- Gary Thomas. Sacred Marriage
3- Gary Chapman. The Five Love Languages
4- John Piper. This Momentary : A Parable of Permeance
5- Tim Keller. The Meaning of Marriage
6- Dave Harvey. When Sinners Say "I do"

- **ثلاثة كتب ممتازة للكرازة والتلمذة**:

1- Robert Coleman. The Master Plan of Evangelism
2- David Burt. Manual de evangelización para el siglo XXI
3- Collin Marshall y Tony Payne. The Vine Project

- **خمسة كتب تعبدية وتأملية**:

1- Paul Tripp. New Morning Mercies
2- Oswald Chambers. My Utmost for His Highest
3- Tim Keller. The Songs of Jesus
4- Charles Spurgeon. Morning and Evening
5- Chris Shaw. Lift Up Your Eyes

- **كتابان لا يمكنك عدم قراءتهما**، إذا كنت في مركز قيادي في كنيستك:

1- Paul Tripp. Dangerous Calling
2- John Piper. Brothers, We Are Not Professionals

♦ **مصدران رئيسيان لكل كنيسة**:

١ ـ كتب مارك ديفير Mark Dever (مع مؤلفين آخرين) سلسلة من أحد عشر كتابًا بعنوان: "بناء كنائس صحية" ?What is a Healthy Church. كل كتاب من هذه الكتب الإحدى عشرة، ممتاز لجميع أعضاء الكنيسة، للقراءة والمناقشة في مجموعات صغيرة. حيث يناقش قضايا مثل التلمذة، والاشتراك في الكنيسة، والانضباط، إلخ.

٢ ـ كتب تيم تشيستر Tim Chester (مع مؤلفين آخرين) سلسلة من الكتب بعنوان: Gospel Centered "حياة متمركزة على الإنجيل"، "الزواج المُتمركز حول الإنجيل"، "العمل المُتمركز حول الإنجيل"، الخ). هذه السلسلة، هي أيضًا ممتازة لتكوين مجموعات صغيرة ككنيسة للدراسة بتعمُّق.

♦ **عشرة مؤلفين**، إذا كنت تريد البحث في الأسئلة الشائكة والدفاعية:

1- Allister McGrath	6- C.S. Lewis
2- Norman Geisler	7- Lee Strobel
3- Philip Yancey	8- Josh McDowell
4- Ravi Zacharias	9- Os Guinnes
5- Keneth Boa	10 - Antonio Cruz

كتَبَ تيم كيلر كتابين ممتازين: Encounters With Jesus & The Reason For God. (كلاهما ممتازان للقراءة، ولإهدائهما لشخص غير مؤمن، سيكون شيئًا رائعًا أن تفعل ذلك، ثم تسأله عما أثار انتباهه أو اجتذبه).

♦ **خمسة مؤلفين لدراسة معضلة الألم**:

1- C.S. Lewis. The Problem of Pain
2- David Burt. Llamados a sufrir
3- Jerry Bridges. Trusting God: Even When Life Hurts
4- Donald Carson. How Long, o Lord?
5- James Dobson. When God Doesn't Make Sense

تتطرق جميع كتب Philip Yancey تقريبًا إلى موضوع الألم (يتحدث أيضًا كثيرًا عن الشكوك الفكرية، ووجود الله). يانسي شفاف للغاية بشأن صراعاته، وهو مُفكِّر عظيم، ولا يعطي إجابات مُبسطة. (يمكنك أيضًا إعطاء كتبه للأصدقاء أو غير المؤمنين الذين يُعانون كثيرًا).

- **خمسة من المؤلفين الموصى بهم،**

والذين كتبوا العديد من التعليقات والتفاسير الكتابية:

١ـ جميع تعليقات جون ستوت John Stott

٢ـ جميع تعليقات ديفيد بيرت * David Burt

٣ـ تأملات توماس كونستابل ** Thomas Constable

٤ـ مارتن لويد جونز *** Martyn Lloyd Jones

٥ـ جميع تعليقات F. F. Bruce

* المحادثات والرسائل المُتاحة في www.davidburt.es.

** ملاحظات PDF متاحة على:
.http://www.soniclight.com/espanol/notas.html

*** معظم كتبه تعرض سفرًا من أسفار الكتاب المقدس.

- **خمسة مؤلفين للتعمق في دراسة اللاهوت**:

1- John Stott
2- J.I. Packer
3- Wayne Grudem
4- R.C. Sproul
5- Edmund P. Clowney

* * *